٧/ ٢١٥
٢٤٢

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الدعوة

قام الدكتور غازي المطيري
بما في ما وجه إليه الملاحظات
والشروح وصححت رسالته
والحمد لله على التوفيق والسداد
وسألته التوفيق
١٤١٧/٧/٢٤
١٤١٧/٤/٢٦

أهمية الدعوة إلى الله وأثر العقيدة الصحيحة في نجاحها

رسالة مقدمة لقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه) في الدعوة

إعداد الطالب
غازي بن غزاي المطيري

إشراف فضيلة الدكتور
علي بن عبد اللطيف مشهور

جمادى الثانية عام ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شکر و تقدیر

* شكر وتقدير *

يطيب لي في هذا المقام ، أن أتقدم بالشكر الجزيل ،قياماً بحرمة الصنيعة ، ونهوضاً بواجب الانعام ، واضطلاعا بذمام المعارفة،إلى فضيلة الدكتور على بن عبد اللطيف المشرف على الرسالة ، والذى بذل جهداً مشكوراً فى إرشادى وتوجيهى بأرائه السديده ، وتوجيهاته القيمه، خلال كتابة الرسالة مع طيب خلق ولين عريكة .

كما أتوجه بالشكرإلى معالى رئيس الجامعة الاسلامية فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح العبيد الذى ما خلوت من عوارفه وصنائعه،فله الفضل بعد الله فى مواصلة دراستى وتشجيعى فى هذا السبيل،كما لا أنسى بالشكر حسن الجميل وصدق الأخوة التى ألفيتها من رئيس قسم الدراسات العليا فضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان اثناء كتابة الرسالة .

كما أشكر عمادة كلية الدعوة ممثلة فى عميدها ونائبه ورئيس قسم الدعوة فيها الذين يبذلون جهوداً طيبة فى تهيئة المناخ العلمى للمعيدين والمحاضرين فى الكلية .

كما أخص بالشكر جميع من قدم لي عوناً ومساعدة من إخوانى وزملائى ، آدام الله على الجميع سوابغ نعمه، وقرائن مننه، ووصل ماضيها بمستقبلها .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * *
* * *
* *
*

المقدمة

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له أما . . بعد :

فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، على حين فترة من الرسل ، فى زمن بلغت فيه البشرية حداً لا يطاق من الجهالة وأنواع الضلاله ، وبمبعثه ودعوته المباركة ، انجابت تلك الظلم، وعرف العالم يومئذ حياة راقية فى نظمها ، عظيمة فى أخلاقها، قوية فى تماسكها ، واستمر هذا الخير المورود زمناً ليس بالقصير، وبين فترة وأخرى يخبو هذا النور ، فيفدح العالم لغيابه ويدلهم الخطب ، ويعظم البلاء ، وتشتد النوائب، ثم يقبض تعالى برحمته من عباده من يتصدى لرفع لواء الدعوة ونشرها ، فتظهر علامات اليمن ، وتعلو تباشير الخير ، ويتحقق للناس ما فقدوه من جذل وحبور، ولمعرفة أسباب تلك المنن الألهيه ، والهبات الربانيه ، وقع اختيارى على موضوع (أهمية الدعوة إلى الله وأثر العقيدة الصحيحه فى نجاحها) ليكون محور دراستى وبحثى لأطروحة الدكتوراه، تحقيقاً لرغبتى الملحة فى تجلية هذا الأمر العظيم عن علم وبصيرة.

وقد شجعنى على اختياره حوافز وأهداف عده من أهمها :

١ - الاستجابة لأمر الله ورسوله بتبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة، وتذكير المسلمين بواجبهم المقدس فى خدمة دين الله وشرعه رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ - ربط حاضر الأمة الاسلاميه بماضيها ، حتى تستمر الدعوة إلى الله راشده فى طريقها لا يعوقها صد، ولا يضعفها التنصل والاغفال .

٣ - إزاحة الركام الضخم من المبادئ والقيم المنحرفه، التى ترتبت على غياب

الدعوة الاسلاميه عن دنيا المسلمين وانقاذ العالم أجمع ، من المصير المرتقب المفجع، بسبب موبقاته وآثامه .

٤ - البرهنة العلميه على امكانية نهضة المسلمين ، وبث روح الثقة فى نفوسهـــم ، وتقديم الحلول العملية لاصلاحهم .

٥ - اصلاح الخلل الذى أقترن بنشاط الحركة الاسلاميه المعاصره ، وتوجيه النقـد البناء لدعاة الاسلام فى هذا العصر، بطريقة علمية محايده .

٦ - ترشيد الصحوة الاسلاميه المباركة ، والمشاركة العلميه فى توجيهها .

٧ - وضع برنامج عملى ، يشترك المسلمون فى تنفيذه ، ويتنافسون فى تحصيلـــه ، بحيث لا يبتعـــد أحد عن نشاطه، يرتبط بأصل موضوع الرساله .

٨ - التنبيه إلى أخطر ما يهدد الدعوة الاسلاميه ، حيث لوحظ تنحية العقيدة الصحيحه عن مجالها القيادى فى الدعوة ، وقلل بعضهم من أهميتها ، والرد على من رام سبيل ذلك ، والتأكيد على أن الدعوة بغير اهتمام بالعقيـــدة الصحيحه ، جهد ضائع ، وعمل خائب ، وفشل محقق مع الاشارة الـــى بحث جذور هذه النزعة الدعويه الغربيـــة ومعالجتها .

٩ - تذكير دعاة الاسلام المعاصرين ، بسيرة الصفوة المختاره من الدعاه الـــى العقيدة الصحيحة عبر القرون ، ليعلم المخالف أنه ليس له قدوة حسنـــة فيما ذهب اليه .

وقد تضمنت الرسالة مقدمة وتمهيداً وأربعة أبواب وخاتمة ، ثم تذييلاً بتوصيـات مقترحـــة .

أما المقدمة فكانت اطلالة ضافية عن سبب اختيار الموضوع ومنهجى فى كتابته ،

واحتوى التمهيد على توطئه موجزه عن حاجة البشرية إلى الله ، وبيان مظاهـــــر حاجتها لله عز وجل ، ليكون وسيلة إلى معرفة السبل الموصلة إلى تحقيق حاجـــات البشرية السويه ، من خلال التنويه بأهمية الدعوة إلى الله وأثرها فى هـــــذا السبيل .

وتضمن الباب الاول الاشارة إلى أهمية الدعوة إلى الله بيـان مفرداتهـــا ، باعتبار أن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، وأندرج تحت هذا الباب أربعـــة فصـــول :

الفصل الأول : التعريف وبيان الحكم ،واشتمل على أربعـة مباحث :

المبحث الاول : التعريف بالدعوة .

المبحث الثانى : تعريف الداعيه .

المبحث الثالث : تعريف المدعو .

المبحث الرابع : حكم الدعوة .

الفصل الثانى : مجالات الدعوة، وتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول : العقيدة .

المبحث الثانى : العبادة .

المبحث الثالث : المعاملات .

المبحث الرابع : الاخلاق .

الفصل الثالث : الوسائل والاساليب وفيه تنويه بضرورة استخدام كل أسلوب ناجـح ووسيلة نافعة ، مبيناً تعريف كل أسلوب ووسيلة مع بيان الضابط وكيفية الاستخدام وتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول : الأساليب .

المبحث الثاني : الوسائـل .

المبحث الثالث : التربيـة .

المبحث الرابع : الانشطة العامه .

الفصل الرابـع : صفات الداعيه حرصت فيه على بيان مواصفات الداعيه واشتمـل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الصفات الأخلاقيه .

المبحث الثاني : الذخيرة العلميه .

المبحث الثالث : الصفات العمليه .

الباب الثانـي : ضَرورات الدعوة ، عرضت فيه استعراضاً موجزاً لأدلة الشـرع وحوادث التاريخ، ودلائل الواقع على ضرورة نشر الدعوة وتضمن ثلاثة فصـول :

الفصل الأول : الضَرورة الشرعيه وفيه بيان لأدلة الشرع على ضرورة الدعـوة كفريضة ملزمة من خلال المباحث التاليه :

المبحث الأول : عالمية الدعوة .

المبحث الثاني : الآثار المترتبة على ترك الدعوة .

المبحث الثالث : الآثار المترتبة على إقامة الدعوة .

الفصل الثانـي : الضرورة التاريخيه وأوضحت فيه دلالة التاريخ على ضرورة الدعوة وفيـه مبحثـان :

المبحث الأول : الحالة البشرية قبل البعثة النبوية .

المبحث الثاني: حال العالم بعد البعثة النبوية .

الفصل الثالث : الضرورة الواقعيه ، وحاولت إنتزاع الأدلة من عالم الواقع على ضرورة الدعوة من خلال المباحث التاليه :

المبحث الأول : الجهل والتخلف فى بلاد المسلمين .

المبحث الثانى : التيارات الهدامة وسيطرة أعداء الإسلام .

المبحث الثالث : حالة العالم غير الاسلامى .

الباب الثالث : عوامل قوة الدعوة وحمايتها وفيه عرضت برنامجاً عملياً يشترك المسلمون فى تحصيله، واشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : خدمة الدعوة وحمايتها ويعنى هذا الفصل ببيان واجب المسلمين فى خدمة الدعوة وحمايتها وكيفية ذلك وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بذل الطاقة فى خدمة الدعوة .

المبحث الثانى : حماية الدعوة .

الفصل الثانى : نشر العلم ، أوضحت فيه أهمية العلم وأثره وكيفية نشره وتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : تعريف العلم وبيان حكمه .

المبحث الثانى : فضله وآدابه .

المبحث الثالث : كيفية نشره .

الفصل الثالث : القدوة الحسنة تناولت فيه بالبحث معنى القدوة الحسنة وبيان خصائصها وأسباب أهميتها ومجالاتها وذلك فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريفها وخصائصها .

المبحث الثانى : أسباب اهميتها .

المبحث الثالث : مجالاتها .

الفصل الرابع : محاربة البدع بينت فيه البدعة وخطورتها وسبل محاربتها وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف البدعة .

المبحث الثاني : التحذير من البدع .

المبحث الثالث : أسباب البدع .

المبحث الرابع : كيفية محاربة البدع .

الفصل الخامس : الوحدة ونبذ الخلاف ، اعتنيت فيه بالتنويه بأهمية العمل الجماعي بين دعاة أهل السنة وكيفية تحقيق ذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : مشروعية العمل الجماعي .

المبحث الثاني : معوقات العمل الجماعي .

المبحث الثالث : أسس الدعوة إلى العمل الجماعي .

المبحث الرابع : إقتراح لتوحيد جهود الدعاة .

الباب الرابع : أثر العقيدة الصحيحه في نجاح الدعوة ويعتبر هذا الباب القسم الثاني للرسالة ويمتاز بكثرة فصوله ومباحثه ، ليكون متوازناً مع ما قبله ، واشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالعقيدة وبيان محاسنها بينت فيه معنى العقيدة ، وإبراز أمثلة موجزة من محاسنها وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف العقيدة .

المبحث الثاني : محاسن العقيدة .

الفصل الثانى : مكانة العقيدة فى الدعوة ويتركز الحديث فيه على مبحثين :

المبحث الأول : الغاية من خلق الانسان .

المبحث الثانى : اتفاق الرسل على الدعوة إلى العقيدة .

الفصل الثالث : الآثار المترتبة على اهمال العقيدة فى الدعوة ويندرج تحته المباحث التالية :

المبحث الأول : المخالفات العمليه .

المبحث الثانى : المخالفات العقدية .

الفصل الرابع : أثر العقيدة الصحيحه فى الداعيه ، عرضت فيه حاجة كل داعية إلى العقيدة الصحيحة مع بيان أثرها فى حياته وتضمن مبحثين :

المبحث الأول : أثر العقيدة الصحيحة فى بناء شخصية الداعية .

المبحث الثانى : أثر العقيدة فى ثبات الداعية واستمراره .

الفصل الخامس: أثر العقيدة الصحيحة على المدعو واصلاحه وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر العقيدة فى استمالة المدعو .

المبحث الثانى : الثمرات التى يجتنيها المدعو .

الفصل السادس : أثر العقيدة الصحيحة فى أعداء الدعوة ، حاولت فيه ابراز أثر العقيدة فى مقاومة الباطل وكشف زيفه واشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : أثر العقيدة الصحيحة فى المشركين .

المبحث الثانى : أثر العقيدة الصحيحة فى ابطال عقيدة الكافرين .

المبحث الثالث : فضح المنافقين وكشف خبيئة نفوسهم .

المبحث الرابع : انقلاب الأعداء أولياء .

الفصل السابع : أهمية الدعوة إلى العقيدة الصحيحة في العصور المختلفة فصلت القول فيه لمناهج الصفوة المختاره من الدعاة المرضيين عبر القرون مستشهداً بأقوالهم وآثارهم على بلوغ العقيدة الصحيحة والدعوة إليها إهتماماً لا نظير له بادئاً برسل الله وإنبيائه عليهم الصلاة والسلام وذلك في ثمانية مباحث رئيسيه :

المبحث الأول : في حياة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثاني : في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع : التابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة رحمهم الله - .

المبحث الخامس : الائمة الأربعة - رحمهم الله - .

المبحث السادس: شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - .

المبحث السابع : الامام ابن القيم - رحمه الله - .

المبحث الثامن : الامام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

وأخيراً الخاتمة وفيها نتائج البحث ولبابه عطفت عليه بتوصيات أسأل الله أن تلقى القبول والتنفيذ .

منهجي في البحث :

وضعت نصب عيني وأنا أكتب هذا الرسالة هدفين اثنين، أجمعت لهما عدتي ، وسخرت لهما جهدي وهما :

١ - التنويه بأهمية الدعوة وضرورة نشرها .

٢ - إبراز مكانة العقيدة الصحيحة في الدعوة .

وحاولت حشد ما أستطيع حشده من أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة لإبراز هاتين القضيتين ، واقتنصت كل فرصة سانحة ولو من طرف خفي ، تزيد هذا الموضوع برهاناً ، وتجليه مفهوماً ولم أغفل عن ربط الماضي بالحاضر ، فكلما ظفرت باحصائية رسمية موثقة أو اكتشاف علمي ، صيرته دليلاً مؤكداً ، ومرشداً موضحاً لمقصودي ، مع مراعاة التسلسل المنطقي ، والربط التاريخي ، والتحليل الموضوعي ، ما أستطعت إلى ذلك سبيلاً ، ولم أقرر جزئيه إلا بعد تصورها ذهنياً ، ومعالجتها كتابياً من جميع جوانبها بايجاز ممكن ، سعياً لافادة القارئ بحصيلة علمية جامعة نافعة ، وقد أجنح أحياناً إلى الإطناب المُسهب لقناعتي بضرورة التفصيل ، وما من فصل في غالب الرسالة إلا أفتتحته بتوطئة لتهيئة ذهن القارئ لما بعده ، وذيلته بخاتمة تجمع ما أريد تقريره ، وإن لم أعنون لهما لوضوحهما .

ونظراً لحساسية الكتابة عن الدعاة المعاصرين وأخطائهم حاولت الإنصاف ما استطعت ، والابتعاد عن أسلوب السباب وكيل الشتائم ، والعزوف عن ذكر الأسماء ، ففي التنصيص والإحالة الى المراجع غنية وكفاية ، ليدرك المخالف محض نصيحتي ، وحرصي على الإصلاح ، وكان مَرامي في كل اقتراح أوردته أو خطة فصلتها ، الخروج بحلول عملية ، تجمع بين المثالية المسكنة ، والواقعية المرنة ، فيما لا أحرم حلالاً ، أو أحلل حراماً ، هذا ولم تعترض طريقي معضلة تستحق الذكر ، سوى طول الموضوع وتشعب أفراده وكثرة طرائقه ، خاصة لباحث مبتدئ مثلي ، فكم كنت أبدي وأعيد ، وأنقص ، وأزيد ، فلا جرم أن الإقدام على عمل علمي متعدد الجوانب ، ينؤ بالفكر ، ويجهد البال ، مما حملني بفضل الله على توطين النفس ، وشحذ الرأي والإضطلاع باعباء البحث والقراءة والكتابة حتى يسر الله الأمر وحصل المراد .

واعتنيت بمادرج عليه الباحثون فى كتابة الرسائل العلميه من عزو الآيـــات القرآنية ، وتخريج الأحاديث النبوية ، ونسبة الآثار المرويه ، وترجمة الإعلام ، وشرح الالفاظ الصعبه ، وقمت باعداد دليل كاشف لمضمون الرسالة ، يشتمل على ستـــة فهارس مفصّلة :

١ - فهرس الآيات .

٢ - فهرس الأحاديث .

٣ - فهرس الآثار .

٤ - فهرس الأعلام .

٥ - فهرس المصادر والمراجع .

٦ - فهرس محتوى الرسالة .

هذا والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريـــم ، وأن يضع له القبول ، وينفع به سائر المسلمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * * *
* * *
* *
*

التمهـــد

التمهيد

حاجة البشرية إلى الله

* حاجة البشرية إلى الله *

يقول الله تعالى :

(يايها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) (١) .

تلك حقيقة لازمة للجنس البشرى منذ نشأته حتى يرث الله الأرض ومن عليها فقد ذكر سبحانه إفتقار خلقه اليه ومزيد حاجتهم إلى فضله فى جميع أمور الدين والدنيا ، فهم الفقراء اليه على الإطلاق ، وهو الغنى على الإطلاق (٢) .

ولا يمكن بحال حصر تلك الحاجات أو استقراءها ،كما قال تعالى :

(وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) (٣) .

ولا أوضح من بيان الله ورسوله،ففى الحديث القدسى يقول الله تعالى :

(يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا يا عبادى ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم ، ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم ، ياعبادى كلكم عار الا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم ، ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم ، ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ، ياعبادى لو أن اولكم وآخركم ، وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ،ما نقص ذلك

---

(١) سورة فاطر آية رقم ١٥ .

(٢) فتح القدير حـ ٤ ص ٣٤٥ باختصار .

(٣) سورة ابراهيم آية رقم ٣٤ .

فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا فى صعيد واحد فسألونى ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (١) .

والبشرية مدعوة آحاداً وجماعات إلى النظر فى مظاهر فاقاتها لله عز وجل لعلها ترعوى عن غلوائها ، وتعود الى رشدها ، فيتحقق الأمن الموعود لها فى الدنيا والآخره .

من أجل ذلك أرى ابراز لمحة موجزة لرحلة الإنسان منذ النشأة ، محاطاً بنعم الله متقلباً فى أعطافها ، مغموراً بوارف ظلها لندرك مظاهر الإفتقار المتأصل فى حياة الإنسان لله عز وجل .

إن الإنسان مدين لله تعالى بخلقه من العدم إلى الوجود ، كما قال تعالى : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) (٢) .

---

(١) رواه مسلم ٤/١٩٩٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحرم الظلم عن اى فرد رضى الله عنه وللحديث رواية أخرى عند احمد المجلد ٥/ ١٥٤ - ١٦٠ - ١٧٧ والترمذى حـ ٧ ص ١٩٦ رقم ٢٦١٣ بشرح تحفة الأحوذى وابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر التوبة ٢/١٤٢٢ عن أبى ذر رضى الله عنه .

(٢) سورة الانسان آية رقم ١ - ٢ .

وبين سبحانه وتعالى مراحل الإنسان فى بطن أمه ، بما يبهر العقـــول يقول تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فـــى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونـا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (١) .

وفى الأطوار الآنفة الذكر يتكفل الله تعالى بحفظ الجنين ورعايته وتشكله فى أي صورة يشاء كما فى قوله : (يايها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك) (٢) .

ثم يخرجه إلى الدنيا ميسراً له السبيل ، عارفا طريقه لا يضل ، كما قـــال تعالى : (ثم السبيل يسره) (٣) .

ويولد وقد زوده مولاه بجميع الحواس والمدركات والقوى التى تعينه علـــى البقاء والعيش بهناء إلى أجل مسمى .

كما قال تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعـل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (٤) وحياة الإنسان المبكرة تستدعى الإنتباه والتفكر على حد تعبير الإمام الغزالى (٥) رحمه الله ـ (وانظر وفكر فى سر

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١٢ - ١٤ .
(٢) سورة الإنفطار آية رقم ٦ - ٨ .
(٣) سورة عبس آية رقم ٢٠ .
(٤) سورة النحل الاية رقم ٧٨ .
(٥) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى اشتهر بالتصوف والفلسفة لـــه نحو من مئيتى مصنف من أشهرها إحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفـــة والاقتصـــاد فى الاعتقاد ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفى سنة ٥٠٥هـ .
طبقات الشافعية ٢ / ٢٤٢ رقم الترجمة ٨٦٠ للأسنوى .

كونه يولد جاهلاً غير ذى عقل وفهم فإنه لو كان ولد عاقلاً لأنكر الوجود عند خروجه إليه ، حتى يبقى حيراناً تائه العقل إذ رأى مالا يعرف ، وورد عليه مالم يره ، ولم يعهد بمثله . ثم كان يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولاً وموضوعاً معصباً بالخرق ، ومسجى فى المهد ، مع كونه لا يستغنى عن هذا كله ، لرقة بدنه ورطوبته حيـــن يولد ، ثم كان لا يوجد له من الرقه والحلاوة والمحبة فى القلوب ما يوجد للصغير لكثرة إعتراضه بعقله ، واختياره لنفسه ، فتبين أن زيادة العقل والفهم فيه علـــى التدرج أصلح به ، أفلا ترى كيف أقام الله كل شئ فيه من الخلقة على غايـــة الحكمة وطريق الصواب ؟ وأعلمه تقلب الخطأ فى دقيقه وجليله ؟)[1] حتى إذا إشتدد تفتق عقله عما أودعه الله فيه من التمييز والفهم والتدبير والإستنبـــاط ، أصبح العقل وعاء العلوم والمعارف ، ومستودع الحكمه بفضل تسخير الخالق آلـــه القلم بين عامة الأمم . كما قال تعالى : (إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علـم الإنسان مالم يعلم) [2] فنال الإنسان شرف العلم (وهو القدر الذى امتاز به آدم أبو البشرية على الملائكة ، والعلم تارة يكون فى الاذهان ، وتارة يكون فى اللسان وتارة يكون بالبنان)[3] .

ومن أجل النعم وأولاها بالشكر نعمتا السمع والبصر ، فقد ورد التنويه بهما فى غير ما آية من كتاب الله كما فى قوله : (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصـــار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) [4] .

---

(١) الحكمة من مخلوقات ص ٦٨ للإمام أبى حامد الغزالى .
(٢) سورة العلق آية رقم ٣-٥ .
(٣) ابن كثير حـ ٤ ص ٥٢٨ .
(٤) سورة المؤمنون آية رقم ٧٨ .

ولو أن الانسان استخدم تلك النعمتين لمعرفة الله تعالى، لحاز نصيباً مضاعفاً من فضل الله ، وأيقن ضآله جهده، وقصور شكره ، وحاجته المستمره إلى منة ربه ، فضلاً عما فيها من عجيب الصنعه ، ودقة الحكمه ، وجلالة القدرة ويشرح الإمام ابن القيم(١) - رحمه الله - ببراعة البليغ بعضاً من ذلك فيقول -(وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين الى القلب ما يريانه ، فيوصلانه اليه كما ترياه جعلهما مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر، والبلادة والفطنة ، والزيغ والإستقامة ، فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب، وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة وهي فراسة العين ، وفراسة الأذن ، وفراسة القلب ، فالعين مرآة للقلب ، وطليعة ورسول ، ومن عجيب أمرها أنها من ألطف الأعضاء وأبعدها تأثراً بالحر والبرد على أن الأذن على صلابتها وغلظتها تتأثر بهما أكثر من تأثر العين على بطاقتها وليس ذلك بسبب الغطاء الذى عليها من أجفان فإنها لو كانت متفتحه لم تتأثر بذلك تأثر الأعضاء اللطيفة)- .

ويفتقر الإنسان الى حفظ أود تلك الحواس والمدركات فكان من رحمه الله أن أمدنا بالرزق من الطعام والشراب الذى يحد وقوداً لتجديد الطاقات ، وتنمية الملكات ، وتعمير الأرض واستثمارها واصلاحها بالزراعة والصالح النافعة

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ص ٣٠٥ - ٣٠٦ وابن القيم هو الإمام محمد بن أبى بكر بن ايوب بن سعد بن هريز الزرعى الدمشقى ولد سنة ٦٩١هـ وكان من أبرز تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية له مؤلفات نافعة كثيرة منها زاد المعاد وإعلام الموقعين وغيرها ، توفى سنة ٧٥١ هـ .
انظر ترجمته فى البدر الطالع حـ ٢ ص ١٤٣ - ١٤٥ - ت الشوكانى .

يقول تعالى : (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين وسخر لكم الليل والنهار ، وءاتكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) (١) .

فأخرج الله تعالى لعباده من الارض الطيبة مالذ وطاب من مختلف الفواكه والخضروات التى تفوق الحصر عدآ،كما قال تعالى : (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا .إنه لا يحب المسرفين) (٢) .

وفى الآية الأولى إشارة واضحة إلى قيمة الماء وخصائصه الهامه إذ هو من العناصر التى لا غنى للكائن الحى عنها كما قال تعالى : (وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون) (٣) .

والإنسان على سبيل المثال،احد أفراد الكائن الحى المفتقر إلى نعمة الماء فمن المعروف أن الخلية الحية التى هى وحدة الحياة بالنسبة للكائن الحى،تحتوى على أكثر من ٧٥٪ من وزنها من الماء ، وتتم التفاعلات الحيوية وعمليات التحول الغذائى فى الخلية باتحاد الموارد والعناصر وتفاعلها مع بعضها،وهى ذاتية الماء ويكون الماء حوالى ٩٠٪ من وزن الجسم فى حالة الأطفال أو الحيوانات الصغيرة السن ،كما يكون الماء من ٦٠ - ٧٠ فى المائة من وزن الجسم فى

---

(١) ابراهيم آية رقم ٣٢- ٣٤ .
(٢) الانعام آية رقم ١٤١ .
(٣) الانبياء آية رقم ٣٠ .

الانسان اليافع، واذا فقد الجسم ١٠٪ من مائة اختلت وظائفه الفسيولوجيـــة ، واذا حصل النقص إلى ٥٠٪ أدى الى الموت ولكي يبقى الجسم بحالة صحية لا بد أن تدخل الجسم كمية من الماء مساوية لما ينفقه .

وهكذا فان الكائن الحي لا غنى له عن الماء ، اذ يستهلك الانسان فـــي المتوسط نحو ٩٠٠ لتر من الماء في العام (١) .

ولتمام النعمة على الانسان وابرازه في مظهر الجمال والكمال اللائق بـــه ، أسبغ سبحانه وتعالى على عباده نعمة الكساء والغطاء التي تستر سوءاتهم ، وتزين هنداسهم ، وتقيهم الحـر والقـر ومضارب الطعن ، كما قال تعالى : (يابنيءَ ادم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك مـــن ءايات الله لعلهم يذكرون) (٢) . وقال (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعـــل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم بأسكم) (٣) ، وقال تعالى : (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يـــوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين) (٤) .

ولنا ان نتسآل هل بامكان البشرية أن تضمن استمرار هذه النعم ؟ وهل لديها القوة الكفيلة بايجادها ؟ .

والإجابة على هذين السؤالين برهان ساطع ، ودليل قاطع على حاجـــة

---

(١) كتاب نعمة الله مظاهرها من العلم الحديث ص ٤٩ ، ٥١ باختصـــار جمال الدين

(٢) سورة الاعراف آية رقم ٢٦ .

(٣) سورة النحل آية ٨١ .

(٤) سورة النحل آية ٨٠ .

البشرية إلى الله ، وذلك جانب يذهل عنه المترفون الغافلون !! رغم وضوح دلائله وبراهينه ، فان الذى يملك الإعطاء قادر على المنع والإباء ، وبرهان ذلك فى كتاب الله يقول تعالى : (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) (١) .

وقال تعالى : (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين)(٢)

وقال تعالى : (أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) (٣) .

فلئن كان كثير من الناس ينسون هذه الحقائق ، فان العاقل يعلم ذلك من دخيلة نفسه ، وفرط عجزه ، وقد عرفنا مما سبق إحاطه الفضل الإلهى غير المحدود ، ونواله السابغ ، وجوده العميم على الجنس البشرى .

وإذا كانت البشرية لا غنى لها عن خالقها ومولاها فى اشباع حاجاتها المادية ، فإن ثمة حاجة أخرى أشد الحاحاً ، وأعمق أثراً لا تضاهيها أى حاجة تذكر ، انها حاجة العبودية لله رب العالمين ، تلك الحاجة التى تضفى على النفس البشرية سكوناً واطمئناناً ، وسعادة ، وبدونها تصبح الحياة جحيماً لا يطاق ، وبلاء ماحقاً ، وشراً مستطيراً .

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٤٦ .

(٢) سورة الملك آية رقم ٣٠ .

(٣) سورة الواقعة آية رقم ٦٣ - ٧٤ .

وقد أودع الله تعالى كمنونة النفس ، هذه الحقيقة الواضحة المتمثله فى نداء التوحيد الخالص كما قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) (١) .

وقال عليه الصلاة والصلام ((كل مولود يولد على الفطره فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) (٢) .

والمراد بالفطرة الاسلام كما فى الرواية الاخرى -(الا على هذه الملة)- (٣) وقد ثبت بالتاريخ أنه لها أصلاً موجوداً لدى عامة البشر وإن لوثتها الديانات الوثنية كما فى معجم لاروس للقرن العشرين -(ان الغريزة الدينية مشتركة بين الشعوب وكل الاجناس البشرية حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وإن الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالميه الخالدة للانسانية)- (٤) .

ومن رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٥) وتضافرت جميع الرسالات السماوية بهداية البشر واصلاحهم وكانت الرسالة الخاتمة قد جمعت وأوعت مصالح البشر وما يحتاجون

---

(١) سورة الاعراف ١٧٢ .

(٢) البخارى حـ١ص٤٢٤رقم ١٣٨٥ فى الجنائز ومسلم ٤ / ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ كتاب القدر وسنن ابى داود فى كتاب السنة ٤ / ٣١٦ - ٣١٧ والمسند ٣ / ٣٥٣ عن ابى هريرة .

(٣) هذه الرواية لابى معاويه مسلم ٤ / ٢٠٤٨ كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(٤) الدين ص ٨٤ ، عبد الله دراز .

(٥) سورة النساء جزء من آية رقم ١٦٥ .

اليه فى أمورهم كلها كما قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) (١) .

وتكفلت ببيان الطريق الأمثل ، والمنهج الأحكم، نحو تحقيق عموم حاجات البشر السوية ، لكنه يشترط لذلك المعرفه الكامله، وتحقيق التوحيد الخالص ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المنهج بأسلوب علمى رصين فيقول (ان العبد وكل حى سوى الله ، بل وكل مخلوق هو فقير محتاج الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ، والمنفعة للحي هى من جنس النعيم واللذه ، والمضره ، وهى من جنس الألم والعذاب فلابد له من أمرين :

أحدهما : هو المطلوب المقصود المحبوب الذى ينتفع ويتلتذ به .

والثانى : هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه ، وهذان السببان المنفصلان .

فهناك أربعة أشياء :

١ - أحدهما : أمر هو محبوب مطلوب الوجود .

٢ - الثانى : أمر مكروه مبغض المطلوب العدم .

٣ - الثالث : الوسيلة إلى حصول المحبوب .

٤ - الرابع : الوسيلة إلى دفع المكروه .

وبعد هذا التأصيل الدقيق لحاجات البشر التى لا تخرج عن هذه الأمور الأربعة الضرورية شرع فى بيان الأوجه المقتضية لهذا التأصيل وأجملها فى تسعة وجوه .

---

(١) سورة الانعام جزء من آية رقم ٣٨ .

الوجـــه الأول : بان الله هو الذى يجب أن يكون المقصود المدعو المطلوب ، وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكروه ، وهو المعين على دفع المكروه ، فهو سبحانه الجامع للامور الاربعه دون سواه وهذا معنى اياك نعبد واياك نستعين) .

الوجـه الثانـــى : ان الله عز وجل خلق الخلق لعبادته الجامعة وحاجتهـــم من عبادتهم اياه وتالههم اياه كحاجتهم وأعظم من خلقـــه لهم وربوبية هم كما قال تعالى : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً) (١) .

الوجـه الثالـــث : ان المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منـــع ، بل ربه هو الذى خلقه ورزقه وأسبغ نعمة عليه ، فاذا مسه الله بضر لم يكشف عنه غيره ، واذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنـــه سواه فهذا الوجه محقق التوكل على الله والشكر له ومحبته على احسانه .

الوجـــه الرابـــع : أن تعلق العبد بما سوى الله تعالى مضرة عليه إذا أخـــذ منه القدر الزائد على حاجته فى عبادة الله عز وجل ، وهـذا معلوم بالاعتبار كل من أحب شيئاً دون الله لغير الله فـان مضرته أكثر من منفعته ، فصارت المخلوقات وبالاً عليه الا ماكان لله ، وفى الله ، فانـه كمال ، وجمال للعبد .

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .

الوجه الخامس :إن اعتماده على المخلوق وتوكله عليه ، يوجب له الضرر من جهته ، فإنه يخذل له من تلك الجهة .

الوجه السادس : إن الله سبحانه وتعالى غني جواد ، كريم ،واجد رحيم فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه يريد به الخير ويكشف عنه الضر لا يجلب منفعة إليه من العبد ، ولا لدفع مضرة بل رحمة وإحساناً .

الوجه السابع: ان غالب الخلق يطلبون ادراك حاجاتهم بك ، وإن كان ذلك ضرراً عليك ،فإن صاحب الحاجة أعمى لا يعرف قضاءها .

الوجه الثامن : إنه إذا أصابك مضرة كالخوف والجوع والمرض ، فإن الخلق لا يقدرون على وضعها إلا بإذن الله ، ولا يقصدون دفعها إلا لغرض لهم في ذلك .

الوجه التاسع: إن الخلق لو اجتهدوا أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بأمر كتبه الله لك ،ولو اجتهدوا أن يضروك لم يضروك إلا بأمر كتبه الله عليك ،فهم لا ينفعوك إلا بإذن ولا يضرونك إلا باذن ، فلا تعلق بهم رجاءك ولا خوفك (١) .

---

(١) كتاب التوحيد مع اخلاص العمل لوجه الله عز وجل ص ١٤٨ وما بعدها باختصار .

هو الامام الربانى شيخ الاسلام ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرابى ولد سنة ٦٦١ هـ رحل به أهله إلى دمشق وبها نشأ وتعلم وأفتى وله من العمر ١٩ عاماً زادت مؤلفاته على ٣٠٠ مجلد وكان وفاته سنة ٧٢٨هـ في قلعة دمشق سجيناً .

أنظر ترجمته في البداية والنهاية حـ ١٤ ص ١٤١ ومابعدها .

ونلحظ في هذا التنصيص المؤكد على التماس الحاجات وتحقيق الرغبات عن طريق واحد فقط ، يتمثل في التعلق بالله عز وجل وسؤاله والوقوف بين يديه وقطع الرجاء والأمل من سواه (١) .

ومما تقدم ننتهي إلى الحقائق التالية :-

١ - ان حاجة البشرية لله لازمة لا تنفك بحال من الأحوال .

٢ - يمكن إجمال مظاهر الافتقار إلى الله في حاجتين ليندرج تحتهما مالا يمكن حصره أبداً وهما :

أ - الحاجة المادية .

ب - الحاجة المعنوية .

ولا سبيل لتحقيق حاجات البشر على الوجه الأكمل إلا بالاعتماد على الشرع، إذ العقل لا يستطيع أن يستقل بمعرفة الله وحده دون التعويل على الشرع ، ذلك لطبيعة قصور البشر وضعهم في التمييز بين الحق والباطل والهدى والرشاد ، (ولا ريب أن في فطرة الإنسان قوة يعقل بها طرق الصلاح والفساد ، ويفقه بها الحق والباطل ، ولكن هذه القوة العاقلة لا تستقل وحدها بتميز المعروف من المنكر ، وليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقة ، ولا أن تدبر أعمال البشر على نظام لا عوج فيه فإنها وإن بلغت في الإدراك أشدها - قد تنبو عن الحق ، ويغرب عنها وجه المصلحة ، ولا تهتدي إلى عاقبة ، وربما ألقت على الحسنة نظرة عجلى فتحسبها سيئة ، وقد يتراءى لها الشر في شبه من الخير فتتلقاه بالقبول)(١) إذا علمنا ذلك فإن الدعوة إلى الله وسيلة إلى فهم الشرع وتطبيقه بدأ بالعقيدة

---

(١) الدعوة إلى الاصلاح ص ٥ للشيخ محمد الخضر حسين .

الصحيحه وهى الاهم ولبلوغ هذه الغاية لابد من بيان أهمية الدعوة ونشرهـــا وهذا ما تعالجه هذه الرسالة فى أبوابها المتفرقة . والله تعالى أسأل التوفيـق والسداد .

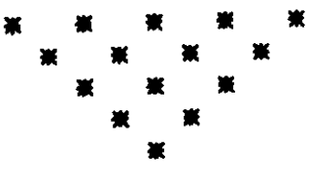

الباب الأول

أهمية الدعوة ببيان مفرداتها

* الباب الأول *

=(أهمية الدعوة ببيان مفرداتها)=

الفصل الأول : التعريف وبيان الحكم

المبحث الأول : التعريف بالدعوه

الدعوة إلى الله تعالى هى موضوع رسالات الله التى بلغها رسل الله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام،وأهمية معرفتها متعلق بجلالة قدرها وعلو منزلتها وعظيم الآثار المترتبة على فهمها وتطبيقها ، وللوقوف على حقيقتها أبتدئ أولاً : بتعريفها اللغوى والإصطلاحى .

فالدعوة فى اللغة : مصدر دعا يدعو دعاء ودعوى وبعض العرب تؤنث الدعوه بالألف فتقول -(دعوى)- (١) .

والدال والعين أصل واحد مطرد ، وهو يدل على حركة ودفع واضطراب (٢) .

وجاء فى المصباح دعوت الله أدعو دعاء ، ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير (٣) .

والدعوة بالكسر ادعاء الولد ، ولى فى القوم دعوه أي قرابه واخاء .

والدعوة بالفتح الطعام إسم من دَعوت الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك يقال نحن فى دعوه بنى فلان (٤) .

---

(١) تاج العروس ١٠/١٢٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة حـ ٢ ص ٢٥٧ مادة دعا .

(٣) المصباح المنير مادة دعا حـ١ ص ١٩٤ .

(٤) المصباح المنير حـ ١ ص ١٩٥ مادة دعا .

وتأتى بمعنى الدعاية الى مذهب أو رأى بالكتاب أو بالخطابة(١)

وجاءت فى القرآن الكريم بمعانى متعددة منها ماورد بمعنى السؤال والطلب كقوله تعالى : (أجيب دعوة الداع إذا دعان) (٢) .

وتأتى بمعنى النداء ومنه قوله تعالى : (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) (٣)

ووردت فى السنة بمعانى أخر منها ماورد بمعنى كلمة التوحيد لقوله عليه الصلاة والسلام فانى أدعوك بدعاية الاسلام)) (٤) أي بدعوته .

وتدور معانى هذه الكلمة على معنى الطلب والإماله نحو هدف معين حسب الأوصاف الأخرى المقترنة بهذه الكلمة .

أما فى الاصطلاح : فذكر العلماء لها تعاريف عدة أختار منها تعريفين جامعين :

الأول : تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله الذى عرفها بقوله ـ الدعوه الى الله هى دعوة إلى الايمان به ، وما جاءت به رسله ، يتصديقهم فيما اخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به وذلك يتضمن الدعوه إلى الشهادتين وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر

---

(١) المعجم الوسيط حـ ١ ص ٢٨٧ .
(٢) سورة البقرة جزء من آية رقم ١٨٦ .
(٣) سورة الروم جزء آية رقم ٢٥ .
(٤) البخارى مع الفتح حـ ١ ص ٣٢ مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد حـ ١٢ ص ١٠٣ واحمد حـ ١ ص ٢٦٣ رواه ابن عباس رضى الله عنهما .

خيره وشره ، والدعوة الى أن يعبد ربه كأنه يراه)(١) .

وكما ترى فالتعريف جامع لأصول الإسلام كما ورد في حديث جبريل المشهور(٢) .

التعريف الثاني : للشيخ محمد الحضر حسين ونصه :

(إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه)(٣) .

فهذا التعريف يعنى بمقاصد الدعوة في هداية الناس في كل زمان ومكان ، ويتفق مع التعريف الأول في كون إنقاذ الناس يتطلب الأخذ بالإسلام كله .

والتعريف المختار عندي هو :

(الدعوة إلى الإسلام اجمالاً وتفصيلاً والتحذير مما خالف ذلك في العاجل أو في الآجل) .

وبهذا التعريف تتحقق الشمولية الجامعة من التعريفين السابقين ، ولا يند شيء خارج دائرة هذا التعريف ، فالإسلام إذا أطلق كان جامعاً للأصول والفروع والتحذير من مخالفة الاسلام شامل كذلك للأصول والفروع .

المبحث الثاني : تعريف الداعيه :

الداعيه في اللغة اسم فاعل تقول دعاه يدعوه فهو داع له وجمع الداعي

---

(١) الفتاوى حـ ١٥ ص ١٥٦ .

(٢) البخاري ١/ ٤٨ كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم حـ ١ ص ٣٧ رقم ١ وابوداود حـ ٥ ص ٦٩ رقم ٤٦٩٥ والنسائي حـ ٨ ص ١٠١ .

(٣) الدعوة إلى الإصلاح ص ١٤ والشيخ محمد الحضر حسين ولد في بلده (نفطه) بالقطر التونسي عام ١٨٧٤ واختير عام ١٩٥٢ اماما لمشيخة الأزهر ، توفي عام ١٩٥٨ ، انظر مقدمة الدعوة إلى الإصلاح ص ٤ .

دعاء كما تجمع (داعون) كقضاء والدعاء قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالـــه واحد هم داع ورجل داعيه اذا كان يدعو الناس إلى بدعه أو دين والهاء فيه للمبالغة ،والنبى صلى الله عليه وسلم داعيه الله تعالى (١) والمؤذن داعى الله ، والنبى داعى الأمة الى التوحيد (٢).

والداعية فى الإصطلاح : يطلق على معنيين : عام ،وخاص .

والعام كل من دعا إلى فكرة أو مذهب حقاً أو باطلاً يسمى داعيه ، لأن الإشتراك فى المعنى اللغوى يسمح بهذا العموم وإن اختلفت الوسائل والأهداف.

أما المعنى الخاص فيراد به الداعيه فى الإسلام وهو : ـ(المسلم المكلف بالدعوة إلى الله)ـ (٣) .

وكل مسلم مأمور بالدعوة إلى الله ،على تفصيل يرد ـ ان شاء الله ـ فى حكم الدعوة ، والمقصود أن الداعية فى الإسلام لا يختص بطبقة دون أخرى ، إقتـــداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كلفه الله تعالى بقوله : (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه ادعو وإليه مئـاب)(٤) والأمه المسلمه مطالبه بالاقتـداء والإهتداء برسولها الكريم صلى الله عليه وسلم، (لأن الأصل فى خطاب الله تعالـــى لرسوله صلى الله عليه وسلم دخول امته فيه الا ما استثنى ،وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة إليه ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هـــذه الأمة الأسلامية وشرفها ان أشركها مع رسوله الكريم فى وظيفة الدعوه إليه ، وهـــذا

---

(١) اللسان حـ ١٤ ص ٢٥٩ .

(٢) تهذيب اللغة حـ ٣ ص ١٢٠ .

(٣) مرشد الدعاه ص ١٠٦ للشيخ محمد نمر الخطيب .

(٤) سورة الرعد آية رقم ٣٦ .

التشريف والتكريم لا يستفاد فقط من الخطابات الألهيه لرسوله بالدعوة كما ذكرنا وإنما هو بصريح الأيات الكثيرة فى القرآن قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) .

المبحث الثالث : المدعـــو :

المدعو فى اللـــغة : اسم مفعول من دعا يدعو فهو مدعو .

وفى الإصطـــلاح : ـ(الإنسان)ـ (٢) سواء كان من أمة الدعوة أو أمة الإجابة والمراد بأمة الدعوة كل أمة دعيت إلى الدخول فى الاسلام ولم تسلم ، وسميـــت بهذا تغليباً لأنها مازالت مدعوه إلى الإسلام . وأما أمة الاجابة ، فهى الأمـــة المسلمة التى استجابت لله ورسوله ، ويدخل فيها منافقوها لأن ظاهرهم الإسلام فيعاملون بالظاهر حسب القواعد الشرعية المقررة .

ويدل على هذا التقسيم قوله عليه الصلاة والسلام ((والذى نفسى بيـــده لا يسمع بى أحد من هذه الأمه يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بـــى إلا كان من أهل النار)) (٣) .

قال الإمام النووى رحمه الله :

ـ(وقوله صلى الله عليه وسلم ((لا يسمع بى أحد من هذه الامـــــة)) أى ممن موجود فى زمنى ويمتد الى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليه الدخـــول فى طاعته ، وانما ذكر اليهودى والنصرانى تنبيهـــاً على ما سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فاذا هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً ، ففيرهم ممن لا

---

(١) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٢٩٨ والأيه من سورة آل عمران رقم ١١٠.

(٢) المصـــدر السابـــق : ص ٣٥٨ .

(٣) انظر : تخريج الحديث ص ١١١.

كتاب له أولى والله أعلم)- (١) والآيات القرآنية متضافرة على تقرير هذه الحقيقة من مثل قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (٢) .

المبحث الرابع : حكم الدعوه :

اختلف العلماء في حكم الدعوه على قولين ولكل أدلته، وفي هذا المبحث بيان -إن شاء الله- لهذا الاختلاف مع الموازنة والترجيح لما أراه أقرب إلى الدليل .

القول الأول : يرى أصحاب هذا القول أن الدعوة فرض على الكفاية ومن أدلتهم قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٣) .

وقالوا : إن (من) في الآية الكريمة تبعيضيه فيكون المعنى ليكون بعضكم قائماً بواجب الدعوه إلى الخير كما قال تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (٤) .

والآية الكريمه ظاهرة المعنى في تحريض المؤمنين على أن تنفر طائفة منهم دون جميعهم لطلب العلم والرجوع إلى قومهم منذرين .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى المجلد الأول ص ١٨٨ والإمام النووى هو محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ، توفى سنة ٦٧٦هـ وعمره ٤٥ سنة الاعلام للزركلى ٨/ ١٤٩ .

(٢) سورة سبأ آية رقم ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٠٤ .

(٤) سورة التوبة آية رقم ١٢٢ .

واستدلوا بقوله تعالى : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) (١) .

يقول الإمام القرطبى (٢) رحمه الله - (وقد عينهم الله) - ثم ذكر الآيـــة ثم قال وليس كل الناس مكنوا (٣) .

وفى هذا الاستدلال نظر لأن الآية وردت فى مقام المدح لمن مكنه الله والقائلون بالوجوب يقيدونه بالاستطاعة وليس فيها ما يفيد التخصيص بالتمكين .

وقال الإمام الألوسى (٤) : - رحمه الله - (اتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايه ، ولم يخالف فى ذلك إلا النـــزر قالوا إنه مـــن فروض الأعيان والذين قالوا : انه من فروض الأعيان قالوا : إن الله أثبت الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لجميع الأمة بقوله : (كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ورد عليهم إن الجهاد من فروض الكفاية بالإجماع مع ثبوته بالخطابات العامه) (٥) .

قلـــــت :

---

(١) سورة الحج آية رقم ٤١ .

(٢) الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر فرح الأنصارى القرطبى توفى سنة ٦٧١هـ فى شوال ، أنظر ترجمته فى الديباج المذهب فى معرفـــة أعيان علماء المذهب لابن فرحون حـ٢ ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن حـ ٤ ص ١٦٥ .

(٤) محمود بن شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسى الحسينى أبو المعالى ، مؤرخ ، عالم بالادب والدين من الدعاء إلى الإصلاح ولـد فى بغداد .
انظر ترجمته فى الاعلام حـ ٨ ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥) روح المعانى حـ ٤ ص ٢١ - ٢٢ .

أولا : دعوى الإجماع على أن الجهاد فرض كفاية ليست دقيقة ، فقد ذهب الإمام التابعي الجليل سعيد بن المسيب(١) وبعض الشافعية(٢) إلى القول بأنه فرض عين .

ثانيا : لو سلمنا بأن الأدلة الواردة في وجوب الدعوة عامة فلا يمنع من العمل بها لعدم وجود النص المخصص في هذه المسئلة ، ومن العلماء من ذهب الى العمل بالأدلة الظاهرة قبل البحث عن ما يعارض (٣) .

ويقول الإمام ابن العربي(٤) رحمه الله تعليقاً على قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (٥) ، وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٦) .

ان الآيتين دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة الدين باقامة الحجة على المخالفين يقوم به المسلم وان لم يكن عدلا خلافاً للمبتدعة الذين يشترطون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العدالة (٧) .

---

(١) شرح فتح القدير لكمال ابن الهمام حـ ٥ / ٤٣٧ الحاشية وسعيد بن حزن بن أبي وهب القرشي عالم أهل المدينة وسيد التابعين ، ومن الطبقة الأولى ، توفي سنة ٩٤هـ ، طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩ .

(٢) المغني ٩/ ١٩٦ .

(٣) إرشاد الفحول ١٣٩ - ١٤٠ للشوكاني .

(٤) هو الإمام محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله
ولد سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣ .
انظر ترجمته في الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ٢٥٢ - ٢٥٦ حـ ٢ .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٠٤

(٦) جزء من سورة آل عمران رقم ١١٠ .

(٧) أحكام القرآن حـ ١ ص ٢٩٣ باختصار .

القول الثاني : ذهب بعض العلماء قديماً وحديثاً إلى أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مكلف ولهم أدلتهم الكثيرة من الكتاب والسنة ومنها قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (١) .

ووجه الاستدلال أن لفظ (من) في قوله تعالى : (ولتكن منكم)للتبيين لا لتبعيض كقوله تعالى : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) فيكون المعنى كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر (٢) .

وقال الامام ابن كثير رحمه الله -(والمقصود من هذه الآية أن يكون فرقة من هذه الامة متصدية لهذا الشأن ،وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من أفراد الامة بحسبه(٣) كما ثبت من صحيح مسلم -(من راى منكم منكراً فليغيره الحديث) (٤) .

وقد اعترض على هذا الإستدلال بأن عموم الأمة لا يصلح محلاً للقيام بأهلية الدعوة ، فمن الامة جهلة لا يعرفون الأحكام ، فكيف يتصور الدعوة ممن يجهلها ،فالجاهل -(ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ،وربما عرف الحكم في مذهبه ، وجهله في مذهب غيره فنهاه عن غير منكر ، وقد يغلظ في موضع

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٠٤ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ٨/ ١٧٧ باختصار .

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٠ .

(٤) مسلم بشرح النووي حـ ٢ ص٢٢ - ٢٣ أحمد ٣/ ٢٠ أبو داود وكتاب الصلاة ١/ ٢٦١ ، وكتاب الملاحم ٤/ ١٧٣ ،النسائي كتاب الايمان ٨/ ١١١ - ١١٢ ابن ماجة حـ ٢ ١٣٣٠ عن أبي سعيد الخدري .

اللين ، ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيد إنكاره إلا تمادياً ، أو على من الانكار عليه عبث)ـ (١) .

وأجابوا عن هذا الاعتراض بأن ـ (المفروض الذى ينبغى أن يحمل عليه خطاب التنزيل هو أن المسلم لا يجهل ما يجب عليه وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين المعروف والمنكر على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمه ، والمنكر ضده وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة وإنما المرشد إليه مع سلامة الفطرة كتاب الله وسنة رسوله بالتواتر والعمل ، وهو مالا يسع أحد جهله ولا يكون المسلم مسلماً إلا به ، فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلاً ، لا يعرف الخير من الشر ولا يميز بين المعروف والمنكر ، وهو لا يجوز ديناً)ـ (٢) .

ثانيا : أن وضع واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على عموم المسلمين لن يؤدى إلى محظور ، لأن غالب الناس لا ينكر إلا ما آمن بكونه منكراً لا شبهه فيه كالسرقة والزنا وترك الصلاة وهى أمور لا تخفى حرمتها على آحاد المسلمين فضلاً عما فى ذلك من تربية المسلم على الاحساس بالمسؤولية والغيره على محارم الله ، وحراسة الدين والذود عن حياضه .

---

(١) الكشاف ١/٤٥٢ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٤/٢٧ للشيخ محمد رشيد رضا .

* * * * *
* * * *
* * *
* *
*

* الترجيـــح *

بعد ذكر القولين وأدلتهما ، نجد أن العلماء رحمهم الله لم يختلفوا فـي وجوب الدعوة إلى الله . والأخذ بجميع النصوص والجمع بينها هو المسلك المختار عند العلماء . ولا أرى أي تعارض بين النصوص والحمد لله ، والحق أنني لـم أجد نصاً قطعياً يخصص طائفة دون أخرى ، وبهذا أجمل الأدلة الواردة على أمريـن :

أولهما : ضرورة وجود فئة متخصصة في الدعوة إلى الله تقوم بواجب الدعوة .

ثانيهما : على كل مسلم أن يقوم بواجب الدعوة حسب مقدرته وعلمه وسلطته فالوالي في ولايته مكلف شرعاً بأخذ رعيته إلى الحق بالأمر والنهي ، والأب في بيته مأمور برعاية أسرته ودعوتهم وهكذا كل من له ولاية خاصة أو عامة ، فلا يختص بوجوب الدعوة أهل الطبقة العليا وما يقرب منها ، فـإن من الحق ما يكون واضحاً بنفسه وبدليل متواتر ، بحيث لا يتأتـى فيه نزاع ، ولا يحتاج الأمر فيه إلى تقرير حجة أو إزالة شبهه ، كفريضة الصلاة وفضيلة العدل ، والعمل على تخليص الوطن من سيطرة الأجنبي فأمثال هذه الحقوق إنما يهملها مستطيع القيام بها لآفة سهـو أو داعية هوى .

يحق لكل مسلم وإن كان من أهل الطبقة السفلى أن يذكر بها غيره ويوصي وإن كان من أهل الطبقة العليا ، وأما ما لا تدركه العامة من الحقائق ، ويضطـر الداعي إلى أن يورد الأدلة ويطارد الشبه ، فأمر الدعوة إليه من حق العلمـاء القادرين على تحرير بحثه وحسن التصرف ، وسوق أدلته(١) .

---

(١) الدعوة إلى الاصلاح ص ١٩ للشيخ محمد الخضر حسين .

وبهذا تاخذ بجميع الأدلة ولا نهدر شيئاً منها ، خاصة إذا إجتمعت قرائن أخرى ، تؤكد الحكم وتوسع من دائرته ،فالمشاهد اليوم من حال العالم أنه على شفا حرف هار ، إجتمعت فيه جميع موبقات الامم السالفه ويشكل علني مدعوم بالقوة والدعاية والأعلام ،والعالم الاسلامي - إلا من رحمه الله - جزء من العالم الموبوء ، فكيف يتصور والحالة هذه التنصل من الفرض العيني الشامل .

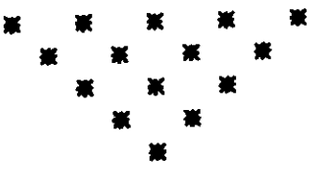

* الفصل الثانـــي *

=(مجـــالات الدعـــــوة)=

من خصائص الدعوة الإسلامية شمولها الخيرى الدنيا والآخره ، فقد أجملـــت وفصلت ببيان فذ ، صلة الإنسان بربه ، وعلاقة الإنسان بالإنسان ، وصلة الدنيـا بالدين ، في منهج متناسق متكامل لا تناقض فيه ، مع دقة في الحكم ، وحكمـــة بالغة في التشريع ، ومرونة في التكيف ، وثبات في الاصول ، وسعة في الاستيعـاب محاطة باطار من الخلق الرفيع يسمو بالمرء ويهذب طباعه ، ويلين قناتـــه ، ويصلح إعوجاجه ولأهمية هذه الخصائص وصلتها بالدعوة ، أرى لزاماً إبـــراز نموذج واحد منهـا ، لعل الحائرين من أبناء العالم الاسلامى الذين لوثـــت أفكارهم مقولات الغرب ، فأفسدت فطرهم ، ومسخت عقولهم ، وتركتهم حيـــارى مذبذبين إن لم يكونوا هالكين ، يدركون الإسلام ودعوته . فكان هذا الفصل دعوة صريحة لهم ، لفهم الاسلام الشمولى والاغتباط به ، والثبات عليه من خـلال الخصيصـة الشموليه المتمثلة في مجالات الدعوة التالية :

المبحث الاول : العقيدة :

المطلب الأول : معرفة التوحيد :

وهى من أهم مجالات الدعوة على الاطلاق ، والأصل الذى يبنى عليه غيـره وتشمل الدعوة إلى أركان الايمان الستة الواردة في حديث جبريل المشهور وهـى : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

وتتوجه الدعوة أولاً الى المخاطبين بضرورة تعريفهم بربهم سبحانه وتعالـــى وما يليق به من أوصاف الجمال والكمال وذلك بتوضيح أقسام التوحيد الثلاثة وهى :

أ - توحيد الربوبية وهو الاعتقاد الجازم بان الله رب كل شئ ولا رب غيره (١) كما قال تعالى : حكاية عن رسله عليهم الصلاة والسلام (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) (٢) ، وقال تعالى : (قل لمن ما في السموات والارض قل لله) (٣)

وهذا التوحيد غير كاف لنجاة صاحبه مالم يقترن بملازمة وهو توحيد الالهيه ، فالمشركون من قريش وكفرة العرب يعترفون به كما في قوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (٤) . وقال تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) (٥)

ب - توحيد الالوهيه ومعناه (الإعتقاد الجازم بان الله سبحانه هو الاله الحق لا اله غيره ولا معبود سواه) (٦) ويسمى بتوحيد العباده أو التوحيد العملي ومعناه الإعتقاد الجازم بان الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العباده لا يصرف منها شئ لغيره ، وتجمع هذه المعاني كلمة التوحيد لا اله الا الله أي لا معبود بحق إلا الله ، ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين يجهلون هذا التوحيد ، ويرتكبون ما يخالفه

---

(١) الإيمان ص ٤ تأليف د. محمد نعيم ياسين .
(٢) سورة ابراهيم آية رقم ١٠ .
(٣) سورة الانعام آية رقم ١٢ .
(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٦١ .
(٥) سورة الزمر آية رقم ٣ .
(٦) الإيمان ص ٧ تأليف د. محمد نعيم ياسين بتصرف .

صراحة والأسباب فى هذا كثيرة منها أن بعض الدعاة لا يقلون جهلاً عن عـــوام المسلمين فى هذا الباب ، مما يوجب نهضة صادقة حكيمة ، تأخذ بايـــدى هؤلاء إلى ساحة التوحيد باسلوب هادئ رصين ، يشعرهم بالمحبة والـرفـــق والنصيحة المحضة كما قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (١) .

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء فـــى الاولى والآخرة ، فمن لم يأت به كان من المشركين (٢) .

حـ - توحيد الأسماء والصفات ومعناه : الاعتقاد الجازم بأن الله متصف بجميع صفات الكمال ، منزه عن جميع صفات النقص ، وأنه منفرد بهذا عن جميـــع الكائنات وذلك باثبات ما اثبته سبحانه لنفسه أو اثبته رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات الوارده فى الكتاب والسنة من غير تحريـــــف ألفاظها أو معانيها أو تعطيلها بنفيها أو نفى بعضها عن الله عز وجل ، ولا تكييفها بتحديد كنهها أو إثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهـــا لصفات المخلوقين (٣) . كما قال تعالى : (ليس كمثله شئ وهو السميـــع البصير)(٤) وقال تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى) (٥).

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٥ .
(٢) الحسنة والسيئة ص ٦ تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية .
(٣) كتاب الإيمان ص ١٠ تأليف د . محمد نعيم ياسين .
(٤) سورة الشورى آية رقم ١١ .
(٥) سورة الاسراء آية رقم ١١٠ .

والعلاقة بين هذا الأقسام يمكن تقسيمها إلى قسمين :

١ - علاقة تضمن ومعناها : أن توحيد العباده تضمن توحيد الربوبيه .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : والألهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العباده والتأليه ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهيه(١) .

٢ - علاقة التزام ومعناه : أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يستلزم توحيد الألهية ، فمن آمن بالله رباً خالقاً قادراً محيياً مميتاً عالماً اقتضى لزوم تخصيصه بالعباده وحده لانه المستحق دون سواه .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة .

كما قال تعالى : (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته)(٢) .

والملائكة ،جمع ملك بفتح اللام مخفف من مالك وقيل مشتق من الألوكه، وهي الرساله وهذا قول سيبويه(٣) والجمهور ،وأصله لاك ، وقيل أصله الملك بفتح ثم سكون وهو الآخذ بقوه ، وحينئذ لا مدخل تعميم فيه ، وأصل وزنه (مفعل) فتركت الهمزة لكثرة الإستعمال وظهرت في الجمع وزيدت الهاء أما

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٥ تأليف ابن القيم .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٥ .

(٣) سيبويه هو عمرون عثمان من قنبر الحارى بالولاء أبو بشر الملقب بسيبويه إمام النحاه وأول من بسط النحو ولد في احدى قرى شيرا وبها مات انظر ترجمته الاعلام حـ ٥ ص ٢٥٢ .

للمبالغة وإما لتأنيث الجمع، وجمع على القلب وإلا قيل مالكه ، وعن أبي عبيد ، الميم في الملك أصليه،وزن فعل كاسد هو من الملك بالفتح وسكون اللام وهو الأخذ بقوة جمعه أملاك ، وأفعال لا يكون جمعاً كما في أوله ميم زائدة ، قال جمهور أهل الكلام من المسلمين والملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة وسكنها السموات (١) .

والمقصود من الايمان بالملائكة الإعتقاد الجازم بأنهم خلق من مخلوقات الله خلقهم من نور (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون) (٢) ومن لم يصدق بوجودهم كفر كما قال تعالى : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً) (٣) .

ومن صفاتهم العبودية لله عز وجل كما قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٤) .

ولهم وظائف متعددة ،فمنهم حملة العرش كما قال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) (٥) .

ومنهم الموكل بقبض الأرواح حين موتها كما قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) (٦) .

---

(١) فتح الباري حـ ٦ ص ٣٠٦ .
(٢) سورة التحريم جزء من آية رقم ٦ .
(٣) سورة النساء آية رقم ١٣٦ .
(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٢٦ - ٢٧ .
(٥) سورة غافر آية رقم ٧ .
(٦) سورة السجدة آية رقم ١١ .

ومنهم الموكل بالوحى وهو جبريل عليه السلام كما قال تعالى : (نزل بـــه الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (١) .

ومنهم الحفظة كما قال تعالى : (ويرسل عليكم حفظة)(٢) .

وخلاصة هذا المطلب وجوب الايمان اجمالاً وتفصيلاً كما ورد ذلك فى الكتاب والسنة

المطلب الثالث : الايمان بالكتب ، وهو الإعتقاد الجازم بان الله تعالى أنزل على رسله كتباً بلغها الرسل بدورهم إلى أممهم وهى مجموعة فى قوله تعالى : (ألم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) (٣) .

وفى قوله تعالى : (إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)(٤) .

وفى قوله تعالى : (وآتينا داود زبورا) (٥) .

فهذه الآيات أشتملت على أسماء الكتب التالية :

١ - القرآن .

٢ - التوراة .

٣ - الانجيل .

٤ - الزبور .

٥ - الصحف .

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٦١ .
(٣) سورة آل عمران آية رقم ١ - ٤ .
(٤) سورة الاعلى آية رقم ١٨ - ١٩ .
(٥) سورة الاسراء آية رقم ٥٥ .

والقرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الكتاب الوحيد الذى تعهد الله سبحانه بحفظه من التحريف والتبديل كما قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) .

يقول ابن عباس ـ (أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك منجماً فى عشرين سنة) ـ (٢) .

والتوراة انزلت على موسى عليه السلام كما قال تعالى : (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (٣) .

وقد دخلها التحريف والتبديل كما قال تعالى : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (٤)

وأما الإنجيل فأنزل على عيسى بن مريم عليه السلام كما قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٥) .

وقد أصابه التحريف والتبديل على أيدى اليهود المنافقين كبولس اللعين (٦) .

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٩ .

(٢) الإتقان حـ ١ ص ٤٠ - ٤١ وابن عباس هو الصحابى الجليل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى سنة ٦٨ هـ .
انظر : ترجمته فى أسد الغابة ٣/ ٢٩٠ .

(٣) المائدة آية رقم ٤٤ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٧٥ - (٥) المائدة : ٤٦ .

(٦) بولس أحد كبار رجال المسيحية ولد فى طرسوس من أصل يهودى وثقافته يهودية واسمه الأصلى شاؤول ثم انتقل الى المسيحية . قصة الحضارة حـ ١١ من ٢٤٩ وما بعدها .

يقول تعالـــــى :

(ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم ،فنسوا حظاً مما ذكروا بـــه فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانـــوا يصنعون ،يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون مـــن الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (١) .

وأما الزبور فانزلت على داود عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالـــى : (وآتينا داود زبورا) (٢) .

وأما الصحف فأنزلت على ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كما قـــال تعالى : (ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى) (٣) .

وهناك كتب أخرى لم تسمى بأعيانها الا انها ذكرت اجمالاً في بعـــض الآيات والواجب الشرعي يلزمنا الايمان بها كما جاءت في قوله تعالى : (كـــان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (٤) .

المطلـــب الرابع : الايمان بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى ارسل رسلاً مؤيدين بالمعجزات الدالة علـــى صدقهم ،ويجب أن يكون الإيمان بهم مجملاً ، ومفصلاً ،كما قال تعالى : (قولـوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحـــن

---

(١) سورة المائدة ١٤ .
(٢) سورة الإسراء آية رقم ٥٥ .
(٣) سورة الاعلى آية رقم ١٨ - ١٩ .
(٤) سورة البقرة آية رقم ٢١٣ .

لـه مسلمون) (١) .

وقال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما أختلف فيـــه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين ءامنـــوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) (٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم علـــى شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) (٣) .

وقد ذكر فى القرآن خمسة وعشرون من الأنبياء والرسل ، وهم : آدم ، ونوح وإدريس ، وصالح ، وإبراهيم ، وهود ، ولوط ، ويونس ، وإسماعيل ، وإسحـــاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، واليسع ، وذوالكفل وداود ، وزكريا ، وسليمان ، والياس ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليـــه وسلم وعليهم اجمعين .

أما فى السنة فقد ربـــا العدد على أكثر من هذا بكثير كما فى المسند عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه - قلت يارسول الله : أى الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم ، قلت يارسول الله : أنبى كان ؟ قال : ((نعم نبى مكلم)) قلـــت: يارسول الله : كم عدد المرسلين ؟ قال : ((ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً ، وفى لفظ وما عدد الأنبياء ؟ قال : ((مائة الف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة وعشرون جماً غفيراً)) (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٣ .

(٣) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٢٥٠ .

(٤) مسند أحمد حـ ٥ / ١٧٣ - ٢٦٩ ومسلم حـ ٥ ص ٢ وأبو ذر هو جندب

وافضلهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث ((فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون))[1] .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (ان الله أرسل رسله ليقوم الناس بالقسط ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم وقد بين الله به من القسط مالم يبينه لغيره وأقدره على مالم يقدر عليه غيره فصار يفعل ويامر بمالا يأمر به غيره ويفعله)[2] .

ومن لوازم الايمان بالأنبياء والرسل التصديق بمعجزاتهم التي أيدهم الله تعالى بها لتكون آية على صدقهم كما في الحديث ((ما من نبي الا أعطى من الايات ما على مثله آمن البشر ، وان الذي أوتيته وحياً أوحاه الي فأرجوا أن أكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة))[3] .

وهم معصومون من ارتكاب الكبائر والاقرار على الصغائر (وهو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ولم ينقل عن السلف والأئمة إلا ما يوافق هذا القول)[4] .

= ابن جناده الغفاري أحد السابقين الأولين وقيل خامس خمسة في الإسلام توفي سنة ٣١هـ ، الإصابة حـ ٤ ص ٦٣ - ٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦ .

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٤٣٦ ، ومسلم رقم ١٥٢١ .
والترمذي بشرح التحفة حـ ٥ ١٦٠ - ١٦١ رواه جابر بن عبد الله رضي اللهعنهما .

(٢) الفتاوى حـ ٤ ص ٤٨ .

(٣) البخاري كتاب فضائل القرآن حـ٣ ص ٣٣٦ رقم الحديث ٤٩٨١ .
مسلم كتاب الايمان ١/ ١٣٤ رواه أبو هريرة رضي الله عنه .

(٤) الفتاوى حـ ٤ من ص ٣١٩ ، ٣٩٠ .

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر ، وهو الاعتقاد الجازم بتصديق عقيدة البعث والنشور ، والحياة بعد الموت ،وما يجرى فيه من أعمال وأخبار وما يسبقه من علامات والتصديق بعذاب القبر وتعيمه نفختان : نفخة الهلاك والدمار ، ونفخة أخرى للبعث .

كما قال تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) (١) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : انا الملك ،اين ملوك الأرض)) (٢) .

ثم يحشر الناس كما قال تعالى : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) (٣) .

وفى الحديث - (تحشرون حفاة عراة غرلاً) - (٤) وينصب الميزان بالقسط لوزن الاعمال كما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٥) ونهاية المطاف من منازل الآخره ، الجنة أو النار والإيمان بهما من أسس العقيدة الاسلامية

---

(١) سورة الزمر الآية رقم ٦٨ .

(٢) البخارى كتاب التوحيد حـ٤ص ٣٨٠ مسلم ٤ / ٢١٤٨ كتاب صفات المنافقين ابن ماجة ١ / ٦٨ - ٦٩ فى المقدمة، المسند ٢ / ٣٤٨ .

(٣) سورة الكهف الآية رقم ٤٧ .

(٤) البخارى حـ٣ص ٢٢٦ باب الحشر مسلم رقم ٢٨٥٩ باب فناء الدنيا والنسائى ٤ / ١١٤ باب البعث عن عائشة رضى الله عنها .

(٥) سورة الانبياء آية رقم ٤٧ .

الصحيحه فالجنة والنار ـ(مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً)ـ (١) .

المطلب السادس: الإيمان بعقيدة القضاء والقدر ومعناه : الإعتقاد الجازم ـ(بان كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لما يريد لا يكون شئ إلا بارادته ولا يخرج عن مشيئته ، وليس في العالم شئ يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ، وأنه خالق افعال العباد من الطاعات والمعاصي ومع ذلك قد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لافعالهم غير مجبورين عليها بل هي واقعة بحسب قدرتهم وارادتهم ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)ـ (٢) .

وهو على أربعة مراتب :

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله وقدرته وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعلموها .

كما قال تعالى : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ، إن ذلك على الله يسير) (٣) .

المرتبة الثانية : كتابته ذلك في اللوح المحفوظ كما قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير) (٤)

---

(١) الطحاوية ص ٤٧٦ .

(٢) الكواشف الجليه شرح معاني الواسطيه ص ٨٤ للشيخ عبد العزيز السلماني

(٣) سورة الحج آية رقم ٢٢ .

(٤) سورة الحديد آية رقم ٢٢ .

وفى الحديث ((أول ما خلق الله القلم قال : له اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) (١) .

المرتبة الثالثة: مشيئة الله النافذه وإرادته الشاملة كما قال تعالى : (وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين)(٢) .

وقال تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٣) .

قال الإمام الطحاوى رحمه الله(٤) :

ـ(وكل شئ يجرى بتقديره ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد ، إلا ما شاء الله ، مما شاء لهم كان ولم يشاء لم يكن)ـ (٥) .

المرتبة الرابعة : (خلقه تعالى لجميع المخلوقات وأفعالها لا يخرج شئ عن قدرته وإرادته ومشيئته ، كما قال تعالى : (خالق كل شئ)وهذا لا يمنع أن يكون للإنسان إرادة ومشيئة لكنها (مخلوقة لله تعالى) كما قال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) (٦) .

---

(١) رواه أحمد ٥/٣١٧ ، الترمذى فى القدر رقم ٢١٥٥ ، أبو داود رقم ٤٧٠٠ فى السنة باب فى القدر عن عبادة بن الصمت .

(٢) سورة التكوير آية ٢٩ .

(٣) سورة الرعد آية ٣٩ .

(٤) الامام الطحاوى هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الطحاوى نسبة إلى قرية بصعيد مصر ولد سنة ٢٣٩ وتوفى سنة ٣٢١ .
انظر ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان حـ ١ ص ٧١ - ٧٢ .

(٥) العقيدة الطحاوية ١٥٣ .

(٦) سورة التكوير آية رقم ٢٨ - ٢٩ .

واعلم أن كل ركن من الأركان الستة له تفصيلات كثيرة مودعة فى مظانهـــا وهى تشمل : النهى عن أضدادها كالنهى عن الشرك وأقسامه ووسائله ، والنهى عن الكفر وأقسامه وأسبابه ، والنهى عن النفاق وأقسامه وعلاماته ، والرد علـــى منكرى العقيدة ، ومن أساء فهمها ، وتوضيح معتقد اهل السنة والجماعة فـــى الولاء والبراء كاثبات فضائل الصحابة وموالاتهم ، حسب رتبهم واحترام أهل البيت دون غلو أو تفريط ، والأمر بلزوم الجماعة والتمسك بالسنة والذب عنها ، ومحاربة البدعة والتحذير منها .

وهكذا تتضح معالم العقيدة الاسلامية الصافية من كل شائبة وكـــدر . ومصدر ذلك كله الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لهما .

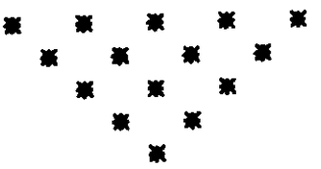

المبحث الثاني : العبادة :

تستوعب العبادة في الإسلام جميع مظاهر الحياة ، وإن اختلفت مراتبها الا أنها لا تخرج عن اطار الحكم التكليفي كما قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين)(١) .

وبهذا لا نحصرها في المفهوم الخاص وان كانت الشعائر المفروضة لها شأن عظيم في الدعوة الإسلامية ـ ومن ثم فان حصر معاني كلمة ـ العبادة ـ في معنى بعينه في الحقيقة حصر دعوة القرآن في معاني ضيقة ، ومن نتائجه المحتومة : ان من آمن بدين الله وهو يتصور دعوة القرآن هذا التصور الضيق المحدود ، فانه لن يتبع تعاليمه الا إتباعاً ناقصاً محدوداً)(٢) .

ويصدق هذا التأويل حال المسلمين اليوم ، حيث نرى الإنفصام النكد بين منهج الاسلام في الحياة وواقع المسلمين .

ولم أجد تعريفاً للعبادة أجمع من تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اذ يقول :ـ(العبادة إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج وصدق الحديث ، وأداء الأمانه ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار ، واليتيم ، والمسكين ، وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر ، وقراءة القرآن وأمثال ذلك من العبادة)ـ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٦٢ .

(٢) المصطلحات الأربعة للمودودي ص ١١٥ .

(٣) العبودية ص ١٦ .

وغاية الدعوة إبراز هذه المعانى وتوضيحها لتعيش البشرية على ضوء قوله تعالى : (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) (١) .

وفى السنة الشريفة توجيهات نبوية كريمة باستثمار الحياة بصالح الاعمال وتصيير العادات عبادات ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ((وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر)) (٢) .

قال الامام النووى رحمه الله ـ (وفى هذا الحديث الدليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذى أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو اعفاف الزوجة ، ومنعهما جميعاً إلى النظر الحرام ، أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة) ـ .

ولئن توجه هذا الخطاب فى الأمور المباحة التى لا ضير على من لم يستحضر نية العبادة فيها ، إلا انه يدل على عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بتربية الأمة على العبادة فى كل حال ولا أبلغ من قوله عليه الصلاة والسلام : ((إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل) (٣) .

كل ذلك رغم ضخامة الحدث وعظمة الأهوال ، وشدة الدهشة التى وصفها الله تعالى بقوله : (يا أيها الناس أتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل

---

(١) سورة الذاريات رقم ٥٦ .
(٢) مسلم بشرح النووى حـ ٧ ص ٩٢ عن أبى ذر رضى الله عنه .
(٣) مسند أحمد ٣/ ١٩١ الفسيلة هى التى تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس . المصباح المنير المجلد الاول ص ٤٧٣ .

كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (١) ، مما يجعل المسلم يظن بوقته أن يذهب سدى ، فالنية الصالحة ، والعمل الدائم يستكمل بهما المسلم حياته في ظلال العبودية لله تعالى .

والعبادة وإن وجبت لله تعالى بمقتضى العبودية استقلالاً ، إلا أن من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل لها آثاراً تسرى إلى حياة المسلم ، باصلاح نفسه وتهذيبها وقمع رعونتها ، وصرفها عن موارد الفحشاء و الدناءة ، كما قال تعالى عن الصلاة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (٢)

وقال تبارك وتعالى عن الصيام (يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٣) .

وقال عز وجل عن الزكاة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم) (٤) .

وهذا غيض من فيض . بركة العبادة في الإسلام، ومهما يبحث الناظر في شريعة الاسلام فلا يجد ما يخرق هذه القاعدة في سائر العبادات ، ولا بد من التنبيه على أن العبادة لا تؤتى ثمارها المرجوة مالم تتوفر فيها الشروط التاليه :

المطلب الاول الإيمان وذلك شرط في قبول العبادة كما قال تعالى : (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) (٥) فكان الايمان

---

(١) سورة الحج آية رقم ١ - ٢ .
(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٥ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٨٣ .
(٤) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .
(٥) سورة الانبياء آية رقم ٩٤ .

قيداً لازماً لقبول الأعمال كما نطقت بذلك الآية ، فالكافر لو أحسن الدهر كله ، لا يعتد بعمله البته كما قال تعالى : (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا) (١) .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ان ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : ((لا ياعائشة إنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين)) (٢) .

المطلب الثانى :

الإخلاص ، ويرتبط بالعقيدة إرتباطاً عضوياً اذ هو أحد مقتضيات شهادة التوحيد قال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)(٣) وأى خلل فى اخلاص العبد ، فمآله الخسران والعياذ بالله كما فى الحديث ((انا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه)) (٤) فالإخلاص روح العمل ولبابه ، وإذا فقد الاخلاص فسد العمل فى حق صاحبه وإن بدا للناس صالحاً .

٣ - المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم إذ لا سبيل لمعرفة ما يحب الله ويرضاه ، ويسخطه وياباه إلا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم وذلك منطق العقل والشرع يقول تعالى : (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٢٣ .

(٢) احمد ٦/٩٣ وعائشة هى أم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ولدت بعد البعثه بأربع سنوات أو خمس وقد تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم توفيت سنة ٥٨ ، انظر ترجمتها الاصابة حـ ٤ ص ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٣) سورة البينة آية رقم ٥ .

(٤) مسلم ٤/٢٢٨٩ كتاب الزهد ابن ماجة ٢/١٤٠٥ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

عنه فانتهوا) (١) والعبادة في الاسلام تتوقف على إذن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فلا تقبل الزيادة ولا النقصان ولا التنقيح ولا التزويق إمتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام : ((من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)) (٢) .

ومن مقتضيات الإتباع الأخذ بالوسطيه والاعتدال والاحتراز من التنطع والغلو ، أو الميل إلى كفتي الانحراف (الإفراط أو التفريط) والتوجيهات النبوية صريحة لا لبس فيها ، منها قوله عليه الصلاة والسلام ((هلك المتنطعون)) (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : ((إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) (٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام للنفر الثلاثه الذين أتوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وسألوا عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))(٥)

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٧ .

(٢) انظر: تخريجه ص ٢٨٦ .

(٣) مسلم ٤/ ٢٠٥٥ كتاب العلم سنن أبي داود رقم ٤٦٠٨ كتاب السنة مسند احمد ١/ ٣٨٦ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) النسائي ٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩ كتاب المناسك وابن ماجة باب في قدر حصى الرمي رقم ٣٠٢٩ ومسند أحمد ١/ ٢١٥ ، ٣٤٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) البخاري ٣/ ٣٥٤ كتاب النكاح ومسلم باب الترغيب في النكاح رقم ٥٠٦٣ ، النسائي ٦/ ٦٠ عن أنس رضي الله عنه .

فإذا خلت العباده من هذه المكدرات ،أثمرت ولا شك رصيداً هائلاً من الوقار والسكينه ،ينطوى على انشراح الصدر ونوراً وبهاء فى الوجه ، ومراقبة ذاتية لله وقوة وعزيمة لا تفتر ،وعاش المسلم حياة طاهرة نقية من كل سوء .

ويتصف الأسلوب القرآنى فى الدعوة إلى العبادات بالتركيز غالباً على طائفة المؤمنين ، لأنهم قد استجابوا إبتداء لنداء الإيمان ، فلابد من عمل يصدق هذا الإيمان كما يتميز بخلوه من الجدل وأساليب المناظرة الاخرى لكنه زاخر بألوان التأثير الوجدانى المتعددة .

فغريزة حب الذات يوجهها نحو العبادة بأسلوب الترغيب المتضمن كل ما تحب النفس وترغبه فحب الدنيا والآخرة ، كما يوظف غريزة الخوف بأسلوب الترهيب فيتوعد المقصرين بكل ألوان العذاب ، ويتوجه إلى غريزة حب التملك فيقلل من حدتها دون الغائها بالكليه ،وهكذا يعالج بهذا الاسلوب أدواء النفس وعيوبها .

أما من الناحية البلاغية فإذا استثنيا أسلوب الجدل ، فالألفاظ بين الجزاله والسهوله ،بعيداً عن الغرابة والتعقيد بقدرتها الفائقة على الإيحاء والتصوير ، والصياغة زاخرة بخصائص النظم التى يقتضيها المقام ،ويمكنها من أداء المعانى على أوفى الوجوه ، كما تمتاز بالإيقاع المناسب للمقام والفواصل المطمئنة ذات النغم الملائم .

والأسلوب حافل بكل صور البيان ،زاخر بالتصوير ،ووسائل التأثير والتؤكيد واللمسات الوجدانية .

ويستخدم أسلوب القصة والمثل فى هذا الغرض لما فيها من خصائص التشويق والتصوير ولزجاء التوجيه بطريقة الإيحاء فى غمار الأحداث والصور (١) .

---

(١) اسلوب الدعوة فى القرآن تأليف د . عبد الغنى بركات ص٣٦٠-٣٦٢ باختصار وتصرف يسير .

* المبحث الثالث *

﴿ المعاملات ﴾

عنيت الدعوة الاسلامية بمجال المعاملات باعتباره أحد أهدافها الحساسة، والتى تتغلغل فى أوساط المجتمعات ، وتتفاعل مع مشكلاتهم ، وتحل منهم محلاً عملياً متصلاً لا فكاك منه ، وذلك يعود الى مقدرة الدعوة الشمولية على حل كل معضلة تواجه الإنسان فى حياته ، فمنهاجها العظيم وآدابها السامية ونظمها الحكيمة ومصادرها المعصومة ، التى استوعبت جميع القواعد الكلية المنظمة لحياة الانسان فى كل زمان ومكان منصبة على المحافظة على مصالح العباد ، ومن استقرأ الشريعة ونظر فى معاملاتها أدرك أنها جاءت بتحصيل مصالح العباد فى كل شؤونهم ودفع المفاسد كذلك فى كل شؤونهم .

يقول الامام العز بن عبد السلام رحمه الله :

﴿ والشريعة كلها مصالح ، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح ، فإذا سمعت الله يقول : (يايها الذين آمنوا) فتأمل وصيته بعد ندائه ، فلا تجد إلا الخير يحثك عليه ، أو شراً لزجرك عنه ، او جمعاً بين الحث والزجر ﴾ (١) .

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله :

﴿ إن استقراءنا لأحكام الله ، ولجزئيات شريعته يجعلنا نقتنع بمراعاة الله

---

(١) قواعد الأحكام ١/ ١١ ، العز بن عبد السلام هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمى ، المغربى أصلا الدمشقى
الملقب سلطان العلماء ولد سنة ٥٧٨هـ ، وتوفى سنة ٦٦٠هـ .
انظر ترجمته فى طبقات الشافعية ٢/ ١٩٧ .

لمصالح العباد)- (١) .

ويقول الامام ابن القيم رحمه الله :

-(إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل والجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل)- (٢) .

وتتجلى تلك المصالح في المحافظة على الضرورات التاليه وهي :

أولا : حفظ الدين وذلك يحفظ جوهره ومصادره ودعوته،من البدع والخرافات والانحراف بجميع صوره ووضع العقوبات الرادعة دون الاستهزاء والسخرية بكل ما يتصل به ، ومن أخطر ذلك الردة .

ثانيا : حفظ النفس وذلك بصيانة الأرواح من التلف أو ما في معناها وذلك بصيانة سائر أعضاء الجسد من العطب .

ثالثا : حفظ العقل وهو صيانة عقل الإنسان من الخلل الدائم أو المؤقت مما يعارض نصوص الشريعة كشرب المخدرات والمسكرات .

رابعا : حفظ المال ومعناه صيانة المال من النهب أو العطب أو السرقة أو السرف أو صرفه فيما لا يحل شرعاً .

---

(١) الموافقات ٢/ ٦ والامام الشاطبي هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي أصولي حافظ من اهل غرناطه كان من أئمة المالكية من كتبه المرافعات في اصول الفقه ،الاعلام حـ ١ ص ٧٥ .

(٢) اعلام الموقعين ٣/ ١ .

خامسا : حفظ النسل ويندرج تحت هذه الضرورة المحافظة على الأعراض والأنساب من أن تتلوث بزنا أو بقذف أو بهتان أو بضرر خاص أو عام .

ولم يقف الحال عند الطروحات المثاليه كما يظن الجهله والمارقون، وانما وضعت الشريعة وسائل عمليه لتحقيق المصالح في عالم الواقع المحسوس ومن أبرزها العقوبات الزاجرة ، والمراد منها قطع دابر الأذية والجريمة ويمكن تلخيصها في ستة اصناف :-

١ - الصنف الأول شرع لصيانة الوجود كالقصاص في النفوس والأطراف فمن ذلك قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (١) .

٢ - الصنف الثاني من الأحكام شرع لحفظ الأنساب كحد الزنا قال تعالى : (والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده) (٢) .

وثبت بالسنة حكم التغريب وحد الزاني الثيب .

٣ - الصنف الثالث من الأحكام شرع لصيانة الأعراض لأن صيانتها من أكبر الأغراض قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده) (٣) .

٤ - الصنف الرابع من الأحكام شرع لصيانة الأموال كحد السرقة وحد الحرابة قال الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) (٤) ويلحق بذلك تعزير الغصاب ونحوهم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩ .
(٢) سورة النور آية رقم ٢ .
(٣) سورة النور آية رقم ٤ .
(٤) سورة المائدة آية رقم ٣٨ .

٥ - الصنف الخامس من الأحكام شرع لحفظ العقل كحد الخمر وقد نهى الله عنه فى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر) (١) إلى قوله (فاجتنبوه) ثم قال تعالى : (فهل أنتم منتهون) وورد ت فى السنة حد الشارب .

٦ - الصنف السادس من الأحكام شرع للردع والتعزير (٢) .

ولم يقتصر على ذلك بل شرعت معاملة البيع والشراء بكل دقة وإتقان ونظمت مراسم النكاح وشروطه وأركانه بما لا يدع لأحد بمزيد ، كما راعت جانب الضعف والقصور البشرى ، فيسرت الأحكام ورفعت الحرج عن الأنام كما فى قوله تعالى : (هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (٣) وورد الأمر بأكل الميتة عند خوف الهلكة كما وضعت شطر الصلاة فى السفر،وأبيح الفطر فيه،وجاز التيمم عند فقد الماء،والصلاة على قدر الاستطاعة،ورفع الإثم عن الصغير والنائم والمجنون وغير ذلك من الأحكام الميسوره وصدق الله العظيم القائل : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٤) ، وقال تعالى : (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) (٥) .

وامتاز اسلوب الدعوة الإسلامية فى المعاملات بما يأتى :

١ - بإن القرآن الكريم فى احكامه لاحظ أنه يكلف اناساً لهم أعرافهم

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٩٠ .

(٢) انظر مجلة البحوث الاسلامية العدد ٢٣ ص ١٨٥ .
بحث بعنوان العقوبات الزجريه والوقائيه فى التشريع الاسلامى بقلم الشيخ إسماعيل محمد الأنصارى مختصرا .

(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٨٥ .

(٥) سورة النساء آية رقم ٢٨ .

وتقاليد هم التى يحتكمون اليها فى شؤون الحياة ،فلم يهدم كل ماوجده بل أبقى على الصالح منها ونقض الفاسد ، وما أختلط فيه هذا وذاك أبقى على ما فيه من خير ونقى عنه الخبيث .

٢ - إن المعاملات تضبط انواع السلوك ،وتحدد الحقوق والواجبات ،فهى لذلك فى حاجة إلى ألفاظ محددة المعنى ، واضحة الدلالة ،بعيدة من الإستخدام المجازى أو أساليب التصوير .

ففى الألفاظ يختار أدقها وأحكمها فى الدلالة على المعنى المراد ،ويكون إستعماله للالفاظ استعمالاً حقيقياً ،فاذا أطلق لفظاً أطلاقا مجازياً لغرض ما ، كان ذلك واضح المأخذ قريباً ،شديد الظهور، كما فى تسميته المرضعه أماً ،والمشاركة للطفل فى الرضاعة من الام أختاً ، وفى الصياغة يقصد إلى تقرير الحقائق الدينيه والأحكام الشرعيه دون مبالغة أو تجوز ، فلا يستعمل الخيال فى أصول المعانى المراده ،وإنما التعبير الحقيقى ، الفصل الواضح اذا كان المقام يستدعى التفصيل ، أو المجمل الجامع إذا كان فى المقام له .

وفى التمهيد للأحكام أو التعقيب عليها بما يحين على طاعتها : يؤثر غالباً المعانى الوجدانيه لبعث الثقة فيها لانها حكم الله العليم بما يصلح للناس ، أو التذكير برقابة الله واطلاعه على الأعمال أو التحذير من من مخالفتها ، وإثارة شعور التقوى فى النفس أو الترغيب فى الطاعة والوعد بجزيل الأجر وحسن المثوبة كما يستخدم وسائل التأثير الأخرى كالتوكيد وتكرير صفات الله فى الفواصل ، أوإثارة الشعور باللمسات الوجدانية التى توحى بها الألفاظ والعبارات .

٣ - ان الشريعة دائمة مستمره ، وصور المعاملات بين الناس وقضاياهم متجددة لا تنتهى ،فاستلزم أن تكون قابلة لتتناول كل ما يجد فى الحياة، صالحة لمواجهة التطور الطبيعى فى مجال النشاط الانسانى ، ولهذا يعمد الى التفصيل والإستيعاب والتجديد فى المواطن التى لا تختلف باختلاف الزمان كما فى أحكام الميراث ، والمحرمات من النساء ،ويعمد الى الإجمال مكتفياً أن تجئ نصوصه دالة على المبادئ العامه ،والقواعد الكليه ،بهما من المرونة ،والسعه ما يمكن أهل الإجتهاد والفقه من انبساط الأحكام الجزئية فى اطار القواعد العامه التى وضعها ، وبهذا العرض يخلص الى ان المعاملات فى الإسلام شامله لحاجات الحاضر والمستقبل مستوعبة لكل ما يستجد من جزئيات الأحكام التفصيليه(١) .

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية تاليف د . عبد الغنى بركة ص ٣٦٢ ومابعدها باختصار.

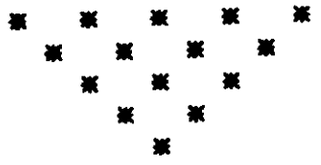

* المبحث الرابع *

=(الاخلاق)=

للأخلاق مكانة هامة فى الدعوة الإسلامية لكونها مرتقى الإصلاح ، وسلم النجاة ، وعنوان السعادة وبذلك نالت إهتماماً واسعاً فى التشريع ، وارتبطت بعلاقات وطيده بالعباده والعقيدة ، وذلك ان الاخلاق تمثل البرهان العملى على سلامة العقيدة واستقامة العبادة بقول الامام الغزالى رحمه الله عن الأخلاق الفاضله بانها (صفة سيدالمرسلين وأفضل أعمال الصدقين ، وهى على التحقيق شطر الدين ، وثمرة مجاهده المتقين ، ورياض المتعبدين ، والأخلاق السيئة هى السموم القاتله ، والمهلكات الدامغه ، والمخازى الفاضحه ، والرذائل الواضحة والخبائث المبعده عن جوار رب العالمين ، وهى الأبواب المفتوحه إلى نار الله الموقده التى تطلع على الأفئدة ، كما ان الاخلاق الجميله هى الأبواب المفتوحة فى القلب لنعيم الجنان وجوار الرحمن ، والأخلاق السيئة أمراض القلوب ، وأسقام النفوس ، الا أنه مرض يفوت حياة الأبد) (١) .

وتتضح أهمية الأخلاق فى الاسلام بما يلى :

١ - تعليل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم من أجل اتمام مكارم الأخلاق كما فى الحديث ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) (٢) .

٢ - ارتباطها بالعقيدة الصحيحه كما فى قوله عليه الصلاة والسلام ((لا إيمان

---

(١) احياء علوم الدين حـ ٣ ص ٤٩ .

(٢) مسند احمد حـ ٢ ص ٣٨١ ، الموطأ حـ ٢ ص ٩٠٤ رقم الحديث ٨ . عن ابى هريرة رضى الله عنه .

لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)) (١) .

وقوله عليه الصلاة والسلام ((والله لا يؤمن ،والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قالوا خاب وخسر يارسول : قال من لا يأمن جاره بوائقه)) (٢) وقوله عليه الصلاة والسلام : ((لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)) (٣) والأحاديث فى هذا المعنى كثيره ، ومن قرأ شعب الإيمان يلمس هذه الحقيقة .

وكلها أحاديث تؤكد أن الايمان متى وقر فى القلوب أسلمت له الجوارح ، وانقادت طائعه للوازمه ومقتضايته ، ومن ضيع الأخلاق فهو لما سواه أضيع، والدعاوى إذا لم يكن لها بينات أهلها أدعياء .

٣ - تفاضل المؤمنين على قدر أخذهم بمحاسن الأخلاق ومكارمها وفى الحديث قال عليه الصلاة والسلام ((إن من أحبكم إلى أحسنكم أخلاقاً)) (٤) وفى رواية ((إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)) (٥) .

---

(١) مسند أحمد ٣/ ١٣٥ / ١٥٤ / ٢٥١ ، البيهقى فى السنن الكبرى ٦/ ٢٨٨ ، البغوى شرح السنه حـ ١ ص ٧٥ عن انس رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى ٤/ ٩٤ كتاب الادب ومسلم كتاب الإيمان باب تحرم ايذاء الجار رقم ٤٦ وبائقه واحدها بائقه وهى الداهيه النهايه فى غريب الحديث حـ ١ ص ١٦٢ .

(٣) البخارى حـ٢ص ٢٠١ كتاب المظالم مسلم كتاب الايمان رقم ٥٧ النسائى ٨/ ٦٤ - ٣١٣ ، مسند أحمد ٢/ ٢٤٣ ، ٣٦٧ - ٣٧٦عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) البخارى مع الفتح حـ ٧ ص ١٠٣ . عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٥) المصدر السابق حـ ١٠ ص ٤٥٦ . عن عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنه.

ومصداق ذلك فى كتاب الله ، فإن عامة الصفات الواردة فى القرآن الكريم للمؤمنين تتسم بالصبغة الأخلاقيه وحسبك أن تعلم أن الأخلاق السيئة اكثر الأسباب المفضية لدخول النار فحين سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : ((الفم والفرج)) (١) .

٤ - عناية القرآن الكريم بتزكية النفس وتربيتها نحو الكمال الممكن ، وتلك خاصية أخلاقية محضة ، أقترن الفلاح المحقق بتحصيل الأخلاق الجميلة كما فى قوله تعالى : (قد أفلح من تزكى) (٢) وقوله سبحانه (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (٣) .

وحددت الدعوة الإسلاميه السبل الكفيلة لتحقيق الأخلاق الفاضلة حتى تصبح سجية نفسية تصدر من غير كلفه وذلك بالعوامل التاليه :

١ - التكليف الشرعى الذى يلزم المسلم بان ينظر الى الأخلاق بأنها تكليف شرعى يؤجر على اخذه ، ويأثم على تركه ومن ثم فلابد أن يوطن نفسه على الأخلاق الفاضله والبعد عن الاخلاق السيئة ، ومتى أدرك المسلم هذه المعانى لا محالة صائر الى خير .

٢ - يبلغ تأثير الإيمان الصادق فى قلب المؤمن ونفسه إلى إحداث تغييرات جذرية فى مسار حياته الأخلاقية وتنميتها نحو الأفضل ، وعلى قدر صدق إيمانه ويقينه ينال حظه من مكارم الأخلاق والعكس صحيح ، وتلك قاعدة مطردة . فتقوية الإيمان بالله سبحانه طريق قوى لأكتساب الأخلاق الطيبه .

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب البر باب ماجاء فى حسن الخلق رقم الحديث ٢٠٠٥ عن ابى هريرة رضى الله عنه .

(٢) سورة الأعلى آية رقم ١٤ .

(٣) سورة الشمس آية رقم ٩ - ١٠ .

٣ - مسؤولية الآباء والأولياء فى رعاية الأبناء وتربيتهم منذ الصغر ، وهذا تكليف يتوجه الى عموم أصحاب الولايات فى الإسلام ، كولاية الأمير ، والقاضى ، والمعلم حتى إذا شب الناشئ عن الطوق ، إزدادت تلك المسؤولية من جهة إصلاح نفسه وإصلاح غيره بتسلسل مقبول عقلاً وشرعاً .

٤ - الاهتمام بالبيئة العامة التى تحيط بالمرء كالجليس ، والمجتمع ، والأسرة فقد رتب الإسلام نظماً مخصوصة لتجنيد تلك الفئات فى خدمة الفضيلة والأخلاق الجميلة .

٥ - تأدية العبادات المفروضة بأركانها وشروطها وسننها الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى ولا شك سبب قوى مؤثر ، فى إصلاح اعوجاج النفس وتقويم أخلاقها بما تحدثه فى النفس من تغيير وجدانى وفكرى يكون له آثار خارجية ملموسة ، يستحيل محو آثارها الطيبه بل إنها لا تحد منافعها ، ولا تختص بناحية معينه وإنما تعم جميع مظاهر السلوك الإنسانى .

وتتميز الأخلاق فى الاسلام بخصائص معينه يجدر بالمسلم الإلمام بها ومن أهمها :

١ - الشمول والمراد بهذه الخاصية سريان التكليف الخلقى إلى جميع مظاهر حياة المسلم ومعاملاته وصور نشاطه ، وعلى المسلم فى تصرفاته الشخصية أن يراعى جانب الأخلاق الفاضله ، فليس هو حر طليق ، يعيش كيف ما اتفق ، بل هو ملزم بصلاح المظهر والمخبر فى السر والعلن .

أما فى الجانب الأسرى والإجتماعى فعليه أن يتكيف وفق ضوابط الأخلاق الجميلة ، ويعطى كل ذى حق حقه ولا مجال لحصر تلك العلاقات فى هذا المبحث .

٢ - الثبـــات :

وهذه خاصية لازمة لا تتأثر بالمصالح والدوافع الشخصية والظروف الآنيه التى تتبدل وتتحول لأن الأخلاق فى الإسلام دين لا يخضع لأمزجـــة البشر ومصالحهم،وعلى المسلم أن يتمسك بأخلاق الإسلام فى كل حـــال وأن يعامل الناس من منطلق الشرع وتقييمه الموضوعي للأحداث حســب قانون الحكمه .

٣ - الوسطيه :

ونعنى بها الجمع بين المثاليه والواقعيه فى الفهم والمنطـق وصـــدور الأخلاق كاملة تامة لا إفراط فيها ولا تفريط ، ففى الإنفاق مثلاً تكـــون الفضيله بين شيئين البخل ، والاسراف كما قال تعالى :

يقول تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كـــل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً) (١) .

ويقول سبحانه : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بيـــن ذلك قواماً) (٢) .

ويقول عز وجل : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (٣) .

وقس على هذا فى سائر مظاهر الأخلاق والسلوك كما يقول الإمـــام الغزالى رحمه الله :

(خلق الشجاعة يصدر منه الكرم والنجده والشهامة وكسر النفس والاحتمال

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٩ .

(٢) الفرقان آية رقم ٦٧ .

(٣) سورة الاعراف آية رقم ٣١ .

والثبات وكضم الغيظ والوقار وهي أخلاق محمودة ، وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب ، وأما تفريطها فيصدر منه المهانه والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والإنقباض عن تناول الحق الواجب ، واما خلق العفه فيصدر عنه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماته والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك) (١) .

ونخلص الى ان الدعوه الإسلامية قد أحاطت بقانون الأخلاق السوى فهماً وتطبيقاً واستيعاباً بما لا نظير له فى أيمذهب آخر ، ولا تكتمل مطالبة الدعوة ليطبق منهجاً ما لم يكون ذلك المنهج شاملاً شمول الاسلام عقيدة وعباده ومعاملة وخلقاً ، عندها تظهر صورة الاسلام الحقيقى ، الذى سعدت به البشرية وقتاً ليس بالقصير .

---

(١) إحياء علوم الدين حـ ٣ ص ٥٤ - ٥٥ والهتكة : إسم من هتك يهتكه ، ورجل منهتك ومتهتك ومستهتك لا يبالى أن يهتك ستره .
ترتيب القاموس حـ ٤ ص ٤٧٨ .

* * * * *
* * * *
* * *
* *
*

* الفصل الثاني *

=(الوسائل والأساليب)=

الدعوة الى الله وظيفة جليلة القدر ، عظيمة الأثر ، تتطلب جهداً مدروساً ، واعداداً جيداً ، يرتقي بالى مستواها أو يقارب ، فهي ليست موجهة الى فرد بعينه أو لهيئة مخصوصة ، بل تتعدى هذا كله إلى سائر الطوائف والأجناس في كل زمان ومكان كما قال تعالى عن الدعوة الإسلامية (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (١) .

واتفاقاً مع أسلوب القرآن الكريم الذي لم يخاطب (نوعاً خاصاً من البشر بل خاطب كل الناس ، ولم يخاطب جيلاً محدوداً بل خاطب كل الأجيال ، ولم يخاطب عصراً معيناً بل خاطب كل العصور ، ولم يخاطب نفسية معينه بل خاطب كل النفوس ، وقد قدم لنا التبليغ القرآني منهجاً متكاملاً للحياة ، وجاء المنهج معجزاً في معانيه ، معجزاً في بيانه) (٢) .

ولوازم البيان القرآني متعدد الوجوه فمنه أن يكون الداعية بصيراً بما يدعوا إليه كما قال تعالى : (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٣) .

قال الإمام الرازي رحمه الله ـ (وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على بصيره مما يقول وعلى هدى

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٢٨ .

(٢) فنون التبليغ القرآني ص ٧ - ٨ ت د . احسان عسكر .

(٣) سورة يوسف آية رقم ١٠٨ .

ويقين ، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور (١) وهذه البصيرة أسلوب بيانـــى وكونها شرطا دليل على أن أهمية السير على منهج البصيرة فى الدعوة إلى اللـــه ، والحرص الشديد على ايصال الدعوه بوضوح وبيان لا لبس فيه ولا غمـــــوض

قلت : ويؤيد ذلك قول الله تعالى عن موسى عليه السلام :

(واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولـــى) (٢) .

قال الامام الرازى رحمه الله :

ـ(اختلفوا فى أنه عليه السلام لم طلب حل تلك العقدة ؟ على وجوه :

أحدها : لئلا يقع فى أداء رسالته خلل البته .

ثانيهما : لازالة التنفير لان العقدة فى اللسان قد تفضى الى الإستخفاف بقائلها وعدم الالتفات إليه)ـ(٣) .

ومن لوازم البيان القرآن الكريم ايضا ، ارسال الكلام بليغاً مؤثراً كما قال تعالى : (وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً) (٤) .

يقول الامام الرازى - رحمه الله - فى صفات الكلام البليغ ـ(ان يكـــون كلاماً حسن الألفاظ ، حسن المعانى ، مشتملاً على الترغيب والترهيب ، والانذار والانذار ، والثواب والعقاب ، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه فى القلـــب ، واذا كان مختصراً ركيك الالفاظ قليل المعنى ، لم يؤثر البته فى القلب)ـ (٥) .

---

(١) تفسير الامام الرازى حـ١٨ ص ٢٢٩ .

(٢) سورة طه آية رقم ٢٧ - ٢٨ .

(٣) المصدر السابق حـ ٢٢ ص ٤٨ .

(٤) سورة النساء آية رقم ٦٣ .

(٥) تفسير الإمام الرازى حـ ١٠ ص ١٦٤ والإمام الرازى هو محمد بن عمر بـــن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الفقيه الشافعى أصله مـــــن

وفيما يلى بيان لأهم الأساليب والوسائل الواجب توفرها لخدمة الدعـــوة ونشرهـــا .

* المبحث الأول *

= الأساليـــــب =

يقول تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (١) .

فهذه الآية الكريمة جمعت أمهـــات الأساليب المؤثره ، المتضمنة فـــى الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن . ولنبدأ ببيان هـــذه الأساليب .

المطلب الأول : الحكمـــة :

من أولويات أساليب الدعوه ، تطبيق أسلوب الحكمه على أوسع نطـــاق ممكن، ولا يسع الداعيه الخروج عن الحكمة الا إلى الضلال والهلكه =(ولذلك فأول واجب على الدعاة إلى الله أن يتعلموا الحكمه والبصيرة حتـــــى يفلحوا فى دعوتهم ، ويرضوا ربهم سبحانه وتعالى)= (٢) .

وأجمع تعريف لها عندى : =(الفهم والإصابـة فى القول والعمل)= وقد دعا ابراهيم عليه السلام أن يرزقه الله الحكمه على هذا الوجـه .

= طبرستان ومولده فى الرى وإليها نسبته ، ولد سنة ٤٤٥هـ .
وفيات الاعيان حـ ٣ ص ٣٨٤ الاعلام للزركلى حـ ٦ ص ٢١٣ .

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٥ .

(٢) فصول من السياسة الشرعيه فى الدعوه إلى الله ص ٣٥ تأليف الشيخ : عبد الرحمن عبد الخالق .

يقول الامام الرازى رحمه الله عند قوله : (رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين) (١) لا يجوز تفسير الحكم بالنبوه لأن النبوه حاصلهُ ، بل المراد هو كمال القوة النظريه ، وذلك بادراك الحق ومن قوله : (وألحقنى بالصالحين) كمال القوة العمليه ، وذلك بأن يكون عاملاً بالخير فان كمال قوله : (رب هب لى حكماً) على قوله : (وألحقنى بالصالحين) لما أن القوة النظريه مقدمة على العملية بالشرف والذات ، وايضاً فانه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعلم بالخير وعكسه غير ممكن (٢) ورجح هذا المعنى الامام القرطبى رحمه الله فقال (لأن الحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتقان فى قول أو فعل) (٣) .

وقريب من التعريف السابق ما ذكره الامام العيني رحمه الله بقوله الحكمه (تدل على علم دقيق محكم والقضاء بها بين الناس وتعليمهم كمال علمى يفضى إلى كمال عملى) (٤)

وعلى نسق هذا المعنى الجامع من الفهم وأصابة العمل تكون خطة الداعيه الفطن ، وذلك بمراعاة حال الخاطبين نفسياً وعقلياً ، ومخاطبتهم على قدر مالديهم من قدرات وطاقات وكذلك مراعاة حال البيئة التى يعيشون

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٨٣ .

(٢) التفسير الكبير حـ ٢٤ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن حـ ٣ ص ٣٣٠ .

(٤) عمدة القارئ حـ ١ ص ٤٤٤ بتصرف واختصار

بما لا يعد تنازلاً أو مجاملة أو مداهنة .

ومن صور الحكمه ما عنون له الامام البخاري[1] - رحمه الله - في صحيحه بقوله -(باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهيه إن لا يفهموا)- ثم أورد قول علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) كما ساق حديثاً ترجم له بقوله -(باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه)- ثم استشهد بحديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لولا قومك حديث عهد هم))- قال ابن الزبير يكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون ففعله ابن الزبير)[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :-(ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسده)-[3] .

ومن الحكمه في الدعوه الإسرار في الدعوه فمن الناس من تأخذه العزة بالاثم فيأنف من سماع الحق ويستنكف عن قبوله ، ويعتقد أن هذا إهانه لشخصه وطعناً في كرامته ،ولكنها في الخلوه أوقع أثراً وأحرى أن تقبل ، خاصة إذا أرسل الداعيه كلامه مفعماً بالصدق والإخلاص .

وأما في العلانيه فعلى الداعية أن يجنح إلى التلميح دون التصريح

---

(١) الامام البخاري هو أبو عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن المغيره الجعفي مولاهم البخاري ، ولد سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ .
انظر : ترجمته في تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٤٧ - ٤٨ وما بعدها .
(٢) البخاري مع الفتح حـ ١ ص ٢٢٤
(٣) المصدر السابق حـ ١ ص ٢٢٥ .

وبالاشارة دون العبارة إقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنكر على الملأ كان يقول : ((ما بال أقوام يقولون كذا وكذا)) (١) والغاية أن يستفيد المدعو مما تقول حتى لا يشعره الشيطان أنك تريد تلويث عرضه، وهتك عورته ولا ريب أن التدرج ببيان الأهم ثم المهم ، وأخذ المدعو برفق وتؤده يمثل عين الحكمه ، وبها نزل التشريع كما في تحريم الخمر ، ومن نظر في تاريخ الدعوه يرى تلك المراحل التي مرت من سرية إلى علنية ومن مكية إلى مدنيه وما تحمل كل مرحلة من طبيعة التشريع ، وكيفية الحركه ، كله دعوة لعموم الدعاه إلى الإستفادة من منهج السيرة النبوية .

ومن صور الحكمه وتطبيقاتها العملية ما يلي :

١ - قد يكون المرء واقعاً في إعتقادات شركيه موروثه أكل الدهر عليها وشرب، وأصبحت جزءً لا يتجزء من حياته فمن الحكمة عدم توجيه الضربات المباشرة لما يعتقده ، لأن التعرض المباشر للمعتقدات الباطله لدى المخاطب يؤدي إلى نتائج عكسية ،تبعث في نفسه الحمية الجاهليه ، والعصبية العمياء ، فيتحمس ويقف في طريق الدعوة وقد أمر تعالى بضرورة التحاشي عن أمثال هذه الطرق .

قال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم) (٢) والطريقة المثلى لمثل هذا

---

(١) كثر هذا الأسلوب في الحديث كما ورد في حديث النهي عن رفع البصر في الصلاة وفي ذم المسألة وفي العزل وفي النهي عن مواصلة الصوم .
انظر : جامع الأصول للقسم الثاني (الفهرس) ص ١٠٦٧ .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٠٨ .

المخاطب إزالة أسباب سوء الفهم التى حالت بينه وبين الحقيقة ، وأن يؤسس عملية الاصلاح على توهين العلاقة بين المخاطب وبين تلك المعتقدات الباطلة ، وزرع الشك والريبة فى مكانة هذه المعتقدات بلباقة وذكاء .

٢ - لا ريب أن النفوس لها إقبال وإدبار ونشاط وملل وعلى الداعيه أن يقتنص الفرص المناسبة التى توافق فراغاً لدى المخاطب ، ومن الحكمة عدم الاكثار والتمادى فى الوعظ ، فقد كان عبد الله بن مسعود يذكر الناس فى كل خميس فقال له رجل : (يا أبا عبد الرحمن لوددت إنك ذكرتنا فى كل يوم قال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ، وأنى أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا) (١) .

٣ - إذا أنس الداعى من المخاطب اللجاجة والعناد فمن الحكمة أن يتغادى كل ما من شأنه ما يزيده إعتراضاً وعليه أن ينهى الحوار معه ، ويضرب عنه صفحاً ، ويتركه وشأنه ، ويجلس يرتقب الفرصة المواتيه والوقت المناسب الذى يعود فيه المخاطب إلى الهدوء والصفاء (٢) .

---

(١) البخارى كتاب العلم ١/٤٢ ، ومسلم كتاب المنافقين ٤/٢١٧٢ - ٢١٧٣ الترمذى كتاب الأدب ٥/١٤٢ ، احمد ١/٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٤٠ ، وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، توفى سنة ٣٢هـ صحابى جليل من كبار الصحابة من السابقين إلى الإسلام خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قرأ القرآن .
حلية الاولياء ١/١٢٤ .

(٢) منهج الدعوه إلى الله ص ٨٨ - ٩٤ بتصرف وايجاز .
تأليف أمين إصلاحى .

المطلب الثانى : الموعظة الحسنة :

الموعظة الحسنة ، ثانى الأساليب الجامعة لقنوات التأثير النفسي ، وتمتاز عن سابقتها بخاصية اللطافة واللين بخلاف الحكمة فهى أعم فقد يقتضى المقام الغلظه حيناً واللطافة أحياناً ، فالموعظة تلك الكلمة الرقيقة التى تلج إلى القلوب -(برفق وأناه وهدوء فتلطف من حرارة الصدر ، وتعمق المشاعر بلطف وتنعش الوجدان فى تؤده ، وتدفع إلى أستشعار روحانية الدعوة ، فهى ترطيب للفكر الثائر ، وحل لعقد التقاليد الصعبه ، وانقاذ من حيرة لا شعوريه موصومه ، وطمأنينه تسكن ثورة الجموح ، وكثيراً ما هديت القلوب الشارده بالموعظة الحسنة ، وإنها مع الطبائع الخيره أفضل من الزجر والتأنيب والتوبيخ والتجريح)- (١) .

وقد يكون من صورها التقريع والتخويف ولكنه أسلوب يختص بالموعظة ويعنى بالتركيز على استغلال العاطفة والوجدان إلى أبعد مدى .

وقد ورد الامر الربانى بالاخذ بها صراحة كما فى قوله تعالى : (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن) (٢) .

وقال تعالى : (وأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغاً)(٣)

والمعنى : فأعرض عن قبول الأعذار وعظ بالزجر والإنكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار (٤) واتفقت مناهج الانبياء على الاخذ بها كما فى

---

(١) سيكولوجية الرأى والدعوه ص ٢٦٦ تأليف د . عبد الرؤوف شلبى .
(٢) سورة النساء آية رقم ٣٤ .
(٣) سورة النساء آية رقم ٦٣ .
(٤) تفسير النسفى حـ ١ ص ٢٣٣ .

قوله تعالى : (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (١) .

وللموعظة الحسنة صور يختار منها الداعيه ما يقتضيه المقام منها الترغيب والترهيب،والقصد من استخدامها إثارة المدعوين نحو فعل الخيرات واجتناب المحرمات والترغيب ، دعوة مقرونة بالتشويق تثير مكامن العاطفة والشوق في نفس المدعو وتحثه على المسارعة إلى فعل الخيرات والإجتهاد وفي تحقيقها إلى حد المنافسة وتكون عادة بعاجل ثواب الدنيا وما يدخر للمؤمن في الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أما الترهيب ، فهو على النقيض من هذا فهو حشد كل ما يخوف المدعو ويرعبه من فعل الحرام ويحمله على الخشية الدائمة ويكون عادة بعرض أصناف العذاب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة .

وقد جمع الله تعالى بينهما في قوله : (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) (٢) وذلك منهج الحق المبين،وتكون المعادلة بين الأسلوبين بالقسطاس المستقيم حتى لا يطغى شعور الخوف، فيفضي إلى القنوط واليأس أو يجنح إلى الرجاء فيهمل العمل وكلاهما سقوت .

وتعتبر القصة ذات تأثير بليغ في استمالة المدعو برفق نحو الهدف التي سيقت من أجله ، وقد حفل القرآن الكريم بأحسن القصص كما قال تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) (٣) وبين سبحانه

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٤٦ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٩٨ .

(٣) سورة يوسف آية رقم ٣ .

وتعالى الحكمة من سياق القصص القرآني فقال عز وجل : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (١).

وخير ما يستعين به الداعيه الحصيف لنجاح دعوته القصص القرآنـــــى الموجه المعصوم من لدن حكيم خبير ـ(فهو في القصص لم يلتزم ترتيـــــب المؤرخين ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع التى فـى القصة الواحدة وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ويحـــــرك الفكر إلى النظر تحريكاً ويهز النفس للاعتبار هزاً)ـ (٢) .

ومن صور الموعظة الحسنة : ضرب الأمثال التى من خصائصها إبراز المعقول في صورة المحسوس وذلك بتقريب المعانى وتثبيتها في الذهن يقول الإمـــــام الجرجانى رحمه الله :

ـ(واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعانـــى ، إذا برزت هى باختصار في معرضه ونقلت من صورها الأصليه إلى صورته ،كساهـــا أبهـة وكسبها منقبـة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها فـى تحريك النفوس بها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصى الأفئـــده صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً ، فإن كانت مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف ، وإن كـــان ذماً كان مسه أوجع وحده أحد ، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وبيانه أبهر

---

(١) سورة يوسف آية رقم ١١١ .

(٢) تفسير المنار حـ ١ ص ٣٤٦ .

وكان شأوه أبعد وشرفه أجدر ، وان كان إعتذاراً كان الى القلوب أقرب ، وان كان وعظاً كان أشفى للصدر وأوعى الى الفكر ، وأبلغ فى التنبيه والزجر ، وأجدر بان يجلى الغبابه وينصر بالعنايه ويشفى الغليل)= (١) واستحواذ المثل على الصفات التأثيريه مدعاه لفهمه وطريقه ضربـــــه ، وحفظ ما أمكن حفظه من الأمثال القرآنية والنبوية ليكون سلاحاً للداعيه =(يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ الـــى قلبه وينتهى الى أعماق نفسه)= (٢) .

ومن الأمثال القرآنية قوله سبحانه وتعالى : (ضرب الله مثلاً رجلاً فيـــه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) (٣) .

يقول الامام الرازى رحمه الله :

=(وهذا مثل ضرب فى غاية الحسن فى تقبيح الشرك وتحسين التوحيد)= (٤) فالمشرك بالله تعالى مثله كمثل العبد المملوك لشركاء مختلفون متخاصمون ، وهو بينهم فى حيرة من أمره لا يدرى أيهم يطيع ، خلاف المؤمن الموحد الذى مثلـــه كمثل العبد المملوك لرجل واحد قد عرف غايته وهدفه فهو فى أمن وسلام وهدوء

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٢٨ - ١٢٩ والجرجانى هو الإمام عبد القاهر بـــــن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى ، أبو بكر واضع أصول البلاغة ، كان مـــن ائمة اللغة من أهل جرجان (من طبرستان وخرسان) .
الاعلام حـ ٤ ص ٤٨ .

(٢) المنار حـ ١ ص ٢٣٦ .

(٣) سورة الزمر آية رقم ٢٩ .

(٤) مفاتح الغيب حـ ٢٦ ص ٢٧٧ .

واستقرار ـ(وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحله على هذه الأرض على هدى ، لأن بصره أبدا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوى به الطريق ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق ، ومصدراً واحداً للنفع والضر . ومصدراً واحداً للمنح والمنع ، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته . ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره . ويخدم سيداً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد ،فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى اله واحد في السماء)ـ (١) .

وخلاصة القول أن أسلوب الموعظة الحسنة بأساليبه وقصصه وأمثاله ضرورة لرجال الدعوه والإصلاح ، وكم من مدعو رجع على عقبيه وأمعن في غلوائه ، وأسرف في انحرافه ،بسبب كلمة نابيه ومشاكسة عنيفه وتصرف غير مسؤول ، قوبل بها وهو يهم بعمل بحضور جاهلاً أو عامداً ، وحسبنا معرفة بمكانة الموعظة ، أن الله تعالى جل ذكره وعظ عباده بها كما قال تعالى : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا) (٢) .

المطلب الثالث : الجدل :

تتعدد جوانب التأثير في النفس الانسانيه ومن أهم تلك الجوانب : الناحية الفكريه ،التي يعتبر العقل مركز التأثير فيها ، ومن أجل إلا ستحواذ

---

(١) في ظلال القرآن ص ٣٠٤٩ حـ ٥ .

(٢) سورة النور آية رقم ١٧ .

على تلك القناه الهامة عنيـــت الدعوه الإسلاميه أيما عناية ، ببيان الأساليب المؤثره فى العقل ومن ابرزها : أسلوب الجدل المحمود القائم على استثمـــار عقل الإنسان وتنشيطه وإيقافه امام الحقائق المجردة بعد معاناه يكون طرفاً فيهـا وذلك أحرى للإقناع ، وأثبت فى الذهن ، وخاصة مع موفورى الحجى أو مـن لديهم علم سابق ولم يوفقوا لمعرفة الحق ، فاحتاجوا إلى تبصيرهم ، بطريقة تليق بمكانتهم الفكريه ، وتضمن فى نفس الوقت زحزحتهم عن أفكارهم التى اقتنعوا بهـا فمثل هؤلاء لا يقبلون ما يملى عليهم دون تمحيص وتدقيق ، فمناسب اسلـــوب الجدل لدعوتهم وإقناعهم برحابه واستعداد وهدوء ، فالحاجه إلى الجـــدل المشروع غايته وضع الحق فى نصابه وإقامة الحجه (لئلا يكون الناس على الله حجـــه بعد الرسـل)[1] والدعاة ورثة الانبياء ومبلغوا رسالته الى العالمين .

وأصل اشتقاق هذه الكلمة فى اللغة من الجدل وهو شدة الفتل ومنه قيل لزمام الناقه جديل كما قال أمرؤ القيس :

وكشح لطيف كالجديـــل مخصـــر . . . وساق كأنبوب السقى المذلل [2]

وفى الإصطلاح الجدل عبارة عن مراد يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها [3] وهو ينقسم الى قسمين :

١ - جدال ممدوح وهو ما يقصد به إحقاق الحق ونصرته والذى بـــه جـــاء القرآن .

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٦٥ .
(٢) لسان العرب حـ ١١ ص ١٠٣ .
امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى أشهر شعراء العرب على الإطلاق يمانى الأصل مولده بنجد مات بانقره ، الاعلام حـ ٢ ص ١١-١٢ .
(٣) التعريفات ص ٦٦ للجرجانى .

٢ - جدال مذموم : ويقصد به دفع الحق وإزهاقه ونصرة الباطل وإحقاقه وبه ورد النهي والذم في القرآن الكريم كما قال تعالى : (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) (١) ، وقال تعالى : (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (٢) ، وجاء الأمر باستخدام القسم الأول كما قال تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) (٣) لكنه كالدواء يؤخذ بقدر الحاجة ، ونص العلماء رحمهم الله على أهمية هذا الأسلوب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله = (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين) = (٤) .

فإذا كان الأمر كذلك فإن الدعاة بحاجة إلى معرفة منهج الجدل في القرآن الكريم والسنة ، لتكتسب العقلية المسلمة زاداً علمياً رصيناً ، يفتح آفاق العقل ويوسع مداركه ، ويعمق نظرته بتلك الموازين الشرعية العقلية ، ومن الرزية الثقة بالمنطق اليوناني العقيم ، وصرف العمر في حل ألغازه وفك رموزه دون فائدة تكتسب ، أو علم ينتفع ، وما هلك من هلك إلا بعد الخوض في غماره ، والثقة العمياء في برهانه .

ومنهج الجدل في القرآن والسنة له استقلاليته الذاتية وطابعه الخاص المتميز ، ومن الخطأ الاعتقاد أن ثمة تشابهاً بين منطق اليونان ومنهج الجدل

---

(١) سورة غافر آية رقم ٤ .

(٢) سورة غافر آية رقم ٥ .

(٣) سورة النحل آية رقم ١٢٥ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٣٥٧ .

فى القرآن والسنة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« لا يجوز لعاقل ان يظن أن الميزان الذى أنزله الله هو منطق اليونان لوجوه :

أحدهما : أن الله أنزل الموازين مع كتبه قبل أن يخلق اليونان من عهد نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم وهذا المنطق اليونانى وضعه ارسطو قبل المسيح بثلاثمائة سنة ، فكيف كانت الامم المتعددة تزن بهذا ؟ .

الثانى : إن أمتنا أهل الاسلام مازالوا يزنون بالموازين العقليه ، ولم يسمع سلفنا بذكر هذا المنطق اليونانى ، وإنما ظهر فى الاسلام لما عربت الكتب الروميه فى دولة المأمون او قريباً منه .

الثالث : إنه مازال نظار المسلمين بعد أن عرب وعرفوه يعيبونه ويذمونه ولا يلتفتون اليه ولا إلى أهله فى موازنتهم العقليه والشرعيه » (١)

ولست بصدد الحديث عن تأصيل هذا المنهج وتوضيحه وانما القصد بيان أهميته وضرورة استخدامه كأسلوب من أساليب الدعوه الإسلاميه .

وفى هذا المبحث اشارة الى أهم الآداب القرآنية والنبوية التى يجب أن يتحلى بها الداعية عند تطبيقه لاسلوب الجدل فى الدعوة .

اولا : أن يقصد الداعية وجه الله سبحانه وتعالى ، لا لهوى فى نفسه او خدمة

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .
ارسطو فيلسوف يونانى تتلمذ على افلاطون ، وعلم الاسكندر الأكبر كان يحاضر ماشيا فسمى هو واتباعه بالمشائين ، نقبه الفلاسفه المسلمون بالمعلم الأول ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد .
الموسوعة الثقافية ص ٦٣ - ٦٤ .

جهة معينة أو تزجية الأوقات أو اظهار البراعة ولفت الأنظار . يقول الامام الرازى - رحمه الله - عن الجدل المذموم فى القرآن هو الذى يوجب تقرير الباطل (١) .

ثانيا : أن يتصدى لهذه المهمة من تتوفر فيه الشروط المؤهله كالعلم والذكاء والقدرة بمفهومها العام ، حتى لا يكون صورة شوهاء ، ومحلاً لشماته الأعداء .

ثالثا : التقيد بضوابط القول التى حددها الشرع ، فالهمز واللمز ، واحتقار الخصم يسقط القول وخطله مرفوض فى المنهج الشرعى .

رابعا : لزوم الوقار والسكينة ، والتحرز من الحماقة والجهل ، وانتظار الخصم حتى ينهى كلامه دون مقاطعة أو لجاجه .

خامسا : الاعتراف بالحق عند ظهوره وفى الحديث (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) (٢) .

سادسا : أن يكون البحث فى مسألة واقعة أو محققة الوقوع ذات مصلحة راجحة يؤيد الشرع بحثها حذراً من الوقوع فى الاغلوطات والشبهات والمجادلات الجوفاء ، التى مؤداها الشك والبغضاء .

يقول عليه الصلاة والسلام : ((ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ، فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه)) (٣) .

---

(١) تفسير الامام الرازى حـ ٢٧ ص ٢٢٣ .

(٢) رواه مسلم كتاب الايمان رقم ٩١ باب تحريم الكبر وبيانه ، أبو داود رقم ٤٠٩ كتاب الأدب الترمذى حـ ٤ ص ٣٦١ كتاب البر والصله باب ماجاء فى الكبر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٣) مسلم رقم ١٣٣٧ كتاب الحج باب فرض الحج مرة فى العمر ، النسائى ٥/ ١١٠ ، ١١١ كتاب الحج عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وسئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن مسألة فقال : هل كان هذا بعد قالوا : لا ، قال : فدعونا حتى يكون ، فإذا كان تجشمناها لكم (١) .

وأكتفى بايراد مثال على منهج الجدل فى القرآن الكريم يقول تعالى : (ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحى وأميت ، قال ابراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الكافرين)(٢) .

هذه المناظرة كما فى الآية الكريمة قامت بين نبى الله ابراهيم عليه السلام والملك الكافر (النمرود) - وكان موضوع المجادله حول اثبات وجود الله ووحدانيته وقد طلب الطاغية النمرود من ابراهيم عليه السلام دليلاً لإثبات وجود الله فقال ابراهيم عبد السلام =(قال ربى الذى يحيى ويميت) = فعارضه النمرود بقوله -(أنا أحى وأميت)- أراد الكافر أنه يقدر ان يعفو عن القتيل فيكون ذلك احياءً ، وعلى أن يقتل فيكون ذلك اماتة ، فكان جواب أحمق لا يصح نصه فى مقابلة حجة ابراهيم ، لأنه أراد غير ما أراده الكافر ، فلو قال له : ربه الذى يخلق الحياة والموت فى الأجساد فهل تقدر على ذلك ؟ بهت الذى كفر بادئ بدء وفى أول وهلة ، ولكنه انتقل معه الى حجة أخرى تنفيساً لخناقه ، وإرسالاً لعنان المناظره فقال =(فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)= لكون هذه الحجه لا تحتمل فيها المغالطه ولا يتيسر للكافر أن يخرج منها

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٤٤٤ ولمزيد بيان راجع كتاب مناهج الجدل فى القرآن ص ٤٣١ وما بعدها ، وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس ابن حصين العنسى يكنى أبا اليقظان من المهاجرين الأولين استشهد يوم صفين سنة ٣٧هـ . انظر حاشية الاستيعاب بهامش الإصابة حـ٢ ص ٤٧٦ ومابعدها .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨ .

مخرج مكابره ومشاغبه فلما انتقل إبراهيم عليه السلام بذكر الدليل الثانى لم يستطع النمرود(*) جوابا وبهت وكبت ، ونصر الله نبيه وخليله إبراهيم (١) .

---

(١) فتح القدير حـ ١ ص ٢٧٧ للشوكانى .

(*) النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح أحد ملوك بابل استمر فى ملكه أربعمائه سنة سلط الله عليه ذباباً من البعوض عذبه به حتى مات .
البداية والنهاية حـ ١ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

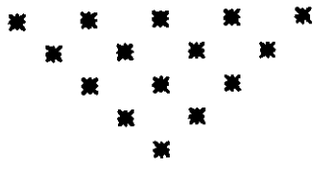

* المبحث الثاني *

((الوسائل))

انتهينا فيما سبق من الاشارة إلى اهم أساليب الدعوه بيد أن تلك الأساليب تصبح فى حيز النظرية مالم تصاغ فى قالب عملى تكون له آثاره الخارجية وذلك عن طريق الوسائل التاليه :

المطلب الأول : الخطابة :

لا مراء فى مكانة الخطابة وعظيم خطرها بين الامم قاطبة ، وما من دعوه إلا وللخطابة فيها السهم الوافر ،وهى بلا شك مركب صعب لا يناله إلا من وفقه الله ثم شمر عن ساعد الجد فى تحصيله .

والخطابه فى اللغة:مصدر يقال خاطبه خطاباً ، وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتق إسم الخطبه بضم الخاء وكسرها (١) .

وفى الإصطلاح : هى فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته (٢) .

فهذا التعريف يشمل جميع فنون الخطابه ، ويندرج تحت ماهية هذا التعريف صور متعدده للخطابه منها :

١ - الخطبه .

٢ - المحاضره .

٣ - الدرس .

٤ - الندوه .

---

(١) مختار الصحاح ، والمصباح المنير مادة خطب .

(٢) فن الخطابه ، للحوفى ص ٥ .

والداعيه ينبغى أن يتقن جميع هذه الوظائف ، ويسعى دائماً لتنميـــة قدراته ومواهبه بطريقة علمية مبرمجه ، وعليه أن لا يخدع بثناء الناس وإطرائهـم ، ويهمل الإعداد ويظن أنه بلغ الغاية ، ولم يعد محتاجاً للتقويم ، ومن ثم تكـــون النتيجه هبوط مستواه ، واضمحلال مواهبه،وانحسار ابداعه ، ولا ريب أن أخـــذ هذا الفن عن شيوخه وأساتذته مفتاح إتقانه ، وامتلاك ناصيته، وبلوغ ذروتـــه ، ناهيك بالدربه والمران والممارسة الطويله على ضوء قواعده المعروفه ، وآدابـــــه المثبوته فى كتب هذا الفن ، ويجمع تلك الوظائف السابقه قاسم مشترك من الاصـول يمكن إجمالها فيما يلى :

١ - الأسلوب .

٢ - الإلقـــاء .

٣ - الصـــوت .

والأسلوب المنسق المنوع الميسور المطعم بالألفاظ الواضحه والجمـــــل البليغة ، مع الإلقاء الحسن الذى يلهب المشاعر المتمثل فى الطلاقة واللســـــن واللهجه الصادقة المتغيره حسب مقتضى الحال ، الخاليه من الفأفأه والتأتأه ، والعي ، مع صوت جهورى عذب السماع كل ذلك عناصر حيويه للخطابه الناجحة المؤثره ، وبعد هذا العرض الموجز أرى إفراد كل قسم على حده ليتضح للداعية المواصفات المطلوبة فى كل قسم .

أ - الخطبـــة :

تطلق الخطبة على الكلام المنشور الذى يراد به إستمالة السامع وإقناعه ، ويهمنا فى هذه اللمحه بيان عناصر الخطب المتعلقه بمضامين الدعـــــوة الاسلاميه ومرتكزاتها الأصوليه والفرعيه التى غايتها تحقيق أوامر الله ورسوله

بين المدعوين بثبات وتسليم ، والخطب منها القصير والطويل المسهب ، ولا تستغني أي خطبه عن العناصر التاليه :

١- المقدمه .

٢- العرض .

٣- الخاتمة .

١ - ويراد بالمقدمه : ما يستهله الخطيب لتهيئة أذهان المستمعين وشد انتباههم نحو كلامه ولكي تؤدي غرضها المطلوب لا بد أن تكون مشوقه توقظ السمع والبصر مع قصر متعمد فإن إطالتها يذهب برونقها ،ويجعلها خطبه وحدها ، ومن اللازم أن يكون لموضوعها صلة بالموضوع المراد طرقه .

٢ - العرض :

وهو الشرح والبسط للموضوع مبتدئاً بالتنصيص عليه وبيان أهميته وذكر أدلته مرتبة ترتيباً منطقياً ومناقشة الأراء بموضوعيه وحياد ، ومن الضروري للسامع وجمعها لذهنه ،التركيز على موضوع واحد فقط يناقش من جميع جوانبه ، ومثال ذلك (الصلاة) فيبدأ الخطيب ببيان أهميتها وأدلة وجوبها وفضلها وما يترتب على اهمالها وتركها من الوعيد الشديد وبيان حال السلف ومحافظتهم لها وأسباب ذلك وحال الخلف وتفريطهم لها وأسباب ذلك مع الربط دائماً بين الماضي والحاضر والإشارة إلى المنهج الصحيح لإقامتها ، ولا جرم أن المدعوين سيخرجون وقد استفادوا زاداً علميا مركزاً بخلاف لو تحدث الخطيب في مواضيع شتى لا رابط بينها ،فان كثرة الكلام ينسى بعضه بعضاً ويخرج المدعو مكدود الذهن ،مشوش البال ، خالي الوفاض .. كما قيل :

تكاثرت الظباء على خراش

فما يدري خراش ما يصيد

٣ - الخاتمـــه :

الغاية من الخطبة إفادة السامع ونفعه وتحقيق الهدف المحـــدد للخطبة ، فعلى الخطيب أن يلخص خطبته ببراعة واتقان فى جمـــل محدده مرصعة بدليل جامع يبقى غائر الأثر ، عميق الجذور - ينطبـــع فى ذهن المستمع لا يزول .

ب - المحاضـــرة :

وتلقى عادة فى المنتديات العلمية ، والإجتماعات العامة وروحهـــا البحث والإستقصاء ، وتقرير الحقائق العلميه المجرده ودعمها بالادلـة القوية المقنعه ومن هنا يلزم المحاضر ما يلى :

١- الاحاطة باصول البحث العلمى .

٢- العناية بكتابة المحاضرة بلغة سهلة .

٣- محاولة البحث عن الجديد فى موضوعه سواء كان فى معلوماته أو أرائـه أو طريقة معالجته للموضوع وهذا اكثر ما يواجه المحاضر الجاد مـــن صعوبات .

٤- الموائمة بين موضوع المحاضرة والوقت المقدر والمناسب للمدعوين .

جـ - النـدوة :

تقام الندوات لمعالجة موضوعات محدده من مجموعة من الأعضـــاء المتخصصين ، على ضوء أسئلة تقررت سلفاً ، وتدار من قبل أحد أعضائهـا ، يطلق عليه - مدير الندوه - ومن آدابها الإلتزام بالوقت المقرر لكـــل سؤال ، وعدم الإنصياع وراء العاطفة والإسترسال فى الحديث ومهمة مدير

الندوة القاء الاسئلة على أعضاء الندوة وربط الأفكار ببعضها البعض وتلخيصها وإتاحة الفرصة للجميع على قدم المساواة ، ومما يجب التنبيه عليه أن الإلتـــزام بأدب الحوار وإخلاص النيه ،والبعد عن التكلف أمر حيوى للداعيه المسلم لكـي يظهر بشخصية إسلاميه حقيقية،تجلب الاعجاب والقبول بمبادئ الدعوة الاسلامية.

أما محاولة الهيمنة بالحديث والوقت تجعل العضو ممقوتاً من مستمعيـــه من حيث لا يدرى ،خاصة بين الخاصة من المستمعين .

وعند الجواب على الاسئلة ينبغى التركيز على إجابة السؤال المراد دون الدخول فى مواضع شتى .

وفى نهاية الندوة يلخص مديرها بلباقة واختصار ما دار فيها مع تقديـــم الشكر للأعضاء المشاركين والحضور .

د - الدرس :

من معانى مادة درس فى اللغة ما يفيد شدة العمل وكثرته ، ومـــن ذلك اشتق إسم المدرس لكثرة الدرس(١) .

وسمى النبى إدريس عليه السلام لكثرة دراسته لكتاب الله تعالى (٢) .

وبذلك فان الدرس يتصف بالعمق والدقه والتكرار والاعاده ، وربط الحقائق ببعضها ،والمدرس الناجح من يعطى التحضير حظه من الوقت والاطـــلاع الدائم على المصادر والمراجع، ومتابعة ما يستجد من بحوث ودراســات فى موضوع درسه والاستعداد التام للاجابة على جميع التساؤلات وإن ذاكرته

---

(١) ترتيب القاموس حـ ١ ص ١٧٠ .

(٢) مختار الصحاح ص ٢٠٣ .

عسست جواباً، فعليه إرجاء السائل إلى حين ،حتى يتمكن من معرفة الجواب .

المطلب الثاني : الكتابـــة :

سلاح العلم من أخطر الاسلحة قوة وتأثيراً، ورب كلمة مسطورة أحيت أمة مطمورة إوكم من صاحب قلم مغمور أستحوذ اهتمام عصره ،وأثر بحســـن أسلوبه في مجرى الأحداث ، رغم انحرافه الخلقي والعقدي والدعوة مطلقاً تعتمد في خلود مبادئها وأسسها على الكتاب ،ولعلنا نلحظ ذلك فـــي الرسالات السماويه وعلى وجه الخصوص الرسالة الاسلاميه بكتاب محفـــوظ (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١).

والأجيال المتلاحقة لا تجتمع على مائدة فكرية واحدة مالم يجمـــع شتات فكرها ، بكتاب - (والكتابة أخلد على الزمن وأعصى على الفناء)(٢) .

والكتابة الخيره ذات الأهداف السامية النبيلة مقصد الداعية المسلم ومحط نظرته وهي لا تخرج عن الأصناف التاليه :-

أ - الكتب والبحوث العلميه

تقتضي شموليه الدعوة ، أن تتوجه إلى كل الطبقات على إختلاف ثقافتهـــا وتحصيلها العلمي ، فمذوو العمق الفكري ، والإتساع الثقافي الأفقي يناسبهم تأليف الكتب والبحوث العلميه الرصينة المتميزه بالاستقراء والاستقصاء والمناقشـــه وهذا يلزم وجود دعاة على قدر كبير من العلم وبعد الهمه ، وشدة المراس ،وقوة التحمل والصبر على البحث والتنقيب بين تضاعيـف الكتب والموسوعات ،واستيعـــاب

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٤٢ .

(٢) مع الله ص٣٤٠ للشيخ محمد الغزالي .

ثقافة العصر مع التخصص الدقيق فى علم من العلوم يكون فيه مرجعاً موثوقاً ،على أن يحرص باكورة انتاجه على كبار العلماء المتخصصين لتقيمه والإستفادة من توجيهاتهم وتجاربهم فى هذا الميدان .

ب - الرسائل الشخصيه

وهى فن من فنون الكتابه استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوة ملوك عصره ولا يزال العالم برمته باختلاف طبقاته ، يستخدم هذه الوسيلة الحيوية وحياة الداعيه لا تسع طموحاته، ومن ثم فان الرسائل الشخصية تحقق له ماليس تحت قدرته كملاقاة وزيارة كل من يريد .

وفى هذا العصر قامت مؤسسات عامه وخاصة ، لخدمة هذه الوسيلة ، وايصالها الى اهلها بكل آمان ويسر مما يعطى الداعيه فرصة أفضل نحو نجاح وانتشار أوسع .

جـ - المقاله

اكتسحت الصحافة بجاذبيتها إهتمام السواد الاعظم من القراء نظراً لاعتمادها على الأسلوب السهل والإخراج الرائع ، ومن أبرز ملامحها المقاله القصيرة ، وتنافس الصحف والمجلات على استقطاب اكبر عدد ممكن من الكتاب المشهورين للكتابة تحت زوايا ثابته .

وفى خضم تلك المقالات تظهر اتجاهات الكتاب العقدية والفكرية والخلقيه ، وتنعكس تلقائيا على القراء مطبوعه بطابع التاثير المباشر ، مما خلق جواً مفعماً بمكانة الكلمة وخطورتها ، ومن هنا تظهر أهمية الصحافة والمقالة على الوجه الخصوص وضرورتها للدعوة الاسلامية ، ليس من خلال الصفحات الدينية

كما يزعم وإنما بصورة تربط الإسلام بواقع الحياة .

فالقارئ المسلم بحاجة أن يعرف رأى الإسلام ونظرته فى القضايا السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية المعاصرة مثل محادثات نزع السلاح ، والأزمات الإقتصادية والقضايا الإقليمية ، والنشاط الثقافى العالمى .

د - النشـــــرات

تتميز النشرات الإرشادية بصفات قلما تتوفر فى وسيلة غيرها ومن ذلك :

١ - الانتشار السريع .

٢ - سهولة الكلفة المادية .

٣ - سهولة قراءتها .

٤ - الوصول الى أكبر عدد من القراء .

وهذه مواصفات جد هامة ينبغى أن تؤخذ بعين الإعتبار فى هـــذا العصر الذى تكالب الناس على المادة ، وامتلأت أوقات فراغهم بالفـــث والسمين ، ولم يعد لدى الكثيرين منهم الإستعداد الكافى لقراءة الكتـــب والبحوث المطولة مما يستدعى هذا الصف من الناس اعطاء جرعة علمية يقرأهـــا على عجل متمثلة فى رسائل موجزة أو نشرات مختصرة أو ملصقات جذابة ، تسـد شيئاً من الفراغ فى دنيا المسلمين .

المطلب الثالث : التربيـــة :

ان ارسال الكلمة دون مراقبة لتأثيرها ومتابعة لتنميتها، خسارة فادحة للجهد والطاقة ، فالمدعو يجب أن يؤخذ بيديه ، ويتعاهد حتى يصـل إلى درجة يطمئن عليه من الإرتكاس ، وقد كان الرجل يسلم فى عهـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدعه حتى يسلمه إلى أصحابه ليعلموه

ويفقهوه حتى إذا أنس منه قوة إيمان وبصيره أذن له فى الرجوع إلى أهله ، كما كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم (١) نموذجاً فريداً لتربية الصحابة وتعليمهم الإسلام ومن نظر فى حال الرسل الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للدعوه يجد أنهم تجاوزوا مفهوم الداعيه الخاص إلى الداعيه المربى المصلح الإمام القاضى المعلم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى سلك معهم التربية العمليه الجامعه بين الفهم والتطبيق ، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) (٢) .

وتظهر أهمية هذه الوسيلة فى عصرنا الذى عمت فيه الفتن والمغريات والشهوات ، حتى إن الداعيه يخشى عليه إذا اعتزل وناء بنفسه عن إخوانه ، فكيف بالمدعو المبتدئ الذى لم يقو عوده بعد ، وكما هو مشاهد فى بعض خطب الجمعة التى تصبح لها الآذان ، وتتعلق بها الأفئده ، ولكن إذا خرج المصلى وانغمس فى جد الحياه وهزلها زال ما كان عالقاً وعاد إلى سيرته الأولى .

إن جلوس العلماء والدعاة فى بيوتهم واكتفائهم بالقاء الدروس والمحاضرات دون السعى فى تربية الأمة والمشاركة فى أفراحها وأتراحها ، بفتح الباب واسعاً أمام دعاة الفساد والجريمة ويمكن لأعداء الله فى القضاء على ما تبقى من

---

(١) الأرقم بن أبى الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزم المخزومى أسلم سابع سبعه وكانت داره بالصفا ملتقى من أسلم شهد بدراً والمشاهد كلها توفى سنة ٥٥ فى خلافة معاوية وقيل سنة ٥٣ ، الإصابة حـ = ص ٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٣ ورده ابن ماجه باسناد صحيح عن جندب بن عبد الله بلفظ آخر ابن ماجه المقدمه ض باب فى الايمان حديث رقم ٦١ ص ٢٣ .

خير ـ(والسبيل إلى الله مهددة الآن بجحافل الملحدين والفساق تجر العامه جراً إلى الجريمة ، وتطرفهم حرفاً من العباده ، وتزين لهم ألف وسيلة أن يهجروا الايمان والعمل الصالح)ـ (١) وازيد هذا المعنى بيانا : ان الداعيه فى دعوته كالفلاح فى حقله ـ(لا يغنيه أن يلقى البذرة على الأرض ويجلس فى عقر داره مستريحا مسترخيا مكتوف اليدين ، فكذلك لا يغنى الداعى أن يلقى مواعظ ، ويزرع نصائح فى أناس وينام قرير العين ، هادئ البال ، مطمئن الحال ، بل يجب أن يحرص على دعوته التى زرعها حرص الفلاح المخلص على البذور التى ألقاها فى الحقول فيسهر على صيانتها ونباتها فى الأرض ، وامتداد جذورها فى باطنها ، ويعنى بسقيها فى الوقت المناسب ، والحفاظ عليها من حدثان الفضول ، وعوامل الطقوس ، ومن الحشائش الشيطانية)ـ (٢) .

وللداعية أن يختار ما يشاء من الوسائل المؤثره فى هذا السبيل والمناسبة لكل فئة من الناس .

المطلب الرابع : الأنشطة العامة :

ليس بالضرورة ان تكون الدعوة بالكلمة المباشرة فقط ، فان ايجاد بيئة ظاهرة تحيط بالمرء من كل ناحيه ، كفيلة باقناعه وتجنيده ، فى سلك المؤمنين العابدين فبناء المؤسسات الاقتصاديه الاسلامية ، دعوة إلى الاسلام عبر اخطر المؤثرات فى حياة البشر ، حيث يجد المدعو ما يستثمر فيه امواله من خلال انشطة لا شبهة فيها ، ولا تقل أهمية عن هذا استغلال

---

(١) مع الله ص ٣٥ .

(٢) منهج الدعوة الى الله ص ٩٧ لامين اصلاحى .

أوقات الفراغ بمختلف أوجه النشاط الموجه نحو حياة إسلاميه يعطى للجسم والروح حقهما المشروع،وذلك بافتتاح الأنديه والمنتزهات الجامعه لكل خير،البريـه من كل عيب ونقص،ولا ريب أن العناية بتربية النشئ منذ نعومة أظافره من خـــلال روضات الأطفال المبنية على أسس إسلامية خالصة سبيل هام لصلاحه،وفى المجال الإجتماعى ينبغى العناية بتأسيس الجمعيات الخيرية لمساعدة المعوزين والفقراء والراغبين فى الزواج لمساعدتهم فى تحقيق ما يصبون إليه ، كما تؤسـس المستشفيات المتخصصه للرجال والنساء كل على حده،والتى تحوى جميـع التخصصات ليجد المسلم دائماً تشجيعاً وتمكيناً لدعوة الله سبحانه .

ومن الأخطاء العملية الإقتصار على المدن فقط ، بل يجب أن تكون المدن المراكز الرئيسيه تتبعها فروع فى مختلف القرى والأرياف .

وصفوة القول أن الوسائل فى حياتنا المعاصره متعدده ومتجدده ، سخرت فى الغالب الأعم للشهوات والشبهات فجدير بأهل الحق أن يأخذوا بزمـام المبادرة ، ويسخروا تلك الوسائل لدعوة الله سبحانه ، ولا مناص من التعامل مع الواقع وفق ناموس الشرع الذى لا يضيق على من نور الله بصيرته وفقهه فى دينه .

وبناء على علمى القاصر وتجربتى المحدودة ، فانى لا أعلم زمناً أتيـح للدعاة فيه من الوسائل المساعده على تبليغ دعوة الحق وإقامة الحجة على العالمين كما هو فى زمننا هذا ، ولتقريب وجهة النظر هذه ، لننظر إلى الآثار الفادحـة والخطيرة التى ترتبت على نشاط دعاة الشيطان فى المشرق والمغرب بسبـب استخدام الوسائل فى الحياة حتى صيروا المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

* * *

* الفصل الرابع *

((صفات الداعية))

يتحمل الداعية إلى الاسلام أعباء ومسؤوليات جساماً، تتطلب إعداداً مناسباً وتدريباً مدروساً، يأخذ في اعتباره العناية بالأمور المادية والمعنوية في حياة الداعية، حتى يكون أهلاً لحمل الدعوة والتبشير بها على الوجه المطلوب .

إن إحداث التغيير المنشود نحو الإصلاح تتوقف بإذن الله على الداعية المؤهل فكرياً وتربوياً وعملياً وعلمياً، وليس العبرة بكثرة الدعاة فقط، وإن كان مطلوب ذلك شرعاً إلا أن الاهم إيجاد الداعية المؤهل وفق المعايير الشرعيه المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وهذا ما أحاول إبرازه من خلال المباحث التالية :-

* المبحث الاول *

((الصفات الخلقية))

ليس ثمة خلاف في مكانة الأخلاق من الدين ، لكنها في شأن الداعية أمر بالغ الأهمية ، لكونه صاحب دعوة يسعى إلى حمل الناس عليها ، والناس مفطورون على محبة صاحب الخلق الحسن الذي يحسن معاملة الآخرين ، ويبش في وجوههم ويسدي إليهم الوان المعروف بغير من ولا آذى ، وقد كان من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم للدعاة الإهتمام بحسن الخلق، يقول معاذ بن جبل[1] رضي الله عنه =(كان آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت رجلي في

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في الحلال والحرام شهد المشاهد كلها أمره النبي صلى الله عليه وسلم على الإيمان كانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٧هـ .
الإصابة حـ ٣ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

الغرز أن قال : يا معاذ أحسن خلقك للناس)) (١) .

ومن أبرز الأخلاق الحميدة :

المطلب الاول : الاخلاص :

وهو روح العمل وحقيقته ومعناه ـ إرادة تعيين الفعل إلى جهة الله تعالى وحده . والقصد المتعلق بتعيين الفعل إلى جهة الله تعالى هو النيه ـ (٢) كما قال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((إنما الأعمال بالنيات)) (٤) .

يقول الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله :

كلمة ـ إنما ـ للحصر كما تقرر في الاصول وقوله صلى الله عليه وسلم ((الأعمال بالنيات)) لا بد فيه من حذف مضاف فاختلف الفقهاء في تقديره فالذين اشترطوا النية قد روا صحة الأعمال بالنيات أو ما يقاربه .

والذين لم يشترطوا قد روه ـ كمال الأعمال بالنيات ـ وقد رجح القول الأول بأن الصحة أكثر لزوماً من الحقيقة من الكمال ، فالحمل عليها أولى ، لان ما كان

---

(١) الموطأ حـ ٢ ص ٩٢ .

(٢) الأمنية في إدراك النية ص ١٩ .

(٣) سورة البينة آية رقم ٥ .

(٤) رواه البخاري ١/١٣ كتاب الإيمان باب كيف كان بدء الوحي ، مسلم كتاب الإمارة ٣/١٥١٥ - ١٥١٦ باب قوله صلى الله عليه وسلم ((إنما الأعمال بالنيات)) النسائي كتاب الطهارة ١/٥١ ، كتاب الطهاره باب النيه في الوضوء ، ابن ماجة ٢/١٤١٣ كتاب الزهد .

الزم بالشئ كان أقرب إلى خطورته بالبال عند إطلاق اللفظ ،فكان الحمل عليه أولى (١) .

ويؤكد هذا الإختيار تعلقه بحق الله تعالى كما في قوله تعالى : (فاعبد الله مخلصاً له الدين)(٢) والدعوة الى الله عبادة جامعة ، يتوصل إلى تحقيقها بعبادته ايضاً ، فهذا التركيب الجامع لا يتصور اطلاقاً أن يخلو من الإخلاص، ولقد قرر العلماء أن (من أهم شروط الآمر بالمعروف والنهى عن المنكر ان يكون صاحبه مخلصاً في فعله ،طالباً اظهار دين الله واعلاء كلمته واطاعة أمره في بريته ، دون الرياء والسمعه والحمية لنفسه وطبيعته فانما ينصر ويزول به المنكر إذا كان صادقاً في مقام الإخلاص موافقاً قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)(٣).

ومادة الاخلاص : قوة الصلة بالله تعالى وشدة التعلق بمحابه ومرضاته ومشاهدة بره وإحسانه،وفراغ القلب من العوائق والشهوات ،وآية تحقيقه في الدعوة أن لا ينقطع دونها ، ولا يشتغل بغيرها من الأعمال إلا أن يكون عوناً في نجاح دعوته ، ومن آياته قبول الحق والفرح به ولو ظهر على يد غيره ، والحزن أشد الحزن إذا اصيبت الدعوة او احد رجالاتها ،والفرح باجتماع كلمة الدعاة والسعي في تحقيق ذلك ، ومن اياته الإكثار عند الفزع والإقلال عند الطمع .

ان اعظم ما يهدد الدعوة ان تصبح هدفاً مادياً تبتغى ، ويتنافس في

---

(١) أحكام الاحكام شرح عمدة الاحكام حـ ١ ص ٧ - ٨ .
وابن دقيق العيد هو محمد بن على بن وهب أبو الفتح من أكابر العلماء ولد سنة ٦٢٥ وتوفى سنة ٧٠٢ .
انظر : ترجمته في الدرر الكامنه ٤/ ٢١٠ - ٢١٣ .

(٢) سورة الزمر آية رقم ٢ .

(٣) المبين المعين لفهم الأربعين ١٩٣-١٩٤ لملا على القارى والآية من سورة محمد رقم ٧ .

تحصيله ، وعند ذلك ينزع الإخلاص وتخيب الجهود ، ومثال ذلك (الذين يستغلون عواطف السذج والبلهاء ، ويملأون بطونهم وجيبوهم باسم الاسلام ويسخرون الناس لخدمتهم الخاصة ، ومآربهم الشخصية فهم ابعد الناس عن الإسلام ولو دعوا إليه،وهم أكثر اساءة للإسلام ولو جمعوا الناس عليه ،لان احدهم سيكشف وسيعلم الناس أنهم دجالون إبتزوا اموالهم باسم الإسلام ولم يقدموا له خدمة ، وملأوا بطونهم على حساب الإسلام ولم يفعلوا شيئاً ، وحينئذ ينصرف عنهم الناس وعن غيرهم من الدعاة الصادقين المخلصين،بسبب ما قدمه هؤلاء المخادعون عن الإسلام من هذه الصورة المشوهة البشعة)(١) .

وخلاصة القول أن الداعيه الذى يحوزه الإخلاص عقبة كأداء أمام الدعوة ، وبلاء مستطير عليها ، فمن الخير له وللدعوة أن يتنحى جانباً ويدع قافلة الدعوة تسير ، حتى يأنس من نفسه توبة واخلاصاً ثم يستأنف المسير .

المطلب الثانى : الصبر :

الداعى فى دعوته كالمجاهد فى سبيل الله ، يبذل نفسه وماله ووقته فى سبيل نشر هذا الدين ،ويواجه فى مهمته مصاعب شتى ، وصعوبات متعددة ،تحتاج الى همة عاليه ونفس أبيه وعزم صارم وجهاد مستمر والصبر خير زاد وأبلغ معين بعد الله تعالى ، وفى القرآن الكريم شواهد ناطقه على أن الاذى قرين الدعوة كما قال تعالى : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون)(٢)

---

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة ص ١١١ ت د . محمد السيد الوكيل .

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٢ - ٥٣ .

وتلك سنة جارية لكل من نصب نفسه فى مقام الإصلاح والدعوة إلى الخير ومحاربة الفساد ، فإن أعوان الشر وجنود الشيطان له بالمرصاد ، مستخدمين صنوف الأذى المادى والمعنوى .

والدعاة ورثة النبى صلى الله عليه وسلم ومبلغوا شريعته من بعده ، وعليهم الإقتداء به عليه الصلاة والسلام فى الصبر على الإيذاء ، والصبر له مواطن ومواقف تختلف بحسب مقتضى الحال .

فمن الصبر تحمل الأذى وتجرع غصص الألم المباشر الذى يصيب الداعيه فى جسده وماله ، والثبات بشجاعة أمام جميع مظاهر التهديد والإيذاء النفسى والبدنى واحتساب ذلك عند الله عز وجل .

ومن الصبر عدم اليأس والقنوط من معارضة المدعوين وصدهم، وذلك بتوطين النفس على الحلم والأناء مستعيناً بالصبر والصلاة ، كما قال سبحانه :(واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)(١) والنظر فى حياة سادة الدعاة من أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده الذين واجهوا أصناف الأذى ، وفنون التعذيب كما روى البخارى فى صحيحه أنه لما اشتد ايذاء قريش على ضعفاء المؤمنين جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة يقولون : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : ((قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، فيمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٤٥ .

من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون))(١) .

ومن الصبر مدافعة الاغراءات المادية ، ومجانبة حياة الدعة والرفاهيـــة ، وتقديم مصلحة الدعوة على جميع هذه المظاهر الزائفة ، دون الإلتفات إلى تثبيـــط المتخاذلين وتشكيك المرجفين وايحاء الشياطين ، وليجعل الداعية بين عينيه هدفاً محدداً لا يفتأ يسير نحوه حتى يصل أو يهلك دونه .

المطلب الثالث : الكـــرم :

الكرم من الأخلاق الجامعة للخلال والمحاسن الجميلة، تنبئ عن نفـــس نبيلة ذات معدن كريم ، والداعية لا غنى له عن هذه الصفة الكريمة ، لأن الدعوة عطاء بلا من ، وهدايه وصلاح دون إنتظار أجر ، ومن المعلوم من الشرع أن الكرم يرتقي إلى الفريضة في بعض الاحوال ، كما في الحديـــث ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)) (٢) .

وكما هو معروف في سهم المؤلفة قلوبهم الذين فرض الله تعالى لهـــم نصيبا من زكاة عموم المسلمين ، لاكرامهم وجذبهم للدخول في الإسلام أو تثبيتهم عليه وذلك في قوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكيـــن والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين) (٣) الآية .

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم رؤوس القبائل وسراة القوم المـــال الوافر رجاء اسلامهم فعن أنس(٤) رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله

(١) رواه البخاري حـ٣ ص ٥٥ رقم ٣٨٥٢ في المناقب وفي كتاب الاكراه حـ ٤ ص ٢٨٥ رقم ٦٥٤٣ عن خباب رضي الله عنه .

(٢) البخاري مع الفتـــح حـ ١٠ ص ٤٤٥ مسلم بشرح النووي حـ٢ص٠ ٢عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٠ .

(٤) انس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري خادم النبي صلى الله عليه وسلـــم وأحد المكثرين من الرواية قطن البصرة ومات بها سنة ٩٠هـ وقيل ٩١هـ . الاصابة حـ ١ ص ٧١ .

صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أعطاه ، وقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وإن الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (١) ويجب الأخذ بالكرم بمفهومه الواسع لأن الداعيـــه لا يستطيع أن يسع الناس بماله . ولذا فالكرم يندرج تحت مفهومه بذل العلم والحكمة لمن يستحقه وعدم الضـــن بـه . ومن الكرم بذل الجاه بالشفاعـــة الحسنة وخدمة الضعفاء والأرامل واليتامى والزمنى والتواضع ولين الجناح وهذا كله عطاء ثمين ، يقول أنس رضى الله عنه : ﴿ كانت الأمة من اماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتـطلق به حيث شاءت ﴾ (٢) وجملة القول أن احساس الناس بغنى الداعية عنهم وتفضله عليهم مدعاة لقبولهم ومحبتهم إياه ، وقطعاً لداء الشبهـــة حوله وبراءته من حب المغنم وكراهية المغرم ، فالكرم ذو تأثير نفسي يجـــــذب الإعجاب ويقهر النفس ويستل زخيمـــة القلب ، ويجعل من الخصم موافقاً .

المطلب الرابع : الإلتزام بالاسلام :

الداعية إلى الله يمثل الإسلام وموقفه بين الناس يشار له بالبنان ، فالداعية الذى يلوث نفسه بالموبقات ، ثم يدعو ضدها فإنما يوبخ نفسه ، ويرتكب جرائـــم مركبه فى حق الله وفى حق نفسه والآخرين .

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لما تقولون مالا تفعلون كبـــر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (٣) .

---

(١) مسلم رقم ٢٣١٢ فى الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عـن أنس رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى كتاب الادب باب الكبر حـ٤ ص١٠ عن انس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) سورة الصف الآية رقم ٢ ، ٣ .

والشاهد من الآية أن الله سبحانه يمقت من خالف قوله فعله وفي الحديث ((يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون يا فلان ألم يكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال : بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه))(١) .

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الأئمة المضلين فقال : ((إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)) (٢) والضلال يعم القول والعمل ولكونهم أئمة يقتدى بهم كان شرهم أعظم وفتنتهم أكبر .

وقال علي رضي الله عنه : (إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم) (٣) لأن المعرفة النظرية بأصول الاسلام وفروعه دون تطبيق لوازمه لا يورث خشية ولا يسمى مدعيه مؤمناً (ومن هنا فكل فرد أو جماعة إذا كانت تعمل على خلاف ما تدعوا إليه فكأنها توفر الدلائل على بطلان دعوتها ، وترد ها بنفسها ، وبما أن الدليل العملي أقوى من الدليل القولي ، فيكون موقف ذلك الجماعة العملي المضاد لدعوتها دليلاً أكبر وأقوى يغني في رد ها وابطالها من كل دليل آخر)(٤) .

وقد كان انتشار الاسلام يعود إلى أسباب عدة من أهمها :

---

(١) انظر : تخريجه ص ٢١٩ .

(٢) أحمد حـ ٥ ص ٢٧٨ ، الدارمي كتاب الرقائق حـ ٢ ص ٣١١ عن ثوبان رضي الله عنه .

(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٢ للماوردي .

(٤) منهج الدعوة إلى الله ص ٢٦ لأمين إصلاحي .

تطبيق الصحابة رضى الله عنهم الاسلام فى خاصة نفوسهم، حتى شاهد الناس حقيقة الإسلام، فأحبوه طوعاً لا كرهاً، ولا غرو فقد ظهرت عليهم (علامات الخير فى السيما والسمت والهدى وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، ومشاهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستفادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، واعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، وتحلت أجسادهم، واستخفوا سخط المخلوقين لرضى الخالق، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استغزر منهم، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤونتهم)(١) وكل صفة من هذه الصفات تابعه من آداب الاسلام وأخلاقه ولو أردنا استقصاء أدلتها لطال بنا المقام، ولكن المهم أنه (لما رأى النصارى الصحابه وما هم عليه، آمن أكثرهم اختيارا وطوعاً، وقالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء)(٢) وصفوة القول أن الداعيه مطالب أن يكون ربانياً كما قال ابن عباس رحمه الله عنهما كونوا ربانيين علماء فقهاء ويقال أن الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره(٣) ومن أبرز صفات الربانى الخشية والخوف من الله تعالى ويعدها العلماء رأس العلم كما قال ابن مسعود رضى الله عنه (رأس الحكمة مخافة الله)(٤).

---

(١) حلية الأولياء حـ ٢ ص ١٥٠ من كلام الحسن البصرى رحمه الله.

(٢) اغاثة اللهفان حـ ٢ ص ٤١٦.

(٣) البخارى مع الفتح حـ ١ ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) فيض القدير حـ ٣ ص ٥٧٤ للمناوى.

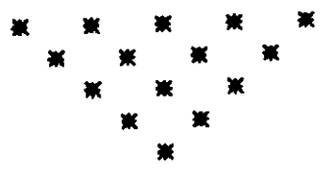

* المبحث الثاني *

((الذخيره العلمية))

الدعوة الاسلامية دعوة ربانيه ، مبنية على أصول وأسس علميه ،لا سبيل لمعرفتها وتبليغها إلا بالعلم والولوج من بابه ،والعكوف في محرابه ،ولا تقل أهمية تلقي العلم وتحصيله بالوسيلة النافعة عن أهمية العلم نفسه فأخذ العلم عن أهله ومزاحمة العلماء بالركب هو منهج سلفنا الصالح ، أما الاعتماد على القرطاس والصحيفة قبل التأهيل الكافي ، يؤدي حتماً إلى أخطاء فادحه تحيد بالدعوة إلى الشذوذ والانحراف . ولا يعارض ذلك كثرة القراءة وادمانها لكنها تكون لاحقة لا سابقة لمرحلة التأسيس الآنفة الذكر .

ويمكن تقسيم العلوم الواجب توفرها في الداعيه إلى قسمين منها الواجب وهي :

المطلب الاول : العلوم الشرعية :

العلم الشرعي هو لب الدعوه وعليه يدور فلكها ، ومن ثم فإن الداعيه مطالب أن يباشر دراسة العلم الشرعي ويلم بكباره وصغاره ،ما بقي فيه رمق ، إقتداء بسلفنا الصالح الذين أفنوا أعمارهم في طلب العلم والرحلة في طلبه ، ومن الواجب البدء باستيعاب أصوله ثم العطف على فروعه على النحو التالي :

١- القرآن الكريم وذلك بتلقيه من أفواه الشيوخ واستظهاره قدر الأمكان ومعرفة تفسيره وناسخه ومنسوخه ،ومحكمه ومتشابهه وأسباب نزوله ووجوه قراءته .

٢ - السنـــه :

وتشمل دراسة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم بدقه واستنباط الدروس والعبر والأحكام والآداب وحفظ أحاديث الأحكام والرقائق من مصادرهـــا الصحيحه ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ .

٣ - العقيدة الصحيحه :

وهى أعظم مراتب التكليف ،فمعرفتها فريضة واجبه وحصن حصيـــــن للداعية حتى لا يقع فريسة المذاهب والاراء المنحرفة وهى داخلة فـــــى دراسة الكتاب والسنه فضلاً عن كتب العقيدة الصحيحه التى ألفها أئمـــة السلف والخلف رحمهم الله .

٤ - علوم الآلـه :

من المعلوم أن ما لا يتم الواجب إلابه فهو واجب ومحال فهم الشريعـــة دون التضلـع فى علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والإشتقاق وسائر علوم البيان لأن اللغة العربيه وعاء القرآن والسنة ، ويمثل علم اصول الفقـــه الطريق الأوحد لمعرفة وجوه الاستدلال والإستنباط ،ويعين الداعيه على استحضار الرأى الصائب باذن (الله) ويرتبط التاريخ الإسلامى بقضايا هامة كمسئلة الإمامة والخلافة ، وأسباب نشوء الفرق ومقولاتها وعوامـل قوة الأمة وضعفها وكل ذلك يحتاجه الداعيه لتوظيفه فى خدمة الدعوة الإسلامية .

الثانية: الثقافة العامـه :

الداعيه الحق يعيش مع عالمه ،ويعالج مشاكل واقعه ،ويتابـــــع

ما يستجد من أحداث وتطورات ويرصد بدقه مظاهر التغيير فى مجتمعه ، ويطل من نافذة المعرفة على العالم الكبير ، تلك المعرفة المختلفة التى تشكل فى مجموعها فهماً واقعياً ووعيا اصيلاً ومن أبرز هذه المعرفة :

١ - التاريخ البشرى :

فقدورد الامر الربانى بدراسة تاريخ الأمم الماضية وأخذ العبره والعظة كما قال تعالى : (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (١) وهذا ما يطلق عليه العلماء بالقصص القرآنى ، وفيه من العبر والعظات ما يحيى الأمم العاقله ، والأمر بأخذ العبره والعظه من دراسته يشمل التاريخ برمته ، فالتاريخ سجل خالد ، وربط الماضى بالحاضر ضرورى عند أهل النظر خاصة إذا أدركنا أن الحياة المعاصره قد أسست على نظريات مفسرة للتاريخ ، ومن لم يدرس تلك النظريات يفتقد إلى سر تلك النظم المعاصره وتأثرها وارتباطها ببعض .

٢ - العلوم الإنسانيه :

العقل البشرى منذ القدم تفتق عن اجتهادات وأفكار توارثها الأحفاد عن الاجداد حتى وصلت إلى مستوى من النضج الفكرى ، وقد أمتدت الأفكار إلى مظاهر الحياة المعاصره وغزت بلادنا الإسلامية وفيها من الإلحاد والزندقه مالا يقف عند حصر ، وتقتضى المصلحة الشرعية دراسة تلك العلوم وسبر غورها وتحذير المسلمين من شرها ، لأن لهذه العلوم فى كثير من الأحيان رشحات ضاره على الثقافه المعاصره ، وسموماً تنفثها فى

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٣٧ .

شتى المجالات ، لا يكاد يسلم منها كتاب أو مجلة أو صحيفة أو إذاعة أو غيرها ، ومن لم يعرف مصادر هذه الرشحات والسموم لم يستطع أن يقاومها بأسلوب علمي رصين بل لعلها في بعض الأحيان تتسلل إلى نفسه وتؤثر في فكره ، وقلبه ولسانه ، وهو لا يدري لهذا قيل بعرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه) (١) .

ومن الانصاف أن نتائج بعض هذه لا غبار عليه ، ويمكن الاستفادة منه لكونها تخضع لضرب من التجربة والاستقراء الظاهر مثل تفسير بعض الملامح الجسدية وعلاقته بالأمراض النفسية والعصبية .

٣ - النظم :

يسيطر على العالم المعاصر نظم سياسية واقتصادية تسير دفته ، وتضفي بظلالها على مظاهر الحياة الأخرى ومن أهم تلك النظم الوضعية : الرأسمالية والشيوعية بفروعهما المختلفة ، وهما نظريتان عالميتان تحكمان أجزاء كبيرة من العالم ، وأصاب كثيراً من أقطار العالم الإسلامي من شؤم هذين النظامين الظالمين ، حتى وقع بعض الكتاب ورجال الأدب والصحافة أسرى هذه النظم بل ودعاة متحمسين ، وترتب على نشاطهم فساد عريض ولا شك أن إنقاذ العالم عامة والمسلمين خاصة من بلاء هذه الأنظمة مسؤولية أهل الإسلام بالمقام الأول ، فاقتضى الأمر دراسة هذه النظم وخاصة من قبل الدعاة النابهين . واعلم أن دراسة هذه العلوم الانسانية تختلف من شخص إلى آخر فإنها في حق الفقيه الدارس لأحكام التأمين فرض لازم حتى يعرف أحكام التأمين المعاصر فيبين حكم الله فيه ، أما في حق الدعاة

---

(١) ثقافة الداعية ص ١٠٧ ت د . يوسف القرضاوي .

فهو فرض كفاية) وجملة القول أن الداعية لا تخصص له على التحقيق لكونه قد تصدى لوظيفة جامعة لعلوم شتى فيلزمه أن يأخذ من كل علم بسهم .

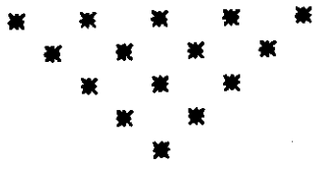

* المبحث الثالث *

((الصفات العمليه))

الدعوة إلى الله لا يحملها الحمقى والمغفلون ، وانما يختار لها نماذج ممتازة أسوة بانبياء الله ورسوله ، الذين اتصفوا بخلال الجمال والكمال الانسانى ، كالفطنة والعفه ، والشجاعة وغيرها من محاسن الاخلاق المتصله بالعمل المباشر ، ولتأكيد هذا المعنى أشير إلى أهم الصفات الضرورية ذات الطابع العملى وهى :

١- الموهبه .

٢- الكفاءة .

٣- الخبرة .

المطلب الأول : الموهبة :

ليس من شك فى وجود فوارق فطرية بين الناس تميز بعضهم عن بعض ، وتفضل بعضهم على بعض ، ولعل من ابرزها الموهبه الفطريه التى يهبها الله من يشاء من عباده ، فيرى على صاحبها هخايل النجابة ، وتجمعها ثلاث صفات هى : القوة ، والوفرة ، والذكاء ، والمراد بالقوة شدة العمل وجدته وبالوفرة كثرة الوسائل وخصوبتها وبالذكاء الطريقة الرشيدة لتطبيق الوسائل (١) .

وجاءت الاحاديث النبوية مؤيده لهذا الوصف كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ

---

(١) الرسالة المجلد الأول ص ١ أحمد حسن الزيات .

فلا تقل ،لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) (١) .

وجاء وصف القوة بالإيمان ، وبها تحمد خاصة عند تطبيق شرع الله والسعى فى نشره ونلحظ التنويه بتطبيق القوة فى أخذ الشريعة كما فى قوله تعالى :

(وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين) (٢) .

ولا يقصد بها العنف والقسوة ،وانما الجد والنشاط وقوة العزيمة .

وتاريخ الدعوة إلى الله حافل بتصميم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فى تبليغ شرع الله تعالى دون كلل أو ملل ، ولا ريب أن الدعاة إلى الله مدعوون إلى الاقتداء بالرسل عليهم الصلاة والسلام ،فالدعوة بحاجة إلى رجل متعدد المواهب ، مصطبغاً بآداب الشريعة وهذا ما جمعه سادة الدعاة الأصفياء إذ جمع الله لهم من المواهب الفطريه والمواهب الكسبيه من الاصطفاء والاهتداء. وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى، فعند سؤاله عن خير الناس وأفضلهم فقال : ((أفعن معادن العرب تسألونى ؟!! قالوا : نعم قال : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا)) (٣) .

---

(١) مسلم كتاب القدر رقم ٢٦٦٤ باب فى الامر بالقوة وترك العجز عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٥ .

(٣) البخارى كتاب الانبياء حـ٢ ص ٤٦٠ ، ومسلم كتاب الفضائل رقم ٢٣٧٨ أحمد حـ٢ ص ٤١ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

المطلب الثاني : الخبـــرة :

التعرف على البيئة اجمالاً ، وعلى المدعو خصوصاً، اساس هام لنجـاح الدعوة ، فمعرفة الواقع ودراسته ، يكشف عن كثير من الثغرات التي ينفـذ من خلالها الداعيه إلى تحقيق هدفه بلطف دون ضجيج ، وتتفاوت درجات نجاح الدعاة بمدى تمكنهم من دراسة عادات وتقاليد من يدعون ، وفـي السيرة النبوية شواهد ناطقه على هذا، ففي صلح الحديبيه توالت السفارة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش وكان منهم الحليس بن علقمه وكان يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه)) فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، وقد أكل اوباره مـن طول الحبس عن محلة ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلـى الله عليه وسلم اعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك ،فقالوا له : أجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك ، فغضب عند ذلك ،وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً؟(١) .

أما الشاهد الثاني ففي فتح مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من دخل دار ابي سفيان فهو آمن)) (٢) .

---

(١) البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد حـ ٢ ص ٢٧٩ مسند أحمد حـ ٤ ص ٣٢٤ عن المسور بن مخرمه رضي الله عنه .
أوباره : اي صوفه .

(٢) مسند أحمد حـ ٢ ص ٢٩٢ والنسائي حـ ٥ ص ١٠٥ أبو داود حـ ٣ ص ٥٩ عن ابي هريرة رضي الله عنه وأبو سفيان صخر بن حرب القرشي الامـوي

وقد ترتب على هاتين الحادثتين تحولات هامه لمصلحة الدعوة ففي الأولى تخلخلت صفوف قريش وتزعزع الرأى العام القرشي، وفي الثانية أسلم رأس قريش وحسن إسلامه وأصبح أحد مناصري الدعوة بعد أن كان أحد ألد أعدائها .

ولا ينبغي للداعيه أن يكون أخرق لا يحسن أداء ما أسند إليه من مسؤوليات بل الواجب أن يكون له من الخبرة والدراية ما يميز الأخرين ومن هنا نجد أن يوسف عليه السلام قد سخر ما وهبه الله من خبرة وعلم ودرايه للدعوة إلى الله .

قال تعالى حكاية عنه : (قال اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم)[1] .

وهكذا تتجلى أهمية الخبرة ودورها في نجاح الدعوة في كل النواحي النظرية والعملية .

المطلب الثاني : الكفاءة :

الداعيه إلى الله رأس في الناس ، وموقعه في الأمة قيادي ، ومن لم يكن قادراً على سوق الناس إلى دعايته، فليس لله حاجة في قيام منه وقعود ، ولا يعني ذلك على الإطلاق كفالة هدايه قلوب الناس ، وإنما القصد إقامة الحجة وسوق البرهان بما لا يدع لمرتاب سبيلاً ، وهذه مهمة تقتضي كفاءة معتبره ينضوي تحت شمولها الأكفاء القادرون ، ليتميز الأمين من الخائن

= اسلم عام الفتح وشهد حنينا والطائف ، توفي في خلافة عثمان سنة ٣٤ هـ وقيل ٣١ وقيل ٣٢ هـ .
الاصابة حـ ٢ ص ١٨٠ .

(١) سورة يوسف آية رقم ٥٥ .

والصادق من الكاذب.وجاءت أوامر الشرع الحنيف بالعناية الفائقة برعاية الأكفاء والأمناء ، وحذرت من مغبة تولية الخونة والضعفاء وقد سئل رجل النبى صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة ، ومتى تقوم كما معلوم على شرار الخلق قال عليه الصلاة والسلام : ((إذا ضيعت الامانه فانتظر الساعة)) قال : كيف إضاعتها يارسول ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)) (١) .

فتولى غير الأكفاء إيذان بضياع الدين كله ،لأن الأمانة شاملة للدين كما قال الإمام القرطبى : (الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال)(٢) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم حريصاً على اختيار الأمناء الأكفاء فقد قال لأهل نجران ((لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين فأشرف على اصحابه ، فبعث أبا عبيدة رضى الله عنه)) (٣) .

ونجد فى السنة بياناً واضحاً بالتنويه بذوى الكفاءة وتقديمهم على من سواهم كما فى الحديث ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ،فان كانوا فى القراءة سواء فاعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجره ، فان كانوا فى الهجرة سواء فأكبرهم سناً ، ولا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ، ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه)) (٤) .

---

(١) البخارى كتاب الرقائق حـ ٤ ص ١٩٠ عن أبى هريره رضى الله عنه .
(٢) الجامع لأحكام القرآن حـ ١٤ ص ٢٥٣ .
(٣) البخارى فضائل الصحابة حـ ٣ ص ٣١ ابن ماجة المقدمة ١١ ،أحمد حـ١ص٤١٤ .
(٤) مسلم كتاب المساجد رقم ٦٧٣ ،النسائى حـ ٢ ص ٧٦ - ٧٧ ،ابن ماجه حـ ١ ص ٣١٣ - ٣١٤ عن ابن مسعود الأنصارى رضى الله عنه .

والدعوة إلى الله من أعلى مراتب الدين، ومن أخطر الوظائف أهمية فيجب أن يتولاها الكفء الأصلح ، وبهذا يتبين ان صفات الداعيه ليست منحصرة في الناحية العلمية فحسب ، وإنما تشمل جميع الصفات الجميلة التي حسنها الشرع الصحيح والعقل الصريح .

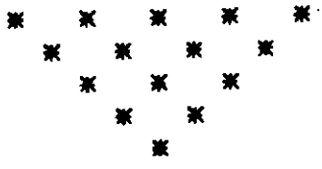

الباب الثانی

ضرورات الدعوة

* الباب الثاني *

((ضرورات الدعوة))

لا جرم أن الدعوة إلى الله لها مكانتها السامقه لدى جمهرة المسلمين ، بيد أن بعضهم يذهل عن هذه الحقيقة ، لعلل وأسباب شتى ليس هذا مجال ايرادها ، وغايتي في هذا الباب أن ألم الشتات وأجمع الشعث من الأدلة المتفرقة التي تبرز أهمية الدعوة ، من خلال الفصول التاليه :-

* الفصل الأول *

((الضرورة الشرعية))

تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة مؤكدة أهمية الدعوة ، وليس القصد بيان حكم وجوبها ، فهذا قد سبق بيانه في الباب الأول ، ولنما المقصود لفت انتباه المسلمين إلى أن الشرع الحنيف قد أعطى الدعوة مكانة عالية وأهمية بالغة ، ينبغي مقابلتها عملياً باهتمام مماثل ، حتى تصبح الامة قاطبة حاملة لواء الدعوة ، مجندة كامل طاقتها لخدمتها والذود عنها ونشرها ، لكونها ضرورة شرعية لا محيد عنها ، كما يتبين من المباحث التالية :

* المبحث الأول *

عالمية الدعوة :

إن الناظر في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يجد في البرهنة على عالمية الدعوة الاسلامية وضرورة نشرها في العالم أجمع عنتاً بذكر ومن الدلالة على ذلك قوله عز وجل : (قل لا أسألكم عليه أجراً ان هو إلا ذكرى

للعالمين)(١) .

قال الامام الألوسى رحمه الله :

ـ(إستدل بهذه الآية على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم)ـ(٢) .

ومنطوق الآية يدل على هذا من جهتين :ـ

أولهما : وصف العالمين والمراد به كل ما سوى الله تعالى .

وثانيهما: كلمة " ذكرى " وتلك وظيفة الرسالة المحمدية .

إذن : فالكلمتان متلازمتان وصفاً ومعنى فصح هذا الإستدلال.ويقول تعالى : (وما نسألهم عليه من أجر إن هو الا ذكر للعالمين)(٣) ،فالآية الكريمه تؤكد مهمة الرسالة المحمدية وتوجيهاتها نحو دعوة العالمين بدون استثناء ، كل ذلك ابتغاء مرضات الله عز وجل ، لا سعياً وراء جعل أو جاه أو مغنم مادي أو معنوى ، وبذلك نزل القرآن الذى " ما هو الا تذكير وعظة من الله تعالى للعالمين كافة "(٤) .

ويقول تعالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً)(٥) .

قال الامام الرازى رحمة الله فى إستدلاله بالآية على عموم الرسالة المحمدية فيه وجهان :

أحدهما : كافة أى ارساله كافة أى عامة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الإنقياد لها .

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٩٠ .
(٢) روح المعانى حـ٧ ص ٢١٨ .
(٣) سورة يوسف آية رقم ١٠٤ .
(٤) روح المعاني حـ ١٣ ص ٦٤ .
(٥) سورة سبأ آية رقم ٢٨ .

الثاني : كافة أي أرسلناك كافة تكف الناس من الكفر والهاء للمبالغة على هذا الوجه ، بشيراً أي تحثهم بالوعد ، " ونذيراً " أي تزجرهم بالوعيد ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون لا لخفائه ولكن لغفلتهم ﴾(١) .

قلت : ووجه الاستدلال أن قوله:(كافة الناس)معناه أن الرسالة الإسلامية شاملة لعموم الناس لا يسع أحداً الخروج من شمولها .

ويؤكده قوله تعالى : ﴿ قل يايها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾(٢) .

ومعنى الكلام : ﴿ قل يا محمد للناس كلهم اني رسول الله اليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً الى بعض الناس دون البعض ، فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالتي ليست إلي بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم ﴾(٣) .

وعلى مدار كلمتي الناس ، والعالمين ورد خطاب عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما أطبقت عليه كلمات المفسرين(٤) أما السنة فقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تنص على هذا المعنى بأبلغ عبارة ، وبمختلف الوسائل والأساليب القولية والفعلية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ((فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الارض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون))(٥)

---

(١) تفسير الفخر الرازي حـ ٢٥ ص ٢٥٨ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٥٨ .

(٣) تفسير ابن جرير حـ ١٣ ص ١٧ ت : أحمد شاكر .

(٤) انظر على سبيل المثال ابن كثير حـ ٣ ص ٣٠٨ ، الفخر الرازي حـ ١٥ ص ٢٨ فتح القدير حـ ٤ ص ٦٠ .

(٥) تقدم تخريجه : ص ٣٦ .

والمراد بالخلق الثقلان وبهذا تكون هذه الرواية " أصح الروايات في ذلك وأشملها "(١) .

ويقول عليه الصلاة والسلام ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))(٢) .

وفي السيرة العملية : نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا أهل الأرض وذلك بإرسال الوفود شرقاً وغرباً تحمل رسائل الدعوة وبالتحديد في السنة السادسة من الهجرة (٣) .

وباشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد بنفسه لإزالة العوائق أمام الدعوة ابتداء من رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة وكان آخرها جيش أسامة رضي الله عنه(٤) ، ثم حمل الراية من بعده الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من ولاة المسلمين الصالحين ، كل ذلك تأكيد على ضرورة تبليغ الدعوة وتقديم النفس والمال والجهد في سبيل نشرها .

---

(١) فتح الباري حـ ٥ ص ٤٣٩ .

(٢) مسلم كتاب الإيمان حـ ١ ص ١٣٤ رقم ١٥٣ وابن منده بسنده كتاب التوحيد المجلد الأول ص ٣١٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سيرة ابن هشام حـ ٤ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٤) أسامة بن زيد بن حارثه بن شراحبيل بن عبد العزى يكنى أبا محمد وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم حب رسول الله وابن حبه توفي في أواخر خلافة معاوية سنة ٥٤هـ .
الإصابة حـ ١ ص ٣١ .

* * *

* المبحث الثاني *

((الآثار المترتبة على ترك الدعوة))

هناك نتائج ثابته ، ومقاييس محدده لا تقبل الجدل والتأويل ، يدركها أولو الالباب من فقه السنن الالهيه ، وفى الكتاب الكريم والسنة الشريفه يجد فيهما الباحث ماهيه الوعيد الشديد،الذى أعد الله تعالى لمن أهمل واجب الدعوة ، وركن الى السلبيه ولو كان فى خويصة نفسه صالحاً ، ويمكن إجمال تلك الآثار فيما يلى :-

المطلب الأول : حلول الفتن ونزول النقم :

حذر الله تعالى من مغبة مخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)(١) .

فمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ،تمكين للباطل وحزبه ليفسدوا فى الأرض ، ويومها تحل الرذيله مكان الفضيلة ، وتختل الموازين ،وتضطرب القيم فيحق العذاب لتطهير الأرض من الفساد .

يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عند تفسير هذه الآية :-(أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بعذاب)(٢) وفى الحديث عن زينب(٣) بنت جحش رضى الله عنها ما يؤكد هذا المعنى قالت قلت يارسول

---

(١) سورة النور آية رقم ٦٣ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ٢٩٩ .

(٣) زينب بنت جحش الاسديه أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وقيل سنة خمس ونزلت بسببها الحجاب وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثه وفيها نزلت (فلما قضى منها زيد وطرا زوجناكها) توفت سنة ٢ هـ ، الإصابة حـ ٤ ص ٣١٤ .

أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : ((نعم إذا كثر الخبث)) (١) والخبث على الرأى الراجح " المعاصى مطلقاً " (٢) .

فمحاربة الباطل وزجره ضرورة شرعيه ،والتساهل فى ذلك يعرض الحياة برمتها الى هزات عنيفة لا تحمد عقباها ، ولا يتم ذلك إلا بالدعوة إلى الله كما فى الحديث (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان يتركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (٣) .

وهذا تصوير بليغ يتسم بالواقعيه الرصينه، والوصف الدقيق لمداخل النفس البشرية المؤمنة، وما يعتريها من خوف وإشفاق يقض مضجعها عبث السفهاء من بنى جنسها ، متعللين بالنوايا السيئة ،والأسباب المنحرفة ،فهى بين أمرين : اما أن تمضى راشدة مجاهدة أمام عناصر الهدم والتدمير، أو تتقهقر مهزومة مهضومة الجناح ، مكسوفة البال ، مستباحة الحرم ، تجر على نفسها ويلات العذاب والهلاك وفى الحديث يقول عليه الصلاة والسلام : ((إذا رأيتم أمتى تهاب الظالم ، أن تقول له :أنك أنت ظالم ،فقد تودع منها)) (٤) .

---

(١) البخارى كتاب الفتن حـ٤ ص ٣١٤ ، ومسلم ٤/٢٢٠٧ كتاب الفتن .

(٢) مسلم بشرح النووى حـ ١٨ ص ٣ .

(٣) البخارى كتاب الشركة ٢/٢٠٥ - ٢٠٦ وأحمد فى المسند حـ ٤ ص ٢٦٨ ٢٦٩ والترمذى بشرح التحفة حـ ٦ ص ٣٩٤ عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

(٤) رواه أحمد فى المسند حـ٢ ص ١٦٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه.

ومن أجل ذلك أزال الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه الفهم المغلوط تجاه الأمر والنهى عند بعض الناس إذ يقول : (يايها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية (يايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) الآية وإنكم تضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ((إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه أوشك أن يعمهم بعقابه)) (١) فلم يعد بعد هذا البيان مخرج لمتأول أو معتذر ، فان من علامات الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم لزوم هديه وذلك بالدعوة إلى دين الله تبارك وتعالى .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من نبى بعثه فى أمة قبلى ، الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل)) (٢) .

والحديث يصنف الأمة الى أصناف ، فمنهم المصطفون الأخيار المؤمنون المتابعون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، ومنهم التاركون لفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذين حادوا عن سبيل الله بابتداعهم فى الدين

---

(١) سنن الترمذى كتاب الفتن حـ ٤ ص ٤٦٧ رقم ٢١٦٨ واحمد فى المسند ١/ ٥ واللفظ له عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والآية الكريمه من سورة المائدة آية رقم ١٠٥

(٢) مسلم كتاب الايمان حـ ١ ص ٧٠ -٧١ رقم ٥٠ وأحمد ١/ ٤٥٨ عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه .

أو بتركهم الدين وإهمالهم له فاستوجبوا المحاربه حتى يرجعوا إلى الحق ، ومن الأحاديث المنذره بالعذاب قوله صلى الله عليه وسلم : ((والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)) (١) .

والحديث ينص على أن سبب الهلاك والدمار ترك الأمر والنهى فالنبى صلى الله عليه وسلم : ((يقسم أن أحد الأمرين واقع اما الأمر والنهى منكم ، واما بانزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له فى دفعه عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهى لم يكن عذاباً ، وان لم يكونا كائن عذاب عظيم)) (٢) .

فالبرية تعذب فى دنياها بسبب ما جنت يداها، وتلك سنة الهيه اخبر الله عنها فى كتابه قال تعالى :

(فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (٣) .

وصائر بالأمة الاسلامية ماحل بمن قبلها من الأمم الغابرة إلا أنها لا تستأصل بعامة ومصداق ذلك ما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم من وقوع

---

(١) سنن الترمذى ٤/٤٦٨ ، كتاب الفتن واللفظ له رقم ٢١٦٩ .
ورواه أحمد فى المسند حـ ٥ ص ٢٨٨ عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

(٢) الفتح الربانى حـ ١٩ / ١٧٣ .

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٤٠ .

العذاب في الأمة بسبب ذنوبها كما في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((يا معشر المهاجرين خمس إذا أبتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم يكن في اسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ، ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله وليتخيروا (١) فيما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم)) (٢) .

والحديث الشريف معجزة ظاهرة ، وآية بينة على خطورة التهاون في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ أن المنكرات تنتشر وتظهر في غياب فريضة الأمر والنهي ، فالامن والأمان في كل زمان ومكان ، معلق دائماً على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى قدر تطبيقها يحصل للبلاد والعباد نصيبهم من الأمن والأمان في الدنيا والآخرة ، وتلك سنة الهية ثابتة .

المطلب الثاني : استحقاق اللعن :

من النتائج المرتبة لترك الدعوة وإهمال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لزوم اللعنة لأولئك التاركين لما أوجب الله تبارك وتعالى عليهم من دفع

---

(١) يتخيروا : أي يطلبوا الخير ، أي مالم يطلبوا الخير والسعادة مما أنزل الله . سلسلة الأحاديث الصحيحة حـ ١ ص ٩ .

(٢) رواه ابن ماجه ٣/ ١٣٣٥ وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٣٣-٣٣٤ ، والحاكم ٤/ ٥٤٠ ، وانظر : صحيح الجامع الصغير حـ ٦ ص ٣٠٦ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

الباطل وإزهاقه ، ونصرة الحق وإنجاحه ، يقول تعالى عن هؤلاء ومن سار على منهجهم (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)(١).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ماتصنع ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قرأ قوله تعالى : (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل الآيه)

ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم)) (٢) .

ولجنس هذا الوعيد وجه آخر في كتاب الله كما قال تعالى ج(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (٣) .

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٨.
(٢) سنن أبي داود كتاب الملاحم حـ ٤ ص ٥٠٨ رقم ٤٣٣٦ باب الأمر والنهي .
(٣) سنن الترمذي كتاب التفسير حـ ٥ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ رقم ٣٠٤٧، ٣٠٤٨ باب تفسير سورة المائدة وابن ماجه رقم ٤٠٠٦ في الفتن عن عبد الله ابن مسعود وأبي عبيده رضي الله عنهما .
(٤) سورة البقرة آية رقم ١٥٩ - ١٦٠

قال الامام ابن كثير : ﴿ هذا وعيد شديد لمن كتم ماجاءت به الرسل من الدلالات البينه على المقاصد الصحيحه والهدى النافع للقلوب من بعد بينه الله تعالى فى كتبه التى أنزلها على رسله ﴾ (١) .

ولا خروج من هذا الوعيد إلا بفعل ما يستوجب نقيضه من بذل العلم واقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكل ذلك داخل تحت معنى الدعوة الى الله .

يقول على رضى الله عنه ﴿ يايها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصى ولم ينههم الربانيون والاحبار فلما تمادوا فى المعاصى أخذتهم العقوبات ، فمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم ﴾(٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٠ .
وابن كثير هو أسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصروى ثم الدمشقى أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه ولد فى قرية من أعمال بصرى الشام وتوفى بدمشق .
انظر : الأعلام حـ ١ ص ٢٢٠ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ٧٤ .

* * * * *
* * * * *
* * * *
* * *
*

* المبحث الثالث *

((الآثار المترتبه على إقامة الدعوة))

قد عرفنا فيما سبق على وجه الإيجاز الآثار المترتبه على ترك الدعوة ولكى تستكمل حلقة البحث وتتضح معالم الضرورة الشرعية ، أعطف ببيان جانب من تلك الضرورة ، لعله يشحذ الهمم ويحفز العزم نحو إنطلاقه دعويه جادة تشرئب لها أعناق الذين يرجون لقاء الله ، وهى آثار تتصل بالحياة الدنيا والآخرة وبيان ذلك فى الفقرات التاليه :-

المطلب الأول : النجاة من العذاب :

ثبت بالأدلة الشرعية أن العذاب إذا نزل بأرض قوم استأصل شأفتهم ولم يدع منهم شاردة ولا واردة إلا القوم الصالحين الذين صلحوا فى أنفسهم وسعوا فى إصلاح غيرهم كما قال تعالى : (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلاً ممن أنجينا منهم وأتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)(١) وفى الآية الكريمة إشارة إلى سنة من سنن الله فى حياة الامم ، فان الفساد متى عم وغلب ولم يجد من يدفعه ويرده " فان سنة الله تحق إما بهلاك الاستئصال واما بهلاك الإنحلال والاختلال فأصحاب الدعوة إلى توحيد الله وتطهير الأرض من الفساد هم صمام الامان للامم والشعوب "(٢) .

ولنأخذ نموذجاً واقعياً ، يكشف عن كيفية نجاة الذين ينهون عن السوء

---

(١) سورة هود آية ١١٦ - ١١٧ .

(٢) فى ظلال القرآن حـ ٤ ص ١٩٣٣ باختصار وتصرف يسير .

كما فى قوله تعالى : (وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)(١).

والمراد بالآيات الكريمة ما حكاه الله تعالى عن أمة من بنى إسرائيل حرم الله عليهم صيد البحر يوم سبتهم وهو اليوم الذى أمروا بتخصيصه للعباد والتعظيم ولكنهم نكثوا العهد وأمعنوا فى العصيان ، وابتلاهم الله بكثافة السمك يوم السبت ، فانساقوا وراء غيهم وشهواتهم ، واحتالوا على صيده ، فقام المصلحون بواجب الانكار ولزوم الانقياد لأمر الله وتوقفت طائفة أخرى وقالت " لم تعظون قوما مهلكهم أو معذبهم " فقالت الطائفة الناهية " معذرة إلى ربكم ولعلهم يرجعون " .

فانقسمت القرية إلى ثلاث طوائف :

١- الطائفة الاولى : الباغيه المعتدية .

٢- الطائفة الثانية : المتوقفه عن الإنكار والصالحه فى نفسها .

٣- الطائفة الثالثة : الصالحه فى نفسها المصلحه لغيرها وذلك بالإنكار على الطائفة الاولى والطائفة الثانية التى جنحت إلى السكوت ولاذت بالصمت .

فكانت النتيجة هلاك المخالفين ومسخهم قردة كما قال تعالى : (فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)(٢) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٦٣ ، ١٦٥ .
(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٦٦ .

ونجاة الناهين كما قال تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء) .

واختلف فى هلاك الطائفة الثانية ، والراجح هلاكها لقوله تعالى : (وأخذنا الذين ظلموا) الآية ، قال عبدالله بن عباس رضي عنهما ـ (إن الساكتين كانوا من الهالكين) ـ (١) والأدلة الشرعيه تؤيد هذا الرأى كما سلف بيانه .

ويقول الامام الشوكانى رحمه الله :

ـ (واعلم أن ظاهر النظم القرآني أنه لم ينج من العذاب الا الفرقة الناهية التى لم تعص لقوله : (أنجينا الذين ينهون عن السوء) (٢) .

وقال الإمام الرازى رحمه الله :

ـ (واعلم أن لفظ الآيه يدل على أن الفرقة المتعديه هلكت ، والفرقة الناهية عن المنكر نجت ، أما الذين قالوا " لم تعظون " فقد اختلف المفسرون فى أنهم من أي الفريقين كانوا ؟ فنقل عن ابن عباس أنه توقف فيه ، ونقل عنه أيضا أنه هلكت الفرقتان ونجت الناهية وكان ابن عباس إذا قرأ هذه الآية بكى) ـ (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) تفسير فتح القدير حـ ص٢٥٧-٢٥٨ والشوكانى هو محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى فقيه مجتهد من كبار العلماء اليمن ، من أهل صنعاء ولد بهجرة . شوكان ونشأ بصنعاء وولى قضاءها ومات بها .
الاعلام حـ ٦ ص ٢٩٨ .

(٣) تفسير الفخر الرازى حـ ١٥ - ٤٢ .

قلت : والأخذ بالظاهر أولى ، لا سيما لأن الفرقة الساكته تركت الأمـــــر بالمعروف والنهى عن المنكر ونزعت عن ضده .

المطلب الثانـــى : الثناء الجميل .

يتبـــوء الدعاه إلى الله منزلة عظيمة لا ينال سبيل الدعـــوه ، ولا يقوم بها من كل خلف إلا عدوله يقول تعالى :

(ومن أحسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) (١) .

تلا الامام الحسن البصرى رحمه الله هذه الآية ثم قال : (هـــذا حبيب الله ، هذا ولى الله ، هذا خيرة خلق الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى اللـــه أجـاب الله فى دعوتـه ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه مـــن دعوتـــه ، وعمل صالحاً فى اجابتـه ، وقال اننى من المسلمين ، هذا خليفـة اللـــه) (٢) .

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤ / ١٠١ .

وقد وصف الله تعالى الدعاه بصفات اقترنت بالدعوة إليه منها قوله سبحانه :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون) (١) .

وفى الآية الكريمة لقب أختص به الدعاة إلى الله وهو الخيرية على سائر الناس لأن خيرهم متعد إلى ماسواهم بقول الإمام الرازى رحمه الله ـ إنه ثبت فى أصول الفقه أن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات ـ (٢) .

ويقول الخليفة الراشد على رضى الله عنه :

ـ ما لفضل إلا لأهل العلم انهم

على الهدى لمن أستهدى ادلاء

فقم بعلم ولا تبغ به بدلا

فالناس موتى وأهل العلم أحياء (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١١٠ .

(٢) مفاتح الغيب حـ ٣ ص ٣٧ .

(٣) ديوان الامام على ص ٧ .

المطلب الثالث : الثواب الجزيل :

أعد الله تعالى للدعاة إلى سبيله من الثواب والأجر ما يدعو إلى التنافس والغبطه في ميدان الدعوة ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه عنه يوم خيبر : ((على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لان يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))(١)

فالسعي في هداية الناس دليل على النبل وصفاء السريره ومن أجل سعيهم في تكميل نفوسهم وتكميل غيرهم استحقوا هذا الثواب العظيم الذى لا ينقطع كما في قوله عليه الصلاة والسلام ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً))(٢) .

وفي رواية(من سن في الاسلام سنة حسنه كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء (٣)

قال الامام النووى رحمه الله تعليقاً على الحديث -(سواء كان ذلك الهدى هو الذى أنشأه أم كان مسبوقاً إليه وسواء كان ذلك بعلم أو عباده أو أدب وسواء كان العمل في حياته أو بعد مماته)- (٤) .

ومن أعظم ما خص به الدعاة إلى الله تعالى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ان الله

---

(١) البخارى مع الفتح حـ ٦ ص ١١١ .

(٢) رواه مسلم كتاب العلم حـ ٤ ص ٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤ وأبو داود كتاب السنن حـ ٥ ص ١٦ رقم ٤٦٠٩ عن أبى هريره رضى الله عنه .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١٦ ص ٢٢٦ عن جرير بن عبد الله .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووى حـ ١٦ ص ٢٢٧ باختصار .

وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النمله فى جحرها وحتى الحوت ، ليصلـون على معلم الناس الخير)) (١) .

وخلاصة القول أن الضرورة الشرعيه ذات أبعاد وتوجيهات عدة جميعهـا تؤكد على أهمية الدعوة إلى الله كسبيل للنجاه والعزه والكرامة فى الدنيـا والآخرة . وتلك مراتب ساميـة لا ينالها إلا من شمر فى طلبها جاهداً ، وأتى إليها من أبوابها ، والدعوه إلى الله والعمل بها جامعه لجميع الخصال الحميده والمناقب العظيمه ، لكون الدعوه تمثل الدين كله .

---

(١) رواه الترمذى كتاب الادب حـ ٥ ص ١٤٢ رقم ٢٨٥٥ عن أبى أمامـه الباهلى رضى الله عنه .

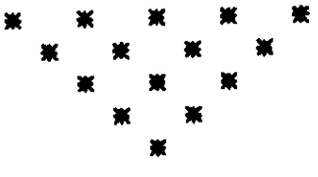

* الفصل الثاني *

((الضرورة التاريخية))

المتبع لمسيرة التاريخ الإنساني عامة والإسلامي خاصة ، يرى إرتقاء الإنسان تارة وسقوطه أخرى ، وذلك من خلال نشاطه المرتبط بعناصر ذات تأثير في تشكيل حياته ، وفي ذلك دعوة صريحة لمعرفة أهم العناصر الشاملة المؤثرة في مسيرة الحياة البشرية ، وليس من شك أن أهم الأحداث العظام التي غيرت مجرى الحياة وألقت بظلالها على مسيرة التاريخ .

يتمثل ذلك في الرسالات السماوية ، وخاصة الرسالة الإسلامية ، التي خصها الله بخصائص لم تتوفر لغيرها من الرسالات ، وفي هذا الفصل بيان موجز لشواهد التاريخ الناطقة بضرورة الدعوة الاسلامية كمنقذ وحيد للعالم .

فمن المعلوم أن التاريخ مصدر محايد ، وديوان خالد للأحداث ، يستنبط من خلاله العظات والعبر فلا شك في (جلاله علم التاريخ وعظم موقعه من الدين وشدة الحاجة الشرعيه اليه) (١) .

وقد أرشد الله تعالى في كتابه إلى تدبر أحداث التاريخ ودراسته وتوظيفه في طاعة الله ورسوله يقول تعالى : (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (٢) .

قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول قد شبت قال : ((شيبتني هود ، والواقعه ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت)) (٣) وهذا دليل

---

(١) خمس رسائل في التاريخ ص ٥

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٣٧ .

(٣) اخرجه الترمذي ٢ / ٣٢٥ رقم ٣٢٩٣ في التفسير والحاكم ٢ / ٣٤٣ ، وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي .

على اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتاريخ الأمم السابقه والتفكر فيما حل بهم من عذاب ونكال ، ولكون هذه السور الكريمه قد اشتملت على بيان أهوال يوم القيامة وما حل بالأمم من النوازل والعثرات ، ومن هنا فإن علم التاريخ يضم ويشتمل على (نظر وتحقيق وتحليل للكائنات دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصل في الحكمة عريق ، وجدير أن يعد في علومها وخليق) (١) ومن أجل ذلك أقتطف نبذاً من التاريخ شاهدة على أن الدعوة الإسلامية ضرورة تاريخيه وحاجة انسانية وذلك من خلال المبحثين التاليين .

* المبحث الأول *

((الحالة البشرية قبل البعثة النبوية))

من العسير جداً الإلمام بتاريخ العالم في مثل هذا البحث لكنني أشير بإذن الله إلى ما يجلي الأفهام ويميط اللثام، عن الحالة المأساوية التي وصل إليها العالم قبل البعثة النبوية المباركة، وذلك اننا لو تقصينا تاريخ البشر على ضوء الإيمان بالله والإستعداد للقائه - لوجدنا العالم اشبه بالمغمور تربو فترات سكره على فترات صحوه ، أو بمحموم غاب عنه - في سورة الالم - وشدته ، فهو يهذي ولا يدري ، لقد مرت قرون طوال غلب الطيش ، واستحكم ، وسقطت أمم شتى دون المكانة المنشودة لها .

فماذا كان مصير الحضارات في مصر واليونان ، وفي الهند والصين ، وفي فارس ، وفي روما ؟ إن الوثنية الوضعيه فرضت عليها السقوط في هذه الرؤية ، فأمسى الإنسان الذي استخلفه الله ليكون ملكاً في الارض ، أمسى عبداً مسخراً

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤ .

لا دنى شئ ، وماذا بعد أن تقدس العجول والأبقار ، وتعبد الأخشاب والأحجار وتطبق الشعوب بأسرها على الخرافة التى نائت بها الكواهل (١) .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهـــم

الا على صنم قد هـام فى صنم

فعاهل الروم يطغى فى رعيتـــه

وعاهل الفرس من كبر أصم عـم

"وللكشف عن تاريخ أي أمة حاضرة أوسابقه لمعرفة محاسنها ومساوئها ، فإنـــه يلزم البحث عن عقيدتها لكونها المنطلق الأول والمؤثر الأقوى الذى تنبثق منه جذور الأخلاق والنظم والعادات فى أى أمة من الأمم وسوف اكتفى بنماذج من تلك العقائد وبعض النظم ، فالفرس اشتهروا بعبادة النار ومن أبرز عقائدهم" الزرادشتيه" التى تقوم على عبادة الهين : إله النور ، وإله الظلمه .

" ولما كانت عبادة النار لا توصى لعبادها بشريعه ، ولا ترسل رسولا ، ولا تدخل فى شؤون حياتهم ، حرمت الأمة الفارسية فى حياتها دينا عميقاً يكـــون تربية للنفس وتهذيباً للخلق ، وقامعاً للشهوات ، وحافزاً على التقوى وفعـــل الخيرات ، وتكون نظاماً للأسره ، وتدبيراً للمنزل ، وسياسة للدولة ، ودستـــوراً للأمة ، وتحول بين الناس وطغيان الملوك وعسف الحكام ، ويأخذ على يد الظالم ،

---

(١) فقه السيره للشيخ محمد الغزالى باختصار ص ١٦ وما بعدها .
انظر : ديوان شوقى حـ ١ ص ٦٢٤ .
والبيت الثانى المثبت بالديوان نصه :
مسيطر الفرس يبغى فى رعيتـــه
وقيصر الـــروم من كبر أصـــم عمـــم .

وتنصف المظلوم وأصبح المجوس لا فرق بينهم وبين اللادينين والاباحيين في الأخلاق والاعمال " (١) .

ولما أفلست العقيدة الزرادشتيه تجاذبت تلك الامة دعوتان مفرطتان متناقضتان :

الأولى : دعوة " مانى " الداعى الى حرمة الزواج وسائر الملذات لأنها في نظره سبب الخطيئة والشر فلابد إذن من قطع دابرها .

والثانية : دعوة " مزدك " الداعى الى اشتراك الناس في كل شئ والتى تهافت الناس على اعتناقها ، تدفعهم شهواتهم الملتهبه (فقد أحل النساء وأباح الاموال ، وجعل الناس شركاء فيهما كاشتراكهم في الماء ، والنار ، والكلا) (٢) ، مما أدى الى فساد عريض - وشر مستطير ، وبلاء شامل (فافترص السفلة ذلك فاعتنقوه وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم وقوى أمرهم ، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره ، فيتغلبون على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الإمتناع منهم ، ولم يلبثوا الا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه) (٢) .

أما في بلاد الهند فقد بلغت الأصنام رقماً قياسياً لا يعرف له مثيل (وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون وقد أصبح كل شئ رائع وكل شئ جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلهاً يعبد) (٣) .

ومن أشهر الديانات هناك البوذية والهند وسيه وكلاهما ديانتان وثنيتان

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٣ باختصار .

(٢) الملل والنحل حـ ١ ص ٦٣٢ .

(٣) تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ٩٢ - ٩٣ .

أما النظام الاجتماعي فقد تميز المجتمع الهندي بالظلم والطبقية والاستبداد وانقسم إلى أربعة طبقات وفق قانون مؤلف وهم :

١ - البراهمه طبقة الكهنه ورجال الدين .

٢ - شترى رجال الحرب .

٣ - وريش رجال الزراعة والتجارة .

٤ - شودر رجال الخدمه . (١)

ويقول " منو " مؤلف هذا القانون :(إن القادر المطلق قد خلق البراهمه من فمه ، وشترى من سواعده ، وريش من أفخاذه ، والشودر من أرجله ، ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم فعلى البراهمه تعليم(ويد)أو تقديم النذور للآلهه وتعاطي الصدقات وعلى الشترى حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسه " ويد " والعزوف عن الشهوات ، وعلى ريش رعى السائمه والقيام بخدمتها وتلاوة " ويد " والتجارة والزراعه ،وليس للشودر الا خدمة هذه الطبقات الثلاث م(٢) .

ويطلق على الطبقة (الشودر)= المنبوذون ولا زال وجودهم قائماً حتى الآن .

وفي الصين تعتبر الكونفشيوسيه " أبرز ديانة تلك البلاد المترامية الأطراف ، وفي ظلها طغى الملوك والأمراء والأباطره الذى لا هم لهم إلا جمع الضرائب من المزارعين . (٣)

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٩ .

(٢) المصدر السابق من ٥٠ .

(٣) الملل والنحل حـ ٢ ص ٢٠ .

ولما مات كنفشيوس سنة ٤٣٨ ق . م أقاموا له الهياكل وعبدوه على سننهم فى عباده أرواح الأسلاف الصالحين - ولم تزل عبادته قائمه إلى القرن العشرين فخصوه سنة ١٩٠٦ بمراسيم قربانيه كمراسيم الإله الأكبر " شانج تي " اله السماء لأن في عرفهم ند السماء (١) .

أما إذا يممنا وجوهنا غرباً فان أبرز ما يواجهنا ديانتان سماويتان هما : اليهوديه والنصرانيه إلا أن الله لم يكتب لهما الخلود ، فسرعان ما تجرأ يهود على التغيير والتبديل فى حياة موسى عليه السلام كعبادة العجل ، والتعنت والعناد ثم بعد وفاته أرتكبوا مجازر بحق رسل الله وأنبيائه كما قال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (٢) .

وأمتدت أيدى أحبار اليهود إلى ما بين أيديهم من التوراة فيغيروا وحرقوا كيفما أرادوا كما قال تعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (٣)

ومن نماذج تحريفهم قذفهم نبى الله لوط عليه الصلاة والسلام بالزنى بابنته الكبرى والصغرى كما ورد فى التوراه (وأقام لوط فى المغاره هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى ، أبونا شيخ كبير ، وليس فى الأرض أحد يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق أبانا الخمر ونضاجعه ونستبق منه فسقنا أباها خمراً فى تلك الليله ، فأتت اباها ولم يعلم بنومها ولا بقيامها ، ولما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى ، قد ضاجعت أبى بالأمس تعالى نسقيه الخمر هذه الليله وضاجعيه أنت ونستبقى من ابينا نسلاً فسقتاه تلك الليله خمراً واتت

---

(١) كتاب الله جل جلاله للعباد ص ٨٣ .
(٢) سوره البقرة آية رقم ٨٧ .
(٣) سورة البقرة آيه رقم ٧٩

الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها وحملت ابنتا لوط من أبيهما الخ.[1]

قال الامام أبو محمد بن حزم رحمه الله :

(هذه فضائح وسوءات تقشعر عند سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام ، هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة في الإستخفاف بالله وبرسله عليهم السلام)[2] .

وهذا النموذج كاف يدل على ماسواه من التحريف والعبث اللاحق بالمصدر الأول للديانة اليهودية والتي لم تسلم حتى من غير اليهود ، فعند فتح الإفرنج أورشليم جمعوا كتب العهد القديم واحرقت وقتل كل من يوجد عنده من تلك الكتب ، كما لاقت نفس المصير عند الغزو البابلي لأورشليم وإحراقها وتدميرها حتى ضاعت التوراة نهائياً ، ولم يعد لها وجود إلا ما وعاه أحبار يهود . وسجلوه في التلمود الذي حوى بين دفتيه العبث ، والتفسير المشوه للتوراة المحرفة .

أما المسيحية فقد سرى إليها السرطان اليهودي الماكر الذي أستخدم كل الأساليب لطمسها والقضاء عليها كتعذيب الحواريين والمؤمنين بعيسى عليه السلام ، وبتقمص اليهودي شاؤول "بولس" شخصية الداعية المخلص الأمين الذي استطاع نقل المسيحية من التوحيد إلى الوثنية ومن البساطة إلى التعقيد

---

(١) انظر سفر التكوين الاصحاح ص٢٥ نقلاً من كتاب الممنوعون للدعوة الإسلامية ص٢٢ تأليف د. سمير مجذوب

(٢) الفصل في الملل والنحل حـ ١ ص ٢٣٤ وابن حزم هو علي بن احمد بن سعد بن حزم الظاهري ابو محمد ، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الاسلام ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ وهو توفي سنة ٤٥٦هـ .
انظر : الاعلام حـ ٤ ص ٢٥٤ ومقدمة الفصل من الملل والنحل حـ ١ ص ٤-٥ .

ومن الأصاله إلى الضلال ، ودخل التحريف فى الاناجيل من أوسع نطاق (ولسنا نحتاج إلى تكلف و برهان فى أن الاناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك فى التوراه والكتب المنسوبه إلى الأنبياء ثم يقول الإمام ابن حزم رحمه الله (وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها - يعنى الرد - لأنهم لا يدعون أن الاناجيل مقولة من عند الله تعالى على المسيح ولا أن المسيح عليه السلام آتاهم بها ، فكلهم أولهم عن آخرهم أو يوسيهم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبهم ومارونيهم وبولقانيهم لا يختلفون فى أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة (١) .

ومن لوازم هذا الإعتراف أن يسرى الشك فى صحة هذه الاناجيل ونسبتها إلى مؤلفيها ويقول (أكهارت أحد علماء الالمان المشهورين إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين فى الأجزاء الكثيره من أناجيلنا هذه وما قدروا أن يفصلوا الأمر (٢) .

ويقول موريس بوكاى (إن الاناجيل التى أصبحت فيما بعد أى : كنسيه لم تعرف إلا فى عصر متأخر بالرغم من أن تحريرها كان قد تم فى بداية القرن الثانى ، وقد بدأ ذكر الروايات التى تنتمى لهذه الاناجيل فى نحو منتصف القرن الثانى ولكن يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الإستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبه التى كانت تحت يد الكتاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهى اعتماداً على الذاكره (٣) .

وإذا أدركنا هذا المسخ والتحريف الذى تعرضت له المصادر المسيحيه ،

---

(١) الفصل فى الملل والنحل حـ ٢ ص ١٣ .

(٢) إظهار الحق حـ ١ / ١٩٠ .

(٣) دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه ص ٧٥ .

فان ما بنى عليها من نظم وعبادات تكتسب تلك الصفات الآنفه الذكر ، والتي أدركها بعض عقلاء النصارى .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ (ولقد أقر بعض رؤساء النصارى من البابوات والقساوسه أنهم ليسوا على عقيدة النصارى ، وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة ، كبقاء الملوك والأغنياء على ملكهم وغناهم) ـ (١) ومن الملاحظات الجديره بالاهتمام أن يطعن القساوسه أنفسهم فيما هم عليه ويعزون ذلك إلى تأثر النصرانيه بالوثنيه يقول القسيس " نيوتن " مقارناً بين العبادة عند الوثنيين والمسيحيين قائلاً : الفرق يتركز في الاسم فقط ، وإلا فالعبادتان في نهاية الامر سواء فالوثنيون كانوا يعبدون أسلافهم كالآلهه ، والمسيحيون قد اتخذوا أحبارهم آلهه ، والذين أشاعوا مثل هذه العبادة في الدين المسيحي كانوا يعلمون جيداً أنه لا فرق بين الاثنين ، وكل ما هنالك من فروق أن عبادة قد حلت محل الأخرى فالتبخير بالعطور على مذابح القرابين وأمام الاصنام ، وتقديم النذور لها شكراً على البرء من الامراض والتخلص من الأخطار ، واتخاذ الصالحين أولياء أو آلهه وعبادة الاموات وآثارهم ، وتنظيم مواكب الأصنام والآثار وأحيانا ايذاء الجسم بالسياط بدعوى مجاهدة النفس ولتطهيرها وإنزال طبقة القساوسة فوق طبقة البشر العاديين لدرجة إفرادهم بأردية خاصة ذات تطريز خاص ، والنظر إلى العزوف عن الزواج للذكور والإناث على انه دليل الزهد والتقوى ، هذه وغيرها من العادات كانت من أوهام الوثنيين ومتبعي القساوسه الرومان معاً (٢) .

---

(١) الفتاوى حـ ٢٩ ص ٦٠٩ .

(٢) انظر : الاسلام تشكيل جديد للحضارة ص ٤ تأليف : محمد تقي الامينى .

فهذه حال المسيحية فيما أنتهت إليه بشهادة قساوستها ورهبانهـــا العارفين بها وبذلك لا تصلح علاجاً لازمة البشرية ، وقد جمعت وأوعت خرافات الأمم .

وأخيراً ندلف إلى جزيرة العرب لنشهد أحوالها العزيزه ، وعقيدتها الوثنية ويعتبر عمرو بن لحى أول من أدخل عبادة الأصنام إلى مكة (١) .

وبلغت الأصنام حول الكعبة ٣٦٠ صنماً واختصت بعضها بمكانة خاصـــة داخل الحرم الشريف مثل أساف ، ونائله ، وهبل ، وأما خارج مكه فنظراً لغالـــب العرب التى لا تعرف حياتهم الاستقرار فقد وضعت أصنام بين منازل القبائـــل لتشترك جميعها فى عبادتها وعلى سبيل المثال : مناة وهو حجر أسود وضـــع على الطريق بين مكه والمدينه تعظمه قبائل الأوس والخزرج وخزاعه وغسان (٢) .

والعزى وهى شجرة بوادى نخله ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش وكانوا يزورنها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح (٣) .

واللات ، لثقيف بالطائف ، وكان حجابها لبنى معتب من ثقيف (٤) .

أما الأصنام الخاصة ، فقد أعتادت القبائل العربية أن تختص كل قبيلـــة بأصنام خاصة ، بل ولكل فرد وكل أهل دار فى دارهم (٥) .

كما عبدت بعض القبائل النار ، الكواكب ، والنجوم مثل الشعـــرى (٦)

---

(١) البداية والنهاية حـ ٢ ص ١٩٠ .

(٢) سيرة ابن هشام حـ ١ ص ٧١ .

(٣) الأصنام لابن الكلبى ص ١٨ - ٢٤ .

(٤) المتطرف للابشيهى حـ ٢ ص ٩٧ .

(٥) سيرة ابن هشام حـ ١ ص ٧٨ .

(٦) بلوغ الأرب فى أحوال العرب حـ ٢ ص ٢٣٩ ، ٢٣٣ ، الجمهرة لابن حزم ص ٤٩١ .

وقد تردت أخلاق العرب وبلغت درجة كبيرة من الإنحلال ، ويصف الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الأخلاق للنجاشي بقوله (يا أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميته ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف) (١) .

ومن الجرائم التي عرفها العرب وذكرها الله في كتابه ما ألفوه من كراهية الأنثى وقتلها وهي حية خشية العار .

قال تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) (٢) .

تلك لمحة مجملة عما وصلت إليه حال العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، من فساد في العقيده ، وانحراف في الأخلاق ، وفوضى في النظم ، مما اقتضى ضرورة إصلاح حال العالم برسالة شاملة كاملة تصلح ما فسد من العقيدة والأخلاق والنظم ، وتجدد ما بعد من عهد ، (يرجع للعقول رشدها ، وللقلوب طهورها وللنفوس تقاها) (٣) .

فكان من رحمة الله أن إختار محمداً صلى الله عليه وسلم (والله أعلم حيث يجعل رسالته) (٤) ليكون رحمة شاملة للعالمين كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٥) .

---

(١) سيرة ابن هشام حـ ١ ص ٢٩ .
(٢) سورة النحل آية رقم ٥٨ - ٥٩ .
(٣) الشرك ومظاهره ص ٢١٥ . تأليف مبارك العيلي .
(٤) سورة الأنعام آية رقم ١٢٤ .
(٥) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧ .

* * *

* المبحث الثاني *

((حال العالم بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم))

يقول عليه الصلاة والسلام: ((إن الله عز وجل نظر إلى أهل الارض فمقتهم ، عجمهم وعربهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إني بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا))[1] .

والشاهد من الحديث أن الله تعالى اختار رسوله صلى الله عليه وسلم ، على علم في وقت خلت الأرض من قائم لله بحجه ، وأمده بكتاب معجزه وهو القرآن يقول القاضي الباقلاني - (إن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم - بنيت على هذه المعجزه (القرآن) وان كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصه ، فأما دلالة القرآن فهي عن معجزه عامه ، عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين)- [2] .

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته فردا متخذاً من القرآن وسيلة للبلاغ كما قال تعالى : (وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)[3] واستمرت دعوته المباركه في مكه ثلاثه عشر عاماً أسلم خلالها الجم الغفير الذين ربا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمهم بما علمه الله . رغم ما واجه وواجهوا من الأذى والضيق والشده ، والعذاب وانتهت هذه المرحلة بالهجرة إلى المدينة والتي استمرت عشر سنين ، كلها جهاد ودعوه وتعليم وتضحيات جسام ، وكان حليفة النصر بفضل الله .

---

(١) مسند أحمد حـ ٤ ص ١٦٢ عن عياض المجاشعي رضي الله عنه .
(٢) اعجاز القرآن هامش الاتقان ١/ ١١/ ١٢ .
(٣) سورة الانعام آية رقم ١٩ .

كما قال تعالى :

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)(١)

قال الامام ابن كثير رحمه الله عند هذه الآيه :

(وهكذا نصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وتأوه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية ، وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ، ثم من عليهم بأخذ الفداء منهم ، ثم بعد مدة قريبه ، فتح عليه مكه ، فقرت عينه ببلده ، وهو البلد الحرم المشرف المعظم فأنقذه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك ، وفتح له اليمن ، ودانت له جزيرة العرب بكاملها ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامه العظيمه ، فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده ، فبلغوا عنه دين الله عز وجل ، ودعوا عباد الله إلى الله جلا وعلا ، وفتحوا البلاد والرساتيق(٢) والأقاليم والمدائن والقرى حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها ، ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعه(٣) .

وهذا النصر المؤزر يتحقق للمؤمنين ما داموا على الحق كما قال تعالى :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما

---

(١) سورة غافر آية رقم ٥١ .

(٢) الرستاتيق جمع رستاق وهي السواد اللسان ١٠/١١٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٨٤ .

استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم)الآية (١) .

قال الامام ابن كثير رحمه الله :

-(وهذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ، بإنه سيجعل أمته خلفاء الأرض : أى أئمة الناس ، والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس آمناً ، وحكماً منهم ، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكه وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم ، وصاحب مصر واسكندريه وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشى ملك الحبشه الذى تملك بعد أصحمه رحمه الله واكرمه ، و لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامه قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهن موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب ومهدها ، وبعث جيوش الاسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ففتحوا طرفاً منها ، وقتلوا خلقاً وجيشاً آخر صحبه ابو عبيدة رضي الله عنه ، ومن تبعه من الأمراء إلى أرض الشام وثالثاً صحبه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامى فى أيامه ، بصرى ودمشق ومخالفيها من بلاد حوران وما ولاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامه ، ومن الله على أهل الإسلام بأن ألهم أبا بكر الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياماً تاماً ، لم ير الفلك بعد الأنبياء على مثله فى قوة سيرته وكمال عدله ، وتم فى أيامه فتح

---

(١) سورة النور ٥٥ .

البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلى آخرها وأكثر أقاليم فارس ، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينيه ، وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه سلام وأزكى صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت (١) الممالك الإسلاميه إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الاندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة فما يلي البحر المحيط ، ومن ناحية الشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى ، وباد ملكه بالكليه ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظمة جداً ، وخذل الله ملكهم " خاقان " وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢) .

تلك لمحة موجزة لعصر النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدل على الحدث الأعظم الذى غير خريطة العالم ، وانضوت البشرية تحت سلطان القرآن واعترف الخصوم بهذه المزية ففي دائرة المعارف البريطانيه :

" جاء محمد - صلى الله عليه وسلم - بدعوة جديدة هى دعوة الإسلام ، وكان هذا الرسول أوفى الأنبياء ، والشخصيات حظاً من النجاح ، فقد انجز في عشرين عاماً من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين من اليهود والنصارى ، رغم السلطة الزمنية التى كانت تساند هؤلاء ، ورغم انه كان أمام

---

(١) المراد خلافة عثمان رضى الله عنه .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٣٠٠ .

تراث - جبال من الوثنية والخرافة والجهل والبغاء والربا والقمار، ومعاقـــرة الخمور ، واضطهاد الضعفاء والحروب الكثيرة بين القبائل العربيه ، ومئـــات الشرور الأخرى "(١) .

وخير شاهد على مدى ذلك التغيير ما ذكره الصحابة رضى الله عنهم عند دعوتهم وجهادهم واقتطف شهاده جامعة تفـــي بالمقصود ان شاء اللـه .

يقول خالد ابن الوليد (٢) رضى الله عنه للقائد الرومانى " ماهان " يدعوه إلى الإسلام (إنا معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلاً ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع إلا قليل وكنا أهل جاهلية جهلاء لا يملك الرجل منا إلا فرسه وسيفـــه وأباعره ، وشياهه ويأكل قوينا ضعيفنا ، ولا يأمن بعضنا بعضا إلا فى الأربـــع الأشهر الحرم نعبد دون الله الأصنام والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تنفـــع ونحن عليها مكبون ولها حاملون ، فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار مـــن مات منا مشركا وصار إلى النار ومن بقى منا كان كافراً بربه قاطعاً لرحمه حتـــى بعث الله لنا نبياً نعرف حسبه ونسبه هادياً مهدياً رسولاً نبياً ، وإماماً تقيـــاً أظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاء بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين ، وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيئـاً ولا نتخذ من دونه ولياً ، ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولداً لا شريك له ولا ضـــد

---

(١) دائرة المعارف البريطانيه مادة قرآن .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيره المخزومى القرشى سيف الله أبو سليمـــان أسلم سنه سبع بعد خيبر شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف وأرسله أبو بكر رضى الله عنه لقتال أهل الرده ثم ولاه حرب فارس والروم ، توفى فى حمص سنة ٢١ هـ .
الاصابة حـ ١ ص ٤١٣ وما بعدها .

ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا لقربـــان ، ولا نسجد إلا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلـــم وعلى آله وصحبه أنزل الله عليه كلامه الذى هدانا به مولانا فاستجبنا له وأطعنـا أمره ، فكان مما أمرنا به أن نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا من كفـــر بالله واتخذ معه شريكاً جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له مالنا وعليه ما علينا، ومن أبى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديهـا إلينا عن يد وهو صاغر فإذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبى الاســـلام وأن يؤدى الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهـو خير الحاكمين ونحن ندعوكم إلى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها)ـ (١) .

هذه دوافع الحرب فى الإسلام ، ومن أجلها توسع الفتح الإسلامى عبـــر القرون ، وحملت المسلمين المجاهدين على بذل النفس والمال فى سبيل اللـــه ، ولأول مرة تصبح الحرب سلاماً ودواء شافياً وبنـــاء شامخاً، خلاف ما عرفته الحـــروب من سفك الدماء ، وانتهاك الأعراض ، وسلب الأموال ، ولم تتوجه الحرب فـــــى الاسلام بالشدة إلا لمن عاند واستكبر وتجبر وابتغى الفساد والعلو فى الأرض بغير حق ، فمن الحكمة قطع دابر أثره ، واجتثاث جذوره واراحة البلاد والعباد مـــن غوائله .

فبنبـــوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته عرف العالم العقيدة الصحيحة ، واجتثـــت مظاهر الوثنية ، وطهرت الأرض من الأوثان والطواغيت ودان الناس لرب واحـــد ، وما جاء من اقرار اليهود والنصارى على دينهم فانه مشروط بالخصوصية والخفيـــة

---

(١) فتوح الشام للواقدى ص ١٧٢ - ١٧٣ حـ ١ .

دون الإعلان والدعوه كما ورد فى الشروط العمريه ما نصه :

" ولا نضرب نواقسنا إلا ضرباً خفياً فى جوف كنائسنا ولا نرفع أصواتنا فى الصلاة ولا القراءة فى كنائسنا مما يحضره المسلمون ولا نخرج صليباً ولا كتاباً فى أسواق المسلمين ولا نرغب فى ديننا ولا ندعوا إليه أحداً " (١) .

واستوى الناس فى الحقوق والواجبات لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى كما قال تعالى : (يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) (٢) واختار نموذجاً لذلك فقد كان جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان قد أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ثم ارتد وتنصر بعد ذلك ولحق بـ " الروم " وكان سبب تنصره أنه مر فى سوق " دمشق " فأوطأ رجلاً فرسه ، فوثب الرجل فلطمه فأخذه " الغسانيون " فأدخلوه على " أبى عبيده بن الجراح " فقالوا : هذا لطم سيدنا ، فقال : " ابو عبيدة البينة أن هذا لطمك ، قال : وما تصنع بالبينه ؟ قال : إن كان لطمك لطمته بلطمتك ، قال : ولا يقتل قال : لا ، قال : ولا تقطع يده ، قال : لا إنما أمر الله القصاص فهى لطمة بلطمه ، فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر ولم يزل هناك إلى أن هلك (٣) .

---

(١) انظر : شرح الشروط العمريه ص ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣ لابن القيم .

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

(٣) المعارف لابن قتيبه ٦٤٤ مروج الذهب للمسعودى حـ ٢ ص ١٠٩ ، وأبو عبيده عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى الفهرى أبو عبيده بن الجراح مشهور بكنية أحد العشرة السابقين إلى الاسلام هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها أمين هذه الأمه فتحت الشام على يده مات بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ .
الاصابه حـ ٢ ص ٢٥٤ .

وبالعدل جاءت الرسالة الاسلاميه بأروع النظم وأدق الموازين يقول تعالى : (يايها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) (١) ونهى الله تعالى أن يصد عن العدل صاد ولو كان العدو خصماً قال تعالى : (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) (٣) .

وخلاصة القول أن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم غيرت مجرى التاريخ نحو الكمال والاستقامه (أصلح النفوس بالعقائد السليمه وزودها بالأخلاق الفاضلة ، وحاط الزوجيه بحقوق تجعل الزوجين فى إلفة صادقه ، وعيشة راضيه ، وأخذ باصلاح رابطة أخرى هى رابطة الجوار ، وتناول إصلاح الغذاء ، فأذن فى

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٣٥ .

فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشميه أصغر بنات الرسول صلى الله عليه وسلم ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها على ، عاشت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ستة أشهر .
الإصابة حـ ٣ ص ٣٧٩ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٨ .

(٣) البخارى كتاب فضائل الصحابه حـ ٣ ص ٢٨ ، ومسلم بشرح النووى كتاب الحدود حـ ١١ ص ١٨٦ عن عائشة رضى الله عنها .

الطيبات من الرزق وحرم أشياء لقذارتها أو لأنها تلحق بالأبدان ضرراً ، او بالعقول خبلاً ، ووضع الزينة بمكانتها اللائقة، فأذن فيها ، وشمل الاسلام بنظرته الإصلاحية ناحية السياسة الخارجيه ،فاتجه فيها بين رفق وحزم ، وأذن في الحرب متى كان الشر في السلم ، وأذن في السلم متى كان الشر في الحرب وقرر للحرب آداباً تخفف من ويلاتها ، وجعلها كالدواء لا يتجاوز المقدار الذى يحصل به الشفاء ، وأرشد الدين إلى التسامح في معاملة المخالفين غير المحاربين تسامحاً يرضى الإنسانية دون أن يبخس حقاً او ينصر باطلاً قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (١).

ولو ذهبت أستقصى حالة العالم بعد البعثة وماآلت إليه أحواله لضاق المقام على البحث ، وإنما المقصود أن العالم بحاجة إلى العود إلى منهج الرسالة المحمديه والعيش على ضوئها ، ولا يتم ذلك إلا بالدعوة إلى الله .

---

(١) الدعوة إلى الإصلاح باختصار ص ٤٧ - ٤٨ للشيخ محمد الخضر حسين والآية من سورة الممتحنه رقم ٨ .

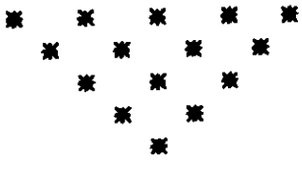

* الفصـــل الثالـــث *

((الضرورة الواقعية))

إن دراسة الواقع ومعالجة مشاكله عنوان على سلامة الإصلاح ، خاصة إذا أقترن ذلك بآداب الشرع ، ولا مندوحه من الاعتراف بإن أبواب الإصلاح الكامـــل موصده إلا من طريق الشرع ، ومن أجل أن يدرك الناس هذه الحقيقة لا بد مـــن قيام حركة الدعوة الاسلامية بشرح مضامين الشرع وآدابه عبر وسيلة الدعوة وقد عرفنا أن الشرع والتاريخ يؤكدان هذه الوسيلة. وبمزيد بيان فإن الضرورة الواقعيـــة للعالم الإسلامي خاصة وللعالم غير الاسلامي تؤكـد حاجة العالمين إلى الدعوة الإسلامية وذلك من خلال المباحث التاليه :

* المبحـــث الأول *

((الجهل [1] والتخلف في بلاد المسلمين))

يستدعي واقع المسلمين ، النظر في وجوه النقص التي يعيشها والتـــي تؤثر سلبياً في مجريات حياة المسلمين وتجعلهم أسرى سيطرة أعداء الأمة ، ومن أبرز وجوه النقص في دنيا المسلمين فشو ظاهرة الجهل والتخلف الذي امتدت جذوره

---

(١) قال الراغب الأصفـــاني رحمه الله : الجهل على ثلاثة أضرب ، الأول خلو النفس من العلم ، هذا هو الأصل ، والثاني اعتقاد الشئ بخـــلاف ما هو عليه ، والثالث فعل الشئ بخلاف ما حقه أن يفعل .
مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٢ باختصار .

إلى مختلف أوجه الحياه فى دنيا المسلمين ، ومن الخطأ حصره فى الجهل بالقراءة فليس بالضرورة أن يكون الجهل والتخلف يعنى : عدم القراءة والكتابة والالمام بقوانينها ، لأنه ليس (المقصود بالعلم القراءة والكتابة فحسب ، وليس المراد بالجهل الأميه فقط ، انما المقصود بهما الهدى والضلال فالمهتدى إلى الله وإلى الايمان طائع لله ولرسوله عالم ، وإن كان لا يعرف القراءة والكتابه ، فمن عرف الله فقد عرف الحقيقه ، أما الضال فهو الجاهل الأبكم ، وإن حمل أعظم الشهادات العلميه "(١) .

ومن هذه النظرة الشموليه الجامعة لشعاب الجهل ومساربه يمكن تقسيم المسلمين إلى ثلاثة أقسام :-

١ - طائفة غير المثقفين :

وهى السواد الأعظم من المسلمين وهؤلاء يجهلون الشريعة جهلاً تاماً إلا معلومات . ، ويندر أن تجد منهم من يعتمد عليه فى تأدية العبادات على الوجه الأكمل ولا عددهم عن ٨٠٪ من مجموع العالم الإسلامى .

٢ - طائفة المثقفين ثقافة أوربيه :

وتضم معظم المثقفين الذين يديرون دفة الامور فى أغلب دول العالم الاسلامى فهم لا يعرفون عن الشريعة الاسلاميه إلا ما يعرفه المسلم العادى بحكم البيئة والوسط ، وأغلبهم يعرف عن عادات اليونان ، والرومان وعن القوانين والأنظمة الأوربيه أكثر مما يعرف عن الإسلام والشريعة الاسلامية .

---

(١) الدعوة والدعاه ص ٨٨ باختصار للصواف .

٣ - طائفة المثقفين ثقافة اسلاميه :

تضم هذه الطائفه العلماء وطلبه العلم وماد ونهم وعد د هم ليس قليلاً وإن كانوا يختلفون من بلد إلى آخر إلا أنهم أقلية بالنسبة للمثقفين ثقافة أوربية عموماً ولكن ليس لهم أى حظ من سلطان الحكم ، فرجالها لا يكاد ون يتولون إلا وظائف الوعظ والا مامه والتد ريس وقد يتولون القضاء فلا يسمع لهم إلا فى مسائل الأحوال الشخصية (١) وهذه الطائفة يعتبرها المسلمون مسؤولة عن الإ سلام) (٢) .

وكما هو واضح من التقسيم السابق أن المسلمين يمكن تقسيمهم إلى طائفتين لا تخالف ما سبق ، فطائفة المثقفين ثقافة أوربية وغير المثقفين ويجمعهم الجهل بالا سلام .

والأخرى طائفة المثقفين ثقافة إسلاميه ، وعند المقارنة تصبح النتيجة مفزعة ومخيفة تستدعى ضرورة الد عوة الا سلا مية ونشرها ، ليعلم السواد الأعظم من المسلمين د ينهم الذى إرتضاه الله لهم .

فالد عوة الا سلامية جاءت بالتحذير من الجهل بجميع صوره وأشكاله وأسوق تصد يق الآيات الد الة على ذلك بقول سبحانه وتعالى حكاية عن لوط عليه السلام وهو يخاطب قومه الذين ارتكبوا أبشع الجرائم الخلقيه (بل أنتم قوم تجهلون) (أى لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً) (٣) .

---

(١) فى المملكة العربية السعود ية يضطلع القضاء بأعم من القضاء فى الأحوال الشخصية فتسرى أحكامهم إلى القضاء فى الدم والمال والعرض .

(٢) الا سلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه بتصرف واختصار ص ٤٦ - ٧ . للاستاذ عبد القاد ر عود ه رحمه الله .

(٣) تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٣٦٨ .

وقال تعالى واصفاً أهل النار بالجهل (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير) (١) .

قال الامام ابن القيم رحمه الله تعليقاً على الآية (إن الله تعالى وصف أهل النار بالجهل وأخبر أنه سيسد عليهم العلم، فقال تعالى حكاية (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) فأخبر أنهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون ، والسمع والعقل هما أصل العلم وبهما ينال ، وقال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون) (٢) .

فأخبر سبحانه أنهم لم يحصل لهم علم من جهة من جهات العلم الثلاث وهي : العقل ، والسمع ، والبصر ، فقد وصف سبحانه أهل الشقاء بعدم العلم وشبههم بالأنعام تارة ، وتارة بالحمار الذي يحمل الأسفار ، وتارة جعلهم أضل من الأنعام وتارة جعلهم شر الدواب عنده ، وتارة جعلهم أمواتاً غير أحياء ، وتارة أخبر أنهم في ظلمات الجهل والضلال ، وتارة أخبر أن على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً ، وعلى أبصارهم غشاوة ، وهذا كله يدل على قبح الجهل وذم أهله وبغضه لهم ، كما أنه يحب أهل العلم ويمدحهم ويثني عليهم) (٣) .

وقال تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (٤) .

---

(١) سورة الملك آية رقم ١٠ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩ .
(٣) مفتاح دار السعادة حـ ١ ص ٦٤ - ٦٥ .
(٤) سورة الاعراف آية رقم ١٩٩ .

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعليقاً على الآية الكريمة ـ بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامل به الجهلة من شياطين الانس والجن ، فبين أن شيطان الانس يعامل باللين ، وأخذ العفو ، والاعراض عن جهله وإساءته وإن شيطان الجن لا منجى منه إلا بالاستعاذه بالله منه قال في الاول (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)(١) وقال عن الثاني : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم)(٢) .

والسنة الشريفة حافلة بالتحذير من الجهل ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ((ألم يكن شفاء العي السؤال))(٣) .

قال الامام ابن القيم رحمه الله ـ (قد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء))(٤) فانتشار الجهل في الأمة دليل على مرضها ، فهي مأموره بأن تبحث عن الدواء الناجح المناسب لصفة المرض ، وقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم الدواء المتمثل في السؤال كما قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٥) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٩٩ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠ .
وانظر : تفسير أضواء البيان حـ ٢ ص ٣٤١ - ٣٣٢ .

(٣) رواه أبو داود رقم ٣٣٧ في الطهاره ، باب في المجروح يتيمم حـ ١ ص ٢٤٠
ورواه ابن ماجة رقم ٥٧٢ حـ ١ ص ١٨٩ ، عن جابر بن عبد الله
وصححه الشيخ الألباني .
انظر : صحيح الجامع حـ ٤ ص ١٣١ رقم الحديث ٤٢٣٩ .

(٤) الداء والدواء ص ٤ .

(٥) سورة النحل آية رقم ٤٣ .

وقال الامام ابن القيم رحمه الله فى نونيته (١) :

الجهل داء قاتل وشفـــاؤه

أمران فـــى التركيب متفقـــان

نص من القرآن أو من سنة

وطبيب ذاك العالم الربانـــى

ومن الأحاديث المحذره من الجهل قوله عليه الصلاة والسلام ((إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا))(٢) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ـ(وفى هذا الحديث الحث على حفظ العلم ، والتحذير من ترئيس الجهلة ، وفيه أن الفتوى هى الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم)ـ (٣) .

وقال الامام النووى رحمه الله ـ(هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه ، ولكن معناه أنه يموت حملته ويتخذ النـــاس جهالاً يحكمون بجهالتهم فيضلون وفيه التحذير من اتخاذ الجهال رؤســاء)ـ (٤) .

فاذا كانت هذه مكانة الجهل فى الاسلام وما أقترنت به من أوصاف لا تليق بهذه الأمة ، فان حال المسلمين اليوم يؤكد ضرورة محاربة الجهل الذى تغلغل

---

(١) نونيه الامام ابن القيم ص١٨٩ .

(٢) رواه البخارى ١/ ٥٢ - ٥٣ كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ، ومسلم كتاب العلم حـ ٤ ص ٢٠٥٨ رقم ٢٦٧٣ باب رفع العلم وقبضه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص .

(٣) فتح البـــارى حـ ١ ص ١٩٥ .

(٤) شرح النووى لصحيح مسلم حـ ١٦ ص ٢٢٤ .

وفشا فى وسط المجتمعات الاسلاميه وللدلاله على ذلك أشير إلى أهم مظاهـــر الجهل والتخلف فى بلاد المسلمين ، ليدرك المسلمون هذه الحقيقة ، فيهبـــوا مسرعين لازالة تلك المظاهر المتخلفة والخروج من استحقاق أوصاف الجهـــل المنفرة .

ويمكن تقسيم تلك المظاهر إلى ما يلـــى :-

المطلب الأول : الجهل والتخلف العقدى :

تعتبر العقيدة أعظم الحقائق وأهمها فى الإسلام ومن الأجدر أن تكون معلومة ضرورة لدى عموم الأمة ، ولكن من المؤسف له أن الجهل قد سرى إلى هذه الحقيقة ، حتى لم يعد يفرق البعض بين التوحيد والوثنيه وتلـك درجة عالية من الجهل المركب (١) .

وخير شاهد على هذا ذلك الأضرحه المقامة فى رحاب المساجد فـى كثير من دول العالم الاسلامى ، وقد يشد إليها الرحال ويطاف حولهـــا ويهتف باسمها علانية ، وتعتبر الطرق الصوفيه المعاصره ينبوعاً ثراً يمـــد تيار الخرافة والدجل فى العالم الاسلامى ، ويشن حملات مركزة وذكيه ضـــد الدعوة إلى عقيده التوحيد ، ومن الجهل المطبق بالعقيده ما ذاع من بعض علماء الامه فيما يسمى بالتقريب بين الأديان أو التقريب بين السنة والشيعـــة رغم ما بين الفرقتين من خلافات أصوليه كبرى ، وإذا سلمنا بسلامة مقصـــد دعاتها الا أنها تنبئ عن جهل كبير بعقيدة الاسلام ، فليس ثمة التقـــاء بين التوحيد والوثنية والزندقة إلا إذا مسخ الاسلام وبدلت أصوله وحرفت

---

(١) الجهل المركب : هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع .
المعجم الوسيط حـ ١ ص ١٤٤ .

مصادره بالكلية .

يقول تعالى : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) (١) .

وقال تعالى : (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمتم فإن أسلموا فقد أهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) (٢) .

فجميع أهل الأديان مطالبون بنص القرآن بالدخول في الإسلام بلا خيار وإلا فهم كفار كما قال تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (٣)

وإن انتشار الأحزاب الشيوعية واتباعها في بعض الدول الإسلامية دليل قاطع على الجهل المطبق بعقيدة الإسلام ومن العجب أن يكتب بعض المنتسبين إلى الإسلام ما يسمى باشتراكية الإسلام والإدعاء بان أبا ذر رضى الله عنه كان اشتراكيا ، كما أصبحت ديار المسلمين مرتعاً خصباً لحملات الدعوة النصرانية التي لاقت نجاحاً وانتشاراً كبيراً في كثير من ديار العالم الإسلامي، ولا ريب أن أخذ كثير من المسلمين العقيدة وراثة ، وإهمال البعض الدعوة إلى عقيدة التوحيد الخالص ، وراء هذا الركام الضخم من الجهل بالإسلام وعقيدته السمحه ، ومالم يهتم الدعاة والقائمون على ترشيد الصحوة الاسلامية بتوجيه الأمة الى عقيدة

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٣٥ .
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٢٠ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٨٩ .

التوحيد الكفيلة بكشف العقائد المزائفه وابطالها ، فان الخطر قادم وشامل للعالم الإسلامي بأجمعه ، فمن الملاحظ أن سائر الدعوات الباطلة تجعل من عقيدتها قطب رحى دعوتها ، ولا تفتم من تسخير طاقاتها التي تفوق الحد والعد

المطلب الثالث : فشو الأميه :

لا خلاف أن انتشار التعليم بين الامة دليل على رقيها وأخذها بأسباب الوعي كما أن انحسار مد التعليم ايذان بسقوط الامة واذلالها واستبعادها والناظر في حالة الأمة الإسلاميه من هذه الزوايه ، يصاب بغزع وحزن شديدين لمدى ما وصلت إليه من ذله واستعباد لأعدائها حيث أن أغلب الدول الاسلامية لا تملك الحاجات الضرورية لمواطنيها فضلاً عن دعائم قوتها وفيما يلي أبرز بعض الاحصائيات الموثقة التي توضح نسبة الاميه في العالم الاسلامي ، ومن ثم السعي لاجتثاث جذورها ولا شك أن كثيراً من دول العالم قد بدأت حملات مكثفة لمحاربة الاميه ، ووضع الحوافز التشجيعيه لدفع حركة التعليم (١) ، ولكن مازالت هناك حاجة ماسه لبذل أقصى الجهود ، حيث تذكر الاحصائيات الرسميه أن أعلى نسبة من الاميه هي في البلاد العربيه ، ويذكر تقرير البنك الدولي لعام ١٩٨٢ أن نسبة التعليم في العالم الثالث كانت لا تتجاوز ٣٣٪ في عام ١٩٥٠ ولكن هذه النسبة قد ارتفعت في عام ١٩٦٠م إلى ٣٨٪ ومن عام ١٩٧٠م إلى ٤٦٪ ووصلت عام ١٩٧٩ إلى ٥٦٪ .

---

(١) على سبيل المثال المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج وأصبح التعليم أجبارياً في غالب الدول الإسلامية .

ولكن على الرغم من تلك الصورة الحسنه ، فان عدد الأميين فى ازدياد مع أن نسبة الأمية فى انخفاض والسبب راجع إلى أزدياد سكان العالم، إذ يوجد الآن ثمانمائة مليون شخص أمي فى العالم .

ويتوقع المختصون بهذا الميدان ارتفاع هذا العدد إلى "٩٥٠" مليون أو ألف مليون شخص بحلول عام ٢٠٠٠م يضاف إلى هذا ان نسبة الأميه فى عشرين بلداً تبلغ اكثر من ثمانين بالمائه "٨٠٪" - وأغلب هذه الدول مسلمه - وتبعاً لما تقوله رابطة القراءة الدوليه فان العالم العربى فيه أعلى نسبة فى الاميه إذ أن النسبة تبلغ ٦٢٪ من السكان .

ونسبة الأميه فى أفريقيا هى ٦٠٪ إجمالياً ، وفى أمريكا اللاتينيه ٢٠٪ ، وفى آسيا ٣٧٪ أما من حيث عدد الأميين فان نصفهم فى آسيا ويبلغون "٥٩٩" مليون نسمه (١) .

ولا ريب أن هذا الجهل قد تم فى غيلب الدعوة الاسلاميه التى من مفاهيمها نشر العلم كما فى قوله تعالى (إقرأ باسم ربك الذى خلق)(٢) وهى أول آيه نزلت من كتاب الله (٣) .

ونجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداً على محاربة الأميه ففى غزوة بدر أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين أسيراً ، وكان يفادى بهم على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم ، فإذا أحذقوا فهو

---

(١) جريدة الشرق الأوسط اليوميه عدد ٢٩ عام ١٩٨٣ ص ٨ نقلاً عن كتاب الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ص ٧٥ تأليف :د. نبيل الطويل .
(٢) سورة العلق آية رقم ١ .
(٣) الإتقان فى علوم القرآن حـ ١ ص ٣١ .

فداؤه (١) .

وذلك من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بمجارية الأميه واتباع شتى الوسائل لمحاربتها .

٣ - التخلف الصحى :

تشير الاحصائيات الرسميه أن " عدد وفيات الأطفال المساكين عام ١٩٧٧م فى هذا الشرق المسلم مليون تقريباً " (٢) .

ومن أهم الأمراض المنتشره ما يلى :

١- أمراض سوء التغذيه والتى تصل من ١ - ٤٪ من الاصابات الخطيره فى كل من لبنان وتونس ، والمراكز الحضريه بايران ومصر ، اما فى العراق والاردن واليمن الشمالى وارياف مصر وايران والسودان واليمن الجنوبى وباكستان فالنسبة أعلى من ٤٪ .

٢- مرض السل الرئوى وهو مرتفع بنسب عاليه فى اليمن الشمالى والجنوبى وجيبوتى والصومال والسودان .

٣- مرض الجذام ففى أفريقيا الإستوائيه يقدر عدد المرضى ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ حالة وفى جنوب شرق اسيا ٤٫٥١٠٫٠٠٠ وفى اقليم البحر المتوسط ١٦٠٫٠٠٠ .

٤- مرض البلهارسيا كانت نسبة الإصابة فى مصر عام ١٩٧٤ فى بعض المناطق ٢٢٪ من السكان وفى مديرية الفيوم ٤٥٫٧ وفى أواسط مصر ٣١٪ فى

---

(١) طبقات ابن سعد حـ ١ ص ٢٢ .

(٢) الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ص ٧٨ ولا ريب أن الوفاة بيد الله وحده والمرض لا يميت إلا بإذن الله ولكنه سبب على كل حال .

المسح الذى أجرى عام ١٩٧٢ م وفى ايران نسبة الإصابه ٨ر٣٪ فى منطقة خوزستان وسجل فى المغرب خمسون حاله وفى جنوبى تونس ٦ر٦٪ أما فى بعض القرى هناك فكانت النسبه " ٣٠ - ٧٠ " .

٥- مرض الملاريا ، والملاريا هى أوسع الأمراض انتشاراً فى آسيا وأفريقيا وباستثناء لبنان والأردن والبحرين وقبرص لا تزال جيوب الملاريا موجوده فى كل الشرق الأوسط على درجات مختلفة من الشده .

٦- داء الفيله (الفيلاريا) .

والمرض منتشر فى آسيا وافريقيا وهو فى ازدياد .

٧- مرض النوم الأفريقى وتقول التقارير الأخيره بوجود ٤٥ مليون إنسان و ٢٥ مليون رأس من البشر معرضين للاصابه .

وهناك أمراض هامة سارية لا مجال للتفصيل فيها من أهمها " الكلوليرا " و " التهاب السحايا الجرثومى " وبعض بؤر " الطاعون " و " التيفوس المستوطن" والحمى القلاعيه ، والحمى الصفراء ، وأمراض جلديه متنوعة ، وأخيرا الأمراض الجنسيه التى وفدت من خارج عالم المسلمين إلى ديارهم (١) .

والدعوة الاسلاميه تطالب المسلم بالمحافظة على جسده وعقله ومن الكبائر اتلاف النفس وتعريضها للهلاك ، وقد فتح الرسول صلى الله عليه وسلم باب الأمل لعموم المرضى وأرشدهم إلى طلب الدواء كما قال عليه الصلاة والسلام ((ياعباد تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد)) قالوا ماهو ؟ قال : الهرم ، وفى لفظ لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ،علمه من علمه

---

(١) الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين من ص ٧٨ الى ١٢٣ باختصار .

وجهله من جهله (١) .

وفى رواية " لكل داء دواء ، فإذا اصيب دواء الداء ، برأ بإذن الله عز وجل "(٢) .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

(يجوز أن يكون قوله : لكل داء دواء على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتله ، والأدواء التى لا يمكن لطبيب أن يبرئها ، ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدوية تبرئها ، ولكن طوى علمها عن البشر ، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله ، ولهذا علق النبى صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادقة الدواء للداء ، فانه لا شى من المخلوقات إلا له ضد ، وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده ، فعلق النبى صلى الله عليه وسلم البرء بموافقة الداء للدواء فى الكيفية ، أو زاد فى الكميه على ما ينبغى ، نقله الى داء آخر ، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته ، وكان العلاج قاصراً ، ومتى لم يقع المداوى على الدواء ، أو لم يقع الدواء على الداء لم يحصل الشفاء ، ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء ، لم ينفع ومتى كان البدن غير قابل له ، أو القوة عاجزة عن حمله ، أو ثم مانع يمنع من تأثيره ، لم يحصل البرء لعدم المصادفه ، ومتى تمت المصادفه حصل البرء باذن الله ولا بد ، ويجوز أن يكون قوله ((لكل داء دواء)) من العام المراد به الخاص ، لا سيما والداخل فى اللفظ أضعاف الخارج منه ،

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٤/ ٢٧٨ وابن ماجه رقم ٣٤٣٦ حـ ٢ ص ١١٣٧ وابو داود حـ ٤ ص ١٩٢ - ١٩٣ رقم ٣٨٥٥ عن أسامة بن شريك .

(٢) رواه مسلم حـ ٤ ص ١٧٢٨ رقم ٢٢٠٤ - كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوى عن جابر بن عبد الله .

وهذا يستعمل فى كل لسان ، ويكون المراد أن الله لم يضع داء يقبل الدواء إلا وضع له دواء فلا يدخل فى هذا الأدواء التى لا تقبل ، وهذا كقوله تعالى فى الريح التى سلطها على قوم عاد : (تدمر كل شئ بأمر ربها) (١) اى كل شئ يقبل التدمير ، ومن شأن الريح أن تدمره(٢) .

قلت : والرأى الاول أرجح بدليل صيغة العموم (لكل) فى الحديث فدل على أن المستثنى منه عام ولا يخرج من هذا العموم إلا ما خص بأداة الاستثناء فكان نصاً ، كما أن استقراء معنى طلب الدواء (من كل داء جاء عاماً كما ورد فى السنة الشريفة قولاً كما تقدم ، وعملا من فعل النبى صلى الله عليه وسلم

يقول الإمام الشاطبى رحمه الله :

(العموم إذا ثبت فلا يلزم أن يثبت من جهة صيغ العموم فقط بل له طريقان :

أحدهما : الصيغ إذا وردت وهو المشهور عند كل أهل الاصول .

والثانى : استقراء مواقع المعنى حتى يحصل منه فى الذهن أمر كلى عام فيجرى من الحكم مجرى العموم المستفاد من الصيغ) (٣) .

وقد توفر فى هذه المسئلة هذان الشرطان ، فدل على أن الله تعالى قد جعل لكل داء دواء إلا ما استثنى، وإنما يتفاوت الناس فى معرفته بفضل الله ثم بفضل العلم والبحث والإجتهاد .

---

(١) سورة الاحقاف آية رقم ٢٥ .

(٢) زاد المعاد حـ ٤ ص ١٤ - ١٥ .

(٣) الموافقات حـ ٣ ص ١٦٩ .

وبهذا تؤكد الدعوة صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وتفتح باب الأمل واسعاً أمام الباحثين والعلماء لمعالجة الأمراض والأدواء المستعصيه ، وتضفى على نفسية المريض رجاء غير محدود .

٤ - التخلف الاقتصادى :

نالت أغلب الدول الاسلاميه حظاً وافراً من الفقر والتخلف الإقتصادى رغم امتلاكها لعناصر النشاط الاقتصادى سواء كانت موارد مائية أو موقع جغرافى أو أيدى عاملة رخيصه أو أراضى زراعيه خصبه واسعة فضلاً عن الثروة المعدنية والبترولية الهائلة . ومع هذا كله فإن الدول الاسلاميه مصنفه فى عداد الدوله المتخلفة والنامية وقد صنفت على أساس شروط ثلاثة قائمة فيها :

١- اجمالى الدخل القومى للفرد كان أقل من " ١٠٠ " دولار أمريكى فى العام .

٢- يكون نصيب الصناعة من اجمالى الدخل القومى لا يتعدى ١٠٪ .

٣- أن تكون نسبة الأميه منها ٨٠٪ أو أكبر .

وهى " ٢٥ " دولة فى أفريقيا ، و " ٨ " فى آسيا و " ٢ " فى " وقيانوسيا " وواحده فى أمريكا وأغلبية سكان هذه الدول " هى آسيا وأفريقيا " هم من المسلمين ، وأربع دول منها أعضاء فى جامعة الدول العربية وهذا جدول باسمائها ومواقعها .

* أفقر دول العالم (وأكثرها تخلفاً) *

فى أفريقيا :

١ - تشاد .

٢ - غينيا

٣ - مالـــى
٤ - النيجـــر
٥ - الصومال
٦ - السودان
٧ - غامبيـــا
٨ - تنزانيـــا
٩ - قولت العليـــا
١٠- الحبشـــة
١١- غينا بيســـاو
١٢- جزر القمر
١٣- أفريقيا الواسطى
١٤- الرأس الاخضر
١٥- بورنـــــدى
١٦- بنيـــــن
١٧- بوتســـونا
١٨- ليســـوتو
١٩- مـــــلاوى
٢٠- رواندـــا
٢١- أوغنـــــدا
٢٢- جيبوتـــى
٢٣- غينيا الإستوائيه
٢٤- ساوتومـــى
٢٥- سيشيـــل .

فـى آسيـــا :

٢٦- أفغانستـــان
٢٧- بنغلاديش
٢٨- بهوكـــان
٢٩- اليمن (فى الشمال)
٣٠- اليمن (فى الجنوب)
٣١- جزر المالديـــف
٣٢- نيبـــــال
٣٣- لاوس فى أوقيانوســـا
٣٤- جزر ساموا (الغربية)
٣٥- تونجـــا فى أمريكـــا .
٣٦- هايتبـــى .

وتعتبر الديون مؤشراً هاماً على فقر الدول الاسلاميه المثقلة بالديـــون وفوائدها الربويه التى لا تنتهى مما يعتبر استعماراً واستغلالاً لمقدرات الشعوب الاسلامية ومص لدمائها من قبل دهانقة البنوك الجشعـه .

وفيما يلى عرض لقيمة الديون وفوائدها الربويه المستحقه على الدول الاسلاميه لعام ١٩٨٤م .

إســم الدولـــة	إجمالى الديون الخارجيه بالدولار
الاردن	٣١٩٦
تونـــس	٤٣٠٠
الجزائـــر	١٣٨١١
السودان	٦٦٦١
سوريـــا	٣٠٧٥
الصومال	١٣٨٤
عمـــان	١٥٢٥
لبنـــان	٤٣٩
مصـــر	٢٣٢٠٦
المغرب	١٠١٦٩
موريتانيا	١٢٨٣
بنغلاديش	٥٦٤٤
الكاميرون	٢٦٢٨
تشاد	١١٤
بوركينافاسو	٤٤٣

اسم الدولة	اجمالى الديون الخارجية بالدولار
جابون	٩٤٥
غينيا	١٢٣٤
بيساو	١٩٧٧
إندونيسيا	٣٢٤٨٠
بنين	٦٤٤
ماليزيا	١١٨٤٦
ملاوى	٨٨٥
النيجر	٩٤٥
باكستان	١٦٦٦٥
السنغال	٢٠٢٦
سيراليون	٤٤٦
تركيا	٢٢٢٦٧
أوغندا	١٠١٦
نيجيريا	١٩٧٤٢

وبالرجوع الى الجدول نجد ما يلى :

هناك تسع دول هى الجزائر ، المغرب ، نيجيريا ، مصر ، اندونيسيا ، تركيا ، السودان ، باكستان ، ماليزيا تستأثر بالشطر من ديون مجموعة هذه الدول حيث بلغت ديونها ١٤٥ر٢ بليون دولار وذلك عام ١٩٨٤ رغم أن منها دولاً تغطيه مثل اندونيسيا ، الجزائر ، نيجيريا وعمان وقد وصل اجمالى ديونها ٦٧ر٦ بليون دولار ، أي ٣٦٪ من اجمالى مديونية هذه الدول .

وبلغت الفوائد - الربوية - التى دفعتها مجموعة الدول الاسلاميه على ديونها الخارجيه عام ١٩٨٤ حوالى ٩ر١ مليون دولار بنسبة ٢٢ر٣٪ من اجمالى الفوائد - الربويه - التى دفعتها مجموعة الدول الناميه .

وذكر صندوق النقد الدولى أن معدلات النمو فى الدول الاسلاميه مخيبة للآمال ، واتضح أن هيكل الدول الأعضاء غير المصدرين للنفط فى بنك التنمية الإسلاميه مثقل بديون خارجيه بلغت ٢٣ر٦ مليارعام ١٩٨٠ وارتفع إلى ٢٠٢ر٦ مليار دولار عام ١٩٨٥ ووصلت بعض الدول إلى مرحلة الإنهيار المالى وقاربت مرحلة اليأس من الحصول على قروض جديده من صندوق النقد الدولى .

لأن الدول الاسلاميه اتبعت طريقة التخطيط للتنميه عن طريق الغرب تارة وعن طريق الشرق تارة أخرى (١) .

فهذه نماذج موجزه للجهل والتخلف فى بلاد المسلمين والتى أفرزت تخلفاً عسكرياً تمثل فى الهزائم العسكريه المتواليه وتشرذماً سياسياً لا مثيل له حيث بلغت الخلافات العربيه من ١٩٤٥ إلى ١٩٨١ ما مجموعه ٢٢٧٢ خلافا(٢) .

وخلاصة القول أن التخلف العلمى بشقيه الدنيوى والشرعى - الناشىء أصلاً من التخلف العقدى أصبح هو الطابع السائد للمجتمع الاسلامى ، أما التخلف الحضارى - بشقيه المعنوى والمادى فهو صنو التخلف العلمى وزميله على

---

(١) انظر : جريدة الثورة اليمنيه الصادره يوم الاثنين ١ جمادى الثانى عام ١٤٠٩ هـ الموافق ٩/١/١٩٨٩م باختصار وتصرف يسير .

(٢) جريدة عكاظ السنة التاسعة والعشرون العدد ٨٢٢٦ الأحد جمادى الآخره عام ١٤٠٩هـ .

الطريق ا كما انه نابع من نفس المنبع ، ومتأثر بذات المؤثر ، وهو التخلـــف العقيدى (١) .

مما يجعل أهمية الدعوة امراً لا زماً لبث روح العلم والعمل فى ربوع الامة الإسلاميه ، لتأخذ مكانها القيادى من جديد ، مما يستوجب التوجه إلى اعتبار الدعوة الإسلاميه المنقذ الوحيد بعد توفيق الله ، لاخراج الأمه الاسلاميه مـــن واقعهـــا المؤلم ، وضمان مستقبلها المنظور بإذن اللـــه .

---

(١) واقعنا المعاصر لمحمد قطب باختصار يسير ص ١٧٦ - ١٧٧ .

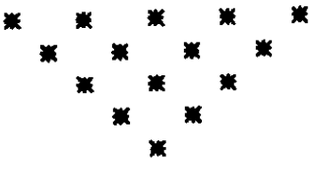

* المبحث الثاني *

((التيارات الهدامة وسيطرة أعداء الإسلام))

واجه عالمنا الإسلامي عبر تاريخه صراعاً تاريخياً مريراً تختلف حدته وضعفه وأثره حسب تمسك المسلمين بدينهم ، وأدرك الأعداء من خلاله إلى أنه لا جدوى نافعة تحت ظل الهجمات العسكرية فقط ، والتي تؤول عاقبتها في الغالب إلى عودة المسلمين إلى مكمن عزتهم وقوتهم وذلك بعودتهم إلى دينهم واجتماعهم على كلمة سواء ، ومن ثم لا بد من استبدال السلاح العسكري بسلاح أمضى وأقوى يؤدي مهمته دون تكلف وعنت مع الديمومة والثبات عبر الأجيال المتلاحقة ، فاجتمعت كلمتهم على البديل الخطير المتمثل في الغزو الفكري ، والتيارات الهدامة ، فأصبح العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه مسرحاً للحملات النشطة والمتابعة التي تجوس خلال الديار لإفساد العقائد والأخلاق ، ولا ريب أن هناك صلات عقديه وتاريخيه بين ماضي الأعداء وحاضرهم ينم عن روح الحقد والكراهيه لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

كما قال الله تعالى :(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) (١) .

وقال تبارك وتعالى : (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) (٢) .

وقال سبحانه : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(٣)

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٠٩ .
(٢) سورة الصف آية رقم ٨ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٢٠ .

وقال تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) (١) .

وقال تعالى : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون .(١)

ويقول الامام الغزالى رحمه الله :

(تشاور جماعة من المجوس المزركيه وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا بسهام الرأى فى استنباط تدبير يحقق لهم ما أنابهم من استيلاء أهل الدين ، وينفس عنهم كربة مادهاهم من أمر المسلمين حتى أخرست السنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من إنكار الصانع ، وتكذيب الرسل ، وجحد الحشر والنشر ، والمعاد إلى الله فى آخر الأمر وقد تفاقم أمر محمد صلى الله عليه وسلم واستطارت فى الأقطار دعوته واتسعت ولايته ، واتسعت أسبابه وشوكته حتى استولوا على ملك أسلافنا ، وأنهمكوا فى التنعم فى الولايات مستحقرين عقولنا ، ولا مطمع فى مقاومتهم بقتال ، ولا سبيل إلى استنزالهم إلا بمكر واحتيال ، ولو شافهناهم بالدعاة إلى مذهبنا لتنمروا علينا ، وامتنعوا من الاصغاء إلينا فسبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم وهم اركسهم عقولاً ، وأضعفهم رأياً ، وألينهم عريكه لقبول المجادلات ، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات وهم الروافض ، ونتحصن بالانتساب إليهم والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم ، ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم ، من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم ، والذل الهائل ، ونتباكى لهم على ما حل بآل محمد ((صلى الله عليه وسلم))

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥١ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٢ .

ونتوسل به إلى تطويل اللسان فى ائمة سلفهم الذين هم اسوتهم ،حتى إذا قبحنا أحوالهم فى أعينهم وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم ، اشتد عليهم بـــاب الرجوع إلى الشرع وسهل علينا استدراجهم إلى الانخداع عن الدين .

وإن بقى عندهم معتصم من ظواهر القرآن ومتواتر الأخبار ،اوهمنا عندهـم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن ،وأن امارة الأحمق الانخداع بظواهرها وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها ، ثم نبث إليهم عقائدنا ، ونزعم انها المراد بظواهـــر القرآن ثم التحيز إلى هؤلاء ،والتظاهر بنصرهم (١) .

وهكذا تشابهت خطط الأعداء ،ومقاصدهم من محاربة الإسلام والمسلمين ، وإن كان العصر الحاضر يغاير العصر الغابر فى وفرة الوسائل وخبثها .

والمهم فى هذا المبحث الاشارة إلى ما يعانيه المسلمون فى واقعنا المعاصر من حملات التنصر والغزو والتى قامت فى نظري على مرحلتين هما :

أ - المرحلة السابقة : التأسيس .

ب - المرحلة اللاحقة : التأييس .

وقد بدأت المرحلة الأولى بعـــد الحروب الصليبيه واستمرت إلى نهايـــــة عهود الإستعمار ،أما المرحلة الثانية فهى المرافقه لما يسمى بعهود الاستقلال حتى الآن مع ملاحظة أن القائمين بتينك المرحلتين هم رموز الطغاه ومخططوا النظم والأفكـــار ومنفذوها إلا أن المرحلة الأخيره يغلب عليها جانب أبناء الوطن المتفرنجين وهـم فى الغالب عملاء .

وفى المطالب التاليه بيان لفحوى هذا الغزو الفكرى :

المطلب الاول : أفراده :

١ - المنصرون : والمراد بهم حملة الإنجيل لغير المؤمنين به بقصد تنصيرهـــم

---

(١) فضائح الباطنية ص ١٨ - ١٩ باختصار .

ويعتقد الباحثون أن لويس التاسع ملك فرنسا هو أول من أوصى النصارى بالقيام بالحملات التنصيريه في العالم الاسلامي (١) .

وأول جمعية تأسست للتنصير هي جمعية لندن التنصيريه عام ١٧٩٥ (٢) .

٢ - المستشرقون :

ويقصد بهم الأفراد الغربيون الذين تخصصوا في الدراسات الاسلاميه خاصة والشرقيه عامه ، (ولا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرعيه ولا في أي وقت كان ذلك ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الذين قصدوا الأندلس في ابان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب الغربيه إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم)(٣) أول من عني بهذه الدراسة المتخصصة في الغرب .

٣ - السياسيون :

وهم أصحاب القرار السياسي من أرباب الولايات ويتجلى أثرهم في الذي عقد في برلين سنة ١٨٨٧م وتمخض عن القرارات التالية :

١- تحطيم الدولة العثمانية .

٢- تمزيق البلاد الاسلاميه الى دويلات صغيره .

٣- دعم الأقليات النصرانية في البلاد الاسلاميه واستغلالها في إثارة الفتن والقلاقل .

٤- مساندة وتشجيع المذاهب المناهضة للاسلام .

---

(١) قبل أن تدفعوا الجزيه د . عبد الودود شلبي ص ١٥ .

(٢) قوى الشر المتحالفه ص ٨١ ت : محمد محمد الدهان .

(٣) الاستشراق والمستشرقون . د . مصطفى السباعي ص ١٣ .

٥- مضاعفة جهود التنصيريه .

ومن المعلوم أن القاده السياسيين هم قادة الحروب الصليبيه يقول اللورد بلفور وزير الخارجيه البريطانية :

" ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمورهامة ولولا هم لتعـــذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات وعلى هذا فنحن فى حاجة إلى محبة دائمـــه يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين " (١) .

ويقول ايوجين روستو رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجيه الا ميريكيـــه ومساعد وزير الخارجيه الا مريكى ومستشار الرئيس الأمريكى جونسون لشؤون الشـــرق الا وسط حتى عام ١٩٦٧م :

" يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الا سلاميه ، والحضـــارة المسيحيه ، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والا سلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظه بصور مختلفة ، ومنذ قرن ونصف خضع الا سلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الا سلامى للتراث المسيحى "(٢)

وفى هذا القول مالا يخفى من الحقد والكراهيه والشماته بهزيمة المسلميـــن والغبطه بانتصار النصارى فى هذا العصر ويلخص بن جوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل بقوله " ان علينا واجباً مقدساً فى الحيلولة بين الا سلام والحيـــــاه ،

---

(١) الحركة الفكريه ضد الا سلام ص ١٤١ ت د . بركات عبد الفتاح د ويدار .

(٢) العالم الا سلامى والمكائد الدوليه خلال القرن الرابع عشر الهجرى .
د : فتحى يكن ص ٦٥ .

انه واجب مقدس فى الغرب المسيحى كما هو واجب مقدس فى اسرائيل وعلينا أن نبذل أقصى الجهود فى منع ظهور أى محمد جديد ! (١) .

٣ - الأغنيـــاء :

لم يكن ليتخلف المال بصولجانه عن ركب الغزو العدائى ضد الإسلام يقول الصيرفى الأمريكى الشهير " الفريد ميرلنغ " فى المؤتمر التنصيـــرى المنعقد فى روشسنز بأمريكا : ان لدى أمراً أريد أن أبسطه عليكم ، وهـو أننا أصدقاء قديمون أجتمعنا ورأينا اننا كنا فى ضلاله ، لأن السعـــى الوحيد وراء اقتناء الاحجار الرنان لا يأتى بفائدة ادبيه ، لذلك يجب أن نعمل مجهوداتنا للتأثير على رجال الكنيسة ، وعلى الاغنياء الذين يتمتـــع كل منهم بشئ من ثروة البلاد التى تربو على ١٠٧ مليارات ريثما يستعملون ثروتهم لأغراض ساميه نبيله ، لأن العالم بحاجة شديدة ليسوع المسيح .

ولذا فاننا نقول للقائمين بأعمال التبشير : سندر عليكم اموالنا بمزيد من الدقه ، فهل لكم أن تنضموا الينا وأنتم فى شرخ الشباب ضحـــــوا حياتكم نظير ما نبذله لكم من الأموال لأننا نحن الآن فى سن الشيخوخه ، وأصبحت أيامنا معدوده ، هل لكم أن تقضوا حياتكم خدمة يســـوع المسيح ؟ نحن نريد جمعية تبشيرية لا يعطلها عن أعمالها غير الموت ، ولنبرم هذا العقد بيننا .

ثم اجتمع متمولوا امريكا واغنياؤها لأول مرة سنة ١٩٠٦م فقرر هؤلاء المتمولون تأليف لجنة منهم للمذاكره مع رؤساء كل إرساليات التبشيـــــر

---

(١) قبل أن تدفعوا الجزيه ت عبد الودود شلبى ص ٢٢ .

الأمريكية فى الامور التاليه :

١ - بذل الجهود لاجل تربية المبشرين العلمانيين .

٢ - البحث واعمال الفكر لرسم خطة تنصير العالم قاطبه فى ٢٥ سنة .

٣ - تشكيل لجنة هامة مؤلفة من ٦٠ عضواً او اكثر باقرب ما يمكن لكى تتعهد وتزود مراكز التبشير وتعمل التقارير عنها[١] .

٤ - أصحاب الحرف المهنيه .

سخر أعداء الاسلام جميع التخصصات المهنيه لخدمة مخططاتهم العدوانيه وخاصة - الطب ، والهندسة ، والتعليم ، والصحافه ، والرياضة وهو باب لا يمكن الاحاطة به[٢] .

المطلب الثاني : مجالات الغزو :

١ - محاربة العقيدة الاسلامية :

من صور الغزو العدائى ضد الاسلام محاربة عقيدته وذلك بالدعوة إلى الرده واعتناق النصرانيه تارة وبالطعن والتشكيك تارة أخرى فان الهدف الرئيسى من جهود المتشرقين هو اقناع المسلمين بلفتهم ببطلان الإسلام[٣] .

وقال المنصر الأمريكى الشهير " زويمر فى مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥م " ان مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقاً لا صله له بالله ،

---

(١) الحركة الفكريه ضد الاسلام ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) انظر : كتاب التبشير والاستعمار وهو من اوائل الكتب المؤلفة التى رصدت الحركة التنصيرية ضد الإسلام ولا أعلم كتاباً جمع مثل مادة بحثه رغم قدم تأليفه ، ولذلك فإن الحاجة ماسة إلى مسح وتنقيب لحصر جهود هذا الغزو ورصده ومتابعته .

(٣) المستشرقون والدراسات الإسلاميه د . محمد المغير ص ١٥ .

وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلاميه وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائه السالفة خير قيام (١) .

أ - وينص تشكيك المبشرين حول القضايا التاليه :

ب - التشكيك في نبوة النبى صلى الله عليه وسلم .

حـ - " " صحة القرآن .

د - " " انتشار الإسلام وتاريخه .

هـ - " " عدالة الخلفاء المسلمين .

" " العبادات والشريعة الاسلاميه عامة مثل العقوبات ومكانتها في الإسلام .

معتمدين على الروايات التاريخيه والأحاديث الموضوعه والضعيفة فضلاً عن الدس الرخيص والكذب الصراح مع الجهل الفاضح بأساليب اللغة العربيه وعلومها وخاصة عند تحقيق كتب التراث ونشرها .

٢ - افساد الأخلاق :

حرص أعداء الاسلام على ضرب الأخلاق الاسلاميه فى الصميم ، وبذر تيار الإنحراف الأخلاقي وتسهيل الفساد بجميع صوره وأشكاله ، لتصبح الأمه أسيرة الشهوات الهابطه ، والأغانى الماجنه ، والصور الخليعة ، والروايات المنحرفه .

---

(١) جذور البلاء عبد الله التل ص ٢٧٥ .

٣ - تعطيل الشريعه إلا سلاميه :

من أهم أهداف الغزو الفكرى تنحية الشريعه الإ سلاميه وزحزتها عن قيادة الأمة الا سلامية وفصلها عن الحياة بالكلية ، وذلك بتجهيل المسلمين بدينهم من جهة وتمكين القيادات العلمانيه من تسيير دفة الحياة في بلاد المسلمين من جهة أخرى .

٤ - تعميق مفهوم التبعيه الغربيه :

لا ينتهى الغزو الفكرى عند حد ، وإنما يسعى لبتر حاضر الأمة الإ سلاميه عن ماضيها وقطع العلاقة العقديه والثقافية والتاريخيه بين أجيال المسلمين ، وجعل الأمة لا شخصية لها ولا كيان .

المطلب الثالث : وسائل الغزو الفكرى :

١ - التنصير المباشر :

ركز أعداء الا سلام جهودهم المتواصله لتنصير المسلمين مستخدمين كل الوسائل التى يزخر بها العصر الحديث من وسائل النقل والا تصال الحديثه ، وأعمال البر والخدمات الاجتماعيه ، وإقامة المستشفيات الحديثة وفتح أبواب الجامعات والمعاهد العليا أمام أبناء المسلمين ونشر الكتاب التبشيرى فى طبق المساعدات السخية وعلى سبيل المثال نجد أن نشاط المنصرين البروتستانت فى أفريقيا مرتفع جداً فقد نشرت المجلة التنصيريه الألمانيه أن عدد جيش المنصرين البروتستانت وحدهم ١٠٤ آلاف مبشر.

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعى التوراة والا نجيل المشتركين فى التنصير ما يقترب من ٩٣٠٠٠ وعدد المعاهد الكنسيه ٦٧١ و ١٧ معهداً

إبتدائياً ومتوسطاً وثانوياً .

ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال كما يخضع لسلطتهم ٤٨٩ مدرسة لا هوتيه متخصصه فى تخريج المنصرين وتدريبهم على أعمال التنصير .

وتحت سلطة التنصير أيضاً - ٢٥٩٤ مدرية ثانوية ، ٨٣٩٠٠ مدرسة إبتدائيه ، ١١١٣ روضة أطفال ، وتفوز أفريقيا من هذه الإحصائيات بأكبر نصيب.

وفى الجانب الطبى والإجتماعى - وهو من أهم وسائل التنصير - يملك المنصرون ٦٠٠ مستشفى للرجال والنساء ، ١٠٥٠ صيدليه توزع الدواء بالمجان و١١١مجلساً طبيا ، ٩٣ جمعيه للممرضات ، و ٢٦٥ ملجأ للايتام ، ١٢٠ملجأ للبرص ، ومثلها للصم والبكم ، و١١٥ مدرسة للمكفوفين و ١١٣ مستوصفاً لمدمنى الأفيون ، ٨٥ ملجأ للأرامل (١) .

٢ - تشجيع الفرق الضالة وحمايتها :

يسعى منظرو الغزو الفكرى إلى تدمير العقيدة الإسلاميه بأى وسيلة كانت ، ومن ذلك تشجيع الفرق الضاله واحياء ما اندثر منها ،وإخراج فرق جديدة لم تعرف من قبل،وأكتفى بمثال واحد من تلك الفرق وهى : القاديانية وهى نحلة انجليزية الرعاية تنسب الى غلام أحمد القاديانى المولود سنة ١٢٥٣ الذى ادعى المهديه ثم النبوة ومن مبادئ هذه الفرقة مايلى :

١- القول بعدم ختم النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

٢- القول بنبوة غلام أحمد .

٣- القول بإن الوحى مفتوح للناس وقد نزل على غلام أحمد .

٤- تعطيل فريضة الجهاد والدعوة إلى طاعة ولاة الأمر الإنجليز .

(١) المسلمون فى معركة البقاء ت د . عبد الحليم عويس ص ٤٠ .

٥ - الدعوة إلى الحج إلى قديان بأرض الهند بدل مكة المكرمة .

٦ - تكفير من لا يعتقد معتقدها (١) .

٧ - ولاءه للانجليز وحمايته له .

ولما رأى الإنجليز حركة الجهاد ضدهم في الهند قائمة على قدم وساق اختاروا رجلاً يخدم سياستهم ، ويصرف المسلمين عن الجهاد باسم الدين ، فوقع اختيارهم على غلام أحمد الذى اجتمعت فيه ثلاث خصال :

أولهما : الطموح إلى تبوء الزعامة الدينيه ، والاستيلاء على العالم الاسلامي باسم النبوة .

ثانيهما : الخلل العقلي ، وله شواهد وبينات تفيض بها كتبه ، وقد تواتر ذلك عنه واستفاض .

ثالثهما : الأغراض السياسيه وخدمة الحكومة الإنجليزية وتدرج القادياني من دعوى التجديد إلى المهدوية ، ومن المهدويه إلى المسيحية ، ومن المسيحية إلى النبوة وهذا ما أراده الانجليز .

وقد موا له الحماية ومكنوه من نشر دعوته ، ولذلك ظل حافظاً لعهدهم معه ، حيث صرح أنه غرس غرسته الحكومة الإنجليزية ، وذلك في التماس قدمه إلى حاكم مقاطعة البنجاب الإنجليزى يوم ١٤ عام ١٨٩٨م . (٢)

وقال " لقد قضيت عمرى في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الانجليز من الكتب والنشرات مالو جمع

---

(١) قوى الشر المتحالفة ، ت : محمد محمد الدهان باختصار ص ١٢٣-١٢٤ .

(٢) الاسلام في مواجهة التحديات ص ١١٤ ت : د . محمد رأفت سعيد .

بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم " (١) .

فهذا نموذج يدل على عناية أعداء الإسلام بمحاربة العقيدة الإسلامية على كر العصور .

٣ - الكتابة عن الإسلام :

أبدى عدد من الغربيين رغبة قوية لدراسة الاسلام بغرض الطعن فيه والصد عن سبيله ، وتسهيل مهمة المنصرين ، وخرجوا بكتابات ومؤلفات ضخمة في عدة ميادين ، ودسوا بين تضاعيفها الكذب والتزوير ، وقلب الحقائق عن عمد ، وأخطر مافيها أنها غدت مراجع موثوقه لدى كثير من الدارسين الأوربيين وبعض أبناء المسلمين ، وخاصة كتب المتشرق اليهودي جولد تسهير والمنصر الشهير صمويل زوعر ومن أمثلة هذه الكتب تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي من تأليف جولد تسهير وكتاب دراسات إسلامية للمؤلف نفسه وكتاب " الاسلام تحد للعقيد " لزويمر (٢) وقس على هذا في سائر مؤلفات المستشرقين .

٤ - بعث القوميات القديمة :

لتشتيت شمل الأمة الإسلامية ووحدتها ، سعى الغزو الفكري إلى احياء القوميات القديمة الموغله في القدم وربط أبناء المسلمين بها متخطياً عقيدة التوحيد ، التي جمعت بين المسلمين ففي المغرب سعى

---

(١) ترياق القلوب لغلام أحمد القادياني نقلاً من القاديانيه دراسة وتحليل ص ٢٠ - ٢١ ت إحسان إلهي ظهير .

(٢) الإستشراق والمستشرقون ص ٣١ - ٣٢ ت د / مصطفى السباعي .

الفرنسيون لاحياء القوميه البربرية . وفى لبنان سعى النصارى إلى إحياء القومية الفينيقيـــه وفى مصر بلد الأزهر ظهرت دعوات عدة تارة تدعوا إلى القوميه الفرعونيه وتارة إلى الارتباط بثقافة البحر الأبيض المتوسط ، وفى تركيا ظهرت الدعـــــوة إلى القومية الطورانيه ومن أهم ما فرق بين المسلمين العرب عامة وغيرهم من الشعوب الاسلاميه الدعوة إلى القوميه العربيه التى يعتبر النصارى العرب هم دعاتهـــــا الحقيقيون لأن جهودهم وآراءهم (بمثابة البذور الأولى كفكرة القومية العربيـــه المجردة من الاعتبارات الدينيه)(١) وخطتهـــــم فى الدعوة إلى القومية أنهـــم يعمدون (فى كل بلد إلى أقلية غير مسلمة من الأكثر، وحاولوا أن يضموا إليهـــا أحياناً نفراً بارزاً من المسلمين ، كما اتفق لهم فى مصر فقط ، ليلفقوا لأهل كـــل قطر مسلم قومية وهميه جديدة ، لقد أرادوا أن يبعثوا " الفرعونيه " من خـــلال حجارة الأهرام فى مصر ، " والفينقيه من خرائب الساحل الممتد من يافا إلـــى اللاذقيه على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط، ثم إنهم لفقوا فى العراق دعوة آشوريه لم يكتب لها أن تولد حيه)(٢) .

٥ - السيطرة على مناهج التعليم :

امتدت جهود أعداء الإسلام إلى السيطرة التامه على مناهج فى كثيـــر من أقطار العالم الإسلامى ، وفق سياسات ترمى إلى فصل الاسلام عـــن الأجيال القادمه ، فقد رسم سياسة التعليم فى بعض أقطار المسلميـــن

---

(١) محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ص ١٦٦ نقلاً من المدخل إلى الثقافـة الاسلامية ص ٤٠ تأليف د . محمد رشاد سالم .

(٢) التبشير والإستعمار ص ١٧٤ ت د . عمر فروخ ، د . مصطفى الخالدى .

أشد أعداء المسلمين حقداً ما بين يهودى حاقد كما فى فلسطين (١) أو قسيس خبيث كما فى مصر حيث تولى ادارة التعليم فيها ابان عهد الإستعمار البريطانى القسيس دنلوب الإنجليزى .

ومن أهم الأساليب الذى أتبعها هؤلاء الساسه مايلى :

١- محاربة العلوم الشرعيه .

٢- محاربة اللغة العربية .

٣- التعليم المختلط .

وقام نظام التعليم فى أكثر الدول الاسلاميه على هذا حتى عد ذلك (ضرباً من ضروب الالزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه ، لان عليه أن يختار من أن يبعث بابنه أو بنته إلى هذا الوسط ومن أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم فى ظلمات الجهل) (٣) ومن أخطر ما نجح فيه أعداء الاسلام فى هذا الناحيه هو تدريس النظريات التربويه الغربية فى الجامعات وتطبيق مضامينها فى أغلب الدول الاسلاميه دون وعى وتمحيص .

٦ - استخدام وسائل الأعلام :

من أخطر الوسائل التى سخرها أعداء الاسلام لمحاربة الإسلام والمسلمين ما يطلق عليه وسائل الاعلام وتشمل المسموعه ، والمقروءه ، والمرئيه وكلها قنوات طافحه بالسموم الفكريه القاتلة للعقائد والاخلاق

---

(١) جذور البلاء من ٢٢٢ ت د . عبد الله التل .

(٢) واقعنا المعاصر ٢١٧ ت . محمد قطب .

(٣) حصوننا مهددة من الداخل ص ١٦٣ - ١٦٤ للدكتور / محمد محمد حسين .

ويعتبر الكتاب المترجم إلى اللغة العربية المؤثر فى صفوة المثقفين من قراء العربية ، وقد بدأ مترجماً فى أول "عهد النهضة" ثم أصبح مؤلفاً فيما بعد ، وإن كان حظ الترجمة ظل موجوداً على الدوام ، وترجمت مئات من القصص والمسرحيات والكتب التى تحمل الفكر الغربى العلمانى الجاحد للدين المنادئ له ، مع عناية خاصة بنشر أفكار من نظرية التطور الدارونيه .

فأما القصص والمسرحيات فقد كان الهدف من نشرها على نطاق واسع هو تحطيم التقاليد الإسلاميه التى تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلل الخلقى وقد كان الفن الذى يترجم هو الفن الذى تخلص من القيم الدينيه ، وراح يدعو إلى إقامة مجتمع طليق ، من تلك القيم ، مجتمع يهبط تدريجياً حتى يصبح مجتمعاً حيوانياً فى النهاية .

أما الصحافة فشأنها أخطر ، فلئن كان الكتاب بصفة عامة هو زاد "المثقفين" فالصحافة زاد شامل ، يشمل المثقفين وأنصاف المثقفين كما يشمل العامه[1] . وثمة وسيلة أدهى وأمر لاقت رواجاً لا مثيل له من قبل ، وحقق الأعداء بواسطتها ما يؤملونه من تحطيم الأخلاق والقيم وذلك من خلال جهاز الفيديو ، وتعتبر صناعة السينما هى المصدر الأول لأشرطة الفيديو ، فمن المعلوم أن اليهود فى العالم وخاصة فى أمريكا يديرون صناعة السينما هناك (ويتحكم اليهود فيها دون سواهم فى ذلك ، ويطردون منها كل من لا ينتمى إليهم أو لا يصانعهم ، وجميع العاملين فيها هم ، اما من اليهود أو من يصانعهم وفى أمريكا ينطلق التأثير

---

(١) واقعنا المعاصر باختصار ص ٢٣٥ - ٢٣

(٢) انظر : صحيفة الأخبار المسيحية نقلاً من كتاب النفوذ اليهودى فى الأجهزة الأعلاميه والمؤسسات الدوليه ص ٣٧ ت فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعى .

العالمى للفيديو وتعتبر منظمة اليونسكو العالميه أداة النشاط المباشر فـــى العالم ووسيلة لبذر الأفكار المعاديه للاسلام من خلال لنشاط الإعلامى والثقافى ويكفينا أن مديريهـــا غالبهم يهود ولا عجب فى ذلك إذا علمنا ان الذيـــن تحكموا فيها عند انشائها هم :

الف سومر فيلد	رئيس لجنة التبادل الخارجى	يهودى
جى . ايزنهارد	رئيس لجنة الثقافة العالميـــه	يهودى
أم . لافتهـــن	رئيس شعبة الثقافة العالميـــة	يهودى
اج كابلـــــن	رئيس لجنة الاستعلامات العام	يهودى
س . ا . ج . ويتز	رئيس قسم الميزانية والاداره	يهودى

(١)

وقد تركزت جهود تلك الوسائل على ما يلى :

١- افساد المرأه المسلمه .

من الصعب جداً حصر المجلات التى تروج الخلاعة والمجون والسفور " وتجاوز هذا الداء المجلات إلى أشرطة الخياله ، ثم اقتحم المعاهد الحكوميه فدخل مدرسة الفنون الجميله ، ولكن لم يدخل هذه المرة فى شكل صورة وتمثال وإنما دخل جسمانيا ، فتاة فى مقتبل الشبـــاب تقف عارية كما ولدتها أمها" (٢) .

ولعل أبرز ما روجته وسائل الإعلام الدعوة إلى تحرير المرأة سواء كانت من خلال كتب مؤلفه أو مقالات ونشرات أو مقابلات تغطى بها المجلات والجرائد أو من المسلسلات والأفلام والقصص .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) الإتجاهات الوطنيـــه ٢/٣٣٣ ت د . محمد محمد حسين .

٢ - تشويه سمعة دعاة الإسلام والحكومات التى تطبق الشرعيه الاسلاميه وخلع الألقاب المنفرة كالمتطرفين ، والاصوليين ، والمتشددين .

٣ - إهمال قضايا المسلمين عن عمد وإقامة تعتيم عالمى، بينما لو قتل يهودى أو نصرانى أقاموا الدنيا بأكملها .

٤ - السعى إلى تخدير الأمة بمختلف الملهيات ، وتضييع أوقات المسلمين وأعمارهم فى متابعة ورصد لغو القول وخطله .

٥ - إبتزاز أموال المسلمين واستغلالهم ، وجعلهم أسواقاً مستهلكه لنقل ما تنتجه مصانع الأعداء من مختلف الكماليات والضروريات .

٦ - توجيه الرأى العام الاسلامى ، إلى تقمص الشخصية الغربية والافتتان بحضارتها وتراثها عامه .

٧ - الهجوم العسكرى .

من الأخطاء السائد ، الإعتقاد أن الغزو الفكرى قد حل محل الغزو العسكرى ، وأن السلام والأمن العالمى قد عم أرجاء المعمورة ، وهى دعوى عريضه لا تناسب حال بلاد المسلمين المغصوبه ، ودماؤهم المهدره ، وأعراضهم المنتهكه ،على ذلك والحق أن ما أصاب المسلمين فى عصرنا أشد وأنكى مما أصابهم فى تاريخهم الطويل وبيان ذلك :

أن الحرب فيما مضى تتوجه إلى بلد بعينه ، ولم تعرف الشموليه المعاصره التى قل ما يسلم بلد مسلم من بلائها وشرها بصورة مباشرة أو غير مباشرة واتخذت أشكالاً وأبعاداً تفوق الحصر ، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلى :

١ - غزو عسكـــرى خارجـــى :

ويتمثل فى اجتياح جيوش بلاد المسلمين الآمنة واحتلالها بقـــوة ، وإزالت معالم الاسلام فيها وخير مثال على ذلك الجمهوريات الإسلاميه فى الإتحاد السوفيتى التى سقطت الأولى تلو الأخرى أبتداء من عهـــــود الملوك القياصرة النصارى وانتهاء بملوك الحزب الشيوعى اللعين. كمـــا تمثل فلسطين جرحاً دامياً فى جسد الأمه لا زال ينزف منذ ٤٠ عامـــاً واستطاع أعداء الاسلام فى المعسكرين الشرقى والغربى إقامة دولـــــة اسرائيل وتسليحها بكل ما يستجد من أدوات التدمير والهدم ، واستطاعت خوض ثلاثة حروب انتهت باحتلال أضعاف حجم فلسطين ومن صور الغـــزو إحتلال الجيش الأثيوبى النصرانى لأرض أرتريا المسلمة ويعتبر الإحتـــلال الروسى للإفغانستان المسلمه دليلاً كاشفاً عن استمرارية العداء السافـــر للاسلام والمسلمين ولم يزل كابوس هذه الحروب العدائية جاثماً حتى هذه الساعة بل وازداد ضراوة وشده وخبث .(١)

٢ - الغزو العسكرى الداخلـــى :

بعد تمكن أعداء الله من السيطرة على بلاد المسلمين ، أو على بلاد بها أكثريه أو أقليـــه أوقعوا أعظم الجرائم وابشعها فلو (أن عقـــلاً أكترونياً ، توفر على إجراء احصاء دقيق لتلك الملايين من الرؤوس البشرية التى انفصلت عن أجسادها ، لاثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الدم الإسلامى هو أرخص الدماء فى الارض خلال هذا القرن .

ففى آسيا دماء زاد تعدادها على ثلاثين مليون مسلم هم العـــدد

---

(١) انسحبت القوات الروسيه دون الاستشارين ولا زال الدعم المادى مستمرا للحكومة العميلة فى افغانستان رغم الضائقه المالية التى تهدد حاضر الاتحـــاد السوفيتى ومستقبله .

التقريبى لضحايا الثورة الشيوعيه ، وفى الفلبين حيث تقترب عدد الضحايا من مليونين ، وفى فلسطين المحتله ، وفى جنوب لبنان حيث تتعاون القوات السورية والمارونيه والإسرائيليه على تعميق قنوات الدم الاسلامى ، وفى أفريقيا تأخذ المعركة ابعاداً جديده ، ففى نيجريا التى تعتبر أكبر بلد أفريقى سالت الدماء الإسلاميه بعنف وقسوة ، وبطريقة خفية ولكن مكشوفه ، لم يكن يدرى احد لحدودها نهايه ، وكان أبرز حادث دموى هو مقتل المجاهد الرئيس (أحمد بلو) وما تبعه من حكم نصرانى ومن حركة انفصال (بيافرا) .

وفى البلد الافريقى " الثانى " حيث تعيش أغلبية إسلامية كبيرة وتوجد امكانات نهضة إسلاميه قويه ، تمكن التواطؤ الصليبى الشيوعى من التنكيل الدموى والإرهابى بالمسلمين ، حتى ليقول بعض المؤرخين ، ان ما تعرض له الإسلاميون فى هذا البلد على إمتداد العقدين الاخيرين يعتبر من أكبر المذابح العقائديه فى التاريخ .

أما فى " تنزانيا " حيث نجح طاغوت كبير " جوليوس " نيريرى فى الوصول الى الحكم ، فقد أقام المشانق للمسلمين ، وتقول احدى الاحصائيات انه تم القضاء على أكثر من عشرين ألف مسلم فى بضعة أسابيع وان من جملة هؤلاء كان خيرة العلماء الزنجباريين .

أما فى كينيا وتشاد والصومال ، فالدم الإسلامى يتارجح بين السفك لأمور داخليه ، ولاعتبارات خارجيه ، وتأتى (حبشه) هيلاسلاسى[1] ، ومنجستو ، لترى

---

(١) الإمبراطور السابق للحبشة والذى أطاح به فى انقلاب عسكرى الكولونيل منجستو هيلا مريام .

العالم أبشع صوره للعداء للإسلام (١) .

فهذه الأرقام السالفة الذكر ، ليست شامله لعموم المسلمين المضطهدين في أفغانستان ، وفطانـــي ، وإيران ، وبورما وبلغاريا وغيرها من البلدان ، ممـا حدا بالمسلمين إلى الفرار والبحث عن مكان آمن وقد دلت الاحصائيات أن حوالى عشرة ملايين لاجئ مسلم يعيشون في بلدان أجنبيه ليشكلوا بذلك ٨٧٪ من لاجئ العالم في عام ١٩٨٣م (٢) .

وتقول الاحصائيات " أن ما يقرب من ٤٠٪ من تعداد المسلمين في العالم يعيشون كأقليات في بلاد أكثريه سكانها من غير المسلمين ، وهؤلاء يعيشون كجزر منفصله ومتباعده ، تحيط بها مجتمعات غريبة عنها عقدياً وفكرياً وسلوكياً ، بل غالباً ما تعمل الأكثريه بما في يدها من نفوذ وقوة على سحق الأقليات المسلمه وتحطيم هويتها المتميزه وطمس شخصيتها وثقافتها واخضاعهم في كثير من الأحيان والمكان الى الاضطهاد البدني والفكرى والسلوكى لدفعهم بكل قسوة وحقد الى التخلـــي عن معتقدهم وتقاليدهم وثقافتهم الاسلاميه "(٣) .

فمما تقدم ندرك حاجة المسلمين المعاصرة إلى الجهاد في سبيل الله ذلك الطريق الأوحد ، لاصلاح أحوالهم جذرياً ، ومن دون الدعوه إلى الله ، فلا أمل يرجـــى من اصلاح ، كما دل بذلك تاريخ الأمة في العصر الحاضر .

---

(١) انظر المسلمون في معركة البقاء باختصار ص ١٣ - ١٦ .

(٢) الأقليات المسلمه في العالم ظروفها المعاصره آلامها وآمالها ، أبحاث ووقائع المؤتمر العالمى السادس للندوة العالميه للشباب الإسلامى المجلد الأول ص ٣٦١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٣ .

* * *

المبحث الثالث

((حالة العالم غير الاسلامي))

وأختم هذا الباب ببيان موجز لحال العالم غير المسلم وما حصل له من انحطاط أخلاقي مهلك ، فمن المعروف أن الشرك والكفر هما عقيدة المعسكرين الشرقي والغربي ومن سار في فلكهما ولا زالت بعض العقائد الوثنيه تهيمن على أجزاء كبيره من العالم ، ولم يستفد العالم من تقدمه المادي والعلمي ارتقاء في مجال الأخلاق والقيم وإنما ارتكس من قمة رأسه إلى أخمص قدميه في أوحال الرذيله والهبوط الأخلاقي المشين ، واستحالت جميع الأعراف والمبادئ والتقاليد السويه لدى الشعوب إلى تراث رجعي قديم ، أنتهى وقته وعفا أثره ، وانعدمت جدواه ، وفي ظل هذا الفراغ حلت المذاهب الماديه كالوجوديه ، والبراجماتيه ، وملأت ما كان فارغاً ، وأنعكس ذلك على جميع النظم ، التي تسير دفة الحياه ، ففي المجال السياسي حلت الأثره الحزبيه المنظمه محل سلطة الملوك الألهيين وفي الشرق زال قياصره الملك وجاء قياصرة الحزب بثورة حمراء لا تبقي ولا تذر وهي نسخة تطبق الأصل حيثما حل شؤمها وبلاؤها في أي بلد في العالم .

وجعل كلا النظامين المال قبلته ووجهته ومقصده وغايته وسر وجوده ، فنجد الغرب المذهبي تكدس المال في خزانته ويفتح أبواب مصادره دون رادع من خلق أو دين ، ولو بيع الاعراض ، وانتهاك الحرمات ، واستغلال الشعوب .

وعلى الوتيره نفسها ينهج المعسكر الشرقي المذهبي ذات الخطوات ، ويزيد بربط بطون الرعيه ، بحجة العدل والسويه ، وحشرهم في مزارع جماعيه ، ومساكن عامه تحقق لهم الكفايه من الرزق ، ويمنعهم ما فطر الأطفال على حبه ، بينما

رجال الحزب وأعضاء المكتب السياسى واللجنة المركزيه ، يعيشون فى بذخ عارم ، وترف لا يصدق ، ومن ذلك ما وصفه الصحفى المصرى محمد حسنين هيكل قصر الرئيس الروسى قرب " يالتا على شاطى البحر الأسود " :

بقوله : " أتاحت لى الظروف أن أعيش أربعة أيام مع نكيتا خروتشوف ضيفاً عليه فى بيته فى " يالتا " على البحر الأسود يوماً ، ثم ثلاثة أيام على ظهر باخرته واتجهت سيارتنا من المطار قرب " يالتا " الى بيت خروتشوف على الناحية الأخرى من خليجها الجميل التى تقف من حوله جبال القرم الخضراء " وكان معى الكاتب السفير مراد غالب - وقال لهما خروتشوف " : هل رأيتما هذا البيت من قبل . سوف أخذكما لرؤية حمام السباحة ثم سار معنا فى اتجاه شاطئ البحر الى أجمل حمام رأيته فى حياتى .

على ربوة من الصخر على شاطى البحر الأسود، حوض واسع عميق كله داخل بيت من البلور الشفاف، والجو داخله مكيف ، والمياه الزرقاء التى تملأ الحوض الواسع العميق واقفه ضبطت على درجة حراره ملائمه مهما كان الجو خارج بيت البلور الهائل .

هكذا فان الذى ينزل الى حوض السباحه يستطيع أن يمارس الرياضة فى الماء وهو يرى من حوله البحر بأمواجه ، ويرى الجبال الشامخه بغاباتها الخضراء والجليد على قممها كأنه وسط الطبيعه لكنه فى أمان من نزواتها ، ثم خرج مضى يفتح بعض الغرف المحيطه بالحوض منها غرفه رياضه ، وغرفه للتدليك ، وغرفه نوم ، ثم خرج بنا من البيت البلور الشفاف الهائل الى جسر معلق يصل ما بين حمام السباحة الى البيت وسط حديقة تفرشها النباتات والزهور (١) .

---

(١) انظر : كتاب الشيوعيه والشيوعيون فى ميزان الاسلام ص٢١٤-٢١٥ . تاليف د . عبد الجليل شلبى .

وبين هذين النظامين ، صراع يحتدم حيناً ويخبو أحياناً، حسب قائمة الاتفاقيات المبرمه ،ومدى نجاحها في تقسيم مناطق النفوذ والاستغلال في باقي بلاد العالم الضعيفه، الذى يعد ساحة حربه ، ومجال تجاريه ، وميدان سباقه وتنافسه .

أما العقيدة الدينيه فبسبب انحرافها فقد انزوت وانكمشت وسط طوفان المادة وعتوها ، وسخرت لخدمتها وبسط نفوذها وترويض البلاد المغلوبه على أمرها ، ولم يبق في بلادها الأصلية رسم ولا اسم،الا رموز احتفالية وطقوس إسبوعية وسنويه ، لإقامة الاحتفالات والمهرجانات المختلطه ،واشباع الرغبات الآثمه ، وتزجية الأوقات الفارغة ولو تغلغلنا في أواسط بعض المجتمعات الغربية والشرقية على سبيل المثال ،لهالنا مانجد من احصائيات .

ففي أمريكا ، وهي قائدة العالم وأكثر دول العالم على الاطلاق تقدماً في المجال العلمي فقد ذكرت الاحصائيات سنة ١٩٧٥م أن عدد الجرائم في الولايات المتحده بلغت ١٫٢٥٧٫٠٠٠ جريمة .

والذين يتعاطون المخدرات سنة ١٩٧٨م ٤٩٪ من الشعب الأمريكي وفي نيويورك ١٫٢٠٠٫٠٠٠ شاذ جنسياً .

وأجريت في جامعة لوس أنجلس كليفورنيا احصائية للشاذين جنسياً من الجنسين فكانت النسبة " ٨٤٪ " .

وبلغ عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقليه في الولايات المتحده " ٧٥٠ " الفا ويشغلون ٥٥٪ من جميع أسرة المستشفيات (١) .

---

(١) الاسلام ومستقبل البشريه ت : د . عبد الله محزام ص ٣١ - ٣٢ .

وفى أمريكا كذلك " تقع كل عـــام :

جريمة قتل كل ٢٩ د قيقة ، وجريمة اغتصاب " زنى بالاكراه " كل ١٧ د قيقة وجريمة سرقه بالاكراه كل د قيقتين ، وجريمة سرقه سيارة كل ٤١ ثانية ، وجريمـــة سرقة منزل كل ١٧ ثانية (١) .

فهذا مثال عن الغرب الأوربى وأورد مثالاً آخر لقائد المعسكر الشرقـى ، ونظراً أن الدول الشيوعية غير مفتوحة ضاربة طوقاً حديداً حولها ، فلا يتسنى معرفة ما يدور فيها الا ما ظهـر غالباً ، مثل تصريح الرئيس الروسى " خرتشوف " سنـة ١٩٦٢م بان مستقبل روسيا فى خطر ، وأن شباب روسيا منحل وغارق فـــى الشهوات "(٢) .

ومن الشعارات المرفوعة هناك " عار على البنت الروسيه ان تبقى بكـــراً وأدوات منع الحمل موجوده فى كل طريق وقد أدرك عقلاء الغرب والشرق ما آلـت اليه الأحوال فى أوطانهم ، وأطلقوا صرخات التحذير لبنى قومهم ومن ذلك قـــول " ماكنيل " .

" ان الحضارة الغربية فى الطور الأخير من أطوار حياتها لا شبه بالوحـــش الذى بلغت شراسته النهايه فى انتهاكه لكل ما هو معنوى ، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وكل مقدس ومحرم قمته ، ثم أغاص مخالبه فى أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقهـــا ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفى "(٤) .

---

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ت : د . على جريشه ، محمد شريف الزنبق .
(٢) الدعوة الاسلاميه والإنقاذ العالمى ت : عبد الله علوان ص ١٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٦ .
(٤) الاسلام ومستقبل البشريه ص ١٩ . ت د . عبد الله عزام .

وقد تغطى مفكرو الغرب لأهمية الدعوة الإسلاميه ، وما برحوا يكتبون محذرين قومهم ، من مستقبل الإسلام القادم ومن أقوالهم .

١ - "ان للحضارة دورات فلكيه ، تغرب هنا ، لتشرق هناك ، وإن حضارة عديدة وشكت على الشروق فى أروع صوره هى حضارة الإسلام الذى يملك أقوى قوة روحانية عالميه "(١) .

٢ - " سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق ، عودا على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة العالميه فى الصدر الأول للاسلام ، وستتظهر هذه القوة التى تظهر من تماسك الإسلام ووجدته العسكريه ، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخدامها والاستفادة منها "(٢) .

وليس بغريب أن تصدر هذه الأقوال من رجال غير مسلمين درسوا ، ولكن الغريب حقاً أن ينكر بعض الكتاب والأدباء من أبناء المسلمين لدينهم وعقيدتهم رغم نشأتهم وتربيتهم وبيئتهم الإسلاميه !! .

وخلاصة القول :

إن الأدلة الشرعيه صريحه فى لزوم انضواء البشريه واغتنامها لعقيدة الإسلام ، ولكن لابد من مبلغ لذلك ! .

كما أن تاريخ البشريه يهتف بلسانه حاله ومقاله بضروره الدعوة الإسلاميه لا سيما حال المسلمين الذى وصل إلى الدرك الأسفل من الضعف بسبب إهمالهم

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٢) صور مضيئه من تراث الاسلام ت : انور الجندى ص ١٥٣ .

لمضامين الدعوة الإسلاميه .

وليس من شك أن العالم المعاصر وما فيه من موبقات مهلكه معرض لغضب الله وسخطه مالم يتدارك دعاة الإسلام واجبهم ، وينقذوا هذا العالم قبل فوات الأوان ، وبذلك تتضح ضرورة الدعوة الإسلاميه وأهميتها من خلال أدلة الشرع وحوادث التاريخ ودلائل الواقع فهل من مستجيب ؟! .

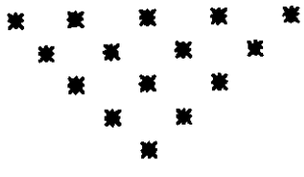

الباب الثالث

عوامل قوة الدعوة وأهميتها

* الباب الثالث *

((عوامل قوة الدعوة وأهميتها))

من الحقائق التى لا تقبل الجدال ، أن حاضر الأمة الإسلاميه ومستقبلها مرتبط بالدعوة الاسلاميه ، وعلى قدر قوة الدعوة وتمكنها وتطبيقها يتحقق للمسلمين الريادة والسياده ، وما عصر النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء عنا ببعيد ، فإن الفارق الحقيقى بين هذا العصر الذهبى وبين العصور الأخرى ليس فى كثرة العدة والعدد ، وإنما بقوة الدعوة وأخذها شاملة كاملة وتقديمها على سواها وتسخير جميع الطاقات من أجلها ، وبذل النفس والمال فى سبيلها . وما بز عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أقرانه من الخلفاء الا بذلك .

ومن هنا ظهرت أهمية العناية بالدعوة إلى الله لكونها صمام الأمان ، ومفتاح النصر ، وأساس القوة ، ومنطلق العزة ، ومكمن الريادة والسيادة للأمة الاسلامية ومن أجل تحقيق هذه الغاية العظيمة ، لابد من توفر عوامل لا غنى عنها لدفع مسيرة الدعوة نحو الامام ، وبلوغها مرتبة الكمال الممكن من جهة جهد البشر وذلك من خلال الفصول التالية :

* * * * *
 * * * *
  * * *
   * *
    *

* الفصـــل الأول *

((خدمـــة الدعـــوة وحمايتهـــا))

الدعوة إلى الله تعالى سلعة غاليه ، والانتساب إليها تشريف وتكليـف، والقيام بحقها واجب شرعي لا فكاك منه للمسلم وخاصة الدعاة كما قال تعالـى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننـه للناس ولا تكتمونه[1]) ومـــن لوازم البيان البلاغ كما قال تعالى : (إن عليك إلا البلاغ)[2] !

وفي هذا الفصل بيان لما تتطلبه الدعوة من المسلمين عامة ، والدعـــاة خاصة كما في المبحثين التاليين :

* المبحـــث الأول *

((بذل الطاقة في خدمة الدعـــوة))

تقاس عظائم الأمور بوجوه عدة : منها :

١- مكانة الآمر بها والداعي إليها .

٢- المأمورون بتنفيذها والقائمون عليها .

٣- موضوع الأمر وكنهـه وما يترتب على تركه وفعله .

ونجد في الدعوة أن الآمر بها والداعي إليها هو الله جل جلاله، ولا أحـد أعظم من الله سبحانه وتعالى، مهما عظم سلطانه، فكل ما في السموات والأرض، عبـد مربوب لله رب العالمين .

كما نجد أن المأمورين بالدعوة هم صفوة الخلق وسادة البشريه من أنبياء الله ورسله وورثتهم من العلماء والدعاة، فليس ثمة طبقة تدانيهم أو تقارب ، أما موضوع الدعوة فهو توحيد الله وطاعته وهي أسمى الغايات وأجل الوظائف ومن ظفر بهـــا

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٨٧ . (٢) سورة الشورى آية رقم ٤٨ .

نال سعادة الدارين ، ومن فرط فيها خذله الله في الدنيا والآخرة ، وخسر خساراً مبيناً .

وبذلك تكون الدعوة من أعظم الامور وأجلها ، وعلى قدر عظمتها وجلالتها يكون البذل والجهد ، وفي منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تطبيق عملي لتفاني الداعيه المخلص وسعيه الحثيث المتواصل ، لخدمة دعوة الله دون انتظار شكر أوأجر من أحد من البشر .

يقول تعالى حكايه عن نوح عليه السلام .

(فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) (١) .

وقال تعالى : (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين امنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون) (٢) .

لم يطلب نوح عليه السلام عوضاً لدعوته ، وامتدت دعوته لقومه ألف سنة الا خمسين عاماً ، وهو على هذه الحال صابراً محتسباً،فقد كان عليه الصلاة والسلام قمة في الصبر ، وآية من آيات الله في الحلم والأناه وسعة الصدر ، وآية في الجد والمثابره وطودا شامخاً في التواضع وانكار الذات ،وفوق ذلك كله ما كان يرجو منهم أجراً ومكافأة ، ولا كان يتخذ من الدعوة وسيلة لجمع المال واحراز المكاسب فهل يتعظ بذلك الدعاة الذين سرعان ما يستولي اليأس على نفوسهم ، ويسيئون الظن بأقوامهم ويتسرعون في اصدار الأحكام الظالمة عليهم ، وينهزمون أمام أية

---

(١) سورة يونس آية رقم ٧٢ .

(٢) سورة هود آية رقم ٢٩ .

صدمة يتعرضون لها ؟! هل يتعظ بذلك الدعاه الذين يقدسون ذواتهم ، ولا يقبلون من أقوامهم نقداً أو نصحاً ، ولا يدعون إلى الله إلا بأجر ؟! (١) .

ولم يند أحد من الأنبياء عن منهج الاحتساب في الدعوة .

يقول تعالى حكاية عن هود عليه السلام :

(يا قوم لا أسلكم عليه أجراً ، إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) (٢) .

ويقول تعالى حكاية عن العبد الصالح :

(وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) (٣) .

تكرر هذا التنبيه في كتاب الله عز وجل لأنه ضروري للدعوة الصحيحة ، تمييزاً لها مما عهده الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد ، وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائماً مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب ، فأما دعوة الله الحقه فكان دعاتها دائماً متجردين لا يطلبون أجراً على الهدى فاجرهم على رب العالمين (٤) وفي رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تأكيد لنهج الأنبياء في هذا السبيل يقول تعالى : (قل ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا") (٥) .

---

(١) منهج الأنبياء في الدعوة الى الله تأليف: محمد سرور زين العابدين ص ٥٧-٥٨ .

(٢) سورة هود آية رقم ٥١ .

(٣) سورة يس آية رقم ٢٠ - ٢١ .

(٤) في ظلال القرآن حـ ٥ ص ٢٦٠٧ .

(٥) سورة الفرقان آية رقم ٥٧ .

وقال تعالى : (وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) (١) .

وفى هذه الآية الكريمة تأكيد لربانيه الدعوة الإسلاميه وسموها ، واستعلاءها على المقاصد والنوايا السيئة .

وقال تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) (٢) ومعنى الآية " لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عنى وتذرونى أبلغ رسالات ربى ، إن لم تنصرونى فلا تؤذونى بما بينى وبينكم من القرابة "(٣) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى تفسير الآية (أى أن إلا تؤذونى فى قرابتى التى بينى وبينكم ، فتكفوا عنى آذاكم وتمنعونى من أذى الناس ، كما تمنعون كل من بينكم وبينه مثل قرابتى منكم ، وكان صلى الله عليه وسلم له فى كل بطن من قريش رحم فهذا الذى سألهم ليس بأجر على التبليغ ، لأنه مبذول لكل أحد يود أهل قرابته ، وينصرون له من أذى الناس، وقد فعل له ولك ابو طالب ولم يكن أجراً على التبليغ لأنه لم يؤمن . وإذا كان لا يسأل أجراً إلا هذا الذى ليس بأجر ، تحقق أنه لا يسأل أجراً كقول النابغة)(٤) .

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم .. بهن فلول من قراع الكتائب

ومثل هذا يسميه البلاغيون تأكيد المدح بمايشبه الذم)(٥) .

---

(١) سورة يوسف آية رقم ١٠٤ .

(٢) سورة الشورى آية رقم ٢٣ .

(٣) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ١١١ - ١١٢ .

(٤) قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعه الجعدى العامرى ابو ليلى شاعر معلق صحابى من المعمرى ، انظر : الاعلام حـ ٥ ص ٢٠٧ .

(٥) اضواء البيان حـ ٧ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

والحق أن طلب مراعاة حق القربى لا يعتبر أجراً أو مكسباً مادياً يتقاضاه الداعيه وذلك من جهتين :

الأولى : الدعوة إلى إعطاء ذوى القربى حقوقهم من صميم الدعوة الواجب تبليغه وبيانه للمدعوين .

الثانية : أن الداعية مطالب أن يتبع الأساليب المؤثرة فى المخاطبين ، وأن يرسل الكلام رقيقاً لطيفاً تأنسه القلوب ، وتسكن له الأفئده ، كقوله عليه الصلاة والسلام لأبى طالب وهو على الشرك : (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)[1] ولم يخاطبه باسمه المجرد ، وهذا من أدب الدعوة وكريم الأخلاق .

ونخلص من هذا أن الدعوة الإسلاميه لا ينتظر لها إنتشاراً حقيقياً إذا أصبح القصد من الدعوة الكسب المادى ، لأن النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجره ، والدعوة الإسلامية ربانيه اللحمه والسدى والشعار والدثار ، ومن ظفر بالانتساب إليها يجب أن يكون ربانياً كما قال تعالى : (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)[2] .

والربانيون ، جمع الربانى المنسوب إلى الرب بمعنى كونه عالماً به ومواظباً على طاعته كما يقال رجل إلهي إن كان مقبلاً على معرفة الله وطاعته وقيل الربانيون أرباب العلم وأحدهم ربانى وهو الذى يربى العلم ويربى الناس أى يعلمهم ويصلحهم ويقوم بأمرهم[3] ولا تعارض بين هذه المعانى فكلها صفات تستوعبها

---

(١) رواه البخارى كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند موته لا إله إلا الله حـ ١ ص ٤١٧ رقم الحديث ١٣٦٠ عن المسيب بن حزن رضى الله عنه .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٩ .

(٣) تفسير الفخر الرازى حـ ٨ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

معانى الربانيه ، ويستحقها الدعاة المخلصون،ولا يعنى أن أخذ الاجرة على تعليم العلم والدعوة إلى الله أمر محرم إذا كان الداعية يبتغى بدعوته وجه الله ، وآية ذلك أن لا يفتر نشاطه ،ولا يسأم بدعوته أعطى على ذلك أجراً أم لا وهو فى الحالين سواء !! .

أما اذا ابتغى المال فقط ،أو خالطت نيته شهوة خفيه،أو اى شائبة أخرى ، فهنا يكون الملام ، وتنزع البركة ويقل التوفيق والتأثير .

ولذا لا بد من مراقبة النيه وتصحيح الإتجاه والإحساس بعظيم مسؤولية الدعوة ، فإن الإخفاق لدى بعض الدعاه ان تصبح الدعوة امراً ثانوياً لا ترتقى إلى درجة الاشفاق والحب والغيره التى تنالها رغائب النفس و حضوضها المختلفة ولعل ذلك هو الفارق الحقيقى بين دعاة السلف والخلف .

ولمزيد بيان يجلى هذا الحقيقة ، نجد أن دعاة الخلف رغم ما لديهم من وسائل متعدد ه إلا أنهم لم يقوموا بحمل الدعوة على الوجه المطلوب الا من رحم الله ، والواقع يصدق ذلك او يكذبه ، ويترجح المعنى الأول عندى للأسباب التاليه :

١ - وجود الكثرة الكاثرة والجم الغفير من طلبة العلم الشرعى والذين يتخرجون من المعاهد والجامعات أفواجاً متتاليه كل عام فى كثير من أقطار العالم الإسلامى .

٢ - توفر دواعى نشر العلم الشرعى ، وافتقار غالب المسلمين إلى الحد الأدنى من العلم .

٣ - انتفاء وجود الموانع الصاده عن سبيل نشر الدعوه فى أغلب دول العالم

وإن وجد شئ منها ، فإن بعضها أسباب مصطنعه يتحمل وزرها بعض طلبة العلم لكونه اختياراً من قبل أنفسهم لا دخل للدعوة الصحيحة فيه .

٤ - توفر الإمكانات والوسائل المساعده على نشر الدعوة والعلم والتى لم يعرف لها مثيل عند سلفنا الصالح ، ورغم توفر هذا الإمكانات ، إلا أن البون بين جهود الدعاه المعاصرين وواقع المسلمين واسع جداً ولا بد من جهد على مدروس ، يغطى حاجة المسلمين كماً وكيفاً .

ولئلا فى هذا التقصير المعيب وتجاوزه نحو الأفضل ، ينبغى العناية بوسائل الإعلام المعاصره وتجنيدها وتسخيرها فى نشر دعوه الحق وليس المراد بذلك ، ندوة تقام أو خطبه تذاع ، أو حديث يرسل ، وان كان محموداً مطلوباً ، ولكن مجال الاعلام الإسلامى أوسع وأشمل وأعمق ، فلابد من صياغة النشاط الإعلامى بفروعه وأشكاله وفق نظرية إسلاميه إعلاميه شامله تكون بديلا للاعلام المعاصر ، تملأ الفراغ ، وتلبى حاجات العصر فيما لا يخالف الشرع ولا شك أن المهمه شاقة وتحتاج جهداً متواصلاً ، ومن أهم الخطوات فى هذا المجال الهام :

١ - تأسيس الكليات والمعاهد الاعلاميه المتخصصة لتخريج الأكاديميين والخبراء والفنيين الإعلاميين .

٢ - بناء المؤسسات الاعلاميه لتوظيف الخريجين ، وبدون هذا العنصر ، تصبح الجهود هباءً منثوراً ، إذ يضطر هؤلاء الخريجون إلى الانغماس والعمل فى المؤسسات الإعلاميه المنحرفة .

٣ - بسط أوجه النشاط الاعلامى فى داخل البلاد الإسلاميه وخارجها .

٤ - العمل والتخطيط الدائم ونبذ الارتجالية والفوضى ، وعلى أقل تقدير

يجب أن يكون جهود الدعاة فى خدمة الإسلام لا تقل عن جهود المنصرين فى محاربة الإسلام .

فقد قامت البابوية فى الفاتيكان بخطوه (غاية فى الخطورة وذلك عندما قامت باستئجار ثلاث محطات للأقمار الصناعيه من أجل أستخدامها فى البث التليفزيونى القوى والمباشر لكل من أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبيه ، مقتحمه كل بيت شئنا أم أبينا لتشكيك المسلمين فى دينهم وعقيدتهم وبث السموم والإنحرافات عبر هذه الأقمار تحت غطاء التبشير والتنصير" (١) .

والأخطر من هذا كله البث التليفزيونى المباشر حيث أ يوجد فى الفضاء الآن حول الأرض أكثر من ٣٥٠٠ قمر للولايات المتحده الأمريكيه وحدها بالأضافة إلى أكثر من ٢٠٠٠ قمر للاتحاد السوفيتى وهذه الأقمار تدور فى مجالات ومدارات محدده حول الأرض ويستعمل أغلبها فى الاستطلاع والاستشعار من البعد والاتصالات اللاسلكيه والانذار المبكر والملاحه والتوجيه والتصنت الإلكترونى والارصاد الجويه والمسح الجيولوجى والبث التلفازى .

وأخطر هذه الاقمار ذلك النوع الاخير الذى تم تخصيصه للبث التلفازى المباشر ، ويكمن خطورته فى بثه الأفلام والمسلسلات والبرامج الأجنبيه بما تحمله من قيم ومبادئ وأخلاق غير إسلاميه إلى أجهزة التلفاز فى بيت كل مسلم بدون رقيب ، ومع الأسف الشديد فإن أعداء الإسلام يفكرون فى هذه التكنولوجيا المتقدمة منذ عقود طويله من السنين وهم يخططون وينفقون الأموال حتى تحقق لهم ذلك ، كل هذا يحدث والمسلمون نائمون وحتى بعد صحوتهم لم يحركوا ساكناً وكان

---

(١) مجلة المجتمع الكويتيه العدد ٩٣٥ سنة ١٤١٠هـ .

وكأن الأمر لا يعنيهم في شئ وكأنه لا يوجد خطر يهدد دينهم وأخلاقهم وقيمهم ومبادئهم .

فبعض دول العالم الاسلامي والعربي أصبحت تحت دائرة هذا البث بعد إطلاق فرنسا في ٢٨ اكتوبر ١٩٨٨م الموافق ١٨ ربيع الأول ١٤٠٩هـ أول قمر صناعي فرنسي للبث التلفزي المباشر للمحطة الفرنسية الأولى ويحمل القمر الفرنسي الجديد أحدث تكنولوجيا البث التلفازي عبر الفضاء مباشرة إلى أجهزة التلفاز المنزليه دون المرور إلى محطات أرضية وذلك باستخدام هوائي خاص مستدير .

ويقوم القمر الجديد بتغطيه القارة الأوربيه ومنطقة المغرب العربي وهي مساحة يعيش فيها حوالي ٤٠٠ مليون مشاهد سيكون بامكانهم التقاط برامج تلفازيه منوعة على خمس قنوات ذات فاعليه قصوى من حيث وضوح الصورة وصفاء الصوت ومعنى هذا أن دول المغرب العربي وهي تونس وليبيا والجزائر والمغرب أصبحت تستقبل ما تبثه هذه الأقمار من دمار يهدد الدين والأخلاق .

ولكي تقف على حجم الكم الهائل الذي سيغزو به أعداؤنا ديار الإسلام والمسلمين من برامج وأفلام ومسلسلات تدعو إلى التحرر ونبذ الدين وذبح الفضيلة نذكر هنا ما أعلنته وكالة الفضاء الأوربيه من أن عدد الأقمار الصناعية سيبلغ عام ١٩٩٠م أربعة وعشرين قمراً يستطيع القمر الواحد أن يغطي ثلث الكرة الأرضية ويعمل على مدار الأربع والعشرين ساعة يومياً ، ومن المنتظر أن تصل قدرة استيعاب البث المباشر التلفازي عن طريق الأقمار الصناعيه إلى ١٢٠ قناة وفي وقت لا يتعدى ثلاث سنوات - كما أن هناك دراسات تشير إلى أن عدد هذه القنوات أكثر من ٣٠٠ قناه تلفازيه عامه وخاصة قادمه من جميع أنحاء العالم بجميع اللغات والثقافات

والقيـــم (١) .

فلابد من درء هذا الخطر القادم ، الذى لا يقتصر على التنصير فحسب بل يشمل عموم الأفكار والمبادئ الهدامه فى الغرب والشرق ، ونتوجه الأمانـــة الى أهل الحل والعقد من علماء الأمه ودعاتها ، للنظر فى هذه القضية الحساسه والخروج باتفاق جماعى فى هذا الصدد يكفل الضمان أمام هذا الحشد الهائل من وسائل الدمار الفكرى والخلقى .

---

(١) مجلة الدعوة السعودية العدد ١٢١٢ عام ١٤١٠هـ ص ٢٨ - ٢٩ .

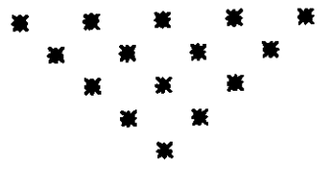

* المبحث الثانـــي *

((حمايـــة الدعـوة))

تواجه دعوة الحق عادة عقبات ومصاعب يجب تذليلها ، لكي تنطلق فـــي أرض الله دون عائق ، لإقامة الحجة على الناس من جهة، واصلاحهم من جهة أخرى ويتحمل هذه الأمانة وتبعاتها عموم المؤمنين وعلى وجه الخصوص طائفتان هما :

١- ولاة أمور المسلمين .

٢- الدعـــاة .

المطلب الأول : واجب ولاة أمور المسلمين .

فإن من المعلوم أن ولاة أمور المسلمين رعاة ومسؤولون أمام الله عز وجـــل عن واجباتهم التي استرعاهم الله عليها ومن أهمها الدعوة ، التي لم تقم دولـــة الإسلام الأولى إلا من أجلها ، لتكون أمينة على حقوقها ، حامية لبيضتها ، رافعة للوائها ، ناشرة لمبادئها ومثلها .

وذلك لما تملك من قوة وسلطان ، يقمع المفسدين ، وتزلزل به أقـــدام الكافرين ، وأكتفي بإيراد واجب واحد يلزم ولاة أمور المسلمين حماية لدعوة اللـــه وسعيا لتمكينها وهو الجهاد وفي سبيل الله ، وذلك من أعظم وظائف الحاكـــم المسلم (فإن الله لم يولـه على المسلمين ليكون رئيساً أكلاً شارباً مسخراً ، بـــل لينصر الدين ويعلي الكلمة ، فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون بنعم الله ولا يؤمنون بالله ورسوله) (١) . فالسلطان خادم للقرآن وبه يعان .

يقول تعالى : (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميـــزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره

---

(١) سعيد النعم وبيد النقم سبكي ص ١٦ .

ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) (١) .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآية : (وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكه بعد النبوه ثلاثة عشرعاماً توحى اليه السور المكيه وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وتبيان ودلائل فلما قامت الحجه على من خالف شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده) (٢) .

ولا يستوى الناس فى النظر ، فمنهم السهل المنقاد ، ومنهم الصعب المراس المشاكس المكابر ، ومثل هؤلاء لا تجدى بهم المواعظ ، وإنما طبهم القوة ، ورقيتهم العقاب .

كما قال الشاعر :

فما هو إلا الوحى أوحد مرهف

يقيم ظياه (٣) أخدعى كل مائل

فهذا الدواء الداء من كل عالم

وهذا دواء الداء من كل جاهل (٤)

فلابد للحق من قوة تحميه ، وترهب أعداء الله كما قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٥ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٤ ٣١٤ - ٣١٥ .

(٣) ضياه : حده ، انظر : ترتيب القاموس حـ ٣ ص ٥ .

(٤) ديوان ابي تمام بشرح الخطيب حـ ٢ صـ ٨٦ - ٨٧

د ونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) (١) .

والتعبير بلفظ - من قوة - يشمل جميع مظاهر القوة المادية والمعنوية ، ويترتب على هذا الإعداد الأمور التاليه :

الأمر الأول : أن تؤمن الذين يختارون العقيده على حريتهم في اختيارها ، فلا يصدوا منها ، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها .

الأمر الثاني : أن ترهب أعداء الدين فلا يفكروا في الاعتداء على " دار الاسلام" التي تحميها تلك القوة .

الامر الثالث : أن يبلغ الرعب بهؤلا "الاعداء" أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الاسلامي ، وهو ينطلق لتحرير " الإنسان " كله في " الأرض " كلها

الأمر الرابع : أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهيه فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ، ولا تعترف بان الالوهيه لله وحده ، ومن ثم فالحاكميه لله وحده سبحانه (٢) .

والحاكم هو الشخص المؤهل بتجنيد الأجناد ، وتوفير العدة وتنظيم الجيوش ، والحيده عن هذا المنهج يورد الذله والهوان، ويغرى الاعداء بالتنافس على أقتطاع بلاد المسلمين واستعباد أهلها ، واستعمار ارضها .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يوشك الامم أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الاكله إلى قصعتها فقال قائل :"من قلة

---

(١) سورة الانفال آية رقم ٦٠ .

(٢) في ظلال القرآن حـ ٣ ص ١٥٤٣ .

نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)) (١) .

فكراهية الموت في سبيل الله تعالى ، سبب لاستحقاق العذاب والذلة والاستعباد .

والمقصود أن ولاة المسلمين مأمورون بحماية الدعوة وتسخير جميع وظائف الدولة المسلمة لهذا الغرض النبيل لأن (جميع الولايات إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (٢) .

المطلب الثاني : دعاة الاسلام :

الدعاة إلى الله أمناء على إقامة الحجة على الناس والطريق إلى هذه الغاية محفوف بالأخطار المحدقة ومن أهم واجباتهم العمل على سير الدعوة دون انقطاع ودفع كل صائل ، والرد على كل منحرف مائل ، وفي عصرنا هذا خاصة ،تجلت عقبات عديدة ، أصابت الدعوة والدعاة ، وسببت في إيقاف الدعوة وتشويهها ومهاجمتها ، واستعرض في هذا الفقرة إن شاء الله ما يجب على الدعاة القيام به كمثال على حماية الدعوة من جهتهم وهو عدم الدخول في صراع غير متكافئ مع قوى الشر أو اللجوء إلى أسلوب العنف والشدة

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٧٨ وابو داود رقم ٤٢٩٧ في الملاحم حـ ٤ ص ٤٨٣-٤٨٤ وابو نعيم في الحليه ١/١٨٢ وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن من أهل الراى نزل حمص وبها توفى سنة ٥٤هـ . الاستيعاب حاشية الاصابة حـ ١ ص ٢٠٩ .

(٢) الحسبه ص ١٤ لشيخ الاسلام ابن تيميه .

وفى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم دروس بليغه لحماية الدعوة ونصرتهـا فى أحلك الظروف ، وأشد الأزمات فحوادث السيرة النبويه لا يدخلها النسـخ ، فاذا ما غلب أعداء الإسلام على بلد وخشى الدعاه على أنفسهم ودينهم وعقيدتهم ، فإن السريه فى الدعوة مخرج من هذه الأزمه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البعثه .

يقول تعالى : (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) (١) .

يقول الامام ابن كثير رحمه الله :

(أى ليصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وهذا كان فى ابتداء الإسـلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف) (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما (أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً لـه أتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكه فقالوا يارسول الله انا كنا فى عز ونحـن مشركون فلما أمنا صرنا أذلة فقال : ((إنى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا)) فلما حولنـا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا) (٣) .

واستأذن الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يميلوا على أهل منـى فيقتلوهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ((إنى لم أومر بهذا)) (٤) .

فهذه الأحاديث تدل على أن الدعوة مسددة بالوحى فى مراحلها جميعاً فلم يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالإنتقام رغم توفر دواعيه ، وأسباب نجاحه

---

(١) الجاثية آية رقم ١٤ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ١٤٩ .

(٣) النسائى حـ ٦ ص ٣ .

(٤) مسند أحمد حـ ٣ ص ٤٦٢ قال محقق زاد المعاد سنده صحيح .
انظر : حاشية زاد المعاد تحقيق شعيب الارناؤوط حـ٣ ص ٤٨ .

فى منى خاصة! وقد فهم علماء الاسلام هذه الحكم الباهره .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله :

(فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أوفى وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذى الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة فانما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون فى الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١) .

وللامام الشوكانى رحمه الله نظرة خاصة أخذاً من القاعدة الأصولية " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح حيث يقول " ان الداعى الى الحق والناهى عن الباطل اذا خشى أن يتسبب عن ذلك ما هو أشهر من انتهاك محرم ومخالفة حق ووقوع باطل أشد ، كان الترك أولى به بل كان واجباً عليه وخاصة بين قوم من الصم والبكم الذين اذا أمرتهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف واذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضاً لاتباع المحققين وجراءة على الله سبحانه " (٢) .

فالدعاة فى عصرنا مدعون إلى النظر فى فقه الشريعة وحكمها ومخالفة ذلك يؤدى الى العواقب السيئه ، والنتائج الوخيمه التى من أهمها :

أ - تعريض الدعاة الى الفتنة والابتلاء والوقوع فى أيدى الوحوش البشريه" الذين لا يرقبون فى مؤمن الاً ولا ذمة " وربما ساقت بعضهم الى الارتكاس والردء

---

(١) الصارم المسلول ص ٢٢١ لشيخ الإسلام ابن تيميه .

(٢) فتح القدير حـ ٣ ص ١٥٠ بتصرف يسير للشوكانى .

وخاصة من الشباب الذين لم ينالوا حظاً وافراً من التربية .

ب - ضرب الدعوة وهى فرصة يهتبلها أعداء الدعوة الذين يتصيدون أى خطأ مقصود وغير مقصود لتشويه الدعوه وبناء الحواجز النفسيه ضد قبولهـــا وانتشارها ، كالتشهير بالدعوة عبر وسائل الإعلام بأبشع الأوصاف والألقاب .

حـ - يغلب على طواغيت الحكم فى نصرنا الشح المطاع والهوى المتبع والمجابهـــة بأسلوب العنف والشدة يدفعهم لا محالة إلى الانتقام والبطش والعنـــاد والأمة بحاجة إلى دعاة حكماء يأخذونها بأيسر الأساليب ويعالجـــون أدوائها بحكمة وروية .

د - تشويه سمعة الملتزمين بالاسلام ومحاربة الدعوة وإيقافهـــا ، والقضاء على جهود الدعاة الآخرين الذين يلتزمون بمنهج الحق ، فالخطأ الذى يرتكب باسم الدعوة لا ينصب على فاعله وكفى ، ولكنه يشمل الدعاة الآخرين الذيـــن أفنوا أعمارهم فى البذل والعطاء .

وصفوة القول أن الالتزام بمسلك أهل السنة والجماعة فى العقيدة والسياسة والدعوة عصمة من الانحراف والزلل وضمان نجاح الدعوة واستمرارها وحمايتهـــا تحت كل الظروف والمتغيرات .

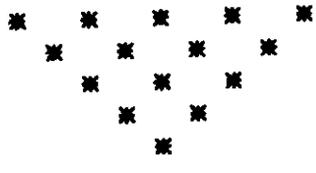

* الفصل الثاني *

" نشر العلم "

من الحقائق الكبرى في الاسلام ، التنويه بمنزلة العلم وأهله فمن رجع البصر في مصادر الإسلام ، يدرك هذه الحقيقه .

وإذا أردنا رفعة الدعوة الإسلاميه ونشرها ، فلا مندوحة من اتخاذ العلم مطية إلى تحقيق هذا الهدف الهام ، فإن الأمة الجاهلة ليست أهلاً لقيادة البشريـــــــــة ، ومن ثم فلابد أن يكون هذا العلم مبنياً على عقيدة الاسلام ، فتاريخ الأمم وحضاراتها لا تنفك عن عقائدها ، فهي الرافد الحقيقي لدفع هذه الحضارة وإلباسها الصفة المتميزة بها ، وغايتي في هذا الفصل إعطاء لمامة موجزة عن العلم في الاسلام وسبيل نشره في ديار الإسلام ، ليعود للمسلمين عزهم ومكانتهم من خلال المباحث التاليه :

المبحث الأول : تعريف العلم وبيان حكمه .

المطلب الأول : تعريفه .

يطلق العلم في اللغة على نقيض الجهل - يقال - علم علماً وعلم هو نفسه ورجل عالم وعليم من قوم علماء (١) .

كما يطلق على ادراك الشئ بحقيقته (٢) .

وفي الاصطلاح : هو ما كان طريقة الاستدلال والنظر ومنه الخفي

---

(١) لسان العرب باب الميم فصل العين حـ ١٢ ص ٤١٧ .
(٢) مفردات الراغب ص ٣٤٣ .

والجلى ، فما قرب من العلوم الضروريه كان أجلى وما بعد منها كان أخفى (١) ومن هذا التعريف ندرك أن العلم ينقسم إلى قسمين : مكتسب وهو ما تقدم تعريفه ، وضرورى أو موهوب وهو قاسم مشترك بين الناس ويتفاضلون فيه حسب ما يمن الله به على بعضهم من فهم وذكاء ، والصلة بين العلمين قوية فمن لم يوهب الفهم لن يدرك العلم المكتسب لحاجته إلى الدرس والإستنباط ، كما أن الاعتماد على العلم الضرورى لا يكفى فلابد من طلب العلم واكتسابه ، واستخدام سائر الحواس فى معرفته .

وذهب العلامة ابن خلدون رحمه الله إلى تقسيم العلوم من حيث موضوعها ومجالاتها فقال « إن العلوم صنفان : صنف طبيعى للانسان يهتدى إليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه .

والأول : هى العلوم الحكميه الفلسفيه وهى التى يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر .

والثانى : هى العلوم النقليه الوضعيه وهى كلها مستنده إلى الخبر عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول »(٢) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله حـ ٢ ص ٤٦ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٥ وابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أصله من أشبيله ومولده ومنشأه بتونس وتوفى فى القاهرة انظر ترجمته فى الضوء اللامع حـ ٤ ص ١٤٥ ، والأعلام حـ ٣ ص ٣٣١ .

* المطلب الثاني *

" حكم طلب العلم "

قسم العلماء رحمهم الله حكم طلب العلم إلى قسمين :

أ - فرض عين خلاصته (أن كل ما كلف به المرء عمله ، أو اعتقاده أو تركه ، فمكلف بمعرفته فرضاً ، فمنه ما يشترك الجميع فيه بلا استثناء كمعرفة التوحيد وأركان الإسلام ، ومنه ما يختص بكل إنسان بحسبه) (١) ودليله قوله عليه الصلاة والسلام ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) (٢) .

ويبين الإمام ابن القيم رحمه الله وجه الدلالة من الحديث بقوله :- (فإن الإيمان فرض على كل أحد ، وهو ماهية مركبة من علم وعمل ، فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل ، ثم إن شرائع الإسلام واجبه على كل مسلم ، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها ، والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم ، وهل ينال العلم إلا بطلبه ؟) (٣) .

ب - فرض كفاية فهو ما يلزم طائفه من المسلمين تعلمه وحذقه بحيث إذا قاموا به سقط الإثم عن الجميع بشرط كفايه المسلمين مؤونة طلبه عند غير المسلمين وعرفه الإمام الغزالي رحمه الله بقوله :- (أما فرض الكفايه فهو علم لا يستغنى

---

(١) احياء علوم الدين حـ ١ ص ١٤ .

(٢) رواه ابن ماجه المقدمة ص ٨١ رقم ٢٢٤ عن أنس بن مالك رحمه الله .

(٣) مفتاح دار السعادة حـ ١ ص ١٥٦ .

عنه فى قوام أمور الدنيا فالطب إذن هو ضرورى فى حاجة الأبدان ، وكالحساب فانه ضرورى فى الكفايات وأصول الصناعات أيضا من أصول الكفايات ﴾ (١) .

وقد نقل الاجماع على هذا التقسيم الامام ابن عبد البر رحمه الله إذ يقول ﴿ قد أجمع العلماء على أن العلم وهو فرض متعين على كل أمرئ فى خاصة نفسه ، ومنه ما هو فرض كفايه إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع .

واختلفوا فى تلخيص ذلك ، والذى يلزم الجميع فرضه من ذلك مالا يسع الانسان جهله من حمله الفرائض المفترضة عليه ، ثم سائر العلم وطلبه والتفقه منه وتعليم الناس إياه فى مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفايه يلزم الجميع فرضه فإذا قام به قائم سقط عن الباقين ﴾ (٢) .

وبهذا الفهم النير لعلماء الاسلام ، قامت للمسلمين فى عصر تمسكهم بدعوة الحق ، حضارة إسلامية رائده ، وقيادة للبشرية راشده .

يقول غوستاف لوبون :﴿ والعرب كانوا إذا استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها ﴾(٣) .

وهكذا كانت الدعوة إلى العلم فى عهد السلف الصالح لا تنفك عن الجهاد ، وبهذا انضوت الأمم الاخرى طائعة لدين الاسلام الحنيف ، ومن هنا فان افتقاد المسلمين لحضارة متميزة تقودها الدعوه ، جعلهم رهن التمزق الحضارى ، والتطفل الفكرى المعيب .

---

(١) احياء علوم الدين حـ ١ ص ١٦ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله حـ ١ ص ١٢ . ١٣

(٣) حضارة العرب ص ٤٣٤ غوستاف لوبون .

* المبحث الثانـــى *

" فضلـــه وآدابـــه "

المطلب الأول : فضلـــه .

ان المتأمل فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يلحظ العنايـــة الفائقة بالعلم وأهله ، وكتب العلماء الأسفار الجامعة لفضل العلم (١) .

ومن الأيات الدالة على فضله قوله سبحانه وتعالى: (يرفع الله الذين آمنـــوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (٢) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : -(قيل فى تفسيرها يرفع الله المؤمـــن العالم على المؤمن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، إذ المـــراد كثرة الثواب ، وبها ترفع الدرجات ، ورفعتها تشمل المعنويه فى الدنيا بعلـــو المنزلة وحسن الصيـــت ، والحسيه فى الأخره بعلو المنزله فى الجنة) (٣) .

وقال الامام ابن رجب رحمه الله : -(خواص الرسل إنما فضلوا على غيرهـــم من الأنبياء بمزيد العلم المقتضى لزيادة المعرفة بالله وخشيته ، ولهذا وصـــف الله فى كتابه محمداً صلى الله عليه وسلم بالعلم الذى اختصه به وامتن به عليـــه فى مواضع كثيره ، وأمره أن يسأله لأمته ، فأول ما ذكره بالعلم وتعليمه فى قصـــة

---

(١) مثل كتاب بيان العلم وفضله لابن عبد البر وهو من أجمع الكتب فى البـــاب وكتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم ، كما خصه الامام الغزالى بببـــاب فى إحيائه وغير ذلك من المؤلفات .

(٢) المجادلة آية رقم ١١ .

(٣) البخارى مع الفتح حـ ١ ص ١٤١ .

ابراهيم - عليه السلام - حين دعا ربه لاهل البيت الحرام أن يبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمه ويزكيهم ، ثم امتن الله علينا بأن بعث نبينا رسولاً منا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصفه ، فقال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(١) .

وأول ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ذكر العلم وفضله وهو قوله تعالى : (اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم) (٢) وامتن على محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم فى مواضع كقوله تعالى : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمه وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) (٣) وأمره أن يسأل ربه علماً فقال : (وقل ربى زدنى علماً) (٤) .

وبهذا التلخيص الحسن تتضح مكانة العلم فى كتاب الله ، وفى السنه زياده وبيان وتنويه بفضل العلم وأهله فمنها قوله عليه الصلاة والسلام : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له به طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب ،وان العالم يستغفر له من فى السموات والأرض وحتى الحيتان فى البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٤ .
(٢) سورة الغلق آية رقم ١ - ٥ .
(٣) سورة النساء آية رقم ١١٣ .
(٤) سورة طه آية رقم ١١٤ ، وانظر شرح حديث أبى الدرداء لابن رجب ص ٣٩ - ٤٠ .

وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)) (١) .

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) (٢) .

قال الحافظ بن حجر رحمه الله : -(يقال فقه بالضم إذا صار الفقه له سجية ، وفقه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم ، وفقه بالكسر إذا فهم ، ونكر خيراً ليشمل القليل والكثير ، والتنكير للتعظيم لأن المقام ، يقتضيه ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الاسلام وما يتصل بها من الفروع- فقد حرم الخير)- (٣) .

ويقول الصحابي الجليل معاذ بن جبل رحمه الله عنه :

-(تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقه ، بذله لأهله قربه وهو الأنس في الوحدة ، والصاحب في الخلوه ، والدليل على السراء والضراء ، يرفع

---

(١) أخرجه أحمد ٥/١٩٦ وأبو داود رقم الحديث ٣٦٤١ باب الحث على طلب العلم حـ٤ ص ٥٨ والدارمي ١/٩٨ وابن ماجة رقم الحديث ٢٢٣ في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم عن أبي درداء وأبي هريرة.

(٢) رواه البخاري حـ٢ ص ٣٩٣ رقم ٣١١٦ في الجهاد باب قول الله : (فأن لله خمسة وللرسول) حـ ٤ ص ٣٦٦ رقم ٧٣١٢ في الإعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال طائفة ظاهرين على الحق يقاتلون)) ومسلم كتاب الزكاة حـ ٢ ص ٧١٨ رقم ١٠٣٧ عن معاوية رضي الله عنه ، ورواه الترمذي رقم الحديث ٢٦٤٥ في العالم باب إذا أراد الله بعد خيراً فقهه في الدين عن ابن عباس حـ ٥ ص ٢٨ .

(٣) الفتح حـ١ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

الله به أقواماً فى الخير قاد ، وأثله آثارهم وقفوت بأعمالهم وبنى

الى آثارهم ، ترغب الملائكة فى خلتهم باجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر ، وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ بالعلم منازل الأحياء ، والدرجات العلى فى الدنيا والأخره ، والتفكر فيه يعدله الصيام ، والدراسة تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، العلم امام والعمل تابعه ، ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء "(١)

وقد جمع هذا البيان وأوعى كل فضيله دينية ودنيويه اقترنت بالعلم طلباً ودراسة وتعليماً .

المطلب الثانى : آدابه .

ليس العلم فى الإسلام تنزفاً فكرياً ، أو وسيله لجمع المال وتحقيق المكاسب الدنيوية ، وإنما هو أسمى من ذلك وأعلى ، أحاطته الشريعة بآدابها ، وأسبغت عليه رونقها وكمالها والأصل فى طلبه العباده ، وما زاد عن حد الكفاية بأجره وثوابه ومن أهم الآداب التى يجب مراعاتها فى طلبه ما يلى :

١ - أن يكون الطلب خالصا لوجه الله بحيث لا تشوبه شائبه تكدر صفوه ، وتذهب بركته وبهاءه إذ هو من جنس العبادات التى لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى .

يقول عليه الصلاة والسلام : ((من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله حـ ١ ص ٥٦ .

يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يشم عرف الجنة يوم القيامة)) (١) .

وفى رواية ((من تعلم علماً لغير الله ، أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار)) (٢) .

ولا عصمة من هذا الوعيد الشديد إلا بمراقبة النيه واصلاحها دائماً ، والحذر من الغفله والانسياق وراء حب الشهوة والبروز ، والسعى وراء الكسب المادى ، وتلك سمة بارزه تسمو بمنزلة طلب العلم عامة فى الإسلام .

٢ - العمل بمقتضى العلم وتلك علاقة عضوية لا مناص منها لراغب العلم (فالعلم يهتف بالعمل فإن اجابة وإلا ارتحل) (٣) .

فليست العبره بكثرة العلم وإثراء الحافظه العقلية بحشو المعلومات مالم تظهر هذه العلوم ، آثاراً عملية تبرهن على اقتران العلم بالعمل ، وقد عاتب الله تعالى من خالف قوله عمله يقول تعالى : (يايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)(٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع

---

(١) رواه ابو داود رقم الحديث ٣٦٦٤ حـ ٤ ص ٧١ وابن ماجه حـ ١ ص ٩٣ رقم الحديث ٢٥٢ ، والحاكم ١/ ٨٥ وصححه ووافقه الذهبى عن ابى هريرة .

(٢) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر رقم الحديث ٢٦٥٥ باب فمن يطلب بعلمه الدنيا حـ ٥ ص ٣٣ .

(٣) احياء علوم الدين حـ ١ ص ٥٩ .

(٤) سورة الصف آية رقم ٢ .

عليه أهل النار فيقولون يا فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكـــــــر فيقول : كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه)) (١) .

والشاهد من هذه الأدلة الكريمة أن العلم ملازم للعمل ، وبدونـــــه هذه الصفه يصبح حجة على صاحبه ووبالاً عليه،وبذلك جاءت الدعـــــــوة الاسلامية .

ويعتبر الامام الشاطبى رحمه الله أن العلم وسيلة للتعبـد ومعرفة اللـــه تعالى وغايته ومقصده العمل،وبدون ذلك يكون عارية غير منتفع به فيقول كـــل علم شرعى مطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به للـــه تعالى لا من جهة أخرى ، فان ظهر فيه اعتبار جهة أخرى فالتبع والقصـــد الثانى لا بالقصد الأول ، والدليل على ذلك أمور :

أحدها : أن كل علم لا يفيد عملاً فليس فى الشرع ما يدل على استحسانه ولو كان له غاية أخرى شرعية لكان مستحسناً شرعاً ، ولو كان مستحسناً شرعـــاً لبحث عنه الأولون من الصحابة والتابعين وذلك غير موجود فما يلزم عنه كذلك .

الثانى : إن الشرع إنما جاء بالتعبد وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهـــم السلام كقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليـه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون) (٢) وما أشبه ذلك من الآيات التى لا تكاد

---

(١) رواه البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة النار حـ ٢ ص ٤٣٦ رقم ٣٢٦٧ واللفظ له ومسلم فى كتاب الزهد حـ ٤ ص ٢٢٩٠ رقم ٢٩٨٩ عن أسامـــه رضى الله عنه .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٢٥ .

تحصى ، كلها دال على أن المقصود التعبد لله دائماً وإنما أوتوا بأدلة التوحيد ليتوجهوا إلى المعبود بحق وحده سبحانه لا شريك له ، ولذلك قال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) (١) وقال : (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) (٢) ومثله سائر المواضع التي نص فيها على كلمة التوحيد لابد أن أعقب بطلب التعبد لله وحده ، أو جعل مقدمة لها بل أدلة التوحيد هكذا جرى مساق القرآن فيها إلا تذكره إلا كذا وهو واضح في أن التعبد لله هو المقصود من العلم والآيات في هذا لا تحصى .

الثالث : ماجاء من الأدلة الدالة على أن روح العلم هو العمل وإلا فالعلم عارية غير منتفع به فقد قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٣) وقال تعالى : (فكبكبوا فيها هم والغاوون) (٤) ، قال قوم : وصفوا الحق والعدل بالسنتهم ، وخالفوه إلى غيره والأدلة على هذا المعنى أكثر من أن تحصى وكل ذلك يحقق أن العلم وسيلة من الوسائل ليس مقصوداً لنفسه من حيث النظر الشرعي ، وانما هو وسيلة إلى العمل ، وكل ماورد من فضل العلم فإنما هو ثابت من جهة ما هو مكلف بالعمل به (٥) .

---

(١) سورة محمد آية رقم ١٩ .
(٢) سورة هود آية رقم ١٤ .
(٣) سورة فاطر آية رقم ٢٨ .
(٤) سورة الشعراء آية رقم ٩٤ .
(٥) الموافقات للشاطبي باختصار حـ ١ ص ٣٠ وما بعدها .

٣ - تحريم كتمان العلم .

الدعوة إلى الله عطاء وبذل دون منة أو أذى أو عوض من أحد، ومن طبيعتها الانتشار والتوسع، والحد من ذلك صد عن سبيل الله ومن صوره كتم العلم النافع الذى هو أمانة فى عنق عالمه عليه أن يؤديه بكل أمانة وإخلاص وقد توعد من خالف ذلك بقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)(١) وقال تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)(٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : ((من سأل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار))(٣) .

وذلك جزاء وفاقاً لعمله القبيح (فإذا ألجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والاظهار به يعاقب فى الأخره بلجام من نار، وخرج هذا على معنى مشاكله العقوبه بالذنب)(٤) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٧٤ .

(٣) رواه أبو داود واللفظ له رقم ٣٦٥٨ فى العلم باب كراهية منع العلم والترمذى رقم ٢٦٤٩ فى العلم باب ماجاء فى كتمان العلم عن أبى هريرة حـ ٥ ص ٢٩ .

(٤) عون المعبود حـ ١ ص ٩٢ .

فالتعلم حق للجميع ، وكتمانه تعطيل للمصالح الدينيه والدنيوية وحرمان للعباد من الخير ، والضرر به شامل والخسارة به فادحة ، وقد حمل هذا الوعيد الصحابة رضى الله عنهم على المسارعه فى نشر العلم وبيانه روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله (أن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، والله الموعد ، وما كنت لاكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كى تهتدوا وأضل ، ولولا آيتان فى كتاب الله عز وجل ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) إلى قوله (وأنا التواب الرحيم) (١) الحديث .

وحين حضرت أبا أيوب الوفاة قال : (كنت كتمت عنكم حديثاً سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسوف أحدثكموه وقد أحيط بنفسى : سمعته يقول : لولا أنكم تذنبون لذهب الله بكم وخلق خلقاً يذنبون فيغفر الله لهم)(٢) .

هذا الحرص مبعثه الإيمان الصادق بوجوب تبليغ الدعوة ونشرها التى بذل الصحابة رضى الله عنهم حياتهم فى سبيل تمكينها ونصرتها ، والدعاه مأمورون بالإقتداء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثارهم ، وحمل الرسالة كما حملوها ، وتبليغها كما بلغوها .

---

(١) البخارى حـ ٢ ص ٧٢ رقم ٢٠٤٧ البيوع باب ماجاء فى قول الله عز وجل (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض) ومسلم رقم ٢٠٩٨ فى اللباس والزينه حـ ٣ ص ١٦٦٠ وفى فضائل الصحابة جـ٤ ص ١٩٣٩ رقم ٢٤٩٢ .

(٢) مسلم كتاب التوبه حـ ٤ ص ٢١٠٥ رقم ٢٧٤٨ عن أبى أيوب رضى الله عنه والترمذى فى كتاب الدعوات رقم ٣٥٣٩ حـ ٥ ص ٥٤٨ .

* المبحث الثالث *

"كيفية نشر العلم"

مما سلف بيانه ، اتضح بجلاء ، وجوب نشر العلم كعنصر أساسى لا غنى عنه لرفعة شأن الفرد المسلم والأمة المسلمه ، ومما يجب التنبيه عليه أن نشاط الحركة العلميه متوقف على توفيق الله ثم على إراده سياسية مؤمنة بالله حاسمة الرأى صلبة القناه، وعلى وعى اجتماعى مكين ، فإذا نظر الساسه إلى جعل التعليم ونشره من أساسيات خططهم وأولوياتهم، مشفوعاً بتشجيعهم ومتابعتهم وحدبهم وحزمهم، وأتبع ذلك وعى رصين من أفراد الأمة بوجوب تحصيل العلم لوجه الله وحده ، ولا يكن معيار النجاح تخريج أفواج من الكتبه والموظفين ، بل سد حاجة الأمة فى كل مجالات الحياة برجال علماء أكفاء يأخذون باسباب الرقى والتقدم على ضوء مضامين دعوة الحق .

وفيما يلى بيان بأهم الخطوات الأساسية لنشر العلم بشقيه العينى والكفائى .

المطلب الاول : صياغة نظرية تربوية إسلامية جامعة ، تتبع من الوحى المعصوم وتستأنس بتاريخ الأمة الاسلاميه وتراثها العظيم يتولى صياغتها كوكبة من العلماء والمفكرين فى كل فن من فنون العلم بكل دقة وعمق وإتقان ، بحيث تستوعب حاجة الأمة ، وتحدث تغيراً جذرياً فى بنية التعليم يقود الأمة إلى موقع الريادة والسيادة .

المطلب الثانى : أسلمة العلوم ، يشهد واقع المسلمين بتخلفهم عن ركب الحضارة على الرغم من بلوغ الجامعات فى دول العالم الإسلامى المعاصر

أكثر من ٢٢٤ جامعة بالاضافة إلى ٣٣٥ معهداً علميا عالياً ، وحوالى ٩٠٠ من مراكز البحوث ، إلا أن هذه جميعها مع هيئات تدريسها وخريجها لم تتمكن بعد من تحقيق نهضة علمية وتقنية حقيقية تعين على جبر الهوة الكبيره بيننا وبين الدول المتقدمة فى ذلك (١) ويعود ذلك إلى تأسيس تلك المراكز العلمية فى الغالب على أسس غير اسلاميه أدت إلى نتائج غير متفقة مع طبيعة المجتمع المسلم وغريبة على العقلية المسلمة ومن هنا فإن أسلمه العلوم تعنى معرفة علميه منهجيه هى معرفة ربانية القيم والغايات فى مصدرها) (٢) وبذلك ينتقى المسلمون من العلوم المعاصره ما يفيد ، ونبذ ما يضر وذلك (لأن الإسلام قد دعا إلى العلم والى النظر فى الكون فحق على أهله أن يتعرفوا على ما سبقهم من تجارب فى هذا المجال بغية تقييمها والنظر فيها وتصحيح أخطائها والتماس السليم الصادق منها مما لا يتعارض مع مفهوم التوحيد الخالص للبناء عليه على النحو الذى تحقق باقامة المنهج العلمى التجريبى الاسلامى ومنهج المعرفة الاسلامى ذى الجناحين روحاً ومادة وبناء وعلماً ودیناً وأخره) (٣) ولا يتم ذلك إلا بالمتابعة الدائمة ، والرصد المستمر من خلال مراكز علميه متخصصة .

المطلب الثالث : الدعوة إلى رحلة الإياب لعلماء المسلمين القابعين فى الدول الكافره ، والتى يقدمون لها خيراتهم وعصارة أفكارهم ، ويفنون أعمارهم فى خدمتها ، مما يمثل عقوقاً لأمتهم وبراً بأعدائها ،

---

(١) قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الاسلامى د . زغلول النجار .
(٢) إسلامية المعرفة ص ١٤٨ إصدار المعهد العالمى للفكر الإسلامى .
(٣) حركة الترجمة ص ١٠ أنور الجندى .

وذلك يخالف صريح الأدلة من القرآن والسنة كقوله سبحانه : (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين) (١) .

قال الامام القرطبى رحمه الله فى تفسير هذه الآية الكريمة ـ (أى من يعاضدهم ويناصرهم على المسلمين ، فحكمه كحكمهم ، فى الكفر والجزاء وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة ، وهو قطع الموالاه بين المسلمين والكافرين) ـ (٢) .

وقال الامام ابن العربى رحمه الله ـ (إن الآية تفيد نفى اتخاذ الأولياء من الكفار جميعاً) ـ (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يارسول الله ، لم ؟ قال : لا تراءى نارهما)) (٤) .

ومن الإنصاف القول : أن هناك اسباباً وراء هجرة العقول المسلمة إلى الشرق أو الغرب ، يتحمل ولاة أمور المسلمين تبعاتها ، ومن أهم الأسباب فى هذا الصدد ما ذكره الدكتور زغلول النجار كما يلى :

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٥١ .

(٢) تفسير القرطبى حـ ٦ ص ٢١٧ .

(٣) أحكام القرآن حـ ٢ ص ٦٣٠ .

(٤) رواه الترمذى رقم ١٦٠٤ فى السير باب فى كراهة المقام بين أظهر المشركين حـ ٤/ ١٥٥ وأبو داود رقم ٢٦٤٥ فى الجهاد باب ما يقابل المشركون عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ، والنسائى ٨/ ٣٦ باب التغليظ وحسنه الألبانى ٢/ ٤١١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة .

١ - عدم توفر وسائل البحث العلمي والتقني من الأجهزه والمواد والقـــــوى الفنيه المساند ه ، والخد مات المكتبيه والتوثيقيه المتطوره في كثير من د ول العالم الإسلامي المعاصر مما أدى إلى هجرة أعداد كبيره من العلمـــاء والفنيين إلى خارج حدود العالم الاسلامي ، وهذا في حد ذاته يمثـل استنزافاً لأهم طاقات المسلمين ولأعظم إمكاناتهم ، وذلك لان غيـــاب العناصر البشرية المثقفة والمدربة تدريباً علمياً وتقنياً عالياً ، والقادره على تحقيق عمليات التنمية الشامله لمجتمعاتها المتخلفة في عملية من التعرف المستمر بالهجره إلى الدول الفنيه إبتداء ، أو بالامتناع من العودة الى أرض الوطن بعد قضاء فترة الدراسة أو التدريب بالخارج بشكل ماهـــداراً للكفاءات العقليه النادره ، وللخبرات العلميه العاليه ، ولإصحـــاب المهارات الدقيقه ، ومن أخطار استمرار هجرة الكفاءات العلمية والتقنيـة من د ول العالم الإسلامي إلى الدول الكبرى إتساعاً وعمقاً ، وزيادة الدول المتخلفة تخلفاً وإعاقة محاولات التنميه فيها ، وزعزعة معنويات العلمـــاء والتقنيين العاملين بها .

٢ - عملية تمييز غير المسلمين في جامعات ومعاهد ومراكز البحوث لبعض د ول العالم الإسلامي المعاصر ، تمييزاً يفقد المسلمين حماسهم ، ويطفـــي فيهم جذوة الشعور بالاخوة الاسلامية والمصير الواحد .

٣ - غياب النيه الصالحة للتقدم العلمي والتقني في ظل الاستبداد السياســي الذي يسود معظم د ول العالم الإسلامي اليوم ، تلك البيئـــة التـي توفر حرية الفرد ، وتصون كرامة الانسان ، وتفرض حب العلم ، وتحث على

الاستزاده من المعرفة ، وتكرم المعرفة وتبجل رسالتهم وتعمل على توفير أسباب العيش الكريم لهم)(١) ، ويتلافى هذه المعوقات وغيرها ، يمكن النهوض بالحركة العلميه فى العالم الاسلامى وهذه أهم الخطوات للإصلاح التعليم الكفائى ونشره ،أما ما يخص العلم العينى فانه الأهم لانه قطب رحى التقدم فى العالم الاسلامى ، فمتى وجد العلماء الربانيون وتكاثروا أدى إلى قيام نهضة اسلاميه حقيقيه ، لا ترضى بالدون ، ولا تكتفى بالقليل ، وانما تسعى لتكون فى المقدمة لا فى المؤخره ، لأن الواجب الشرعى يحتم ذلك ويمليه ، وأهم الخطوات فى نظرى ما يلى :-

١ - اعادة منهج التعليم الاسلامى الأصيل وتطبيقه من جديد ،(فقد أصبح الحصول على المؤهل هو الغاية من الدراسة - إلا من رحم الله - وأتى الامتحان فى المقام الأول قبل التعليم)(٢) مما أدى إلى تدنى مستوى التعليم الشرعى عامة وهو أمر لا يمكن إنكاره بحال ، وتتضح هذه الظاهرة حين المقارنة بين علماء الامس وعلماء اليوم ، حيث أن البون بينهما شاسع جداً رغم توفر وسائل العلم وانتشار الكتب وكثرة مؤسسات التعليم الشرعى فى هذا العصر .

٢ - إعادة رسالة المستجد .

يعتبر المسجد فى الاسلام المنطلق الأول للعلم والتعليم فى الاسلام فقد حرص نبى الهدى صلى الله عليه وسلم على إعداد المسجد وبنائه وجعله من

---

(١) انظر قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الاسلامى المعاصر باختصار ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ .

(٢) أزمة التعليم المعاصر ص ٩ - ١٠ ت د . زغلول النجار .

أولويات أعماله بعد الهجرة المباركة حيث تبوء مكان الصداره في حياة المسلمين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوارث الخلفاء الراشدون العناية بالمسجد وعمارته ويرجع فضل نشأة الحركة العلمية في حياة المسلمين إلى المسجد. وفي العصور المتأخره سلب من المسجد الكثير من أعماله ومن أخطرها وظيفة التعليم التي تقلصت إلى حد بعيد، بسبب مزاحمة المؤسسات التعليمية المعاصره وما تقدمه لطلابها من شهادات ومؤهلات علميه تمكنهم من تبوء الوظائف والمناصب الجذابة ، كل ذلك سلب المسجد خصائصه الأصلية ، وانتقل إهتمام المسلمين بالمسجد من الجوهر إلى المظهر ، وغدت المساجد تحفة رائعه المظهر ، خاوية المخبر، كثيرة العدد ، قليلة المدد ، ولاصلاح هذا الخلل ينبغي اتباع الإصلاحات التاليه :

أ - تأسيس معاهد وكليات عالية تعنى بتخريج الأئمة الأكفاء المؤهلين علمياً وعملياً لتسند إليهم مهمة الإمامة والخطابة في مساجد المسلمين .

ب - قصر وظيفة مهمة الإمامة والخطابة على العلماء وطلبة العلم المجدين فقط .

حـ - جعل وظيفة الإمامة والخطابة ذات طابع وظيفي رفيع يضاهي الوظائف العلمية والأكاديمية العليا .

د - يناط بالإمام مهمة التعليم والتدريس اليومي وفق خطط علمية مبرمجه تخضع للرقابة والتفتيش .

هـ - يفرغ الإمام والخطيب لوظيفة الإمامة والتدريس ويمنح الرواتب السخية المجزية .

و - توجيه أساتذة العلوم الشرعية إلى القاء الدروس المنتظمة فى المساجد إجبارياً كجزء من عملهم الرسمى .

ز - أن يشتغل العلماء المعرفون بالعلم والصلاح والإستقامة الذين يحالون للمعاش فى وظائف الامامة فى المساجد الجامعة على أن يمنحوا مكافآت سخية تكمل الفرق بين معاشهم ، وما بين مرتباتهم التى كانوا يأخذونها ، على غرار ما يفعل فى الجامعات اليوم ،تجاه الأساتذة غير المتفرغين (١) .

المطلب الرابع : فتح باب الاجتهاد الجماعى .

من روافد العلم الشرعى الثر فتح باب الاجتهاد الفقهى لاستيعاب حاجات العصر ، ومتطلبات الواقع السوى ، واستثمار كل الوسائل المباحة ، لايجاد نهضة إسلاميه حقيقية ، تنفض غبار الجهل والتخلف ، وتعيد للأمة وجهها المشرق ، ودروها الرائد ، وخلافتها الضائعة (وسنكون ساذجين جداً إذا أعتقدنا أن مجرد الصرخات العاطفيه ، والمواعظ المثيرة ، والتظاهرات الآنيه ، والتجمعات الخطابية الهشه ، وتأليف الكتب وتدبيج المقالات ، واقامة المواسم والمهرجانات ، تكفى لاحداث التغيير الحضارى ومعالجة الواقع الاجتماعى فى مجتمع ساقط حضارياً كالمجتمع الاسلامى فى مشارف القرن الخامس عشر" (٢).

---

(١) هذا الإقتراح من بنات أفكار الشيخ محمد أبو شهبه رحمه الله .
انظر : بحوث رسالة المسجد ص ٢٣٠ .

(٢) تجديد الفكر الإسلامى ص : محسن عبد الحميد ص ١٥٧ .

ومن هنا فلابد من القيام بخطوة جريئة متزنة ومؤثره ، تأخذ بزمام المبادره ، وتعمل على وضع الحلول الجذريه العمليه ، وإيجاد البديل الإسلامى لسد الفجوة بين واقع المسلمين السئ والإسلام الصحيح فى شتى مناحى الحياة ، ولا ينكر الباحث المنصف أثر أهل الحل والعقد من علماء الاسلام وأثرهم فى استنباط الأحكام الشرعيه وتوسيع أفق البحث العلمى ، والبرهنة الصادقة على شمولية الاسلام ، وضمانة باستيعاب حاجات الانسانيه السويه ، ودوره فى إيقاظ الأمم وبناء الحضارات الزاهره مصداقاً لقوله تعالى : (مافرطنا فى الكتاب من شئ) (١) .

وفيما يلى العامة موجزة بتعريف الإجتهاد وشروطه .

فالاجتهاد فى اللغه : بذل الوسع فى طلب الأمر ، وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة (٢) يقال : أجتهد فى الأمر أى بذل وسعه وطاقته فى طلبه ليبلغ مجهوده ، ويصل إلى نهايته ، سواء كان هذا الأمر من الأمور الحسيه كالمشئ والعمل ، أو الأمور المعنوية كاستخراج حكم أو نظرية عقليه أو شرعيه ، أو لغوية فيقال : بذل طاقته ووسعه فى تحقيق أمر من الأمور التى تستلزم كلفه ومشقة فقط ، ولا يقال أجهد فى حمل قلم أو كتابة سطر أو سطور مما ليس فيه مشقة (٣) .

أما فى الاصطلاح فقد اختلفت عبارات الأصوليين فى تعريفه وإن كانت المحصلة النهائيه التقارب المعنوى واختار من ذلك تعريفين :

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٣٨ .
(٢) لسان العرب ١/١٣٣ .
(٣) تاج العروس ٢/٣٢٩

الأول : تعريف الامام الغزالى رحمه الله وهو : ـ بذل المجتهد وسعه فى طلب العلم بأحكام الشريعة ـ (١) .

الثانى : تعريف الامام الآمدى رحمه الله وهو : ـ استفراغ الوسع فى طلب الظن بشئ من الأحكام الشرعيه على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد منه ـ (٢) .

وكما ترى اجتماع التعريفين على ضرورة البذل والاستفراغ فى طلب الحكم الشرعى سواء كان استدعاء مقصوداً لدليل يقينى أو ظني ينتهى بتقرير الحكم الشرعى المراد .

وقد وضع العلماء شروطاً تأهيليه لمن له حق الوصول إلى هذه الرتبة العلمية وهى :

أولا : العلم بكتاب الله عز وجل وما يتصل به من علوم مساعدة لفهمه بما يطلق عليه " بعلوم القرآن " واختلفوا فى قدر الآيات التى يجب معرفتها من قائل انها مائة (٣) وقائل : انها خمس مئة (٤) ومنهم من لم يحدد وانما أطلق على لزوم معرفة آيات الاحكام (٥) .

ثانيا : معرفة السنة صحيحها وسقيمها لأنها صنو القرآن وثانى مصادر التشريع بعد القرآن .

---

(١) المستصفى ٢/ ٣٥٠ .
(٢) الاحكام فى أصول الأحكام ٢/ ١٦٢ .
(٣) ايقاظ الوسنان بالعمل بالقرآن ص ٦٤ للسنوسى .
(٤) المستصفى ٢/ ٣٥٠ .
(٥) اعلام الموقعين ١/ ٤٦ .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله (إن أصول الأحاديث التي تدور عليها الأحكام خمس مئة وهي مفصلة في نحو أربعة الآف حديث)(١) يلزم المجتهد معرفة هذه الأحاديث دراية ورواية .

ثالثا : معرفة اللغة العربية بحيث يحصل المجتهد من أساليبها ما يعرف به أوضاع العرب والجاري من عاداتهم في المخاطبات يستطيع أن يميز بين دلالات الألفاظ من المطابقة والتضمن والإلزام والمفرد والمركب والكلي منها والجزئي ، والحقيقة والمجاز والتواطئ والإشتراك ، والترادف والتباين والنص والظاهر ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمنطوق والمفهوم والتنبيه والإيماء ، ونحو ذلك مما فعلناه ويتوقف عليه استثمار الحكم من دليله(٢) .

رابعا : الإلمام والإحاطة لعلمي الأصول ومواضع الإجماع(٣) فهذه الشروط التأهيلية محل اتفاق بين العلماء وإن اختلفوا في تفاصيلها .

وقد عز في زماننا وجود مثل هذه الشخصية العلمية الموسوعية الجامعة التي ترقى إلى رتبة المجتهد المطلق ، ولتفادي هذا القصور لابد من فتح باب الإجتهاد الجماعي بين العلماء قاطبة ، خاصة في هذا العصر التي غلبت فيه نزعة التخصص العلمي .

وقد أجاز علماء الأصول تجزئة الاجتهاد ، وفي ذلك مندوحة لتظافر جهود

---

(١) إعلام الموقعين ٢/٢٥٧ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٣/٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق ٣/٢٠٥ ، روضة الناظر ٢/٤٠٣ .

علماء المسلمين المعاصرين في البت في جميع المسائل المستجدة .

يقول الإمام الآمدي رحمه الله :

ـ(وأما الإجتهاد في حكم بعض المسائل فيكفي فيه ، أن يكون عارفاً ـ أي المجتهد ـ بما يتعلق بتلك المسألة ومالا بد منه فيها ولا يضره في ذلك جهله بما لا يتعلق من المسائل الفقهية)ـ (١) .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : ـ(الإجتهاد حالة تقبل التجزؤ والإنقسام فيكون الرجل مجتهداً في نوع من العلم مقلداً في غيره أو في باب من أبوابه)ـ (٢) .

ويورد رحمه الله ـ آثاراً عن السلف الصالح رضوان الله عليهم تؤيد هذا القول، فكان أبو بكر رحمه الله تعالى إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي قضى به وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وجد ما يقضي به قضى به ، فان أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، فإن لم يجد سنة سنها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم فإذا أجمع رأيهم على شيء قضى به .

---

(١) الاحكام في أصول الأحكام ٣/ ٢٠٥ والآمدي هو أبو الحسن علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الحنبلي ثم الشافعي المتوفى سنة ٦٣١هـ .
انظر : ترجمته شذرات الذهب ٥/ ١٤٤ .

(٢) إعلام الموقعين ٤/ ٢١٦ .

وكان عمر - رضى الله عنه(١) - يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد ما يقضى به الكتاب والسنة سأل : هل كان أبو بكر قد قضا منه بقضاء فان كان لأبى بكر(٢) فيه قضاء قضى به ، والا جمع علماء الناس واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به(٣) .

فهذه سنة خير القرون من قبلنا ، والتى أمرنا باتباعهم ديانة ترجع مالا نص عليه إلى اجتماع كلمة أهل الحل والعقد واجتهادهم وبذلك تنقطع عوامل اليأس والتثبيط ، التى يوحى بها من يشكك فى قدرة علماء المسلمين ورميهم بالجمود من قبل صنفين من الناس : المفرطون المتساهلون الذين لانصيب لهم من علم ولا زاجر من حلم ، من بعض محترفي الكتابة والأدب دونما تحقيق أو تدقيق ، وانما أوتوا من قبل جهلهم بدراسة الشريعة من أبوابها .

والصنف الآخر ممن طوى كشحه بالعداوة والحقد ضد الإسلام والمسلمين من أمثال المتشرقين والزنادقة المستغربين ويقابل هؤلاء وتلك صنف طيب من المسلمين أوتوا من قبل تعصبهم وحرصهم الذى تجاوز الحد ، فوقعوا فى التعصب المذموم أولئك الذين وصفهم الإمام الشوكانى رحمه الله بانهم :« استراحوا إلى

---

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشى الخليفة الثانى ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة قتل شهيداً رضى الله عنه سنة ٢٣ هـ .
الإصابة ٢/٥١٨ .

(٢) أبو بكر الصديق هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التيمي ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر أول من أسلم من الرجال بويع بعد الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، انظر : ترجمته فى الإصابة ٢/٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٣) أعلام الموقعين ١/٦٢ .

أن باب الإجتهاد قد انسد ، وانقطع التفضل من الله على عباده ، ولقنوا العوام الذين هم مشتركون لهم فى الجهل بالمعارف العليه ، بأنه لا اجتهاد بعد استقرار المذاهب وانقراض أئمتهم ، فضموا بالى بدعتهم بدعة وسجلوا على أنفسهم الجهل)ـ (١)

ورغم قسوة هذا القول، إلا أن الحق أحق أن يتبع، فلا مناص من مواجهة علماء المسلمين لواقع عصرهم وتكتلهم فى معسكر واحد ، لدك معاقل الشبهات التى يطلقها أعداء الإسلام وأذنابه ، فيبرهنوا عن صدق أن الشريعة الإسلامية لا تضن عن بذلها ولا تتخلف عن وعدها فى أسعاد بنى الإنسان وتلبية حاجاته السويه ، وذلك من خلال الإجتهاد الجماعى، ولا بد من التنبيه على الملاحظات التاليه قبل فتح هذا الباب .

١ - لا اجتهاد مع النص كما قرر العلماء ، وإنما يقتصر الإجتهاد فى الأحكام الظنيه .

٢ - لا اجتهاد على الحوادث المفترضه التى لم تقع ، وليست فى حكم الواقع وإنما يجب التعامل مع الواقع ومعضلاته دون الإغراق فى الخيال .

٣ - يحظر الإجتهاد على من ليس من أهله .

٤ - يجب أن يصدر من مؤسسات إسلاميه موثوقة احترازاً من المؤسسات الاستشراقية أو ذوات العلاقات المشبوه .

٥ - أن يكون جماعياً يشمل سائر علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة درءا

---

(١) القول المفيد فى أدلة الإجتهاد والتقليد ٢٦ للشوكانى .

من الضغوط السياسيه ، والمصالح الشخصية والميول الحزبيه .

ولا ثراء هذا الجهد العلمى وانجاحه ينبغى ضرورة اتخاذ الإجراءات التالية :

١ - تأسيس مراكز البحوث العلميه المتخصصة المجهزة بكل وسائل التقنيـــــة الحديثه ، التى توفر الجهد والطاقة ،وتسهر الوصول إلى المادة العلمية مرتبة محققه .

٢ - بناء المعاهد والمؤسسات العلميه لتخريج أفواج من الباحثين المدربيـن للقيام بخدمة النصوص المطبوعة والمخطوطة وفق نظم علميه حديثة .

٣ - كتابة الموسوعات الإسلامية الشامله لكل العلوم الشرعيه بدلاً من التعويـــل على الموسوعات الإستشراقية التى غزت المسلمين فى عقر دارهم رغم مافيهـــا من الدس الرخيص والتحريف المتعمد .

وإذا ما تمت هذه الجهود العلميه بشقيها العينى والكفائى انعكست علـى واقع الدعوة الإسلامية بنجاح وافر وتقدم مستمر ، يدفع الأمة الإسلامية جمعاء نحـو مراقى المجد ، ويحقق للمسلمين ما يأملونه من عز وتمكين .

والدعاة إلى الله مؤهلون للدعوه إلى هذا الإصلاح العلمى إذ هو مـــن صلب مهمتهم ، وأحد أهداف الدعوه إلى الله سبحانه .

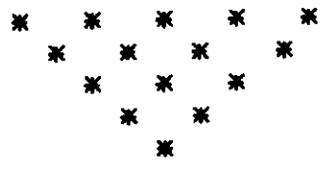

* الفصل الثالث *

" القدوة الحسنة "

من أهم بواعث انتشار الدعوة الاسلامية وقبولها ،ظهور معتنقيها وحاملها بالخلال الحميده ، والأخلاق الجميله ،والسير الحسنه ، ولأهمية القدوة في الاسلام ألزم الله تعالى المسلمين جميعاً بالإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بلغ الغاية وأوفى على النهاية فى الكمال البشرى .

يقول تعالى مخاطباً عموم المؤمنين :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (١) .

وفى الآية الكريمة خطاب تكليفى يتوجه لكل مكلف بوجوب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل ذلك برهاناً عملياً على صدق الايمان وكماله .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

- (هذه الاية أصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تبارك وتعالى بالتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل ، صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا قال تعالى للذين تعلثوا وتضجروا وتزلزلوا ، واضطربوا فى أمرهم (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة))- .

أى فهلا أقتديتم وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ،ولهذا قال :

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢١ .

(لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) (١) .

ومن المهم بيان معنى القدوة وخصائصها وأهميتها ومجالاتها كما في المباحث التاليه :

* المبحث الاول *

" تعريفها وخصائصها واسباب اهميتها "

المطلب الاول : تعريفها :

القدوة في اللغة : ما تستتشبه واقتديت به (٢) .

وفي الاصطلاح : الإقتداء طلب موافقة الغير فعله (٣) .

والمقصود في مبحثنا هذا هو الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً في جميع الأقوال والأحوال .

المطلب الثاني : خصائصها ووجوه أهميتها .

للقدوة الحسنة أهمية خاصة في الدعوة الى الله ،لتأثيرها البالغ في جميع الطبقات ، وذلك بانفرادها بخصائص معينه لا تتوفر لغيرها من وسائل التأثير الأخرى ، وفما يلي بيان تلك الخصائص

١ - الخصيصة النفسية .

من المعلوم أن الانسان مفطور على حب مظاهر الجمال والكمال السوي حتى في عالم الجماد والحيوان ، ومن أجل ذلك ضرب مثلاً للشجاعة بالأسد ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٤ .

(٢) ترتيب القاموس ٣/ ٥٧٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٥ .

وللجمال بالقمر وللشموخ مثلاً بالجبل ، وعند التحليل لهذه النزعة الإنسانية الخالدة ، نجد ثمة عوامل شعوريه مشتركه قد غرزت في فطرة الإنسان تلك المشاعر والأحاسيس المتحدة تجاه التعلق بالمثل العليا والمبادئ الأخلاقية السامية ، وهذا في حد ذاته دعوة لاكتساب الآخرين والتأثير فيهم دون ضغط محسوس مباشر .

وقد كانت قريش ترمق شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعجاب والتقدير حتى لقبته " بالأمين " ولم يستطع أحد منهم أن ينكر ذلك ، لكن أعراف الجاهلية وعاداتها حالت في البداية دون الإيمان بالرسالة المحمديه .

٢ - الخصيصة الاجتماعية .

ليس ثمة خلاف بين المجتمعات البشريه في اعتبار القدوة الحسنة معياراً اجتماعياً رفيعاً فالكل يعترف بسموها ومكانتها ، وهذا الاتفاق يكسبها خاصة الشمول الاجتماعي ، ونادراً ما تتفق النظم الاجتماعية بين الشعوب في شيء كما تتفق في هذه الناحيه .

فصاحب القدوة الحسنة أينما حل ، يتبوء مقاماً محموداً ، ويشيع في أثره ذكراً عطراً ، وأن حضر فخير غائب ينتظر ، وإن مات توارث أهل ذلك المحل ذكره الطيب وسيرته الحميده .

٣ - الاستمراريه والدوام .

لا خلود لأحد في هذه الحياه إلا لله سبحانه وتعالى كما قال تعالى (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (١) غير أن

---

(١) سورة الرحمن آية رقم ٢٥ - ٢٦ .

الله تعالى كتب الخلود للقيم والمبادئ والأخلاق المتجسدة في القدوة الحسنة تحفظ في صحائف الأعمال إلى يوم الموعود كما قال تعالى:(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ،إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيباً) (١) .

وللحياة في الأرض من ذلك نصيب وافر ، ولو أردنا أن نستقصي عدد من مات لكان ذلك ضرباً من المستحيل ، ولكن لا يزال العالم يذكر باجلال وتقدير مآثر الكمل من بني البشر منذ وعى التاريخ مسجلاً بذلك اعترافه بقيمة القدوة الحسنة وتأثيرها في حياة الأمم والشعوب،وقد ذكر تعالى في كتابه الكريم طرفاً من ذكر بعض الذين خلد ذكرهم مبجلاً يقول تعالى عن نوح عليه السلام :

(وجعلنا ذريته هم الباقين ،وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين ، إنا كذلك نجزي المحسنين) (٢) .

وقال جل ذكره عن إبراهيم عليه السلام :

(وتركنا عليه في الآخرين ، سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين) (٣) .

وقال سبحانه عن موسى وهارون عليهما السلام :

(وتركنا عليهما في الآخرين ،سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين) (٤) .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٣ - ١٤ .
(٢) سورة الصافات آية رقم ٧٧ - ٨٠ .
(٣) سورة الصافات آية رقم ١٠٨ - ١١٠ .
(٤) سورة الصافات آية رقم ١١٩ - ١٢١ .

وقال عز وجل عن إلياس عليه السلام :

(وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على ال ياسين ،إنا كذلك نجزى المحسنين) (١) .

وقال جل وعلا عن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم :

(ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك) (٢) .

المطلب الثالث : أسباب أهميتها .

فإذا أدركنا هذه الخصائص للقدوة الحسنة فإن ثمة أسباباً أخرى لها أهميتها الكبرى وشواهد على حاجة الدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر للأسباب التاليه :

١ - الانفصام شبه التام بين ما يدعيه أكثر المسلمين فى هذا العصر من مبادئ ومثل وبين ما يمارسونه من السلوك المباين لعقيدة لشريعة الاسلام وما دامت هذه حالهم فإن (النفس مجبوله على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا يوافق قوله فعله)(٣) ، فالضرورة الشرعيه تقتضى اظهار الاسلام بصورة عمليه مشرفة تزيل مظاهر التناقض بين تعاليم الاسلام وسلوك المسلمين المخالف للاسلام .

---

(١) سورة الصافات آية رقم ١٢٩ - ١٣١ .

(٢) سورة الإنشراح آية رقم ١ - ٤ .

(٣) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص ٤٦٨ .

٢ - إن العالم الاسلامى اليوم ليس فى وضع على يمارس الدعوة بشتى وسائل التبليغ فى كافة أنحاء الأرض وبشكل أمعي على غرار الارساليات النصرانية وللأسباب عدة ليس هذا مكان حصرها وما دام الأمر كذلك فان المسلم المتمسك بدينه المتمثل لشرائع وأخلاقيات الإسلام ، يكون وسيلة للدعوة الى الله فى هذا العالم ، ولا شك أن ذلك مدعاة للنظر والإعجاب ، وسد كثير من الثغرات التى قصر المسلمون فى استغلالها للدعوة الى الله .

٣ - إن البشرية لم تكن فى حالة تلهف عقائدى وتطلع لمنقذ لها مما هى فيه من سلبيات حضارتها مثلما هى الآن .

بمعنى أن المسلم مكلف أكثر من اى وقت مضى بتقديم الإسلام مجسداً فى واقع حياتى معاش بعيداً عن الإدعاء التى تدنت أهميته أمام ما يعج به العالم من أنواع الدعايه المختلفة وعمليات غسيل الدماغ ، وما إلى ذلك من أساليب الدعاية والتنصير المختلفة التى جهدت الحضارة الغربية على ابتكارها والتفنن بها لتطويع عقول الناس .

٤ - إن الإعجاب والقدوة فى أحوال العالم الاسلامى - إلا من رحم الله - مفقود والاقتداء أو الإعجاب بهم متعذر لاعتبارات منها :

أ- إن الأمة المسلمه لديها من الرصيد العلمى المستمد من تعاليم دينها ما يؤهلها لقيادة العالم لو أحسنت السبيل الى ذلك لكنها لم تفعل فاصبح حالها ممزقاً مشرداً لا يحسد عليه .

ب- إن تهافتها على الفكر الغربى مدعاة لغمز وهضم رصيدها العلمى ، لأن من وقف على حقيقة الإسلام ورأى حال المسلمين اليوم سيشك

فى هذا الدين بسبب إعراض أهله عنه .

٥ - الدعوة بالقدوة الحسنة يتيح للرسالة الإسلاميه فرصة ذهبيه فى الإنتشار الفردى لكل مسلم فى جميع أنحاء الأرض(١) . فبخصائص القدوة الحسنة العامه وأسبابها المعاصره فضلاً عن أمر الله سبحانه بها يلزم المسلمين جميعاً ضرورة تقمص الشخصية المسلمه الحقيقيه ، عبادة لله سبحانـــــه وطاعة ومحبة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وحرصاً على أظهار الإسلام الصحيح وتبليغه للناس وفى المبحث الثانى صورة موجزة لمجالات القـــدوة الحسنة .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) انظر كتاب القدوة الحسنة وأثرها فى الإعلام بالاسلام باختصار وتصرف ت عبد الله سعد الصياف ص ٢٥١ وما بعدها .

* المبحث الثانـــى *

" مجالات القدوة "

من الصعوبة استقراء مجالات الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك يحتاج إلى الكتابة عن كل صغيرة وكبيرة فى الاسلام ولذلك آثرت الايجـــاز ببيان نماذج تعبط اللثام عن المقصود من هذا المبحث ويدور الحديث حـــول مطلبيـــن :

المطلب الاول : إقتداء الدولة المسلمه .

للدولة من السلطة والقوة ما يمكنها من تنفيذ ما ترى من برامـــج واصلاحات ، تفوق فى أثرها وانتشارها جهود الأفراد ، ومتـــى وجدت القيادة المؤمنة المخلصة كان ذلك مايذان بفتح من اللـــه لعباده لا يقتصر خيره على أمة بعينها وإنما يسرى ببركته علـــى سائر الأمم والدولة فى الاسلام مسؤولة عن تطبيق الاسلام علـــى نفسها ابتداً وعلى رعيتها انتهاء ومن أبرز معالم القدوة فـــى الدولة المسلمه ما يلـــى :

١ - تحكيم شرع الله .

من أهم وظائف الدولة المسلمه تطبيق شرع الله كاملاً غير منقوص كما فـــى قوله تعالى : (يأيها الذين ءامنوا أدخلوا فى السلم كافة) (١) .

وقوله : (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمـــروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٠٨ .

(٢) سورة الحج آية رقم ٤١ .

فان من الأخطاء العمليه التى ارتكبها المسلمون تطبيق الاسلام جزئيـــاً أو ايثار القول على العمل ، مما يمثل صداً عن الاسلام فى النهاية ، ولذلك فإن تحكيم شرع الله سبحانه وتعالى كاملاً ، قاطعاً لدابر التذبذب والتناقـــض والازدواجية فالحياة الانسانية ، (إن هى إلا ترس صغير فى عجلة هذا الكون الكبير فينبغى أن يحكمها تشريع يتمشى مع تلك النواميس ، ولا يتحقق هذا إلا حيـــن يشرع لها المحيط بتلك النواميس ، وكل من عدا الله قاصر عن تلك الاحاطـــه بلا جدال ، فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور) (١) .

والأمر بتطبيق شرع الله أمر معلوم من الدين بالضرورة كما فى قوله تعالـــى : (وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعـــض ما أنزل الله إليك) (٢) .

وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثـــم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (٣) هذه الآية الكريمـــة نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر خاصم يهودياً فدعاه اليهودى إلـــى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الاشرف ثم إنهمـــا احتكما إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقـــال : نتحاكم إلى عمر بن الخطاب ، فقال اليهودى لعمر : قضى لنا رسول الله صلـــى الله عليه وسلم فلم يرضى بقضائه فقال للمنافق : أكذلك ؟ قال نعم : فقال عمر :

---

(١) فى ظلال القرآن ٣١٥٢/٥ .
(٢) سورة المائدة آية رقم ٤٠ .
(٣) سورة النساء آية رقم ٦٥ .

الغربية ، فالتشابه بين التتار الذين يحكمون " الياسق وبين من حكم القوانين الوضعية جلي واضح ، ويزيد المتأخرون بمطاردة الدعاة إلى الله المطالبين بتحكيم شرع الله ، وتعذيبهم وسجنهم وانتهاك أعراضهم وسفك دمائهم من أجل أن يقولوا ربنا الله .

وقد فصل الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم (١) رحمه الله هذا الحكم تفصيلاً بديعاً أذكره على سبيل الايجاز .

يقول : (فمن الممتنع أن يسمى الله سبحانه وتعالى الحاكم بغير ما أنزل الله كافر ولا يكون كافراً ، بل هو كافر مطلقاً ، إما كفر عمل أو كفر اعتقاد .

أما كفر الاعتقاد فهو أنواع :

الاول : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله ، وهو معنى ما روى عن ابن عباس واختاره ابن جرير ، أن ذلك جحود ، ولا خلاف بين أهل العلم فيه .

الثاني : أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً ، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه من الحكم بينهم ، عند التنازع ، إما مطلقا أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت مع تطور الزمان ، وتغير الأحوال ، وهذا ايضاً لا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض

---

(١) الشيخ العلامة محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في حياته ولد في الرياض سنة ١٣١١هـ توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩هـ .
انظر : كتاب مشاهير علماء نجد ص ١٣٤ - ١٤٤ .

زبالة الأذهان ، وصرف حثالة الأحكام عن حكم الحاكم الخبير .

الثالث : ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لكن أعتقد مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله فى كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق .

الرابع : ألا يعتقد الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن أن يعتقد كونه منه ، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا ،كالذى قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لاعتقاد ، جواز ما علم بالنصوص الصريحة القاطعة تحريمه .

الخامس : وهواعظمها وأشملها وأظهرها معاند ،للشرع ، ومكابرة لاحكامه ومشاقة لله ورسوله ، ومضاهاة بالمحاكم الشرعيه ، اعداداً واهداداً وإرصاداً وتأصيلاً ، وتعريفاً ، وتشكيلاً ،وتدويناً ، وحكماً ، وإلزاماً ، ومراجع ومستندات ، فكما أن للمحاكم الشرعيه مراجع ومستندات مرجعها كلها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،فهذه المحاكم مراجعها القانون الملفق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة ،كالقانون الفرنسى والأمريكى والبريطانى وغيرها من القوانين فهذه المحاكم الآن فى كثير من أمصار المسلمين مهيأة مكمله مفتوحة الأبواب ، والناس أسراب إثر أسراب ، يحكم حكامها بما يخالف حكم الكتاب والسنة من أحكام ذلك القانون ويلزمهم به وتحكيمه عليهم ، فأى كفر فوق هذا الكفر ، وأى متناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه الفتنة[1] !! ؟ ويؤيد هذه

---

(١) انظر : رسالة تحكيم القوانين للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم باختصار ص ٥-٦ .

الفتوى العلميه الرصينةقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله :(ان من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فإنه ما من أمة الا وهى تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل فى دينها مارآه أكابرهم ، بل كثير منهم من المنتسبين الى الاسلام ،يحكمون بعاداتهم التى لم ينزلها الله كسواليف البادیه ، ويرون أن هذا هو الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيراً من الناس أسلموا ، ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجاريـة التى يأمر بها المطاعون فهؤلاء اذا عرفوا انه لا يجوز لهم الحكم الا بما انزل الله ، ولم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا ان يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار)(١).

أما الكفر العملى وهو مافسره ابن عباس رضى الله عنه بقوله :(كفر دون كفر)- وهو الذى لا يخرج عن الملة ، وذلك أن يحكم الحاكم بغير ما أنزل الله فى الأقضية مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق ، واعترافه بالخطأ ومجانبة الهدى .

ومن هنا فينبغى أن تكون خطط الدعاة حريصة على هداية الحكام واستمالتهم نحو تطبيق الشريعة الاسلاميه كامله غير منقوصة وخير السبيل لاستدراجهم الى تحكيم شرع الله يقوم الدعاة باتباع الأساليب التاليه :

١ - دعوة الحكام باسلوب الحكمة ونبذ أساليب العنف والشدة والحذر من منازعتهم عروشهم لما يترتب عليه من الفتنة والبلاء .

٢ - العمل الدؤوب على ايجاد القاعدة العريضة من الأمة الملتزمة بالاسلام عن طريق الوعظ والتعليم والتربية ، فإن الحكام فى الغالب ينظرون لما تهوى

---

(١) الإيمان وأركانه ، حقيقته ونواقضه ص ١١٦ تأليف محمد نعيم ياسين .

إليه شعوبهم ، حرصاً على الاحتفاظ بسلطانهم ، وقد برهنت الأيام الواقعه في بعض البلاد الاسلاميه أن الشعوب الإسلاميه تجهل الاسلام وتعاديه مما أدى إلى نجاح العلمانيين وتوليهم السلطة في تلك البلدان ، فلا يجوز أن نحمل الحكام كل شيء ، فالشعوب الاسلامية لها نصيب وافر في تنحيه الشريعة بسبب الجهل والبعد عن الاسلام وتمكين الشيوعيين والعلمانيين ودفعهم إلى السلطة .

٣ - التغلغل في المؤسسات الرسميه والنقابية والشعبية والعمل من خلالها ، في غير معصية الله ، لإيجاد الصوت الإسلامي المؤثر .

٤ - صرف الهمم إلى العمل الجاد المثمر الذي يتصل بحياة الأمة ومشاكلها الأساسيه ، ومعالجة الواقع بالحلول العمليه المؤثرة التي تستحوذ اهتمام الأمه ، وتجذب الانتباه حول القدوة الحسنة .

٥ - السعي نحو المراكز القياديه في المجتمع الاسلامي بالأسلوب العملي المكشوف المبني على التنافس الشريف في جميع الميادين وخاصة الإقتصادية والإعلاميه والتربويه .

٦ - إيجاد البدائل الاسلاميه العمليه وتشجيع ما تم تنفيذه وإقامته كالبنوك الإسلامية .

أما ما يخص محيط الدعاة أنفسهم فيلزم اتباع ما يلي :

٧ - كسب ثقة العلماء ومشاورتهم والرجوع إليهم وتقديمهم والاعتراف بفضلهم ، وتوجيه الشباب إلى الاستفادة منهم .

٨ - نبذ الصراع الحزبي المقيت بين الدعاة والعمل لوجه الله وحده (١) .

---

(١) لمزيد بيان وتفصيل تقرأ رسالة حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الاسلامية. تأليف الشيخ بكر أبو زيد .

٩ - إيثار العمل والإقبال على تقويم النفس والاشتغال بعيوبها .

١٠- توضيح الأخطاء المنسوبة للدعاه في إطار الحكمه والعقل وفي محيط الدعاة فقط ، وبنية الإصلاح والنصيحه المحضه لوجه الله سبحانه .

١١- قبول الحق بدليله والإعتراف بالفضل لأهله ومراعاة التخصص العلمي والدعوى واحترام أهله ، والمطالبة باستكمال ما يطلب اتمامه في رفق وحكمه وأناه أو المبادره بإكمال ما نقص من أصل أو فرع .

فهذه العوامل مجتمعة بإذن الله خير ضامن لإقامة شرع الله عز وجل وتمكينه دون بلبلة أو فتنة .

إن عزل الاسلام عن السياسه جريمة مركبة ذات أبعاد خطيره تستدعي الجهد المشترك بين الحاكم والدعاة وسائر الرعيه كل بحسب حاله ومسؤوليته حتى يصبح شرع الله مهيمناً على جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وان يكون على رأس تلك السلطات حاكم يطبق شرع الله على نفسه وذويه لأنه إذا لم يكن الحاكم آخذاً بالشرع مشتهراً بذلك عنه فان الرعية لا محالة راتعة في الظلم لا يردعها حد ، ولا يزجرها تهديد كما قال عمر رضي الله عنه :

(الرعية مؤدية إلى الامام ما أدى الامام فاذا رتع الامام رتعوا) (١) .

وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله (وينبغي أن يعرف أن أولى الأمر كالسوق ما نفق اليه جلب إليه هكذا قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فإن نفق الصدق والبر والعدل والأمانه جلب إليه ذلك ، وإن نفق فيه الكذب والفجور والخيانة

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/٢٩٢ .

جلب إليه ذلك)) (١) .

وصفوة القول أن شريعة الله حاكمه ، والناس أمامها سواسيه لا فرق بين أمير أو مأمور أو حاكم أو محكوم أو غنى وفقير والحيدة عن ذلك زيغ وهلاك كما فى الحديث ((إنما أهلك من كان قبلكم كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)) (٢) .

ب - العمل بالشورى .

من لوازم القدوة الحسنة للدولة تحقيق العمل بمبدأ الشورى إذ من حق المسلمين أن ينصاع الحاكم لسماع آرائهم ومشورتهم ولا يستبد بالأمر والنهى دونهم ، فان تداول المشاورة بين أفراد الأمة مدعاة لغربلة الآراء وتمحيصها واختيار أقربها إلى الحق ، بخلاف الرأى الفرد فإنه معرض للخطأ والقصور وتعطيل للعقول المفكره من أذكياء الأمة وعلمائها وفيما يلى بيان تعريفها ومشروعيتها :

أ - والشورى فى اللغة : مأخوذة من قول العرب شرت الدابه وشورتها إذا علمت خبرها بجرى أو غيره ويقال : شار الدابة يشورها شوراً يعنى : راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها وقيل عرضها للبيع ، وقيل بلاها ينظر ما عندها ، وقيل قلبها (٣) ، ويقال : شار الشئ عرضه ليبدى ما فيه من محاسن (٤) ، ومن تعريف هذه الكلمة يدل معناها على البحث

---

(١) السياسة الشرعية ص ٣٢ .

(٢) البخارى مع الفتح ١٢/٨٧ .

(٣) لسان العرب ٤/٤٣٤ - ٤٣٧ مادة شور .

(٤) المعجم الوسيط ١/٤٩٩ .

والاستقراء والنظر .

وفي الإصطلاح : تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة - في قضية من القضايا - واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها ، أو إلى أصوبها وأحسنها ليعمل بها إلى أجود الآراء والحلول . ليحقق مصالح الأفراد والجماعات والدول (١) .

٢ - مشروعية الشورى .

ثبت بالكتاب الكريم والسنة المطهره مشروعية الشورى وأقوال علماء الأمة ومن ذلك قوله تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (٢) .

قال الإمام أبو حيان الأندلسي (في هذه الآية دليل على المشاوره وتخيير الرأى وتنقيحه والفكر منه ، وأن ذلك مطلوب شرعاً خلافاً لما كان عليه بعض العرب من ترك المشوره ومن الاستبداد برأيه من غير فكر في عاقبه) (٣) .

فالاستبداد من أخلاق الجاهليه يتم عن عنجهيه وصلف ، أما المؤمنون فهم مأمورون بالشورى إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم المسدد بالوحي ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم ، فيتشاورا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله ، فأما النبي صلى الله عليه وسلم فإن

---

(١) حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها تأليف د . محمد عبد القادر أبو فارس.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩ .
(٣) البحر المحيط ٣/٩٩ .

الله كان يعرفه مطالب وجوه ما سر به من الأمور بوحيه أو الهامه اياه صـــواب ذلك ، وأما أمته فانهم إذا تشاوروا مستنيمن بفعله في ذلك على تصادق - وتأخ للحق وإرادة جميعهم للصواب من غير ميل إلى هوى ، ولا حيد عن هـوى فالله مسدد هم وموفقهم (١) .

وقال تعالى : (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شـــورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (٢) .

والآية الكريمة ناطقة بيـــان الصفات الأساسيه للمؤمنين حيث أقترنـــت الشورى باركان الاسلام فدل (على جلاله موقع الشورى لذكره لها مع الإيمـــان وإقامة الصلاة ، ويدل على أنا مأمورون بها)(٣) ولابد أن يكون القيام بهـــــا ملازماً للمؤمنين دائما لكونها دعامة من دعائم الايمان وصفة من الصفات المميزة للمسلمين ، سوى الله بينها وبين الصلاة والانفاق في قوله الآية الآنفة الذكـــر فالمستجيبون لله حقاً ، مبنية حياتهم على الشورى ومتغلغلة في أوساطهـــم ، لا تنفك عنهم بحال .

واذا كانت الشورى من الإيمان فإنه لا يكمل إيمان قوم يتركون الشورى ، ولا يحسن إسلامهم حتى يؤدوها على وجهها المقرر شرعاً .

ومادامت الشورى بهذه المكانة السامحة في شرع الله فهي إذن فريضة إسلامية واجبة على الحاكمين والمحكومين (فعلى الحاكم أن يستشير في كل أمور

---

(١) تفسير الطبري ٧/ ٣٤٥ تحقيق أحمد شاكر .
(٢) سورة الشورى آية رقم ٣٨ .
(٣) احكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٨٦ .
(٤) سورة الشورى آية رقم ٣٨ .

الحكم والادارة والسياسة والتشريع ، وكل ما يتعلق بمصلحة الأفراد أو المصلحة العامه ، وعلى المحكومين أن يشيروا على الحاكم بما يرونه فى هذه المسائل كلها ، سواء استشارهم الحاكم أو لم يستشيرهم (١) .

والحق أن الشورى ليست مطلقة فى كل شئ ، وإنما تختص بالأمور الإجتهادية أما المسائل التى نص عليها الشارع الحكيم ، فإن حكمها جلى لا لبس فيه ولا داعى للتشاور فيه ، وعلى الحاكم أن ينفذ أمر الله دون تأخير .

أما مشروعيتها من السنة قوله عليه الصلاة والسلام : ((أشيروا على)) (٢) ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ـ ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من النبى صلى الله عليه وسلم ـ (٣) .

وقال عمر رضى الله عنه : ـ من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا ـ (٤) .

فهذه النصوص تدل على لزوم الشورى ، فقد مضت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على العمل بالشورى ومن الشواهد العمليه على ذلك مشاورة النبى

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية لعبد القادر عوده ص ١٩٣ .

(٢) البخارى ٣/٢٦٩ رقم الحديث ٤٧٥٧ عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) الترمذى ٤/٢٦٩ كتاب الجهاد .
الدر المنثور ٢/١٩٠ للسيوطى .

(٤) رواه البخارى كتاب الحدود ٤/٢٥٨ وقوله تغره أن يقتلا بمثناه مفتوحة وعين معجمة مكسوره وراء ثقيلة بعدها هاء تأنيث أى حذراً من القتل وهو مصدر من أغررته تغريراً أو تغرة ، والمعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل .
فتح البارى ١٢/١٥٠ .

صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى المنزل والحرب(١) ومشاورته لاصحابه يوم أحد (٢) ومشاورته لاصحابه يوم الخندق (٣) والأمثله فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم كثيره ، وعمل أبو بكر رضى الله عنه بالشورى فى خلافته كما فى ورد فى جمع القرآن .

أما عمر رضى الله فقد كان القراء أصحاب مشورته كهولاً أو شباناً (٥) .(٤)

قال الإمام البخارى رحمه الله : ((وكان الأئمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ،فاذا وضح الكتاب لم يتعدوه إقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم (٦) .

وخلاصة القول أن من سمات الإقتداء للدولة المسلمه العمل بمبدأ الشورى امتثالاً لأمر الله ورسوله وسيراً على منهج الخلفاء الراشدين ، فحق من له أهليه وخبره أن يسدى النصح والمشوره لإمام المسلمين كما فى الحديث ((الدين النصيحه قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))(٧)

---

(١) مسلم كتاب الجهاد والسير ٣/ ١٤٠٣ رقم الحديث ١٧٧٩ عن أنس رضى الله عنه .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٦٣

(٣) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٣٦٨ .

(٤) البخارى ٣/ ٣٣٧ رقم ٤٩٨٦ ومسند أحمد ١/ ١٣ .

(٥) البخارى مع الفتح ١٣/ ٣٣٩ .

(٦) البخارى مع الفتح ١٣/ ٣٣٩ .

(٧) مسلم كتاب الايمان باب بيان إن الدين النصيحة ١/ ٧٤ رقم ٥٥ عن تميم العامرى رضى الله عنه ، والترمذى ٤/ ٣٢٤ رقم الحديث ١٩٢٦ كتاب البر والصلة باب ماجاء فى النصيحة

فإذا ساد هذا الوعي الإيماني قامت بإذن الله أمة إسلامية مسؤولة راقية تقود الأمم وتفرض مبادئها بالقدوة الحسنة .

حـ - إقامة العدل .

من لوازم قوة الدولة عامة أخذها بمبدأ العدل بمفهومه الشامل فالظلم والجور والعسف علامات صادقة على انفراط عقد الدولة وسقوطها يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله :

(إن العدل نظام كل شئ ، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ، وإن لم تقم بعدل لم تقم ، وإن كان لصاحبها من الايمان ما يجزى به في الأخره) (١) .

وهذا إشارة إلى سنة إلهية لا محاباة فيها بين المسلم والكافر لأن الحياة لا تستقيم في أي زمان ومكان في ظل بيئة لا تعرف الحقوق ولا تؤدى الأمانة ، والشريعة الاسلاميه جاءت بتقرير العدل والحض عليه يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

(إن الشريعة الاسلامية مبناها وأساسها على الحكم ، ومصالح العباد في الدنيا والآخرة ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، ومن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين

---

(١) الحسبة ص ٩٤

عباده ورحمته بين خلقه)- (١) .

والدولة فى الإسلام خير من يطبق مضامين العدل الشمولى ، لكونه من وظائفها الأساسيه التى أمر الله سبحانه وتعالى .

يقول تعالى : (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)(٢) .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله :

-(إنه نداء للذين آمنوا نداء لهم بصفتهم الجديده وهى صفتهم الفريدة صفتهم التى بها نشأوا نشأة أخرى ، وولدوا ميلادا آخر ، ولدت أرواحهم ، وولدت تصوراتهم ، وولدت مبادئهم وأهدافهم ، وولدت معهم المهمة الجديده التى تناط بهم ، والأمانة العظيمة التى وكلت إليهم ، أمانة القوامة على البشرية والحكم بين الناس بالعدل .. ومن ثم كان للنداء بهذه الصفة قيمته وكان له معناه : (يأيها الذين آمنوا) فسبب من اتصافهم بهذه الصفة ، كان التكليف بهذه الأمانة الكبرى ، وبسبب من اتصافهم بهذه الصفة كان التهيؤ والإستعداد للنهوض بهذه الأمانة الكبرى)- (٣) .

واقترنت الدعوة إلى الله سبحانه بالأمر بتحقيق العدل كما فى قوله سبحانه

---

(١) اعلام الموقعين ٣/٣ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٣٥ .

(٣) فى ظلال القرآن ٢/٧٧٥ وسيد قطب هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم ولد سنة ١٩٠٦هـ إنضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وصدر عليه الحكم بالاعدام وصدر الحكم فى ٢٢/٨/١٩٦٦م .
الموسوعة الحركيه ص ٢١٠ ت فتحى يكن .

وتعالى (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهوائهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعملنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننـــا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) (١) .

ومن هنا جعل الله العدل (واسطه حبات العقد الذى كون به لرســـوله منهج الدعوة الإصلاحيه ،التى حملها اياه ،إنقاذاً للبشرية من ظلمات الجهـــل والبغى والعدوان (٢) .

وقال تعالى :

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) (٣) .

يقول الإمام القرطبى رحمه الله :

(هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع وقد أختلف من المخاطب بها ، والأظهر فى الأمة أنها عامة فى جميع الناس فهى تناول الولاة فيما إليهم من الأمانات فى قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل فى الحكومات)(٤)

وهكذا ندرك أن اقامة العدل أمر لازم للمسلمين عامة وخاصة الولاة وبين ذلك الوعيد الشديد لمن جار فى الحكم أو خان الأمانه فى الفصل بين النـــاس كما فى الحديث ((ليس من وال أمة قلت أو كثرت لا يعدل فيها إلا كبه اللـــه

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١٥ .
(٢) الاسلام عقيدة وشريعة ت الشيخ محمود شلتوت .
(٣) سورة النساء آية ٥٨ .
(٤) الجامع لاحكام القرآن ٥/٢٥٥ - ٢٥٦ باختصار .

تبارك وتعالى على وجهه فى النار)) (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً ، لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور)) (٢) .

كما وردت الأحاديث ببيان فضل الإمام العادل ففى الحديث يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ((سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل .. الحديث)) (٣) .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : ((المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، هم الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا)) (٤) .

وقد التزم الخلفاء الراشدون بالعدل إلتزاماً لا انقطاع فيه ودون محاباة أو مداهنة لأحد حتى تجاه ولاة الأمصار وكبار الأمة ومن أمثلة ذلك : أن رجلاً شكا إلى أبى بكر رضى الله عنه أحد عماله بانه قطع يده ظلماً فقال له أبو بكر : ـ لئن كنت صادقاً لاقيدنك منه ـ (٥) .

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٥ عن معقل بن يسار رضى الله عنه

(٢) رواه أحمد ٢/ ٤٣١ والدارمى ٢/ ٢٤٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) البخارى مع الفتح ١٢/ ١١٢ ، مسلم ٢/ ٧١٥ رقم ١٠٣١ كتاب الزكاة والترمذى كتاب الزهد ٤/ ٥٩٨ رقم ٢٣٩١ ، والنسائى كتاب آداب القضاء ٨/ ٢٢٢ والموطأ ٢/ ٩٥٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) مسلم كتاب الإماره ٣/ ١٤٥٨ رقم ١٨٢٧ والنسائى ،كتاب آداب القضاء ٨/ ٢٢١ ، وأحمد ٢/ ١٦٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

(٥) أبو داود مع شرحه عون المعبود ١٢/ ٢٦٩ ، وأحمد ١/ ٢٧٨ بتحقيق أحمد شاكر .

وقد أعلن ذلك رضى الله عنه هذا المبدأ فى أول خطبة بعد مبايعته بالخلافة ، قال رضى الله عنه : ((أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فاعينونى ، وإن اسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . . .)) (١) .

واشتهر عمر رضى الله عنه بالعدل ومن أمثلة ماروى عنه أن رجلاً لقيه فقال له : يا أمير المؤمنين انصرنى على فلان ، فقد ظلمنى فضربه عمر بالدره وقال : تتركون أمير المؤمنين حتى يكون فارغاً ، حتى إذا اشتغل بأمر المسلمين أتيتموه فانصرف الرجل حزيناً ، وعاد عمر فتذكر أنه لم ينصفه ، فطلبه وأعطاه الدره وقال : اضربنى كما ضربتك فأبى الرجل قائلاً : تركت حقى لله ولك فقال له عمر : إما أن تتركه لله فقط ، وإما أن تأخذ حقك ، فقال الرجل : تركته لله ، وانصرف عمر الى منزله . . .) (٢) .

وقال لوقد جاءه ـ إنى لم استعمل عليكم عمالى ليضربوا ابشاركم ويأخذوا أموالكم ، لكنى استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا آذن له على ، وليرفعها إلى حتى أقضيه منه ـ (٣) .

وخاطب أهله قائلاً ـ لا أعلم أحداً منكم وقع فى شئ مما نهيت عنه إلا ضاعفت العقوبة ـ (٤) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٢٢٨ .

(٢) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١٣٣ .

(٣) سنن أبى داود ، انظر عون المعبود ١٢/٢٦٩ رقم الحديث ٤٥١٤

(٤) تاريخ الطبرى ٤/٢٠٧ .

ومن أبرز آثاره رضى الله عنه فى هذا المجال تلك الوثيقة العلمية النفيسة التى بعث بها إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وفيها (إن القضـــاء فريضة محكمة ، وسنة متبعه فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحـــق لا نفاذ له وآس بين الأثنين فى وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف فى عدلك "(١) .

وكان لتطبيق ولاة المسلمين للعدل أثر كبير فى انتشار الإسلام علـــى مستوى الأفراد والأمم ومن ذلك أن نصرانياً خاصم الخليفة الراشد على بـــن ابى طالب رضى الله عنه إلى شريح القاضى فقضى للنصرانى ضد الخليفة ممـــا أدى إلى إسلام النصرانى (٢) .

وفى افريقيا ذكر المؤرخون أن جمال الدين محمد بن سعد أحد ملوك المسلمين ببلاد الحبشة أشتهر بالعدل وبلغ من شدة عدله أن أقتص من ابنـــه لأبن أحد الرعيه بالرغم من عفو صاحب الحق وأسلم على يديه عالم لا يحصـــى عددهم (٣) .

وكذلك منصور بن سعد الدين أحد ملوك المسلمين فى بلاد الحبشـــة وقع فى يده نحواً من ثلاثين ألف أسير ، خيرهم من الإسلام والعودة إلى قومهم فأسلم منهم عشرة الآف وعاد الباقون (٤) .

---

(١) اخبار القضاة لوكيع ص ٢٨٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٨/ ٤ - ٥ .

(٣) الالمام للمقريزى ص ١٣ نقلا من كتاب انتشار الاسلام فى شرق افريقيـــة تأليف د . محمد عبد الله النقيره ص ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢٦ .

وخلاصة القول أن العدل (حسب المفهوم الاسلامي مبدأ مطلق شأنه شأن سائر القيم الخلقية والاجتماعية فهو يسرى على الحاكم والمحكوم، وعلى القوى والضعيف، وعلى المسلم وغير المسلم) (١).

ومما تقدم من النماذج الموجزة تتضح معالم الدولة فى الإسلام إذ هى صاحبة رسالة، توظف جميع طاقتها لدعوة الله ومن أبرز ذلك أن تظهر ملتزمة ما تدعوا اليه ليرى الناس فى ظلها العدل المطلق، والأمن الشامل والحقوق المحفوظة المصانة.

المطلب الثانى: اقتداء الرعيه.

حتى تكتمل صورة الاقتداء، وتترابط أواصر الاهتداء، وتنتفع الدعوة إلى الله بهذه الوسيلة، فلابد من إقتداء الرعية إذ أن المسؤولية فى الإسلام شاملة لسواد الأمة أفراداً وجماعات، فالمسلمون مطالبون بتطبيق الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً، فكيف إذا اقترن بهذا الإلتزام واجبات مقصوده لنشر الإسلام.

ومن هنا فإن الدعوة إلى الله تتأثر بسلوك المسلم، وخاصة فى وسط المجتمعات الجاهلة بحقيقة الإسلام، والتى تحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقيه (٢) فكان لزاماً أن يظهر المسلمون دينهم عملياً طاعة لله ورسوله، وحذراً

---

(١) الاسلام والوعى الحضارى تأليف د. أكرم ضياء العمرى ١٦٣.

(٢) حدثنى أحد المسلمين من بلاد إنجليز أن أمه رفضت الدخول فى الإسلام وقالت (كيف أسلم وهذه تصرفات العرب فى الهايد بارك) فانظر آثار القدوة السيئة فى الصد عن دعوة الإسلام. قالت العلماء (الاسلام محجوب بأعمال المسلمين) انظر هذه الكلمة فى رسالة حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ٧٧ ت الشيخ بكر أبو زيد.

أن يكونوا مغاليق للخير مفاتيح للشر وأولئك شرار الخلق عند الله .

وفيما يلى نماذج موجزة لبعض ملامح الاقتداء المطلوبه فى الأمة المسلمة لا للحصر ولكن ليقاس عليها غيرها ، وعلى سبيل المثال فهى :

أ - الطاعة والنظام .

إن الإستقرار السياسى المبنى على القناعة والالتزام بواجب الطاعة والنظام ، دليل على الترقى والوعى والإستقامة ، فان من شأن المجتمعات الهمجية الفوضى السياسية والحروب الأهليه والتفرق والنشر ذم الجزبى مما يجعل المجتمع يعيش على هاجس الحرب وتوقع الإنتقام ومن هنا فقد ألزم الاسلام أتباعه بضرورة طاعة ولى الأمر لتتماسك الجبهة الداخليه ، وينمو العمران ، ويسود الحب والوئام ، وتصان الدماء والأعراض والأموال ومن أجل ذلك شرعت البيعة للامام ديانة وقربى لوجه الله تعالى ، ومن ثم له حق الطاعه فى غير معصية الله .

يقول تعالى : (يأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (١) .

قال الإمام الطبرى رحمه الله فى تعريف أولى الأمر فى الآية الكريمة -(أولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : هم الأمراء والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة)- (٢) . والآية تنص على طاعة أولى الأمر وجوبا .

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩ .

(٢) تفسير الطبرى ٧/ ٤٩٧ بتحقيق أحمد شاكر والامام الطبرى هو أبو جعفر محمد بن جرير بن خالد الطبرى كان إماماً وكان مجتهداً لم يقلد أحداً من الناس ولد سنة ٢٢٤ بطبرستان وتوفى سنة ٣١٠ فى بغداد انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٩١-١٩٢ .

قال على رضى الله عنه (حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا) (١) .

ومن السنة قال عليه الصلاة والسلام : ((من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميته جاهلية)) (٢) ، ومن لوازم البيعة الطاعة فى المعروف كما قال عليه الصلاة والسلام على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره الا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه عن منهج أهل السنة والجماعة فى طاعة الامام (انهم لا يجوزون طاعة الامام فى كل ما يأمر به ، بل لا يوجبون طاعته الا فيما تسوغ طاعته فيه فى الشريعة ، فلا يجوزون طاعته فى معصية الله وإن كان إماماً عادلاً ، فإذا أمرهم بطاعة الله أطاعوه ، مثل أن يأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والصدق والعدل والحج والجهاد فى سبيل الله ، فهم فى الحقيقة إنما أطاعوا الله ، والكافر والفاسق إذا أمر بهما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله ، ولا يسقط وجوبها لأمر ذلك الفاسق بها ، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه ولا يسقط وجوب اتباع الحق لكونه قد قاله فاسق) (٤) كما

---

(١) تفسير الرازى ١٠/١٤٧ .

(٢) رواه مسلم كتاب الاماره ٣/١٤٧٨ رقم ١٨٥١ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٣) البخارى مع الفتح ١٣/١٢٢ ومسلم ٣/١٤٦٩ رقم ١٨٣٩ كتاب الإمارة والترمذى كتاب الجهاد ٤/٢٠٩ وأبو داود بشرحه عون المعبود ٧/ ٢٩٠ ،والنسائى ٧/١٦٠ فى البيعة وأحمد ٦/١١١ تحقيق أحمد شاكر عن عبد الله بن عمر .

(٤) منهاج السنة ٢/١٠٦ .

يحرم الخروج على الامام بسبب معصية ، فإن ذلك ديدن الفرق الضالة كالخوارج والرافضة ومن نحا نحوهم من لا فقه له ولا بصيره .

وقد وردت الأدلة تنص على تحريم الخروج على الأئمة منها قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عوف بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنوكم . قال : قلنا يارسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة)) (١) وفى رواية ((الا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)) (٢) وفى رواية ((ما أقام فيكم كتاب الله)) (٣) .

فهذه الأحاديث قد وضعت سداً أمام الفتن والفوضى السياسية فلا مطمع بعد ذلك للخارج عن السلطة أن يفتت وحده الجماعة المسلمه مالم يكن قد ولغ الحاكم فى حمأه الكفر والزندقة، وحارب الملة ورفض حكم الشريعة .

قال الامام أبو يعلى رحمه الله : ـ ((فان حدث منه ـ أى الحاكم ـ ما يقدح فى دينه ، نظرت فان كفر بعد ايمانه فقد خرج عن الامامه . وهذا لا إشكال فيه لأنه قد خرج عن الملة فوجب قتله)) (٤) . أما دون ذلك ، فلا يكون مسوغاً

---

(١) رواه مسلم كتاب الامارة ٣/١٤٨٢ رقم ١٨٥٥ .
(٢) البخارى الفتح ١٣/٥ مسلم كتاب الاماره ٣/١٤٧٠ رقم ١٧٠٩ من عبادة بن الصامت .
(٣) رواه مسلم فى كتاب الامارة ٣/١٤٦٨ رقم ١٨٣٨ ، والترمذى ٤/٢٠٩ ، رقم ١٧٠٦ والنسائى ٧/١٥٤ . عن أم الحصين الأحمسيه رضى الله عنها .
(٤) المعتمد فى اصول الدين ص ٢٤٣ والامام أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء من كبار الحنابلة ولد سنة ٥٣٨ وتوفى سنة ٤٥٨ . انظر : ترجمته فى طبقات الحنابله ٢/١٩٣ - ٢٣٠ .

للخروج على الحاكم وذلك مذهب أهل السنة والجماعة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ـ(مذهب أهل الحديث ترك الخروج على الملوك البغاة والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر)ـ (١) .

ونقل الإجماع على هذا القول الإمام ابن حزم رحمه الله (٢) .

وخلاصة القول أن الخروج على الأئمة بدون مسوغ شرعي معتبر هو منهج المبتدعه كما قال الإمام أحمد رحمه الله ـ(والانقياد لمن ولاه أمركم ،لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله فرجاً ومخرجاً ولا تخرج على السلطان ،وتسمع وتطيع ولا تتنكث بيعه ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مخازف للجماعة)ـ (٣) .

وبهذا الفهم السديد والمنهاج الرشيد ينتظم عقد الرعيه المسلمه ويسود الأمن ،ويقبل الناس على العمل المثمر البناء ويأتلف الحاكم والمحكوم ، مما يمكن الدعوة من الإستمرار والنشاط وسط بيئة تتسم بالإستقرار السياسي .

ب ـ المعاملة الحسنة .

يأسر المشاعر ويؤثر في الوجدان الأسلوب الحسن في القول والعمل ، ويتفاوت الناس في الصيت الحسن والأثر الطيب على قدر معاملتهم للناس ،فالمعاملة

---

(١) الفتاوى ٤/٤٤٤ .

(٢) مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٢٤ وابن حزم هو الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أصله من فارس ولد بغرناطه سنة ٣٨٤ وكان بيت ابن حزم بيت وزارة ورئاسة ووجاهه ومال وثروة ، توفي سنة ٤٥٣ من أبرز مؤلفاته المحلى ،والفصل .
انظر : البداية والنهاية ١٢/٩١-٩٢ .

(٣) طبقات الحنابلة ١/٢٦ .

الحسنة بريد التأثير بين الناس ، ولأهميتها ومكانتها أمر الله تعالى بها في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة منها قول الله تعالى : (وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) (١) ومنها قوله عز وجل : (أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (٢) .

ويصف الله تعالى رسوله الكريم بصفات الكمال الخلقي التي كان لها تأثير كبير في دعوته قال تعالى :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (٣) .

قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله : (إن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله إلى الخلق ، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا مالت قلوبهم وسكنت نفوسهم لديه ، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا كان رحيماً كريماً ، يتجاوز عن ذنبهم ، ويعفو عن إساءتهم ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة ، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول مبرأ عن سوء الخلق ، وكما يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب ، بل يكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء وكثير التجاوز عن سيئاتهم ، كثير الصفح عن زلاتهم فلهذا المعنى قال : (ولو كنت فظاً غليظ

---

(١) سورة الحج آية رقم ٢٤ .
(٢) سورة فصلت آية رقم ٣٤ - ٣٥ .
(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٥٨ - ١٥٩ .

القلب لانفضوا من حولك) ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة)ـ (١) .

وما أحوج المسلمين لهذا الفهم الثاقب ؟! فان الأمة مأمورة بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسؤولة عن تبليغ الرسالة ،فاذا فات الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى شمائله وأخلاقه فات المقصود من تبليغ الرسالة .

ومن أبرز ما يجب أن تصف به الأمة الأمانة بمعناها الشامل كما فى قوله سبحانه : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً) (٢) .

قال الامام ابن كثير رحمه الله فى تفسير الأمانة :

(قيل الدين والفرائض والحدود ، وقيل الغسل من الجنابة وقيل الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة وكل هذه الأقوال لا تتنافى بينها بل متفقة ،وراجعة أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها وهو ان قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب ، فقبلها الانسان على ضعفه وجهله الا من وفق الله)ـ (٣) .

فهذا تفسير جدير بالأهمية لموافقته لمعنى الاسلام ، ومن الضرورى بثه وتعميقه بين الأمة المسلمه ، لتصل إلى درجة الوعى والادراك بأهمية التكاليف الشرعيه وترابطها العضوى .

ومن صور المعاملة الحسنة التواضع ولين الجناح قال الله عز وجل :

---

(١) تفسير الرازى ٩/٦٦ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٧٢ .

(٣) انظر : مختصر ابن كثير لنسيب الرفاعى ٣/٥٢١ .

(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (١) .

وقال تعالى : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور) (٢) .

ففى الآيتين الكريمتين دعوة إلى التواضع ونبذ الخيلاء والكبر وسلوك منهج الصالحين المتواضعين ، ولاريب أن النفس مجبوله على بغض وكراهية من تحمله نفسه تيهاً ورفعة وإعجاباً ، ومثل هذا الصنف من الناس بلاء على نفسه ، وفتنة للآخرين ، وليس فى التواضع مذلة ولا هوان كما يظن المتكبر يقول عليه الصلاة والسلام ((ما نقصت صدقه من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه)) (٣) وضرب النبى صلى الله عليه وسلم أروع أمثله فى التواضع من ذلك أن امرأه كان فى عقلها شئ ، قالت : يارسول الله إن لى إليك حاجة فقال : ((يا أم فلان انظرى أى السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك ، فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها)) (٤) .

ومما تقدم أمثلة يقاس عليها فى جميع صور المعاملات فى المجتمع المسلم ، ولا يتم ذلك إلا بتعميق الإيمان ، وعبادة صحيحة تسقى الإيمان ، وتعاون على البر والتقوى يقويها ، وعلم نافع يفرق به بين الحق والباطل .

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢١٥ .

(٢) سورة لقمان آيه رقم ١٨ .

(٣) مسلم ٤/٢٠٠١ رقم ٢٥٨٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع .

(٤) مسلم ٤/١٨١٢ رقم ٢٣٢٦ عن أنس رضى الله عنه كتاب الفضائل باب تقريب النبى صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به .

حـ - التكامل والترابط الإجتماعى .

تماسك المجتمع وترابطه ، دليل على قوة وشائجه ،وسريان روح المحبة والإيثار والتعاون بين أفراده ، وقمين لمثل هذا أن لا تضيع فيه الحقوق ، ولا تستباح فيه الحرمات ، ولا تعصف به الأنانيه ، ولا تسترقه الشهوات ، وعقلاء العالم منذ أمد طويل يجهدون أنفسهم لايجاد مثل هذا المجتمع المثالى (١) ليكون قدوة لغيره من المجتمعات الانسانيه ، ولكنها محاولات لم تصل إلى الواقع ، بينما الإسلام استطاع بوحيه المعصوم أن يوجد مجتمعاً وأمماً وشعوباً وأفراداً على طراز رفيع يفوق ما تخيله الفلاسفة والمفكرون ، نبلاً وعفة وطهارة وكمالاً ، والمسلمون فى هذا العصر مدعوون لاعادة ملامح المجتمع المثالى فى الاسلام ليرى العالم أجمع مايفتقر اليه من جهة ، وفشل وعقم نظمه وقوانينه من جهة أخرى ، وفى ذلك دعوة بليغة إلى الاسلام مؤثرة .

وأشير بشكل موجز إلى أهم آداب الاسلام ، وأوامره فى تنظيم المجتمع وتهذيبه وتربيته التكافل والترابط من ذلك قول الله تعالى :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) (٢) .

---

(١) انظر : المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الاسلام منه تأليف د . محمد المسير ، استعرض فيه المؤلف جميع النظريات الوضعية فى هذا المجال فى القديم والحديث .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٧١ .

قال الإمام القرطبي تعليقاً على الآية : ﴿ أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف ، وغير ذلك من الأمور ﴾ (١) .

وقال الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعليقاً على الآية : ﴿ إن القرآن الكريم يأمر المسلم ويرشده إلى وجوب اخلاص ولائه لربه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولعقيدة الاسلام ، وجماعة المسلمين ﴾ (٢) .

فالولاية بين المؤمنين وشيجة لا تنفصم ولا تتأثر بالمصالح الدنيوية ولا تنقطع بمرور الوقت يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الرابطة الايمانية ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه)) (٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)) (٤) .

ولم يقتصر الولاء بين المؤمنين على الجانب المعنوي ، بل شمل الجانب المادي ليكمله ويصدقه ، ففرض رعاية الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحق الجوار ، والإحسان إلى اليتيم ، وإكرام الضيف وابن السبيل ، وإعانة الملهوف ، ودفع السائل ويجمع ذلك قوله تعالى :

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ٨/٢٠٢ .

(٢) من ظلال القرآن ٦/٧٥٦ .

(٣) البخاري مع الفتح ١٠/٤٥٠ ، ومسلم رقم ٢٥٨٥ عن أبي موسى رضي الله عنه .

(٤) البخاري مع الفتح ١٠/٤٣٨ ، ومسلم رقم ٢٥٨٦ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، كتاب البر والصلة والآداب ٤/١٩٩٩ - ٢٠٠٠

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) (١) .

والمقصود أن الاسلام قد أعطى الفرد حقه والمجتمع حقه فى معادلة متوازنة لا يطغى طرف على آخر ، على وجه منسجم متكامل ، فالقرآن الكريم نزل رحمة وشفاء ومن مضامينه (خدمة الفرد والجماعة داخل المجتمع فهو يدعو الى احترام الفرد ، وتقدير شخصيته الفردية وتمكينه من كافة حقوقه التى يتوقف عليها وجوده الفردى ، والتى تضمن له الحياة الكريمة ، كما يدعو الى مراعاة الاجتماعية ، وتقدير الوجود الاجتماعى ، والى تطبيع العلاقات الاجتماعيه ، وذلك بتحقيق كل ما يترتب عليه أمنها واستقرارها ، وكل ما يضمن مصلحتها وتقدمها وبقاء عملها الحضارى أدبياً كان أو مادياً)(٢) .

على هذا المنهج سلك المجتمع الاسلامى مسلك الأخوة الايمانيه الصادقة ، وعاش أفراده فى حب وأخوة سجلها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(والذين تبوؤو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) (٣) .

---

(١) سورة النساء آية رقم ٣٦ .

(٢) المجتمع الانسانى فى القرآن الكريم . ت : د . محمد التومى ص ٢٢٠- ٢٢١ .

(٣) سورة الحشر آية رقم ٩ .

* الفصل الرابع *

" محاربة البدع "

من العوامل المنفره عن الاسلام والمشوهة له ، ما ألصق به من بدع وخرافات وعادات باليه ، أضحت ديناً منافساً باسم الاسلام عم كثيراً من المسلمين ، ومن صور ذلك الأضرحه المقامه في المساجد ، يفزع إليها ويتبرك بها ويطاف حولها ، وتقدم النذور والقرابين لسدنتها ابتغاء الثواب ودفعاً للبلاء ، وهي لا تختلف عن الجاهلية الأولى إلا في المسميات فضلاً عن الحفلات الاستعراضية للأولياء في كل عام وما تعج به من منكرات وفواحش ، وسرى شؤم البدع إلى العبادات بزياده ونقص أدى إلى تغيير وتعقيد وتشويه ملازم للعباده في الكمية والكيفية أحياناً كثيرة بل وإلى تركها نهائياً والاكتفاء ببعض الرسوم الشكليه البدعيه .

كل ذلك يلزم محاربة البدع بأنواعها وأشكالها ، ليعود للاسلام صفته الحقيقيه التي اندثرت تحت ركام البدع والخرافات والتيارات الوافده ، وفي هذا الفصل بيان موجز لأهم الخطوات الواجب اتباعها لاجتثاث البدع من أصولها وذلك خلال المباحث التالية :

* المبحث الأول *

" تعريف البدعة وحكمها "

معرفة البدعة أساس قوي لاجتنابها و تحذير المسلمين منها ، فان من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه ، وقد تلتبس على بعض طلبة العلم بعض الشبهه والأغلوطات ومن هنا ظهر ضرورة تعريف البدعة .

المطلب الاول : التعريف اللغوى :

فالبدعة فى اللغة : اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع يقال : أبدع الله الخلق إبداعاً : خلقهم لا على مثال (١) .

فمادة هذه الكلمة تدور على معنى الإحداث والاختراع أولاً لذلك يطلق البديع على الحبل التى ابتدئ فتله ولم يكن حبلاً فنكث ، ثم غزل ، ثم أعيد فتله (٢) .

والله تعالى (بديع السموات والأرض) أى خالقهما على غير مثال سابق .

المطلب الثاني : البدعة في الاصطلاح والرد على من توسع في مفهومها :

أما فى الاصطلاح الشرعى فهى على التعريف المختار عندى كما يلى :

" البدعة طريقة فى الدين مخترعه تضاهى الشرعيه يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه "(٣)

وفى هذا دقة متناهية حيث حصر الامام الشاطبى رحمه الله البدعة فى أمور العبادات أو ما يتصل بها من العادات أما العادات المحضة من أمور الدنيا فالأمر فيه سعة وإن كانت تدخل فى المفهوم اللغوى إلا أنه لا محذور فيها البته لما اقتضته سنة الله فى تبدل الأحوال وتقلب الزمان حسب النواميس الكونيه التى سخرها الله تعالى لعباده .

ويؤيد هذا التعريف قول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله (كان الأصل الذى بنى الامام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق

---

(١) المصباح المنير ١/ ٣٨ .

(٢) ترتيب القاموس ١/ ٢٣٠ .

(٣) الاعتصام للشاطبى ١/ ٣٧ .

تنقسم إلى عبادات يقتضون بها ديناً ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة والى عادات ينتفعون بها في معايشهم فالاصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما أذن الله والاصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله)[1]

وقد تفطن الامام الشاطبي رحمه الله إلى نكت بليغة ينفذ منها بعض من يرى مفهوم تحسين البدع وذلك بالاستدلال بالمصالح المرسلة والاستحسان فيرى الامام الشاطبي رحمه الله أن هذين الدليلين لا يصلحان دليلاً للتوسع في مفهوم البدعة واستحسانها من وجوه هي :

١ - أن القول بالمصالح المرسلة والاستحسان ليسا محلاً اتفاق بين العلماء .

٢ - أن المصالح المرحلة والاستحسان لا مدخل لهما في التعبدات لأن التعبدات لا يعقل فيها معنى على التفصيل ، وإن ما كان من هذا القبيل فان قصد الشارع أن يوقف عنده ويعزل عنه النظر الاجتهادي جملة ، وأن يوكل إلى واضعه ويسلم له فيه ومن أجل ذلك قال حذيفة رضي الله عنه (كل عبادة لم يتعبدها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تعبدوها فان الأول لم يدع للأخر مقالاً ، فاتقوا يامعشر القراء وخذوا بطريق من كان قبلكم .

٣ - أن حاصل المصالح المرسلة يرجع الى حفظ أمر ضروري ورفع حرج لازم في الدين فهي إذاً من الوسائل لا من المقاصد وعلى كل تقدير فليس فيها ما يرجع إلى التقبيح والتزيين البته فاذا تقرر ذلك علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسلة لأن موضوع المصالح المرسلة ما عقل معناه على التفصيل والتعبدات

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٦٩ .

من حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل ، وبهذه المثابه لا تصلح المصالح المرسله مصدراً لتحسين العبادات أو تقبيحها .

٤ - أن العبادات ليس حكمها حكم العادات في أن المسكوت عنه كالمأذون فيه إذ لا يقدم على استنباط عباده لا أصل لها ، لأنها مخصوصه بحكم الأذن المصرح به ، بخلاف العادات وبهذا يتبين أن المصالح المرسله ليست من البدع في ورد ولا صدر .

٥ - أن حد الاستحسان لم ينضبط بل مضطرب إلى حد بعيد ، فمن العلماء من صرفه إلى معنى التخصيص أو الأخذ بأقوى القياسين وإن قيل إن حد الاستحسان ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل إليه برأيه ولكن لم يقع مثل هذا ولم يعرف التعبد به لا بضرورة ولا بنظر ولا بدليل من الشرع قاطع ولا مظنون ، فلا يجوز إسناده لحكم الله لأنه إبتداء تشريع من جهة العقل .

وإن قبل حد الاستحسان هو " دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العباره عنه ولا يقدر على إظهاره " وقد رد بأنه لو فتح هذا الباب لبطلت الحجج وادعى كل من شاء ماشاء ، واكتفى بمجرد القول فالجأ الخصم إلى الإبطال وهذا يجر فساداً لا خفاء له "(١) .

وبهذا كله يتضح أنه لا تعلق بين تحسين البدع والاستدلال بالاستحسان والمصالح المرسله عليها .

يقول الامام ابن العربي رحمه الله :

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/١٣٢-١٥٠ بتصرف واختصار .

ـ(إن العقول لا حكم لها بتحسين ولا تقبيح ،ولا تحليل ولا تحريم ،وإنما ذلك إلى الشرع ، إذ العقول لا تهتدى إلى المنافع التى تسترشد من ضـــلال الخواطر ، وتنجى من أهوال الآخره بمالا يهتدى العقل إلى تفصيله ،ولا يتمكن من تحصيله ، فكيف أن تغير ما مهده الشرع ، وتبدل ما سننه واضحه ؟ وذلك كله من غرور الشيطان ووساوسه ، وتحكمه على الخلق بالوعد الصادق ، لاجلبن عليهم ولا شاركنهم ولأعذبهم)ـ (١) .

قال الله عز وجل : (واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) (٢) .

وإن استدل من يرى التوسع فى مفهوم البدعة بقوله عليه الصلاة والســـلام : ((من سن سنة حسنة فعمل بها بعده فكتب له أجر من عمل بها))الحديث.

ووجه الشاهد من هذا الحديث أن السنة الحسنة معناها العمل المحدث المحمود فهى مشروعة بهذا الإعتقاد .

وخير رد على هذا القول النظر فى سبب ورود هذا الحديث الشريف ، فإن الحديث يتعلق بمورده الذى سبق من أجله وبذلك تفهم النصوص الشرعيه على الوجه الصحيح فالحديث رواه جرير بن عند الله رضى الله عنه بقوله : ـ(كنا عنـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر النهار قال : فجاء قوم حفاة عـــراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقه ،فدخل وخرج ،

---

(١) أحكام القرآن المجلد الأول ص ٧٠٧ والآية من سورة الإسراء رقم ٦٤ .
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٦٤ .

فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ، ثم خطب فقال : ((يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)) الآية .

والآية التى فى الحشر (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) .

تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة ، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ)) (١) .

وفى رواية أخرى : سأل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك القوم ثم إن رجلاً أعطاه فأعطى القوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ((من سن خيراً فاسنن به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن سوءا فاسنن به كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً)) (٢) .

---

(١) انظر : تخريج الحديث ص ١٢٤ .

(٢) رواه أحمد عن أبى هريره رضى الله عنه ٢/ ٥٠٥ .

وفى رواية " جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث عليه فقال رجل : عندى كذا وكذا ، فما بقى فى المجلس الا من تصدق بما قل أو كثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من استن خيراً فاسنن به كان له أجره كاملاً ومن اجور من اسنن به لا ينقص من اجورهم شيئاً ومن سنة سيئه فاسنن به كان عليه وزره كاملاً ومن أوزار الذى اسنن به لا ينقص من أوزارهم شيئا)) (١) .

فالشاهد من هذه الأحاديث الشريفه جلى منطوقه فإن النبى صلى الله عليه وسلم أثنى على من ابتدأ بالصدقه قبل القوم جميعهم ، فكان فاتحة خير لمن بعده ، والملاحظ أن هذا البادى بالصدقه لم يأت بسنة مخترعة أو بعمل محدث لا عهد للمسلمين به ، وإنما بعمل مشروع مأمور به .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعليقاً على الرواية الاولى :

(فيه الحث على الإبتداء بالخيرات ، وسن السنن المستحبات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات وسبب الكلام فى هذا الحديث أنه قال فى أوله " فجاء رجل بصره كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس " ، وكان الفضل العظيم للبادى بهذا الخير والفاتح لباب الإحسان) (٢) .

ومن أدلة القائلين بالبدعة الحسنة ما روى عن عمر رضى الله عنه فى جمع الناس صلاة التراويح وقوله نعم البدعة هذه والحق أن هذا القول حجة عليهم لا لهم ، لأن عمر رضى الله عنه لم يبتدع هذا العمل من بنات أفكاره ، وإنما أحيا

---

(١) رواه ابن ماجه ١/ ٧٤ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم ٧/ ١٠٤ .

سنة نبوية ، ثبت اجتماع الرسول والصحابة عليها ، فكان له رضى الله فضل السبق في احيائها وجمع المسلمين عليها ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : ـ (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية فصلوا لصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون : الصلاة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال : ((أما بعد فإنه لم يخف على شأنكم الليله ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها)) وذلك في رمضان)ـ (١) .

وإنما سمى عمر رضى الله عنه هذا العمل بدعة لكون الاطلاق اللغوى يسمح بذلك باعتباره أول من جمع الناس عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : ـ (أكثر ما في تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها ، وهذه تسميه لغوية لا تسمية شرعيه وذلك لأن البدع في اللغة نعم كل ما فعل ابتداء على غير مثال سابق ، أما البدعة الشرعيه فكل ما لا يدل عليه دليل شرعي فاذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دل على استحباب

---

(١) رواه البخارى ١/٣٥٢ في صلاة الليل ومسلم رقم ٧٦١ في صلاة المسافرين ، والموطأ ١/٩١ من الصلاة في رمضان ، وأبو داود رقم ١٣٦٠ ، والنسائى ٣/٢٠٣ .

عمل أو ايجابه بعد موته أو دل عليه مطلقاً ، ولم يعمل إلا بعد موته ككتاب الصدقه الذى أخرجه أبو بكر رضى الله عنه ، فاذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى بدعة فى اللغة لأنه عمل مبتدأ كما أن نص الدين الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة ويسمى محدثاً فى اللغة ،ثم العمل الذى يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة فى الشريعة ، وان سمى بدعة فى اللغة فلفظ البدعة فى اللغة أعم من لفظ البدعه فى الشريعة ولم يرد به كل عمل مبتدأ وإنما أراد من الأعمال التى لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم)ـ (١) .

وأخلص من هذا كله الى أن البدعة فى الإصطلاح مذمومة على الاطلاق لأن البدعة إذا أطلقت انصرفت إلى غير الحسنة (٢) فهى سيئه مطلقاً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

ـ(لا يجوز حمل قوله عليه الصلاة والسلام : ((كل بدعة ضلاله)) على البدعة التى نهى عنها بخصوصها ، لأن هذا تعطيل لفائدة هذا الحديث ،فان ما نهى عنه من الكفر والفسوق وأنواع المعاصى قد علم بذلك النهى ، إنه قد أبيح محرم ، سواء كان بدعة أو لم يكن بدعة ، فاذا كان لا منكر فى الدين إلا ما نهى عنه بخصوصه سواء كان مفعولاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن : صار وصف البدعة عديم التأثير ، لا يدل وجوده على القبح ،ولا عدمه على الحسن)ـ (٣) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .
(٢) الشهاب فى شرح الشفاء للخفاجى ٣/٣٣٩ .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٧٢ .

* المبحث الثاني *

" التحذير من البدع "

مقت الشارع الحكيم البدع وحذر منها ، وحض المسلمين على التمسك بقول تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ويفسر هذه الآية ماروا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه ثم تلا (وأن هذا طراطي مستقيماً ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))- (١) .

فالآية الكريمة نص في الدعوة الى لزوم الهدى ومجانبة البدع والضلال " فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذى دعا إليه وهو السنة ، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائرين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع ، وليس المراد سبل المعاصي لأن المعاصي من حيث هي معاصي لم يضعها أحد طريقاً تسلك دائماً على معنا هاذ التشريع ، وانما الوصف خاص بالبدع والمحدثات "(٢) والتاريخ والواقع يصدق هذا الفهم ، فان الدعوة الى البدعة أخذت منحى تاريخياً وواقعياً منظماً تديرها عقول وتأصلها أفهام .

ويقول عز وجل ذاماً لأهل البدع :

---

(١) رواه الدارمي ١/ ٦٧ ورواه احمد من المسند برواية أخرى عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه ٣/ ٣٩٧ والآية الكريمة من سورة الانعام آية رقم ١٥٣ .

(٢) الاعتصام ١/ ٥٧ للشاطبي .

(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (١) .

وكما ترى فالآية تذم أولئك الذين ركبوا أهوائهم وقطعوا حبل الاعتصام بدينهم ، فاضحوا فرقاً متعدده ، وأحزاباً متباينة كل حزب بمالديهم فرحون ، والسبب أن الأهواء والبدع باعدت بينهم ، وفرقت شملهم ، ومن كان رائده هواه ضل فى مسعاه .

قال الامام الرازى رحمه الله : ـ(اعلم أن المراد من الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة ، وأن لا يتفرقوا ولا يبتدعوا البدع)ـ (٢) .

فإنه ليس من شأن أهل الايمان الفرقه والخلاف وإنما ذلك سبيل المشركين ، الذين كثرت أربابهم فتعددت مناهجهم ومذاهبهم نتيجة ذلك .

يقول تعالى : (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) (٣) .

وحفلت السنة النبوية بالأدلة المحذره من البدع وأهلها ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام:((ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ)) (٤) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٥٩ .
(٢) تفسير الفخر الرازى ٩/١٤ .
(٣) سورة الروم آية رقم ٣٢ .
(٤) تقدم تخريجه ص٧٩ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

ـ ووجه التحذير أن الذى يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها فى أول الأمر ولا يشعر بما يترتب عليها من المفسده وهو أن يلحقه إثم من عمل من بعده ، ولم يكن هو عمل بها بل لكونه كان الأصل فى احداثها ـ (١) .

وذلك جزاء وفاقاً ، لسعيه فى ضلال نفسه وأضلال غيره .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((واياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلاله ، وكل ضلاله فى النار)) (٢) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقاً على قوله عليه الصلاة والسلام : ((كل بدعة ضلالة)) وهذه الجملة قاعدة شرعيه كلية بمفهومها ومنطوقها ، أما بمنطوقها فكان يقال : حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة فلا يكون من الشرع ، لأن الشرع كله هدى ، فان ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحت المقدمتان وانتجتا المطلوب) (٣) وبهذا نعلم أن البدعة الشرعيه مذمومة مطلقاً ، ولا مسوغ لأحد فى تحسينها كما عرفنا سابقاً فى تعريفها .

ومن الأحاديث المحذره من البدع والتى ذهبت أصلاً توزن به الأعمال

---

(١) البخارى مع الفتح ٣٠٢/١٣ .

(٢) رواه أبو داود ١٥/٥ كتاب السنة رقم الحديث ٤٦٠٧ ، ورواه مسلم ٥٩٢/٢ رقم ٨٦٧ عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه ، والبخارى كتاب الإعتصام ٩٢/٩ والنسائى ١٥٣/٣ كتاب صلاة العيدين ، والدارمى ٤٤/١ ، المقدمة والمسند ٣١٠/٣ عن العرباض بن ساريه رضى الله عنه .

(٣) فتح البارى ٢٥٤/١٣ .

والأقوال قوله عليه الصلاة والسلام : ((من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)) (١) ، وفى رواية ((من عملا عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) (٢) .

قال الامام ابن دقيق العيد رحمه الله تعليقاً على روايتى الحديث : (إنه صريح فى رد كل بدعة وكل مخترع ثم قال عن الرواية الثانية (إنها صريحة فى ترك كل محدثة سواء أحدثها فاعلها أو سبق إليها فانه قد يحتج بعض المعاندين ، إذا فعل البدعة فيقول : ما أحدثت شيئاً فيحتج عليه بهذه الرواية) (٣) لأن لفظ كلمة العمل اذا أطلقت تعم كل تصرف من قول أو عمل أو تسرك .

قال الراجز :

(لئن قعدنا والنبى يعمل لذاك منا العمل المضلل فسمى الجلوس عملاً ، وبذلك سدت الشريعة جميع منافذ البدع ، ولم يعد لمتأول تحلاً وتبديلاً ، ومن أعظم خطورة البدعة حرمان صاحبها من التوبه من حيث خاب ظنه وخسر مسعاه وهو لا يشعر يقول عليه الصلاة والسلام : ((ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعه حتى يدع بدعته)) (٤)) .

ففى الحديث الشريف وعيد شديد لمن أطلق العنان لهواه ولم يحكم

---

(١) رواه البخارى كتاب الصلح ٢/٢٦٧ ، ومسلم ٣/٣٤٣ رقم ١٧١٨ ، وابن ماجه ١/٧ ، ومسند أحمد ٦/٢٧٠ ، عن عائشة رضى الله عنها وأبو داود كتاب السنة رقم ٤٦٠٦ ، ٥/١٢ .

(٢) رواه مسلم ٣/١٣٤٤ رقم ١٧١٩ عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) شرح ابن دقيق للأربعين النوويه ص ٢٨ .

(٤) الطبرانى فى الأوسط رقم ٤٣٦٠ عن أنس رضى الله عنه .
وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للالبانى ٤/١٥٤ .

السنة فى منهجه وعبادته ، فقد تسوقه الأهواء الى فتنه عمياء وضلالة جهلاء لا يخرج من تبعاتها حتى الممات ، ولذا فان البدعة أخطر من المعصيه ،لأن المعصيـــة زاجره بنفسها لمن كان فى قلبه ذرة من ايمان ، بينما أن البدعة سراب خـــادع يغرى الجهول ويخدع الغرير ، ويعلل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حرمـــان المبتدع من التوبة رغم استحقاقه لها ، بقوله :(بان المبتدع الذى يتخذ ديناً لـم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب مادام يراه حسناً لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه ،أوبانه ترك حسناً مأموراً به أمـــر أيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله ، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيء فى نفـــس الأمر فإنه لا يتوب)(١) .

وهذا تحليل علمى رصين لنفسية المبتدع ومنهجه الفكرى ، الذى انعدمت فيه رؤية الحق ، وسط لبيل البدعة الحالك ، وقد أدرك السلف الصالح رحمهم الله خطورة البدعة فاشتد نكيرهم عليها وعلى أربابها ودعاتها ومعتنقيها وأورد بعضـا من أقوالهم اختم به هذا المبحث ومن ذلك قول ابن عباس رحمه الله عنهمـــا : (إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع)(٢) وقال عبد الله بن عمر رضى اللـه عنهما :(كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)(٣) .

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله : (ليكن مجلسك مع المساكين واحذر

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/١٠ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى ٣١٦/٤ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٩٢/١ .

أن تجلس مع صاحب بدعه)- (١) .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : -(لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك)- (٢) .

وهكذا يتبين من الأدلة الشرعيه خطورة البدعة على العقيدة ،وماتجر على صاحبها من خسران ،وما تزرعه بين المسلمين من فرقه وخذلان ،مما يدل قطعاً على ضرورة محاربتها واجتنابها .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) سير أعلا النبلاء حـ ٨ ص ٣٩٩ وعبد الله ابن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم أبو عبد الرحمن المروزى أحد الأئمة ولد سنة ثمان عشرة ومائة ومات بعد انصرافه من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائه .
انظر : ترجمته فى تهذيب التهذيب ٥/ ٤٨٢ - ٣٨٧ .

(٢) الاعتصام ١/ ٨٣ الحسن بن ابى الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى الأنصار وأمه خيرة مولاة أم سلمه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ونشأ بوادى القرى مات سنة ١١٠هـ .
انظر : ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ - ٢٧٠ هـ .

* المبحث الثالث *

" أسباب البدع "

من ضروريات تصحيح المنهج وبيان عيوبه، النظر بتجرد وإخلاص إلى حدود الإنحراف الفكرى المؤثر فى تكوين الأفكار واستخلاص المعطيات ، والبدعة أحد الميادين الهامه التى ضلت فى ساحاتها الأفهام وأكتسبت مع طول العهد قناعة فكرية وتقديس واحترام أخذ طابع الإلزام ،ولذلك لابد من توضيح أسباب نشأة البدع وانتشارها،ليقف المسلم على حقيقة تلك البدع ويتخذ موقفاً جهادياً عن دينه وأمته ، وفى هذا المبحث اطلاله موجزة على أسباب البدع تناسب المقام ان شاء الله ومن أبرز تلك الأسباب :

المطلب الاول : الجهل .

وهو الداء العضال الذى يحجب رؤية الحق ويقلب الحقائق ،ويسد منافذ النور والإشعاع الفكرى،ومن مظاهره صور متعددة منها، أن يتصدى لدعوة الناس وفتواهم من قصر باعه فى العلم ،وخاصة اذا كان فى بيئة محرومة من أهل العلم ، فيصبح الجهلة رؤوساً للناس وقادة يقودون أنفسهم وغيرهم إلى الضلال كما فى الحديث .

قال عليه الصلاة والسلام : ((ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا ، فافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا)) (١) .

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٥١ .

ويوضح الامام الشاطبي رحمه الله الظروف الاجتماعية التي تؤهل الجهلة لقيادة الناس في أخطر القضايا فيقول :-(بان الناس لابد لهم من قائد يقودهم في الدين والا وقع الهرج وفسد النظام ، فيضطرون الى الخروج الى من انتصب لهم منصب الهدايه ، وهو الذي يسمونه عالماً فلابد أن يحملهم على رأيه في الدين ، لأن الغرض انه جاهل ، فيضلهم عن الصراط المستقيم كما أنه ضال عنه وهذا عين الابتداع ، لأنه تشريع بغير أصل من كتاب ولا سنة)- (١) .

ومن سمات هؤلاء القادة الجهلة ، افلاسهم في معرفة السنة فلا يستطيع أحدهم التمييز بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة (٢) فتراهم يروون الأحاديث كيفما اتفق ، مما سبب في انتشار الأحاديث الموضوعة والضعيفة وذيوعها بين الناس جيلاً بعد جيل ، أدى الى تكوين ثقافة خاطئة شكلت عقول بعض عوام المسلمين ونفوسهم وأخلاقهم وفق مراميها المختلفة،فلربما تلى على مسامعهم حديث مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوماً بكلمة موضوع،يكون له وقع كبير في نفوسهم تهتز له جوانحهم، وتعلو كلمات التعجب في جنباتهم ، ويسوق الامام الشاطبي رحمه الله أمثله على تلك الاحاديث ، مثل حديث الاكتحال يوم عشوراء وحديث اكرام الديك الأبيض ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد واهتز للسماع حتى سقط الرداء عن منكبيه (٣) .

---

(١) الإعتصام ٢/٨٣ .

(٢) حدثني أحد طلبة العلم من أبناء المسلمين في الجامعة الإسلامية أنه سمع في بعض وسائل الإعلام في بلاده من ينكر وجود الأحاديث الضعيفة ويقول متعجباً " كيف تنسب الضعف الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الإعتصام ١/٢٢٤ .

ومن سماتهم تحكيم العقل في قبول الشريعة ، وقد يكون أحدهم ذلق اللسان بارع البيان لكنه ذو بضاعة مزجاة في العلم الشرعي ، مما أوقعهم في طامات لا قبل لهم بها. يقول الإمام الدهلوي رحمه الله :

(إن المبتدعين شككوا في كثير من المسائل الإسلامية ، بأنها مخالفة للعقل ، وكل ما هو مخالف له يجب رده أو تأويله ، كقولهم في عذاب القبر انه يكذبه الحس والعقل ، وقالوا في الحساب والصراط والميزان نحواً من ذلك فطفقوا يؤولون بتأويلات بعيدة) (١) ومن أبرز ما افرزته عقولهم المريضة ، وأفهامهم السقيمة إنكار السنة جملة وتفصيلاً والاكتفاء بالقرآن .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الصنف ومن مسلكهم الخطير يقول عليه الصلاة والسلام : ((لا أعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري : مما أمرت به أو نهيت عنه وهو متكئ على أريكته ، فيقول ، ما ندري ما هذا ؟ عندنا كتاب الله ، وليس هذا فيه ، وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن ، وبالقرآن هداه الله)) (٢) .

قال الامام المباركفوري تعليقاً على الحديث : (وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة ، وعلامة من علاماتها فقد وقع ما أخبر به) (٣) واشتهر أصحاب هذا " بالقرآنيين " نسبة إلى اكتفائهم بالقرآن دون السنة والحق انهم لو أخذوا

---

(١) حجة الله البالغة ١/ ١٧ .

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٦٦٣ كتاب العلم وأبو داود رقم ٤٦٠٥ كتاب السنن ، وأحمد في المسند ٦/ ٨ وابن ماجه في المقدمة رقم ١٣ عن أبي رافع رضي الله عنه .

(٣) تحفة الأحوذي ٧/ ٤٣٥ .

بالقرآن حقا لأخذوا بالسنة لأنها صنـــو القرآن وبها أمر ، ولكنهم أقوام ذوو أهداف سيئة يسعون إلى ضرب الإسلام باسم الإسلام .

المطلب الثاني : اتباع الهوى .

من الحقائق الهامه أن البدع تشوبها لوثة من الشهوات التي تحقق لأفرادها نوعاً من المكاسب المادية والمعنوية فكثير من أرباب البدع يستغـــل أتباعه في خدمات خاصة تفوت حتماً لو انقلبوا عن تلك البدع ، ولذا فلابـــد من تعميق تلك المفاهيم في أذهان العامه ليضمنوا استمرار تدفق الإمتيازات الخاصة ، أما الأتباع ففي الغالب رعاع يتبعون كل ناعـق ، تأسرهم البهارج وتـــــأخذ بألبابهم الغرائب ، فالهوى مزلق خطير ، يصد دون معرفـة الحق وقبوله ولذا فان بعض رؤوس النصارى يدركون بطلاق عقيدة الصلـــب والتثليث ، ولكنهم لا يتجرؤون على مخالفتها حرصاً على مكاسبهم وامتيازاتهـم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ﴿ وخلق كثير من كبار البابوات والمطارنة والأساقفة لما خاطبهم قوم من الفضلاء أقروا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى ، وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة كبقاء الملوك والأغنيـــاء على ملكهم وغناهم ﴾ (١) .

ويتجلى هذا المعنى في اليهود الذين يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ولكن حملهم الحسد على الكفر به كما قال تعالى : (ولمـــا جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (٢) .

---

(١) الرسالة القبرصيه ص ١٤ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٨٩ .

فالهوى مسلك نفسي يعتمد على أوهى الأدله ليتثبت لها المبتـــدع والضال ليبرهن على صدق مذهبه ، وإن كان يعلم من قرارة نفسه أنه مخطئ كما قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) (١) .

يقول الامام الشاطبي رحمه الله عن منبع الأدله عند المبتدع -(إن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع ، ويدعي أن ما ذكره هـــو مقصود الشارع ، فصار هواه مقصوداً بدليل شرعي في زعمه ، فكيف يمكنه الخروج عن ذلك وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به وهو الدليل الشرعي فـــي الجمله)- (٢) .

وهذا قاسم مشترك بين أهل الاهواء والبدع ، ومن العسير من هذا شأنه أن يرعوى لسماع الحق فضلاً عن قبوله، ومن الأجدر بالداعيه أن لا يضيع وقتـــه مع هذا الصنف وعليه أن يلقي الحجه كاملة ثم يمضي في دعوته راشداً .

المطلب الثالث : التقليد المذموم .

مر على الأمة الاسلامية في أوج انحطاطها ألوان من مظاهر التخلف في كثير من مناحي حياتها ، وفي المجال الفكري يعتبر التقليد المذموم ،أبرز تلـــك المظاهر السيئة ، خاصة إذا أضفى على المقلد هالة من التقديس ، تعطـــل عندها قوى الادراك الحسي عند المقلد ، حتى يصبح مسلوب الاراده والتفكيـر لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما ألقى عليه من قائده ، وقد حذر العلماء من التقليد الأعمى وبينوا متى يحمد ومتى يعاب .

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٤ .

(٢) الإعتصام ١/١٢٤ .

يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله قال أبو عبد الله بن خويز منداد البصرى المالكى : التقليد معناه فى الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه فى الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة (١) ونقل الاجماع على هذا الامام الدهلوى رحمه الله حيث يقول ـ (فاتفقوا ـ يقصد علماء الأمة) ـ على جواز التقليد للمجتهدين ، مع العلم بأن المجتهد يخطئ ويصيب ومع الاستشراف لنص النبى صلى الله عليه وسلم فى المسألة والعزم على أنه إذا ظهر حديث صحيح خلاف ما قلد فيه ترك التقليد واتبع الحديث) ـ (٢) .

وقد نزل القرآن الكريم محذراً من التقليد المذموم قال تعالى : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) (٣) .

يقول الامام ابن عبد البر رحمه الله :

ـ (ومثل هذا فى القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء وقد احتج العلماء بهذه الآيات فى إبطال التقليد ، ولم يمنعهم كفر أولئك من الإحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر ، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد) ـ (٤)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٢٨ .
والإمام ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبى المالكى من كبار الحفاظ الحديث ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ وتوفى سنة ٤٦٢ هـ .
انظر ترجمته تذكرة الحفاظ ٣/١١٢٨ - ١١٣٠ .

(٢) حجة الله البالغة ١/٢٥٥ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٧٠ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٠٩ - ١١٠ .

وقد عنـون الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فى كتاب التوحيد بابـاً بقوله ـ (باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذ هم أرباباً) ـ (١) .

وهذا بعينه التقليد المذموم التى قامت بسببه الفرق الباطنة التى دفعت أئمتها إلى مرتبة العصمه ، وأوغلت فى تقديسهم حتى أصبحوا أرباباً .

يقول الامام الغزالى رحمه الله عن الفرق الباطنية :

ـ (اتفقوا على أنه لابد فى كل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر وحل الاشكالات فى القرآن والأخبار والمعقولات ، واتفقوا على أنه المتصدى لهذا الأمر ، وأن ذلك جار فى نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ولا يجوز أن ينقطع إذ يكون فيه إهمال للحق ، وتغطية على الخلق واتفقوا على أن الإمام يساوى النبى فى العصمة ، والاطلاع على الحقائق فى كل الأمور ، الا أنه لا ينزل عليه الوحى ، وإنما يتلقى ذلك من النبى ، فانه خليفته وبازاء منزلته ، ولا يتصور فى زمان امامان كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما) ـ (٢) .

ويؤكد هذا الغلو أحد أشهر معاصريهم " الخمينى " فى كتابه الحكومة الإسلامية ما نصه " ان من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبى مرسل ، وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والمنزلة مالا يعلمه الا الله "(٣) .

---

(١) الامام محمد بن عبد الوهاب الإمام المجدد فى القرن الثانى عشر ولد سنة ١١١٥ وتلقى تعليمه فى بلده حريملا ، ثم سافر للرحلة فى طلب العلم فى أرض الحرمين والعراق ثم عاد إلى نجد فبدأ الدعوة إلى الله ، وألف الكتب والرسائل القيمة ، توفى رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ .
انظر : كتاب مشاهير نجد ص ١٦ - ٢٧ .

(٢) فضائح الباطنية ص ٤٢ ت الإمام الغزالى .

(٣) الحكومة الإسلامية ص ٥٢ للخمينى .

وبث هذه الأصول البدعية بين العامة تجعلهم أسرى التقليد دائما ، بحيث تنعدم جدوى الإصلاح وسط مجتمع يرى أفراده أن أئمتهم وشيوخهم أفضل من الملائكة والأنبياء .

ومن صور التقليد المذموم ما يسعى المتصوفة إلى تعميقه في ذهن المريد تجاه شيخه ، بحيث يصبح مسلوب الإرادة والفكر فمن آداب المريدين التي قررها المتصوفة تجاه المشايخ أن يكون المريد (مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره) (١) ولا يحق له الاعتراض البتة ولو بقلبه ، فإن (من صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ، ووجب عليه التوبة على أن الشيوخ قالوا : عقوق الاستاذين لا توبة عنه) (٢) .

وقد استجد في عصرنا ألوان من التقليد المذموم لاعداء الله ورسوله من كفرة الشرق والغرب من خلال الغزو الفكري والثقافي والإعلامي في حالة ضعف من المسلمين وقوة لأعداء الله جعلت أنظار بعض المسلمين ترمق هؤلاء اعجاباً وتقديراً استحال في الغالب إلى محاكاة وتقليد ، مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى قال : فمن ؟)) (٣) .

وغطى هذا التقليد كثيراً من أحوال المسلمين المادية والمعنوية ، في الأفراح والأتراح ، والعبادة والعادة والسياسة والإجتماع .

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ، انظر ملحق كتاب إحياء علوم الدين ص ١٩٩ .
(٢) الرسالة للقشيري ٢ / ٦٣٣ - ٦٣٤ .
(٣) البخاري كتاب الإعتصام ١٣ / ٢٥٥ ومسلم كتاب العلم رقم ٢٦٦٩ ، ٤ / ٢٠٥٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

واكتسب التقليد المذموم خصائص خطيره ، تستوجب جهداً متواصلاً لإنقاذ المسلمين من آثاره المدمره وهى على وجه الإجمال ما يلى :

١ - الالزام والجبرية .

أى أن له سلطه وسلطاناً على الأفراد يضغط عليهم ويشعر كل واحد منهم أنه مضطر للخضوع له .

٢ - الاتصال بنواحى اسطورية وعناصر خرافيه .

ومعنى ذلك أن التقليد المذموم لا تعتمد على برهان علمى رصين ، وإنما يتجه إلى الغموض والخياليه المغرقة فى الخرافة ، ليسلم له العقل دون تمحيص او تدقيق ، ومن ثم ينطلى حقيقتة على السذج والبسطاء .

٣ - القداسة .

وهذا من أخطر خصائص التقليد المذموم اذ يجعل المقلد مبتلد الحس، مفقود الإراده لا يسمح لعقله أن ينقد ما هو عليه من خزعبلات وخرافات .(١)

وجملة القول أن مسارب البدعة وقنواتها كثيرة ومتعدده يجمعها الجهل بدين الله والهوى المتبع، والتقليد دون حجة وبرهان .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) القيم والعادات الاجتماعية ت د . فوزية دياب ص ١٢٠ بتصرف واختصار.

* المبحث الرابع *

" كيفية محاربة البدع "

لا يشك مسلم صحيح العقيدة في خطورة البدعة ، وما أحدثته من هدم موروث ، للدين الذى ارتضاه الله لعباده ، وأن ما يعانيه المسلمون من فرقة وخلاف يعود إلى تسرب البدع وانتشارها بين المسلمين قديماً وحديثاً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

(والبدعة مقرونة بالفرقة ، كما أن السنة مقرونة بالجماعة فيقال : أهل السنة والجماعة ، كما يقال أهل البدعة والفرقة)(١) لذلك لزم محاربتها واجتثاثها من أصلها نصيحة لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فإن شؤم البدعة وخطرها يعم أصول الدين وفروعه وحاضر المسلمين ومستقبلهم ، وتلك مسؤولية تتعلق بأعناق المسلمين جميعاً .

وقبل الشروع في بيان المنهج الذى ينبغى أن تسير عليه لمحاربة البدع وسائر النحل والتيارات الهدامه ، أن ندرك أن الحرب العقديه والفكرية التى شنت على أمتنا المسلمه تقوم على الأسس التاليه :

١ - أن سمة الحرب عقدية فكرية أخلاقية اشترك فيها أرباب الكفر ورؤوس أهل البدع ،لتصب جميعاً في قناة واحده هى ابعاد المسلم عن دينه وعقيدته .

٢ - اجتماع كلمة الاعداء وتضامنهم وتوحيد جهودهم ضد الاسلام والمسلمين .

---

(١) الاستقامة ١/ ٤٢ ولمزيد البيان ، انظر كتاب تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار الفصل الرابع ص ١٥٤ ، وما بعدها تأليف الدكتور صالح سعد السحيمي .

٣ - شدة مراس الأعداء وصبرهم فى حرب الاسلام .

٤ - ان هذه الحرب لم تكن وليدة اليوم بل هى حصيلة عقود من الدس والتخريب والهدم .

٥ - التركيز على التخطيط والتنظيم ونبذ الإرتجاليه والفوضى .

٦ - تصميم القيادات السياسيه المعاديه فى تنفيذ تلك المخططات وجعلها من ألوياتها الهامه .

فهذه فى نظرى الاسس التى قامت عليها جهود أعداء الله لمحاربة الإسلام وعقيدته ، فإذا أدركنا تلك المقولات السالفة الذكر وحجم تلك المجهودات الضخمة التى بذلت لتحقيقها ، لاح لنا بريق الأمل بأذن الله - الذى يشحذ العزائم ويثير الهمم، بعيداً عن العاطفة الهشه والحماس الموقوت ، وإنما يكون بمقابله القوة بمثلها أو بأشد امتثالا لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)[1] وان نسير فى تدبير خطتنا وفق منهج مدروس وترتيب متكامل يليق بعظمة الإسلام ويقابل قوة أعداء الله بمثلها .

وتنتجة المسؤولية اليوم بالدرجة الأولى إلى ثلاثة أصناف من المسلمين ، هم : الحكام ، والعلماء ، والجماعات الاسلامية ، ومن الصعب لمثلى أن يتقدم سراة الأمه من حكام وعلماء ودعاة فى قضية خطيرة كهذه ، وعذرى فى ذلك أن المسلم مهما كان ضعفه وقلة علمة وحيلته، مأمور ببذل النصيحة لعموم الأمة ،

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠ .

وأن لا يحقر نفسه في ميدان الجهاد في سبيل الله ومن هنا فاني أدلي بـــرأي في هذه القضية على وجه الإيجاز المفيد إن شاء الله .

إن كل منهج علمي يفتقر في تنفيذه إلى توفر عناصره وترابط أفراده ، وانعـدام التناقض والإزدواجيه في تطبيقه ، وانسجام وتوافق وسائله وأساليبه ، ووجود الطائفة المنفذة لبنوده ، فإن طرح الأراء وتقليبها ظهر بطن أمر ميسور، لكن الغاية العمل الجاد المخلص ، لذلك فإن مسؤولية محاربة البدع والتيارات الهدامـة تنتجة باختصار إلى مايلـــي : (١) .

المطلب الاول : الحكـام .

أهتم الإسلام بتنصيب الأئمة والحكام وأملى عليهم حقوقاً، وفرض لهـــم حقوقاً وبين (إن السلطان ضروري في نظام الدين ونظام الدنيا ، ونظام الدنيـا ضروري في نظام الدين ، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة ، وهو مقصود الأنبياء قطعاً) (٢) .

ومن أهم الوظائف التي أقيمت الدولة في الإسلام من أجلها، السعي إلـى إقامة دين الله، ظاهر الشأن، قائم الشعار، على وجه شامل كامل، بكل ما أمر الله بـه من إقامة الفرائض والسنن ، ومحاربة المحرمات والبدع، وتوجيه الناس نحو هـذه الغاية ، فليست الإمامة تشريفاً وامتيازات يتمتع بها الحاكم ، وإنما راع بكل تحمل

---

(١) سبق أن بينت في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب طرفاً من مسؤولية الحكام والعلماء والدعاة في حماية الدعوة ، وفي هذا المبحث استكمال لما مضى .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ١٤٩ .

هذه الكلمة من معاني التكليف والمسؤولية ، فان الله لم يوله على المسلمين ليكون آكلا شارباً مستريحاً ، بل لينصر الدين ويعلي الكلمة ، فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ورسـولـهم(١) .

كما أن ملاحقة أهل الزيغ والبدع وكسر شوكتهم وازالة مآثرهم وشبهاتهم من وظائفه قال الامام أبو يعلى رحمه الله : -(لمن على الامام حفظ الديـن على الأصول التي أجمع عليها سلف الامة ، فان زاغ ذو شبهه بين له الحجـة وأوضح له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الديـن محروساً من خلل ، والأمة ممنوعة من الزلل)-(٢) .

وقام الخلفاء الراشدون بدعوة الزائغين عن سبيل الهدى ،بالحجـة والبرهان ومن سدل في عمايته تلقـوه بالحسام الماحق ، ومن أبرز جهودهـم حروب أهل الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وحرب الخـوارج في خلافة علي رضي الله عنه فضلاً عن محاربة أهل الملل الكافرة في خلافـة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، واكتفي بايراد مثال واحد يـدل على عناية الخلفاء الراشدين بقمع المبتدعة والزائغين ، فقد روى (أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث بـه عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما آتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال : ابن الرجل فقال : في الرحل قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني بـه العقوبة الموجعة فاتاه به فقال عمر تسأل محدثة فأرسل عمر إلى رطائـب

---

(١) مبيد النعم ومبيد النقم ص ١٦ للسبكي .

(٢) الأحكام السلطانية لابي يعلى ص ٢٧ .

من جريد فضربه بها حتى نزلت ظهره وبره(١) ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له قال فقال صبيغ ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً وان كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له الى أرضه وكتب إلى ابى موسى الأشعرى أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته .(٢)

هكذا يتبين حرص الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على تطهير الساحة الاسلاميه من البدع والشبهات ، كما نلحظ فى هذا الأثر استجابة المسلمين فى هجران صبيغ رحمه الله حتى تاب وحسنت توبته ، ولذا فإن اهمال بعض ولاة أمور المسلمين محاربة البدع والتيارات الهدامه قديماً وحديثاً ، أدى إلى كثرة الفرق الضالة وبناء الأضرحة والمقامات والكنائس وارتداد كثير من المسلمين عن دينهم .

المطلب الثانى : العلماء .

تتعاظم مسؤولية المرء فى الإسلام على قدر علمه ، ومن أجل ذلك أحتل العلماء مقام الشهادة على العالمين ، لانهم ورثة الأنبياء فى التبليغ والدعوة ، وقد نوه الله تعالى بمكانتهم هذه بقوله : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)(٣) .

---

(١) وبره : نسبة الوبر وهو صوف الإبل والأرانب يقال هو وبر وأوبر وهى وبره ووبراء سمى بذلك لأن ظهره من شدة الضرب كالوبر .

(٢) سنن الدارمى جـ ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٨ .

قال الامام القرطبي رحمه الله :- (في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه وأسم ملائكته كما قرن العلماء) (١) .

ومن وظائف العلماء مخالطة العامة والخاصة ونصحهم جميعاً تبرئة للذمة ، ودفاعاً عن الملة ، ووصف الإمام أحمد رحمه الله وظيفة العلماء بقوله : (الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، وينهون عن الردى يحيون بكتاب الله الموتى ، وبسنة النبي أهل الجهالة ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا أعنة الفتنة ، مختلفين في الكتاب يقولون على الله وفي الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وفي كتابه بغير علم) (٢) .

ونستلخص من هذه الكلمات النيرة مهمة العالم الأساسية التي تشمل تربية الناس وتعلمهم والمناضحة عن دين الله والرد على أهل الضلال والزيغ ، ولا يتم ذلك إلا بمخالطة الناس والنظر في حوائجهم ومشاكلهم بقول الإمام ابن القيم رحمه الله :- (والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام ، وطرق الخير والشر فمخالطة للناس ، وتعليمهم ، ونصحهم في دينهم ، أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة ، وقراءة القرآن) (٣) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٤١ .

(٢) انظر : مقدمة الرد على الجهمية ص ١ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) عدة الصابرين ص ٩٣

ويقول الامام الغزالي رحمه الله :

« اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر ، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس ، وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد ، فكيف في القرى والبوادي ، ومنهم أعراب وأكراد وتركمانيه ، وسائر أصناف الخلق ، وواجب أن يكون في كل مسجد ومحله من البلد فقيه يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ، وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيره ، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ، ولا يأكل من أطعمتهم فان أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط عن الباقين والا عم الحرج الكافة أجمعين ، أما العالم فلتقصيره في الخروج ، وأما الجاهل فلتقصيره في ترك العلم » (١) .

ولا شك أن الإهتمام بتعليم المرأة أمور دينها ، يعتبر سداً منيعاً أمام البدع والتيارات الهدامة التي من أهدافها اصطياد المرأة المسلمة ، وتسخيرها في إفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم ، فمن مسؤولية العلماء انقاذ المرأة المسلمة من حبائل الاعداء ومكايدهم وبدعهم ، فقد كان الإمام أحمد رحمه الله يلقي دروساً خاصة للنساء في المسجد مساء (٢) وفي عصرنا يلحظ الباحث قلة الداعيات إلى الله من الإناث وفي ذلك خسارة فادحة للدعوة ، وثغرة ينفذ منها الأعداء لبث أفكارهم وبدعهم وسط المجتمع النسوي الخالي من الداعيات إلى الله ، ومن

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٩٩ .

(٢) تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٨١ تصنيف الدكتور منير الدين أحمد .

واجب العلماء نهى الحكام عن البدع واعتناق الأفكار الهدامة لأن بصلاحهم تصلح الأمة جمعاء ، وبفسادهم تتنشى الفتن وتحل المحن ، ومن الأمثلة الرائعة في هذا المقام ما قاله الامام عبد السلام النابلسي رحمه الله بين يدي المعز الشيعي الفاطمي (١) .

حيث قال المعز : بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ، ورميت المصريين بسهم ، قال الامام النابلسي : ما قلت هذا ، فظن المعز أنه رجع عن قوله فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر !!

قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة ، وقتلتم الصالحين ، وأطفأتم نور الإلهية ، وأدعيتم ماليس لكم فأمر باشهاره في أول يوم ، ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً مبرحاً ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث (٢) هكذا وقف علماء الاسلام قمساً شامخة أمام البدع ودعاتها ورموزها .

والمقصود أن العلماء هم قادة الدعوة ورواد الاصلاح ، وأمناء الشريعة عليهم من الأمانة ماليس على غيرهم ، وهم مسؤولون عنها ، فماذا هم قائلون !! .

---

(١) المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي ولد بالمغرب دخل القاهرة يوم ٥ رمضان سنة ٣٦٢ هـ فكانت مقر ملكه وملك الفاطميين الى آخر ايامهم .
انظر : ترجمته في وفيات الأعيان ٥/ ٢٢٤ - ٢٢٨ .

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٨٤ .

المطلب الثالث : الجماعات الاسلامية .

تتصدى للدعوة في عصرنا جماعات اسلاميه متعددة تحت مسميات وشعارات مختلفة تسعى جميعاً لتمكين الاسلام و رفعة المسلمين ، وأحسب أن كل جماعة مخلصة فيما تدعو اليه ، وهذا هو الظاهر والله تعالى يتولى السرائر ، بيد أن اللازم في حقهم أن ينظروا إلى حال المسلمين وما يعانونه ، من غزو فكري جارف ، وشرك علني صارف ، وضلال وبدع خوالف ، فيكروا عليها جميعاً "تحذيراً" و"تنبيهاً" و"إنذاراً" ، فمن الظلم البين ترك البيان والتحذير من أعظم وأكبر وأشد ذنب عصى به المولى عز وجل ، والسواد الأعظم من أهلها يتخبطون في دياجير الشرك ، وظلمات البدع ، وحبائل الفكر الغربي والشرقي ، ومن الحقائق الهامه أنه لن تقوم للمسلمين دولة وصوله مالم تطهر أرض المسلمين قاطبه ، من أرجاس الشرك والبدعه والأفكار الهدامه ، ولن تتم هداية امرئ ، وتستقيم أخلاقه سراً وعلانيه ، الا على أساس إيمان صحيح عميق ، وعلم دقيق ، وعباده مقبولة ، ولا يتم ذلك إلا بأمرين لامندوحه للدعاة من التنصل عنهما بحال وهما :

١ - الدعوة إلى العقيدة الصحيحة .

لا غنى للدعاة على الإطلاق ، من دراسة العقيدة الصحيحه إبتداء والغوص في معانيها ، وامتلاك ناحية المعرفة بمضامينها لكونها السلاح الأوحد الذى لا قبل لأى قوة في هزيمتها، والداعية المنصف يدرك أن الدعوة الى العقيدة من الضروريات اللازمة لكل مبلغ عن الله ، لا سيما وهى الغاية التى من أجلها أوجدت الخليقة ، كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (١) .

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦ .

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضى الله عنه : ((يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)) (١) .

فمعرفة الله تعالى وعبادته ، أعظم وأهم ما يسعى إلى تبليغه الدعـــاه ولنا فى رسل الله وأنبياءه القدوة الحسنة كما قال تعالى : (ولقد بعثنا فـــى كل أمة رسولاً إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٢) .

فليست هناك غاية أو هدف يصح تقديمه شرعاً أو عقلاً على معرفة الله عـــز وجل وعبادته ، والحيده عن هذا السبيل ضلال وفساد عريض .

يقول الامام الرازى رحمه الله :

(المقصود من ايجاد الانسان العباده وان كل ماعداه تضييع للزمـــان وشغل الأنبياء منحصر فى أمرين : عبادة الله وهداية الخلق) (٣) .

فالذى يهمل العقيده فى الدعوه ، يضيع وقته سدى ، ولن يحقق ما يصبو اليه ، لأنه سعى لتحقيق الفرع وأهمل الاصل وفى نفس الوقت قد عصى مولاه ، وعارض منهج أنبيائه قاطبه ، وجاء بمنهج لم يعهد له مثيل ، فكيف يتصـــور أن يوفق فى مسعاه ؟ !

وقد ثبت بالواقع العملى والتاريخ البشرى ، أن من أعرض عن عبادة اللـــه ومعرفة العقيدة الصحيحه ، لابد صائـــر الى الضلال .

---

(١) رواه الشيخان ، انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان حـ ١ ص ٧٠

(٢) سورة النحل آية رقم ٣٦ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ٢٨ / ٢٣١ باختصار .

والعلة في ذلك أن الإنسان مفطور على العبادة لا يستطيع أن يعيش بدونها ، فان جهل أو أعرض صراحة عن عقيدة الحق وقع لا محاله في عقيدة الباطل .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله مقرراً هذه الحقيقة الهامة :

« إن الانسان خلق محتاجاً إلى جلب ما ينفعه ، ودفع ما يضره ، ونفسه مريدة دائماً ، ولا بد لها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن إليه وتطمئن به وليس ذلك الا لله وحده ، فلا تطمئن القلوب إلا به ، ولا تسكن النفوس إلا إليه و (لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا)[1] فكل مألوه سواه يحصل به الفساد ، ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فاذا لم تكن القلوب مخلصة عبدت غيره ، من الآلهه التي يعبدها أكثر الناس مما رضوه لأنفسهم ، فاشركت بالله بعبادة غيره ، واستعانته ، فتعبد غيره وتستعين به لجهلها بسعادتها التي تنالها بعبادة خالقها والاستعانة به ، فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد فانه لا بد له منه ، وإذا لم يحصل له لم يزل فقيراً محتاجاً معذباً في طلب مالم يحصل له »[2] .

ومن هنا فإن باب البدعة لا ينفتح إلا في غياب تحقيق التوحيد علماً وعملاً ، ومتى غابت العقيدة الصحيحه عن الدعوة إلى الله استشرفت البدع وانسابت وسط المجتمعات حتى تصبح ديناً متوارثاً .

وخلاصة القول أن معرفة العقيدة الصحيحه والعمل بها عصمة من البدع

---

(١) سوره الانبياء آية رقم ٢٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٥٥ - ٥٦ باختصار .

والضلالات وسائر أوجه الانحراف للفرد والمجتمع (١) .

٢ - المعرفة بالسنة وتطبيقها .

من عوامل محاربة البدع واجتثاثها من أصولها نشر السنة على أوسع نطاق وتطبيقها في كل كبيره وصغيره ، ليرى الناس منهج السنة مطبقاً بحذافيره ، عندها تتقوقع البدع ويضمحل مدها انحساراً حتى تزول ، فلا تجتمع السنة والبدعة في عمل إمرئ عليم قط مادام حريصاً على تطبيق السنة ، وإن وقع في بدعة جاهلاً ، فسرعان ما يفيء إلى سنة رسول الله حين يعلمها إلا من أشرب من هواه ، وآثر الفانيه على الباقية ، وغرته الأمانى .

وقد أمر الله تعالى بالاستقامة على نهج كتابه الكريم وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (٢) .

فالآية الكريمة تنص على فريضة لزوم منهج الله ـ (الذى ارتضاه لعباده قويماً لا أعوجاج به عن الحق ، فاعملوا به واجعلوه لا نفسكم منهاجاً تسلكونه ولا تسلكون طريقاً سواه ، ولا تركبوا منهجاً غيره ، ولا تبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فانها بدع وضلالات ، فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبيل وطرق) ـ (٣) أما من رغب عن منهج الحق فلا شك أنه صائر إلى الضلال (فماذا بعد الحق إلا الضلال) (٤) .

---

(١) لمزيد بيان ننظر رسالة اثبات العقيدة الاسلامية أمام التحديات تأليف الشيخ عبد الله الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٥٣ .
(٣) تفسير الطبري ٨/ ٨٧ - ٨٨ باختصار
(٤) سورة يونس آية رقم ٣٢ .

كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة الإلتزام بسنته الشريفة وبهدى خلفائه الراشدين من بعده ، فيما رواه العرباض بن ساريه رضي الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله ، كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعه ، وإن عبداً حبشياً ، من يعش منكم بعدى فسيرى إختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ (١) ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله) (٢) .

وهذا الحديث الشريف أصل فى منهج الاتباع عند أهل السنة والجماعة فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله والأعلم بمراد الله ، والخلفاء الراشدون أصدق الأمة يقيناً وأخلصهم ايماناً ، واقواهم تمسكاً ، وكل من جاء بعدهم فهو دونهم علماً وعملاً .

كتب الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى رجل يوصيه باتباع السنة فقال (أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ماجرت به سنته وكفوا مؤنته ، فعليك

---

(١) النواجذ : الاضراس قيل أراد به الجد فى لزوم السنة .
انظر : حاشية سنن ابن ماجة ١/١٦ .

(٢) رواه أبو داود كتاب السنة رقم ٤٦٠٧ ص ١٣ باب فى لزوم السنة والترمذى كتاب العلم رقم ٢٦٧٦ ٥/٤٤ ، وابن ماجة فى المقدمة رقم ٤٢/١٥ وأخرجه أحمد فى المسند ٤/١٢٦ - ١٢٧ .

بلزوم فانها لك باذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ماهو دليل عليها أو عبرة فيها فان السنة إنما سنها من قد علم مافي خلافها ، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فانهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم اليه ، ولئن قلتم إن ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم من مقصر وما فوقهم من محسر ، وقد قصروا قوم دونهم فجفوا ، وطمح عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم)- (١) .

فقد أوضح رحمه الله أهمية السنة ومكانتها في مقابلة البدعة وبين بالمقارنة بينهما أن السنة تستند على علم العليم وتبليغ الأمين ، وعمل السابقين ، والبدعة بخلاف ذلك كله فهي معقوتة شرعاً ، ومصيدة للهلكى ، وعنوان التعسير ، ودليل التقصير والتحسير .

ومما يدل على أهمية السنة في محاربة البدعة ، أن أهل البدع يضيقون بأهل السنة ، ويصونهم بمختلف الشتائم ، ويحذرون أتباعهم من حضور مجالس أهل السنة وقراءة كتبهم ، ويمارسون التجهيل المتعمد ضد السنة وما يمت إليها بصلة ، ويضربون حاجزاً نفسياً حول أنفسهم واتباعهم تجاه السنة وأهلها ، كل ذلك حذراً من انكشاف أمرهم ، وسقوط حججهم ، وانفضاض الناس من حولهم - لذلك لا يدخلون في مناظرات مع أهل السنة .

---

(١) سنن أبي داود بشرح عون المعبود ١٢/٣٦٦ ومابعدها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعيه حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره ، وقد يبغض إليهم جنس الكتاب فلا يحبون كتاباً ولا معه كتاب ولو كان مصحفاً أو حديثاً وذلك أنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا ، كما يهرب اليهودي والنصراني إبنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه وقال الله تعالى عن المشركين : (فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفره فرت من قسوره) (١) وهم من أرغب الناس في السماع البدعي سماع المعازف ، ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى ، وبين شيخ الإسلام رحمه الله سبباً هاماً من أسباب انصراف المبتدعة عن السنة بقوله (وكان مما زين لهم طريقهم أن وجدوا كثيراً من المشتغلين بالعلم والكتب معرضين عن عبادة الله تعالى وسلوك سبيله إما اشتغالاً بالدنيا وإما بالمعاصي وإما جهلاً وتكذيباً بما يحصل لأهل التأله والعبادة فصار وجود هؤلاء مما ينفرهم) (٢) وبهذا تتجلى أهمية دراسة السنة في محاربة البدع والقضاء عليها ، فتزول بذلك العقبات دون انتشار الدعوة الصحيحة.

* * *
* *
*

---

(١) سورة المدثر آية رقم ٥١ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٥/٩٨ - ٩٩ باختصار .

* الفصل الخامس *

" الوحدة ونبذ الخلاف "

أختم هذا الباب - إن شاء الله - ببيان المنهج الموحد الذى يجب أن يسير عليه الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى فى وظيفتهم السامية ، الذى نذروا حياتهم من أجلها ، ولكن الصراعات الحزبية ، قد كدرت صفو تلك الجهود وألحقت بمسيرة الدعوة طعنات نُجلاء ، تتجلى فى التمزق الفتوى والاشتغال بالقدح والمدح ، والذهول عن الدعوة فى بعض الأحيان .

وكان كبش الفداء بين الجماعات المتضارعه شباب المسلمين خاصة ، الذين أشغلهم كثيراً تبادل النقد اللاذع ، الذى تؤججه العواطف الجياشة ، والحماس المحموم ، والجهل والتقليد لغير المعصوم .

فلابد من بيان ناصع ، يلم شعث المختلف ، ويشد أزر المؤتلف ، وذلك بالدعوة إلى العمل الجماعى تحت راية القرآن والسنة وأجمل ذلك فى المباحث التاليه :

* المبحث الأول *

" مشروعية العمل الجماعى "

أكد الإسلام على الوحدة بين المسلمين ودعا إليها كما فى قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (١) .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٠٣ .

وفى الآية الكريمة دعوة من الله بالتمسك بدينه ،والبعد عن الفرقة والخلاف المذموم ،والاعتبار بحال الناس قبل الاسلام وما كانوا عليه من العداوة والشنآن ثم أصبحوا متحابين فى الله بغير أنساب تجمعهم ، ولا أموال تؤلفهم .

يقول الامام القرطبى رحمه الله تعالى :

(أمر الله تعالى بتذكر نعمة وأعظمها الاسلام واتباع نبيه عليه السلام فإن به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة) (١)

وقد نهى تعالى المؤمنين من مشابهة المشركين والكافرين فى التفرق والإختلاف فقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٢) وهذا وعيد لمن رام سبيل الخلاف المذموم وطلب سبيله ،وبحث عن أسبابه ،وفى هذه الآية الكريمة بشرى بزوال الخلاف متى عمل المسلمون بهذا النص ،ولا يلزم من ذلك عدم وقوع الخلاف فى المستقبل ، انما المقصود ان الالتزام بهذه الآية يمكن تحققه ووقوعه فى حياة المسلمين .

يقول الشيخ عبد الكريم زيدان حفظه الله :

(واذا كان الإختلاف شئ يمكن وقوعه وصدروه عن البشر فإنه ايضاً يمكن توقيه ، ويمكن تحصيل ضده وهو الإتفاق لما عرف من أصول الشريعة الاسلامية لا تكليف الا بمقدور ، أو لا تكليف بمستحيل) (٣) .

فلا عذر لمن ركب منهج الخلاف المذموم لأنه مأمور بتركه وباستطاعته فعل ذلك .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ٤/١٦٤ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٠٥ .

(٣) بحوث فقهيه ص ٢٧٦ لعبد الكريم زيدان عمر .

وذكر الإمام الرازى رحمه الله مناسبة بليغة يحسن ذكرها بين قولـــه : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا . . الآية) وبين الآية قبلها هى قوله تعالى (ولتكن منكم أمة) قال ـ (لما أمر تعالى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك مما لا يتم إلا إذا كان الآمر بالمعروف قادراً على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغالبين ، ولا تحصل هذه القدرة إلا إذا حصلت الإلفة والمحبة لكـــى لا يصير ذلك سبباً لعجزهم عن القيام بهذا التكليف ، وعلى هذا الوجه تكـــون هذه الآية من تتمة الآية السابقة) ـ (١)

والعمل الجماعى فى الدعوة بدون خلاف أو شقاق هو عين ما أشار إليـــه الإمام الرازى رحمه الله ، لأن المرء يقوى بأخيه ، ويزداد ثباتاً بمن يلازمـــه ونجد هذا المعنى ظاهراً فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قـــال تعالى : (وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقـــنى إنى أخاف أن يكذبون ، قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فـــلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) (٢) .

كما نلحظ هذا المعنى فى قوله تعالى حكاية عن لوط عليه الســـلام : (قال لـو أنى لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) (٣) .

قال الإمام القرطبى رحمه الله تعليقاً على الآية ما نصه : ـ (لما رأى استمرارهم فى غيهم ، وضعفه عنهم ، ولم يقدر على دفعهم تمنى لو وجد عونـــاً

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٨/١٨٤ .
(٢) سورة القصص آية رقم ٣٤ - ٣٥ .
(٣) سورة هود آية رقم ٨٠ .

على ردهم فقال على جهة التفجع والإستكانه : (لو أن لي بكم قوة) أى أنصاراً وأعواناً (أو أوى إلى ركن شديد) أي ألجأ وأنضوي ومراد لوط - عليه السلام - بالركن العشيره والمنعه بالكثرة)- (١) .

فإذا كان أنبياء الله طلبوا المساعدة والمعاونة فى دفع المنكر والتعاون على الأمر بالمعروف وهم من أعلم وأقوى البشر إيماناً وصدقاً ويقيناً ، دل ذلك على ضرورة الأخذ بالأسباب فى نصرة الدعوة ودفع المخالفين ، وفى سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برهان على أهمية العمل الجماعى المشترك بين المؤمنين ، فقد عرض نفسه على القبائل فى المواسم بحثاً عمن ينصره ليبلغ دعوة ربه ، وخرج إلى الطائف طالباً إسلام ثقيف ونصرتها ، ولم يزل عليه الصلاة والسلام يبحث عمن ينصر هذا الدين حتى قيض الله الاوس والخزرج فبايعوه ، واتخذ المدينة دار هجرة للمؤمنين ونقطة تجمع يأوون إليها ، وينطلقون منها للدعوة ، والجهاد فى سبيل الله والتعاون على البر والتقوى والدعوة إلي الله صفة لازمة من صفات المؤمنين .

قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (٢) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل السرايا للدعوة إلى الله ولم يأمرهم بقتال (٣) ويتفرقون فى جميع النواحى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/٧٨ باختصار .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٧١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٥٤ .

للدعوة إلى الإسلام(١) وكان من السلف الصالح من كان يدعو ويأمر وينهى في جماعة معه كالصحابي الجليل هشام بن حكيم(٢) .

هذه طبيعة المجتمع الاسلامي أنه قائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسخراً جميع طاقاته لخدمتها ، ولا يصلح آخر هذه الا بما صلح به أولها .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/١٧٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ١١/٣٧ .

* المبحث الثانـــى *

" معوقات العمل الجماعى وكيفية ازالتهـــا "

من اللازم لتحقيق الوحدة بين الدعاة ، التعرف على عوامل الهدم والاعاقـــة أمام اجتماع كلمة الدعاة إلى الله ، وتلك مرحلة هامه وحيويه ، لزحزحة العوائـــق القائمة والمحتملة الوقوع ، لتنطلق مسيرة الدعوة إلى الله فى الآفاق ، تكتســـح الدعوات الباطلة ، والعقائد الزائفة والأفكار الهدامه ، وتنقذ الناس من مما جنت عليهم عقولهم وايديهم .

وعلى وجه الايجاز أذكر أهم تلك العوائق وهـــى :

المطلب الاول : إهمال العقيدة فى الدعوة والفهم والعمل .

فإن من الدعاة من أهمل الدعوة إلى العقيدة بالكلية ، وتلك رزية الدهـــر وغريبة العصر ، مما أوقعهم فى خلاف مع سائر الدعاة وأصبحوا يناؤون بانفسهـــم عن إخوانهم الدعاة ويحذرون منهم ، وبعضهم جنح إلى التصوف ، وأعطى ولاء لبعض الفرق الضاله ، ومن الدعاة من أخذ العقيدة ناقصة دون فهم صحيح لما عليـــه سلف الأمة مما أوقعهم فى الشذوذ والانحراف ، ومنهم من قصر فى تطبيقه لهـــا دون ماكان عليه الرعيل الأول ، مما أدى بهم إلى التقصير البين فى جنـــب الدعوة والذود عنها ، فأصبحت كل طائفة ترمى بدائها على قرينتها دون إنصاف فى القول أو رغبة فى الإصلاح إلا من رحم الله .

المطلب الثانى : تقنين الدعوة فى لوائح ونظم لا يجوز الحيد عنها أو مخالفتها .

وهى فى حقيقتها اجتهادات غير معصومه ، ساقت إلى قيام مذاهب جديده فى الدعوة لم يعهد لها مثيل ، مما أدى إلى الولاء والبراء وفق نظم الجماعـــة

وأسسها وتولد عن ذلك التقليد الأعمى ، وإنعدام روح الانصاف ودفع الحق وانكاره مادام لا يتفق مع منهج الجماعة ، ومن المفيد هنا ضرب أمثله ذكرها شيخ الاسلام تبين المقصود وذلك أن جماعة من أهل السنة يعرضون عن ذكر فضائل أهل البيت نفرة من الروافض ، وقال بعضهم : سبوا علياً كما سبوا عتيقكم كفراً بكفر وإيمانا بإيمان ، وذكر أمثله عن جهله أهل الاسلام الذين يبغضون موسى عليه السلام بعضا لليهود ، حتى حكى أن بعضهم سبوا عيسى عليه السلام كما شتموا النصارى محمداً صلى الله عليه وسلم في الحرب[1] ،والشاهد من ذلك أن من الدعاة من يرفض الدعوة إلى العقيدة الصحيحة صراحة من أجل أن جماعة ما تدعوا لذلك ، ومنهم من يرفض التحدث في السياسه والدعوه الى بيان العمل السياسي في الاسلام لكون جماعة ساتدعوا لذلك وقس على ذلك في الترتيب ،وتزجيه الوقت في اللعب الكروى كاسلوب من أساليب الاصلاح وغير ذلك من الوسائل والأساليب .

المطلب الثالث : نشر بعض الكتب والرسائل المادحة لهذه الجماعة والقادحه لتلك، دون موضوعيه ولا نقد علمي أصيل ، مما جعل الشباب المبتدئ يقبل عليها ويحكمها في الجماعة المخالفة ،مما أخرج الدعوه الى التمزق والتحزب، والافتتان بمثل هذه الكتب حتى صرفت الكثيرين عن جد الدعوه وواجباتها .

المطلب الرابع: تقصير بعض العلماء عن اسداء النصح الحكيم لهذه الجماعات التنافره ، وتخفيف وطأة الخلاف بينهم ،وذلك بمشاركتهم وإرشاد الأتباع الى قبول الحق من أى طرف كان ،ودونما تعصب لقبيل دون قبيل .

المطلب الخامس : وأخيراً العلل النفسية الصاده عن قبول الحق ، والداعية

١- مجموعة الفتاوى جـ٦ ص ٦٥

إلى استمرار الخلاف والشقه ،لتحقيق بعض المكاسب المادية والمعنوية ، ومن أخطر تلك العلل ، اتباع الهوى الذى يحمل النفس على النزو، واشباع الشهوات المادية والمعنويه،وأحسب أن هذا الصنف لا يمثل تياراً وسط الجماعات الإسلامية وإنما هم أولئك النفر الذين يركبون موجة تيار الخلاف لتحقيق أغراضهم ومصالحهم وهم قلة والحمد لله إلا أن أثرهم خطير جداً .

هذه فى رأيى أهم العوائق المانعه من العمل الجماعى بين الدعاة وهى كما ترى عوائق مصطنعة تقوم على جرف هار شعارها الجهل ، ودثارها التعصب والهوى ، وإذا عرفنا تهافتها وبطلانها ، فان إزالتها يستلزم العمل باضدادها لإصلاح القلوب والنفوس ، والظاهر والباطن ،والسر والعلانية ومن أهم الأسس فى ذلك ما يلى :

المبحث الثالث : أسس الدعوه إلى العمل الجماعى .

المطلب الاول : الدعوة إلى العقيده ، وتطبيقها كاملة شامله كما جاءت فى الكتاب والسنة على ضوء فهم سلف الأمة فان العقيدة ليست شعارات جوفاء ،ولا أقوال صماء ، وإنما هى الإسلام برمته والإيمان بكماله ، والاحسان بشموله ، مبنى على اعتقاد راسخ وعلم بالله عميق ، وتنزيه لجلال الله ،وتوحيد لله فى الجليل والدقيق ، وتحقيق معنى العبوديه لله رب العالمين فى جميع الأحوال والأقوال والأفعال ، وبهذا التطبيق الشامل للعقيدة فى الدعوة والفهم والعمل ، تزول جميع العقبات ، ويتم التعارف والتآلف .

يقول الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله :

« ولا يحصل الاتفاق الكامل ، الذى تكون فيه المحبة والالفه ،إلا مع اتفاق الدين والعقيده ،فاذا كان الدين حقاً ، والعقيدة صافية من الشوائب

وسالمه من الانحرافات والغوائل فهناك يقوى الاتفاق ويتم ، وتتأصل الرابطة ويحصل البذل والإيثار)» (١) .

فالعقيدة الصحيحة الكفيلة وحدها ، بجمع القلوب ، وتأليف النفوس كما قال تعالى : (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) (٢) .

قال الامام الرازى رحمه الله : «(دلت هذه الآية على أن القوم كانوا قبل شروعهم في الإسلام ومتابعة الرسول في الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضاً ، ويغير بعضهم على البعض ، فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ، زالت الخصومات ، وارتفعت الخشونات وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة ، ثم إنه تعالى ختم الآية بقوله : (إنه عزيز حكيم) أي قادر قاهر ، يمكنه التصرف في القلوب ، ويقلبها من العداوة إلى الصداقة ، ومن النفرة إلى الرغبة ، حكيم يفعل ما يفعله على وجه الاحكام والإتقان)» (٣) .

فمن الحكمة والحصافة ، النظر إلى سنن الله في النفوس ، وما جبلها الله سبحانه وتعالى عليه من إقبال وإدبار ، ومعرفة تلك السنن الإلهية والعمل على ضوئها وناموسها ، ومن هنا فإن المصالح الدنيوية المشتركة والعواطف الهشة ، والحماس المتوقد ، لا تصلح جميعها - بكل المقاييس - الشرعية

---

(١) مجلة الجامعة الاسلامية العددان (٦٥ ، ٦٦) محرم جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ص ٩ .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٣ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ١٥/١٥٦ - ١٩٧ باختصار .

والعقلية أسساً للوحدة الدائمة ، والأخوة الصادقة وإن كان لها ثمة تأثير فهو أمر ثانوى غير ذى بال ، لأن المصالح الدنيوية وقتية الأثر ، قصيرة الأجل ، محفوفة بالخطر ، والعواطف على شاكلتها فى الوصف والأثر ، تعتريها السآمة والملل ، وتكدرها الخواطر والفكر .

أما العقيدة الصحيحة فتغاير تلك الأوصاف وتربو عليها قوة وأثراً ، وذلك لكونها علاقة ربانية يقذفها الله تعالى فى قلب العبد سقياها الايمان ، ومرشدها القرآن ، وبرعاية الملك الديان ، وفيما يلى بيان موجز لثمراتها اليانعة ، التى يجتنيها المؤمنون من عقيدة التوحيد وهى :

١ - صدق الأخوة .

تتميز العلاقة الإيمانية بين المؤمنين بخصائص يعز وجودها فى غير ساحة الايمان الصحيح ، ومن أبرز تلك الخصائص صدق الأخوة ومراعاتها والمحافظة عليها باعتبار أن المؤمنين تربطهم وشائج الايمان فهم أخوة كما قال تعالى : (إنما المؤمنون أخوة) (١) وليست أخوة عابرة ، أو شعور مجامله أو معاملة لبقة ، وإنما واجب مقدس ، وتكليف شرعى ملزم الحقوق التى من أبرزها قوله عليه الصلاة والسلام : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه " أو قال لجاره " ما يحب لنفسه)) (٢) وفى الحديث دليل على أن المسلم مطالب أن لا يعيش لنفسه ، بل هو عضو فى الجماعة المسلمة

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٠ .

(٢) البخارى كتاب الايمان ١/ ٢١- رقم ١٣ ومسلم كتاب الايمان رقم ٤٥، ١/ ٦٧ والنسائى ١٥٨٨ كتاب الايمان والترمذى رقم ٢٥١٥ باب ٤، ٥٩/ ٦٦٧ وابن ماجه فى المقدمه رقم ٦٦ عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

يهمه ما همهم ويفرحه فرحهم ، وبذلك يستكمل إيمانه ، وتتحقق له صفات المؤمنين الصادقين ، فصاحب العقيده الصحيحه يسعى جاهداً لتحقيق الأخوه رجاء أن يحظى بفضل الله وجوده الذى أعده للمتحابين فى جلاله كما فى الحديث القدسى (أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى) (١) .

والدعاة مطالبون بتحقيق الأخوة الإيمانيه على أشمل الوجوه ، وبناء جسور المحبه الصادقة بناء على عقيده الولاء والبراء فى الاسلام دون النظر إلى اللون أو الجنسيه ، أو الانتماء الحزبى ، وإزالة جميع مظاهر الجفوة والهجران والعنصريه .

٢ - الولاء والنصره .

من النتائج الحتميه لتطبيق العقيده الصحيحه والدعوة إليها ، تماسك حزب المؤمنين وقوته ، وبلوغه درجة الكمال فى التفانى والإيثار ، ومن الصعب اختراقه وزعزعته ، لكونه مطبقاً عقيدة الولاء والبراء ، كما أمر بذلك المولى سبحانه وتعالى فى قوله : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) (٢) ، والآية ناطقه بقصر المحبة والولاء لله ورسوله والمؤمنين تكليفاً لازماً ، وحقاً واجباً على المؤمن وذلك شرط فى ايمانه .

---

(١) مسلم كتاب البر رقم ٢٥٦٦ ٤/١٩٨٨ والموطأ ٢/٩٥٢ كتاب الشعر عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٥ - ٥٦ .

يقول الامام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

(على المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم وأوجب محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الإيمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب فى النسب) (١) .

وقد وضح النبى صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ الايمانى كما فى الحديث عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال :(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر يقول :الا ان آل بنى فلان ليسوا بأوليائى انما ولى الله وصالح المؤمنين) (٢) .

يقول الامام النووى رحمه الله تعليقاً على الحديث (إن ولى من كان صالحاً وإن بعد نسبه ، وليس ولى من كان غير صالح وإن قرب نسبه) (٣) .

وهذه الولاية الايمانيه من لوازمها النصره وبذل العون ، والأريحيه كما قال تعالى : (وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) (٤) .

قال الامام القرطبى رحمه الله تفسيراً لهذه الآية ما نصه :

(يريد ان دعوا هؤلاء المؤمنين الذين لم يهاجروا من أرض الحرب

---

(١) مجموعة التوحيد ص ٥٠ - ٥١ والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ولد سنة ١٢٠٠هـ واستشهد على يد إبراهيم باشا سنة١٢٢٣هـ انظر : ترجمته فى مشاهير علماء نجد ١/ ٤٤ .

(٢) رواه البخارى كتاب الأدب باب تبل الرحم ببلالها ١٤ ، ومسلم كتاب الايمان ١/ ١٩٧ رقم ٣٦٦ وأحمد ٤/ ٢٠٢ .

(٣) شرح مسلم للنووى ٣/ ٨٨ .

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٧٢ .

عونكم بنفس أو مال لا ستنفاذ هم فأعينوهم ، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم ﴾ (١) .

فإن من دوافع الجهاد فى الاسلام دفع الظلم عن المستضعفين واطلاق حريتهم ليعبدوا إلهاً واحداً لا شريك له .

يقول تعالى : (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعلنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً) (٢) .

قال الامام الرازى رحمه الله : قوله :

﴿ (ومالكم لا تقاتلون) يدل على أن الجهاد واجب ، ومعناه أنه لا عذر لكم فى ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين إلى ما بلغ فى الضعف ، فهذا حث شديد على القتال ، وبيان العلة التى لها صار القتال واجباً ، وهو ما فى القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدى الكفره ، لأن هذا الجمع إلى الجهاد يجرى مجرى فكاك الأسير ﴾ (٣) .

وإذا تأكد هذا المعنى فى الجانب العسكرى ، فلا يمنع من سريانه إلى ميدان الدعوه ، الذى يشترك أعداء الاسلام جميعاً فى محاربتها مما يلزم الدعاة قاطبة الاجتماع لنصرة العقيدة الاسلاميه ورد العدوان عنها باجتماع كلمتهم كما هو حال الأعداء فى اجتماع كلمتهم على حرب الاسلام وأهله .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٥٧ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٧٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ١٠/١٨٧ .

المطلب الثاني : الدعوة إلى الانصاف وتشجيع تيار الاعتدال بين الدعاة.

فالملاحظ أن لكل جماعة محاسناً وأخطاء أو تقصيراً فوجب الإعتراف بالمحاسن لكل جماعة ، ورد كل خطأ وانحراف بحكمة واخلاص ، وما بدا من تقصير فالواجب تكميله .

والحق أنه متى وجد الانصاف زال الخلاف ، لأن طالب الحق لا يهمه إلا معرفة الدليل ، فاذا عرفه أخذ به وإن تبين له الخطأ تركه في الحال فهو بين هاتين الحالتين يسير .

المطلب الثالث : القراءة المنوعة .

من الحلول العمليه لإزالة الخلاف ، ممارسة القرآءة الموجهة والمنوعة ، ومحاولة سماع وجهات نظر الآخرين، للاستفاد ، والزياد ، وفي ذلك إثراء لمدارك العقل ، وتوسيع أفق التفكير ، واطلاق العنان للتميز والاختيار العقلي دون ضغط حزبي أو تقليد فتوى، مما يؤدي إلى فتح باب الحوار الهادئ ، والمناقشات النافعة للوصول إلى معرفة أولى المناهج بالحق .

* * * *
* * *
* *
*

* المبحث الثالث *

"اقتراح لتوحيد جهود الدعاة"

بعد العرض الموجز لمشروعية العمل الجماعي في الدعوة إلى الله ، وما يواجه ذلك من معوقات ، وكيفية ازالتها ، أطرح تصوري لكيفية اجتماع كلمة الدعـــــاة واتفاقهم قلباً وقالباً قولاً وعملاً واعتقاداً ، فانه لا مندوحة بين السعي وراء هذا الهدف السامي ، وخاصة بين قادة الأمة ودعاتها ورموز عزتها وهداتها ، وفي نظري أنه لابد أن يقوم العمل الجماعي على ثلاثة أسس رئيسية هـي :

المطلب الأول : العقيدة الصحيحة .

المطلب الثاني : الترتيب والاعداد والتنظيم .

المطلب الثالث : التكامل والشمول .

هذه باختصار أسس العمل الجماعي في نظري ، ومن المفيد التعريـــف بتلك الأسس .

المطلب الاول : العقيدة الصحيحة .

وهي ضرورة لازمة لا غنى عنها ، وبدونها تصبح الجهود والخطط والأعمال ، في حيز الفشل الذريع ، والخسران المبين ، وتكون الدعوة إليها بالاسلوب المباشر وذلك بالدعوة إلى توحيد المولى عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاتـــه وسائر أركان العقيدة الأخرى ، شرحاً وتفصيلاً وبياناً ، مع ملاحظة اتباع الأسلـوب الأمثل في الدعوة والتعليم وغير ذلك .

كما تكون الدعوة إلى العقيدة بمسلك غير مباشر ، وذلك باقتران الخطـاب التكليفي بالعقيدة سواء كان في الأخلاق أو المعاملات أو العادات كما هو منهج

القرآن والسنة ، أما في ابتداء الخطاب أو في خاتمته ، كما في قوله تعالى :
(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم)[1] الآية
حيث افتتحت الآية بنداء العقيدة وهذا الاسلوب كثيراً ما يتكرر في القرآن
أما في خاتمة الخطاب كقوله تعالى : (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن
أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[2]
فقد اشتملت الدعوة في كلا الآيتين على التذكير بالعقيدة ومضامينها ولوازمها .

المطلب الثاني : الترتيب والإعداد والتنظيم .

لا مراء أن الدعوة منذ تاريخها كانت تسير مسددة بالوحي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخذ جميع الوسائل والأساليب لتبليغها ولم تكن خطواته
عليه الصلاة والسلام في هذا السبيل ، مبنية على الارتجال والفوضى ، وإنما
تمت وفق معايير دقيقه ، بدأ بالمرحلة السريه ثم العلنيه وتلاها هجرته عليه
الصلاة والسلام إلى المدينة وما حفلت به من ترتيب وإعداد وتنظيم لا يخفى
على طالب العلم وبعد وصوله عليه الصلاة والسلام ، بدأت مرحلة جديـــدة ،
قامت على إثرها حركة ضخمة من البناء والاعداد والتنظيم السياسي والإجتماعي
والثقافي والعسكري ، تمثل في دولة إسلاميه قوية دستورها القرآن . وشغلها
الشاغل وهاجسها الأول الدعوه إلى الله سبحانه وتعالى .

ومما يجب التنبيه عليه في هذا الصدد ، أن لا ينصرف المراد بالترتيب
والتنظيم الى البيعة والعهد والميثاق ، المعروف لدى الصوفيه والفرق الأخرى ،
فالبيعه خاصة بالامامة العظمى ، أما سوى ذلك فتعاون على البر والتقـــوى ،

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٣٥ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٢ .

واجتماع على الخير .

وقد أخذت المؤسسات الاسلامية الرسمية بمبادئ علم الإدارة المعاصر، وهو أمر لا غبار عليه ، حيث ثبتت جدواه ومنفعته ، ولا أرى مانعاً من الاستفادة من النظم الإدارية المعاصرة في هذا السبيل (١) .

المطلب الثالث : التكامل والشمول .

وهما نقطتان أساسيتان لنشر الدعوة ،فان من الجهل بالاسلام تجزئته، وتقديمه ناقصاً أو مبتوراً ، وهذا خلاف ما نهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته فقد دعا على ضوء قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)(٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما السلم الإسلام(٣) ، وكيف يتصور دخول الناس في الإسلام كله مالم تكن الدعوة كاملة لكل صغيره وكبيره من هذا الدين ، ابتداءً بالعقيدة لكونها الأهم ،ثم تليها سائر مراتب التكليف ، ولا بأس من أن يتخصص أفراد أو جماعات في دعوة فئة من الناس أو التركيز على قضية بعينها وذلك بشرطين :

الأول : أن تكون الدعوة إلى العقيدة قاسماً مشتركاً بين الجميع .

الثاني : أن تغطى جميع التخصصات أصول الدين وفروعه .

وبذلك يتم التوافق والاجتماع ، ويزول التنافر والاختلاف .

وقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القارئ ،

---

(١) لمزيد بيان انظر : كتاب الإدارة في التراث الإسلامي تأليف د. محمد بن عبد الله البرعي ، ود. عدنان بن حمدي بن عابدين .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٠٨ . (٣) فتح القدير جـ١ ص ٢١١ .

والشاعر ، والخطيب ، والقائد ، والفقيه ، والمحدث ، والمفسر ، والنسابه ولم يعب أحد على أحد وانما كمل بعضهم بعضاً وجمعهم دعاة إلى التوحيد ، وإن تميز بعضهم عن بعض بسبب الفوارق الفطريه والمكتسبه .

واذا أدركنا هذه المقدمه الأساسيه ، فإن العمل الجماعى يتم بمسلكين :

الأول : المسلك الخارجى .

وهذا يتم بانضواء الدعاة من أهل السنة والجماعة فى العالم أجمع تحت وحده جماعيه واحده ، تجمع بين المؤسسات الرسميه والشعبيه وليكن باسم (مجلس الدعوة العالمى) ويتم اختيار أعضاءه فى مؤتمر اسلامى جامع للدعاه القائمين بالدعوه فعلاً دون استثناء أو حذف أو تجاهل ، إذ لا جدوى من حضور البعض وترك الأخرين ، ومن خلال المواصفات الشرعيه المقرره فى علم الجرح والتعديل يتم اختيار رئيس المجلس وأعضائه ، ويناط بهم مسؤولية الاشراف على الدعوة فى العالم وتوحيد جهود الدعاه .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله :

« فمن تكفل بأمر طائفه فانه يقال : هو زعيم ، فإن كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك ، وإن كان شراً كان مذموماً على ذلك ، وأما " رأس الحزب " فانه رأس الطائفة التى تتحزب ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زياده ولا نقصان فهم مؤمنون ، لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا فى ذلك ونقصوا مثل التعصب

لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عمن لم يدخل سواء كان على الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ، ونهيا عن التفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الأثم والعدوان)) (١) .

هذه فحوى العمل الجماعي في الدعوه ، وهو اقتراح واقعي ليس فيه كبير مشقة ولا عنت ، متى صحت النيات ، وصدقت العزائم ، ولنجاح أدى هذا المجلس ، تخصص أوقاف ومشروعات استثماريه للانفاق على حاجة الدعوة وماتطلبه من جهود ومشاريع في الحاضر والمستقبل ، على أن يشرف على هذه الموارد لجنة منتخبة من أهل الأمانة والعدالة لها حق الرقابة والمتابعة والتفتيش .

واستجابة لأمر الله عز وجل ، بغض المنازعات والخلاف بين المؤمنين كما قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (٢) .

وامتثالا لهذا الأمر الرباني ، أرى تأسيس محكمة إسلاميه ملحقه بالمجلس ، تضم صفوة العلماء في العلوم الشرعيه يرتبط بها مركز بحوث متقدم ، لإصدار الأحكام الشرعيه فيما يستجد من خلافات عامه أو خاصه ، وتقديم الحلول لجميع المشاكل المعلقه ، وتوحيد الفتوى ما أمكن إلى ذلك سبيلا .

وليست العبره في هذا كله بالمسميات فقط ، ولكن المهم العمل المخلص

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٢/١١ .
(٢) سورة النساء آية رقم ٥٩ .

الدؤوب المتبع لا المبتدع، المحتسب لثواب الله ، فلابد اذن من تلافى الروتين القاتل ، والطنين الاعلامى المصم ، الذى تقع فيه بعض المؤتمرات عادة وتنتهى بقرارات رنانه ، تأخذ طريقها بعد حين إلى طى النسيان فى صمت وهدوء .

٢ - الميدان الداخلى .

وهذا يختص بكل دولة على حدة ، وفى هذه الحاله يلزم الدعاه من أهل السنة اجتماعهم على كلمة سواء فى جماعة واحده متعاونة على غرار المجلس العالمى للدعوه ، وإذا كانت الدولة المعنية مسلمه ومشهود باستقامة مؤسساتها الرسميه ولا تناصب الدعاه العداء ، كما هو الحال فى المملكة العربية السعوديه فالواجب الإنطواء تحت لواء دار الدعوه والافتاء وهكذا فى كل بلد على هذه الوتيره .

أما سائر الدول فتختلف حال الدعوة فيها ، فمنها ما تشتد فيه الحروب الضروس والعداء السافر لكل من يمت إلى الاسلام بصلة ، ومنها ما تخف حدته وفى الحالات جميعا ، تعتبر السيره النبويه الشريفه بدروسها وعظاتها ، مفتاحاً معصوماً لحل جميع الأزمات ، فقد تصبح الدعوة سريه كما هو الحال فى البلاد الشيوعيه ، وقد تنتقل إلى العلنية المحدوده ،حسب منهج أهل السنه والجماعة .

أما مهام المجلس المقترح بشقيه الخارجى والداخلى فيتضمن ما يلى :

١ - وضع خطة زمنيه محدده لأسلمه العالم أجمع وإقامة الحجة على العالمين مع الإستفاده من كل الوسائل والأساليب المباحة ، وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية .

٢ - القيام بمسح شامل لكل بلد على حده ، ومعرفه احتياجاته وحصر العوائق

الصاد ه عن الدعوه ، واخراج الحلول المناسبه لها .

٣ - العناية الفائقه بشأن العقيد ه الصحيحه والبد ء بها ، ونشر السنة المطهره ، بكل الوسائل والأساليب .

٤ - تنوير الرأى العام الاسلامى باقامة المعاهد والمدارس وتمكين الأقليـــات الإسلامية من معرفة الاسلام على حقيقته ، وتربية أبنائهم على شريعته .

٥ - الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلاميه كامله دون زياد ه أو نقص .

٦ - دعوة المسلمين حكاماً ومحكومين إلى احياء فريضة الجهاد فى سبيل اللـــه ، لكونه ذروة سنام الدين ، وعنوان القوة وتاج الايمان .

٧ - النظر فى مشاكل المسلمين فى كل مكان ووضع الحلول ، وتقديم المساعدات الماديه والمعنويه ، لرفع المعاناه عنهم .

٨ - محاربة التنصير والفكر الإلحادى ، ورصد الفرق الضاله ومحاربتها والتحذير من البدع وسائـــر أوجه الانحراف .

٩ - اصلاح ذات البين بين الحكومات الاسلاميه ، فليس " بابا الفتيكـــان " بأولى بهذه المهمه من دعاه الحق والايمان .

١٠- ضرورة المراجعه والتقويم واجتماع الدعاة دورياً للنظر فى جميع ما يهم الدعوة الاسلاميه ونشرها .

ويمكن تلخيص الثمرات التى تترتب على العمل الجماعى فيما يلى :

١ - أن العمل الجماعى يتسم بالقوة والثبات ، وسرعة الانتشار

كما قيل تأبى الرماح إذا اجتمعن تفرقـــاً

وإذا افترقن تكســـرت آحـــادا

وهو يكتسب هذه القوة بعون الله سبحانه كما في الحديث ((فإن يد الله مع الجماعة)) (١).

بخلاف العمل الفردي الذي يتعرض فيه الفرد لمثبطات مختلفة كالنفس الشيطان وشهوات الدنيا ومن أجل ذلك ورد الحديث الشريف محذراً من العزلة فعن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناجيه ، وإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامه)) (٢) .

٢ - بالعمل الجماعي تستمر الدعوه بإذن الله ولا يضيرها إنقطاع أحد أفرادها أو تهاونه أو تخاذله أو كسله أو موته وبهذا لا يرتبط مستقبل الدعوة بواحد بعينه ، إذا زال اندثرت وغاب نجمها ، وبالعمل الجماعي تتوارث جيلا بعد جيل ، يحملها من كل سلف عدوله .

٣ - الدعوة متعددة الجوانب، لا يستطيع فرد بعينه الوفاء بمتطلباتها جميعاً لكن بالعمل الجماعي المنظم يتحسن الجهود ، وتتوحد الطاقات وتستغل الأوقات ، ويعرف كل داعيه وظيفته ومهمته ويتم الوفاء بجميع الالتزامات في وقت يسير .

---

(١) رواه الترمذي كتاب الفتن رقم ٢١٦٦ ، ٤/٤٦٦ ، والنسائي ٧/٩٢ ، عن عرفجه بن شريح الأشجعي رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه أحمد ٥/٢٤٣ ، قال الشيخ الالباني صحيح .
انظر : هامش العقيدة الطحاويه ص ٥٧٨ .

وخلاصة القول انه بامكان الدعاة من أهل السنة والجماعة أن يوحـدوا جهودهم ، ويؤثروا على سائر الجماعات وزعمائها، لما لهم من ثقل مادي ومعنوي لا يمكن تجاهله اطلاقاً .

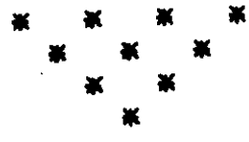

الباب الرابع

أهمية العقيدة الصحيحة في نجاح الدعوة

* البـــــاب الرابـــــع *

(أثر العقيدة الصحيحة فى نجاح الدعوة)

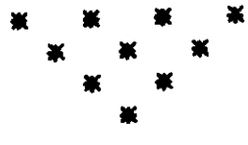

* الفصل الأول *

" التعريف بالعقيدة وبيان محاسنها "

* المبحث الاول *

" التعريف بالعقيده "

المطلب الأول : التعريف بالعقيدة لغة :

فالعقيدة : مأخوذه من ماده "عقد" وهو نقيض الحل ، ومنه عقد الشيء يعقده عقداً "(١) وهذه الكلمة تفيد الشده في العهد والمواثقه ومنه قول الشاعر :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم

شدوا الفناج وشدوا فوقه الكربا (٢)

وشاع لفظ استخدام العقد بين الفقهاء "ثم استعمل في التعميم والإعتقاد "(٣) .

ولما لهذه الكلمة من معنى يفيد بعض أعمال القلوب صح اطلاق لفظ العقيده على كل ما انعقد عليه القلب سواء كان حقاً أو باطلاً ، يقال (اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل : العقيده مايدين الانسان به) (٤) .

---

(١) معجم مقاييس اللغه ٤/ ٨٧ .

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٧ .

(٣) تاج العروس ماده عقد .

(٤) المصباح المنير ٢/ ٤٢١ .

المطلب الثانى : التعريف بالعقيدة اصطلاحاً .

أجمع تعريف أطلعت عليه هو ماذكره الشيخ أبو بكر الجزائرى حفظه الله بقولـــه (العقيدة هى مجموعة من قضايا الحق البد هيه المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ، يعقد عليهـــا الإنسان قلبه ويثنى عليها صدره جازماً بصحتها ، قاطعـــاً بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون ابداً)(١) .

فالعقيدة الصحيحه تتلقى بالتسليم المطلق ، بحيث لا يرتقى اليها الشك ولا تقبل المماحكه ، وذلك خلاف طريق اهل الكلام الذى تنصب بحوثه علـــى الجدل العقيم ، الذى يزرع الشك ويبعد اليقين ، كما تخالف طريق الفلاسفـة الذين (يبحثون المسائل بحثاً مجرداً ويفرضون أن عقولهم خاليه من المؤثرات ومن الاعتقادات ثم يبدأون بالنظر ، منتظرين ما يؤول إليه البرهان) (٢) .

وسر انحراف المتكلمين والفلاسفة هو اعتمادهم على عقولهم القاصـــره ونبذ الاهتداء بناموس الشرع (فثبت بهذا أوضح الثبوت أن الشرع لـــم يقتصر على الاعراض عن علم الكلام والفلسفه ، بل حذر ونفر عنهما) (٣) .

ومن الأخطاء المعاصره الشائعه اطلاق لفظ " الايدلوجيه " علـــى العقيده وذلك أن هذه الكلمة (مستورده ليس لها إلى الآن مرادف دقيق باللغة العربية يؤدى معناها) (٤) .

---

(١) عقيده المؤمن ص ١١ للجزائرى

(٢) ضحى الاسلام ٣/٣٠٨-٣٠٩ . ت : أحمد أمين

(٣) القائد فى تصحيح العقائد ص ٤١ للمعلمى .

(٤) العقيدة الاسلاميه والايدلوجيات المعاصره ص ١٨ . ت : د . عبد الغنى عبود

كما ثبت أن بعض الفلاسفه المعاصرين من تنكر تفسير الايد لوجيه بالعقائديه " (١) وهذا شاهد من أهلها ومن ثم فان العدول عن المصطلحات الشرعيه إلى المستورده خطر محدق يؤدى إلى تحريف المفاهيم الثابتنه ، ويطبع العقليه الإسلاميه بلوثة العقولات الماديه المنحرفه . ومن هنا ظهر أهمية الإطلاع على مفهوم العقيده الصحيح ، حتى لا تختلط المفاهيم ، وينسب الى العقيدة ما ليس منها من المباحث الكلاميه ، والتأملات الفلسفية ، والمناظرات الجدليه . فإن من وراء الإنحراف العقدى ، سوء فهم ، وقصور علم لمعنى العقيده الصحيح .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) السلفيه بين العقيدة الإسلاميه والفلسفه الغربيه الهامش ص ٢٢١ ت: د مصطفى حلمي

* المبحث الثاني *

" محاسن العقيدة "

من العسير على الباحث ، الإلمام بمحاسن عقيدة التوحيد فهي في مورد هـا ومضمونها وتفاصيلها محاسن بعضها فوق بعض ، لا يملك الناظر المنصف إلا اعتناقها ومحبتها ومن الواجب على دعاة العقيدة إبرازها للناس كما هي كعقيدة وحيدة غير منافسة ، ومن سبل الدعوة الناجحة بيان محاسن العقيدة الصحيحة ، ليزهد الناس فيما هم مقيمون عليه من عقائد زائفة ، لا تغني فتيلاً ولا تهدي سبيلاً ، ومن جهة أخرى يزداد الذين آمنوا إيماناً ويغتبطوا بما هداهم الله إليه ، وبذلك فليفرحوا .

وفيما يلي نماذج مختارة لبعض محاسن العقيدة الصحيحة أوردها كأمثلة موجزة على أهمية العقيدة في الدعوة إلى الله .

المطلب الأول : حفظها وصيانتها من العبث والتحريف .

تنفرد العقيدة الصحيحة بكونها العقيدة الوحيدة التي حفظها الله تعالى من التحريف وكتب لها الخلود ، فلم تستطع أيدي التحريف طمسها أو تبديلها رغم المحاولات المضنية ، والمنعطفات التاريخية القاسية في تاريخ المسلمين ، والتي استطاع فيها أعداء الإسلام امتلاك ناصية التدبير والسياسة في بلاد المسلمين .

ويعود ذلك الحفظ إلى أسباب كثيرة منها بالدرجة الأولى عناية الله وحفظه وحكمته النافذة ووعده الذي لا يتخلف في قوله سبحانه (يريدون ليطفئوا

نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١) ولاعتماد العقيدة على الوحي المعصوم المحفوظ .

كما قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٢) .

وقد قيض الله تعالى لهذه العقيدة حراسا أمناء ، انبروا لصد الهجمات والحملات المسعوره ضد عقيدة التوحيد، أولئك منهم العالم المتبحر الذى أمتلك ناصية العلوم العقليه والنقليه فسخر علمه لخدمة العقيدة ، ومنهم الحافظ المحدث الذى غربل الروايات ،وانتقى الصحيح ونفى السقيم ،ومنهم المجاهد الصنديد ، الذى بذل نفسه رخيصة فى سبيل كلمة التوحيد ويجمع ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)) (٣) والحديث يدل على أنه سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين ،وتسخير من (يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم) (٤) .

والمراد بهم الأبدال وهم على الرأى الراجح لا يتوجه إلى رجل بعينه بل يشمل كل رجال الدعوة والإصطلاح (٥) .

---

(١) سورة الصف آية رقم ٨ .

(٢) سورة الحجر آية رقم ٩ .

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٢٩١ كتاب الملاحم ٤/ ٤٨١ والحاكم ٤/ ٥٢٢ . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) عون المعبود ١١/ ٣٨٦ .

(٥) راجع تفصيل ذلك فى جامع الأصول من أحاديث الرسول للإمام ابن الاثير ١١/ ٣٢٠ - ٣٢٤ .

وثمة خاصيه أخرى إمتازت بها العقيدة الصحيحه حفظت أصولها ومسائلها من التحريف والتبديل ، وذلك لكونها توقيفيه لا مجال فيها للزياده أوالنقصان ومجال العقل أن يفهم معانيها ، وينفقه فى مراميها ، ويتربى على توجيهاتهـا.

المطلب الثانى : الوضوح .

تتسم العقيده الصحيحه بالوضوح التام ، والبعد عن الغموض والتعقيـد فالذات الالهية ، وهي أعظم الحقائق فيها ، قد أجليت ببيان بليغ يأخـذ بالالباب وانظر إلى قوله تعالى وهو ينسب نفسه :

(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفـوا أحداً) (١) ، وإنك واجد فى السورة الكريمه ، وصفاً دقيقاً واضحاً لا لبس فيـه ، فهو الإله الكريم ، الغنى المنزه من الوالد والولد واحد فى ذاته لا قسيم له ، واحد فى صفاته لا شبيه له ، واحد فى أفعاله لا شريك له .

يقول الإمام الرازى رحمه الله :

-(إن أول السورة يدل على أنه سبحانه واحد كريم رحيم غنى على الإطـلاق نفى عن ذاته أنواع الكثره بقوله أحد نفـي النقص والمغلوبة بلفظ الصمد ، ونفـى المعلوليه والعليه بلم يلد ولم يولد ، ونفى الأضداد والأنداد بقوله (لم يكـن له كفواً أحد) وقوله (أحد) يبطل مذهب التنويه القائلين بالنور والظلمـه ، والنصارى فى التثليث ، والصابئين فى الأفلاك والنجوم ، والآية الثانيه تبطل مذهب من أثبت خالقاً سوى الله لأنه لوجد خالق آخر لماكان الحق مصموداً إليه

---

(١) سورة الإخلاص .

فى طلب جميع الحاجات ، والثالثه تبطل مذهب اليهود فى عزير ، والنصارى فى المسيح ، والمشركين فى أن الملائكه بنات الله ، والآية الرابعة تبطل مذهب المشركين حيث جعلوا الأصنام أكفاء له وشركاء ﴾ (١) .

أما سائر أركان العقيد ، فهى على الوثيره ذاتها قد بينت ووضحت ، بحيث أن العقل الرشيد لا يجد عنتاً فى فهمها فاليوم الآخر مثلاً وصف بجلاء ودقة متناهيه وفق ترتيب زمنى ومرحلى ، وصفاً يجمع بين الصورة والمعنى كأن المرء يشاهد أحداثه عياناً .

أما الكتب السماويه فهى مرئيه مقروءه ختامها القرآن الذى صانه الله تعالى من التحريف ، تقرؤه غضاً طرياً كيوم نزوله ، أعترف أساطين البلغاء ، ورؤوس الفصحاء باستحالة تحديه أو مقاربته .

أما عالم الملائكه فقد وصف الله خلقهم ووظائفهم وإن خفى على الناس رؤيتهم فى الدنيا ، إلا أن آثارهم يجدها المؤمن واضحة فى حياته من حفظ من الكوارث ونجاة من الأحداث العظام دون تدخل من أحد أو جهد ذاتى .

ومن أهم تلك الآثار ما حل بالأمم الماضيه من النكبات والكوارث والتى لا تزال آثارهم شاخصة حتى اليوم .

وهكذا فى كل أركان العقيد ، نجد الوضوح ، الذى تفهمه العقول البشريه بلا عسر .

يقول العلامه المعلمى رحمه الله :

﴿ فأما المطلوب شرعاً ، فإن الله أعد العقول العاديه لإدراكه ، واعد

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٣٢/١٨٥ .

لها ما يسددها فيه من الفطرة والآيات ، الظاهره في الافاق والأنفس ، ثم اكمل ذلك بالشرع ، فإذا انقاد العقل العادي للشرع وامتثل هداه واستضاء بنوره فقد آمن ما يخشى من قصوره)- (١) .

فموافقها للعقل السوي ينبع من ادلتها الفطرية والنقليه والعقليه ، فليس فيها ما يضاد العقل ويعارضه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

(ان الأنبياء قد يأتون بما تعجز العقول عن إدراكه ولكنهم لا يأتون مطلقاً بما يضاد العقول ويعارضها)- (٢) .

بيد أننا لو نظرنا في العقائد الاخرى لوجدناها تتعمق وتتوغل في الرمزيه والتعقيد ، تزيد المرء حيره وتعقيداً ولذلك تعتمد دائماً على الكلمة المشهوره عند غير المسلمين (اعتقد وأنت أعمى " أو " أغمض عينيك ثم اتبعني) (٣) .

وقد حدا هذا التعقيد إلى عودة بعض علماء الكلام بعد لأي وشده إلى الرجوع الى عقيدة التوحيد الصافيه الواضحه بعد ما تاهوا في ظلمات الفلسفة ، ودياجير علم الكلام وأورد بعضاً من أقوالهم وهي مشهورة عند طلبه العلم ومن ذلك قول الامام أبي بكر الرازي رحمه الله .

١- الفائد في تصحيح العقائد ص٣٩ والعلامه المعلمي هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي نسبه إلى (بني المعلم من بلاد عتمه عين أميناً لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ .
انظر : ترجمته الأعلام للزركلي ٣٤٢/٣ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٣٠ - ١٣٢ .

(٣) الخصائص العامه الاسلام ص ١٨٨ ت : د . يوسف القرضاوي .

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، أقرأ في الإثبات (الرحمن على العرش استوى) (١) (إليه يصعد الكلم الطيب) (٢) وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (٣) (ولا يحيطون به) (٤) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي (٥) وبين ثنايا هذا الاعتراف أثر للمعاناة النفسية والتجربة القاسية التي انتهت إلى الاحباط والحيرة ومن ثم الرجوع إلى الحق .

المطلب الثالث : الوسطية .

الناظر في أصول العقيدة ومسائلها يدرك صفة لازمة ، وقاعدة مطردة لا تنخرم ولا تتخلف ، تلك خصيصة الوسطية والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفريط فقد جاءت بوجوب الإيمان الشامل الكامل ، بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام دون استثناء كما قال : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله

---

(١) سورة طه آية رقم ٥ .

(٢) سورة فاطر آية رقم ١٠ .

(٣) سورة الشورى آية رقم ١١ .

(٤) سورة طه آية رقم ١١٠ .

(٥) انظر : الفتوى الحموية ص ٧ والعقيدة الطحاوية ص ٢٢٨ .

وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)[1] .

وقال تعالى في كتابه الكريم ذاماً متعمداً من فرق بين الرسل والأنبياء في الايمان فقال : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)[2] .

فهي بهذه المثابة وسط بين العقيدة النصرانيه المحرفة التي غلت في دين الله ورسوله عيسى عليه السلام واتخذته إلهاً ، كما قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)[3] وبين العقيدة اليهوديه المحرفة التي عاملت الرسل والأنبياء عليهم السلام بالبخس والازدراء والظلم والقتل للرسل والأنبياء كما قال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما تهوى أنفسكم استكبرتم فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)[4] .

وفي الربوبيه والألوهية توسطت العقيدة بين الدهريين المحدثين والقدماء الذين حكى الله عقالتهم بقوله (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)[5] وقولهم لا إله والحياة مادة ، وبين المشركين من عباد الأصنام وأصحاب عقيدة التثليث والتنويه.

فدعت إلى عبادة إله واحد لا شريك له ولا ند كما قال تعالى : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ا)[6] .

كما أن العقيدة الصحيحه وسط بين العقائد المنحرفه في باب الصفات، وسط بين عقيدة أهل التعطيل القائلين بنفي الأسماء والصفات كقول الجعد بن درهم ومن سار على نهجه من المعتزلة وأضرابهم ، وبين عقيدة التجسيم والتشبيه كقول الكراميه .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٥ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١٥٠ - ١٥١
(٣) سورة النساء آية رقم ٧٢ .
(٤) سورة البقرة آية رقم ٨٧ .
(٥) سورة الجاثية آية رقم ٢٤ .
(٦) سورة الاخلاص .

أما منهج العقيدة الصحيحه فهو اثبات جميع ما وصفه الله به نفسه ووصف به رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع لزوم نفى الشبه والمثل والكيف على ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[1] .

وفى باب القضاء والقدر فمنهج العقيدة الصحيحه وسط بين نفاة القدر الذين يقولون لا قدر، وبين الجبرية الذين يقولون بإن العبد مجبور على أفعاله ، فلا إراده له فى ذلك مطلقاً .

ومنهج العقيده الصحيحه يثبت بإن الله خالق كل شيء ومدبره ومسيره لا يكون فى ملكه مالا يريد ، وهو الخالق سبحانه لإفعال العباد ومع ذلك لم يظلم العباد ، فقد جعل لكل إنسان إراده ومشيئه ليسأل عنهما ، ويحاسب على تقصيره وذنبه ، وهو سبحانه يعلم ماكان وما يكون ، ومالم يكن ، فلو لم يعلم ذلك ، لنسب إليه الجهل وهذا لا يليق بجلاله وعظمته ، يخلق أفعال العباد لنسب إليه العجز، وكل ذلك لا يليق بمالك الملك ذى الجلال والاكرام [2] ، وجملة القول أن العقيدة الصحيحه ،محفوظه معصومه ،لا لبس فيها ولا غموض ، مكتملة الاركان ، تامة البيان ، ساطعة البرهان .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١١ .
(٢) فتح القدير ٥/ ٢٣٥ بتصرف .

* الفصـــل الثانـــى *

" مكانة العقيدة الصحيحه فى الدعوة "

لا جرم أن العقيده تمثل لب الدعوة الاسلاميه ، توارثها الأنبياء والرســـل عليهم الصلاة والسلام وبلغوها أقوامهم ، فهى القاسم المشترك بين الرســـالات السماويه ، وما من نبى إلا طالب قومه بها ابتدأ ، وسوف أورد فى المباحـــث التاليه ، براهين على هذه الناحيه .

* المبحـــث الأول *

" الغاية من خلق الانسان "

من المسلمات البديهيه أن الله تعالى لم يخلق الانسان إلا ليبتليه كمـــا قال تعالى : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) (١) فالحياة ميدان اختبار وابتلاء ، لا يخرج عن شيئين إما الطاعة وإما المعصيه وأبـــرز الطاعات وأعظمها التوحيد بلا خلاف كما فى الحديث عن أبى هريـــرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل : قال : إيمان بالله ورسوله (٢) .. الحديث .

فتحقيق الإيمان على هذا الوجه وهو أول مراتب التكليف ، كما أن أعظـــم الذنوب ، وأشدها قبحاً الشرك بالله تعالى ، لما فيه من اعتداء على مقـــام الربوبيه والألوهيه قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) (٣) .

---

(١) سورة الملك آية رقم ٢ .

(٢) رواه البخارى حـ ١ ص ٢٥ رقم ٢٦ .

(٣) سورة لقمان آية رقم ١٣ .

والطاعة لها وجوه ومظاهر لا تحصى ، كما أن الذنوب تفوق العد والحصر ، والعبد مأمور بالطاعة ، والبعد عن المعاصى ، ولا يتم ذلك إلا بالعبودية الشاملة وذلك هو المقصود من خلق الإنسان كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(١) فتبين بذلك أن العقيدة تحيط بالمكلف ، وتستوعب نشاطه وحركاته وسكناته ، ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد ، بل إن العقيدة تصاحب العبد ، وهو مدبر عن الحياه مقبل على الآخره ، وذلك فى أول منازلها ، حيث يسأل عن ثلاثة أسئلة كلها عقديه معنى ومبنى وهى : من ربك ؟ ، وما دينك ؟ ، ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ ويكون المصير على قدر حسن الإجابه والمعرفة والعمل بالعقيده الصحيحه كما فى الحديث ((يأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله . فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : دينى الأسلام ، فيقولان : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان له : ومايدريك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الآية . قال : فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ويفتح . قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فيها مد بصره ، وأما الكافر فذكر موته ، قال : ويعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ ، فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له : ما دينك ؟ ، فيقول : هاه

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦ - ٥٨ .

هاه لا أدرى ، فيقولان : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ، فيقول هاه هـــاه لا أدرى ! فينادى مناد من السماء : أن كذب فافرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، قال : فيأتيه من حرها وسمومهـــا . قال : ويضيق عليه قبره حتى يختلف فيه أضلاعه ثم يقيض له أعمى أصم ، معه مرزبة من حديد ، لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيضرب به ضربة يسمعهـــا ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ، ثم يعاد فيه الروح(١) .

وبعد البعث والنشور يشاهد بأم عينيه ما وعده الله ورسوله من نعمة وفضل إن كان من المؤمنين وإلا كانت الأخرى جزاء تفريط عقيدة التوحيد ولوازمها .

وخلاصة القول أن مكانة العقيدة الصحيحه من الدين أمر معلوم مـــن الدين بالضرورة ، ولذلك فإن تعلمها والعمل بمقتضاها فرض عين على كـــل مسلم ، فكان الواجب المحتم البداءة بها قبل كل شئ لأنها الأساس الـــذى يبنى عليها سائر أحكام الإسلام ومن لم يرزق الحظ الوافر منها فهو المغبون .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) رواه أبو داود ٥/١١٥ رقم ٤٧٥٣ وأحمد فى المسند ٤/٢٨٨ عـــن البراء بن عازب رضى الله عنه .

* المبحث الثاني *

* اتفاق الرسل على الدعوة الى العقيدة الصحيحة *

حظيت الدعوة إلى العقيدة في مناهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالسهم الأكبر من دعوتهم يقول تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (١) .

فهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى ، عن وظيفة المرسلين قاطبة وما ساروا عليه في دعوتهم ، وفي ذلك إشارة إلى اشتراك الخلق عامة ، في وجوب معرفة العقيدة الصحيحة لأنها من أجلها (خلقت الخليقة وأرسلت الرسل ، ودلت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، وإن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله ، وإن اختلفت شرائعهم) (٢) .

ويؤكد هذا المعنى قوله سبحانه :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٣)

وقوله سبحانه : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) (٤) .

---

(١) سورة النحل آية رقم ٣٦ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٤ باختصار .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٢٥ .

(٤) سورة الشورى آية رقم ١٣ .

وفى الآيات الكريمة دليل على أن عقيدة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة لا خلاف فى ذلك ، كما أن دعوتهم تركزت جميعاً حول هذا الأصل الجامع .

يقول الامام ولى الله الدهلوى رحمه الله :

« ان أصل الدين واحد ، اتفق عليه الأنبياء عليهم السلام ، وإنما الإختلاف فى الشرائع والمناهج ، وتفصيل ذلك :

أن الأنبياء جميعا عليهم السلام ، قد أجمعوا على توحيد الله تعالى : عبادة واستعانته ، وتنزيهه عما لا يليق به ، وتحريم الالحاد فى أسمائه ، وأن حق الله على عباده : أن يعظموه تعظيماً لا يشوبه تفريط ، وأن يسلموا وجوههم وقلوبهم اليه ، وأن يتقربوا بشعائر الله إلى الله ، وانه قدّر جميع الحوادث قبل أن يخلقها ، وأن لله ملائكة لا يعصونه فيما أمر ويفعلون ما يؤمرون ، وأنه ينزل الكتاب على من يشاء من عباده ، ويفرض طاعته على الناس » (١) .

فهذا أصل الدين ولبه ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام ((أنا أولى بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)) (٢)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

« ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن أختلفت

---

(١) حكمة الله البالغة ١/١٨٢ - ١٨٣ وولى الله الدهلوى هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقى الدهلوى من أهل دهلى من بلاد الهند توفى سنة ١١٧٩ هـ ، انظر : الأعلام للزركلى ١/١٤٩ .

(٢) رواه البخارى كتاب الأنبياء ٢/٤٨٩ رقم ٣٤٤٣ ، ومسلم كتاب الفضائل ٤/١٨٣٧ باب فضائل عيسى عليه السلام .

فروع الشرائع)ـ (١) .

والمراد بأصل الدين هو الاسلام ، الذى دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يكون عليه وذريته معه كما فى قوله سبحانه حكاية عنه :

(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) (٢) .

وهو الوصية التى أوصى بها يعقوب عليه السلام بنيه كما فى قوله تعالى حكاية عنه :

(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) (٣) .

فالمقصود أن الرسل جميعاً كانوا على التوحيد عملاً واعتقاداً ودعوه ، فهل يجوز لإحد أن يخرج عن منهجهم ؟ ! .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) الفتح ٦/٤٨٦ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٢٨ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٣٣ .

* الفصل الثالث *

" الآثار المترتبة على إهمال العقيدة في الدعوة إلى الله "

قد عرفنا في الفصل السابق لزوم تقديم العقيدة في الدعوة بمقتضى ما خلق الانسان من أجله وما سار عليه الانبياء والرسل في دعوتهم ، وفي هذا الفصل بيان لأهمية العقيدة في الدعوة من وجه آخر ، يتوجه ويترتب على اهمال العقيدة في الدعوة ، وذلك من تفريط وإفراط ، واستحقاق غضب الله سبحانه ومقته ويمكن إجمال تلك النتائج فيما يلي :

* المبحث الأول *

" المخالفات العلمية "

من حقوق الله سبحانه وتعالى على عباده ، طاعته واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، استجابة لحقوق العبودية ولوازم الاعتقاد الصحيح والقرآن الكريم مشحون بالآيات الدالة على هذا المعنى .

يقول تعالى : (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) (١) .

ومن أبرز مظاهر الإستجابة لله ، الانقياد لشرعه ، والسير على منهج رسله في الدعوة إلى الله ، والعدول عن ذلك مهلكة محققة ، ومفسدة موبقة ، ومعصية ظاهرة ، ومن فعل ذلك استحق الوعيد .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢٤ .

يقول تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)(١) ولا يشك عاقل من الله عليه بنعمة الإيمان أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس إيماناً وأزكاهم نفوساً ، وأصدقهم يقيناً ، وأعمقهم حكمة ، وأبصرهم فهماً ، فهم صفوة الخلق كما قال تعالى :

(إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)(٢) .

وقد خط لهم الله سبحانه وتعالى منهجاً لا يجوز الحيدة عنه ، والرسول عليه الصلاة والسلام مأمور باتباعهم على ذات المنهج الموحد ، كما قال تعالى :

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٣) .

والدعاه مأمورون بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته ، ولا سبيل إلى محبة الله إلا باتباعه كما قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)(٤) ومن خالف أو رغب عن منهجه فقد شاق الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض نفسه للوعيد الشديد كما قال تعالى :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)(٥)

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٤ .
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٣ .
(٣) سورة الانعام آية رقم ٩٠ .
(٤) سورة آل عمران آية رقم ٣١ .
(٥) سورة النساء آية رقم ١١٥ .

وقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (١) فهذا وعيد ترتعد منه فرائض المؤمنين فضلاً عما في اقصا العقيد ، عن الدعوه من صد عن سبيل الله ، وحرمان لعباد الله من معرفة ربهم وما يليق به من أوصاف الجمال والكمال ، والداعيه الحصيف يربأ بنفسه أن يتصف بأوصاف الكافرين ، مهما كانت الدوافع والمصالح الموهومه .

يقول تعالى موضحاً مصير الصادين عن سبيله وما أعد لهم من عذاب (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً) (٢) .

ويقول تعالى : (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ، ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ، انما عند الله خير لكم إن كنتم تعلمون ، ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٣) .

وفي الآيات الكريمه نهي عن الزوغان عن الحق ، والاحتيال في تركه لمصلحة عارضه ، فان ما أعد الله للصادقين الثابتين على شرعه أعظم من تلك المصالح والدوافع المزعومة التي في حقيقتها سراب خادع ، سرعان ما تدخل أبنائها في صراعات هريرة ، عند أول خلاف يحدث .

يقول الامام القرطبي رحمه الله تفسيراً للآيات :

---

(١) سورة النور آية رقم ٦٣ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٦٧ .

(٣) سورة النحل آية رقم ٩٤ - ٩٦ .

﴿ أى لا تعقدوا الأيمان بالإنطواء على الخديعة والفساد، فتزل قدم بعد ثبوتها ، أى عن الايمان بعد المعرفة بالله، وهذه استعارة للمستقم الحال يقع فى شر عظيم ويسقط فيه، لأن القدم إذا زلت نقلت الانسان من حال خير الى حال شر ﴾(١) ولا شك أن التنازل عن الدعوة إلى العقيدة ، أمر ينطوى على الخداع والغش للمدعوين ، فمن الأمانه الدعويه والعلميه، الصدع بالحق ، وبيانه ،بأوضح الأساليب وأجلاها دون مواربة ، ولا ينبغى أن تكون أسس ونظم الجماعات مقدمة على الشرع ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ويتلخص مما تقدم أن ترك العقيدة وإهمالها فى الدعوة يترتب عليه المحاذير الشرعيه التاليه :

١ - معصية الله تبارك وتعالى .

٢ - مخالفة منهج الأنبياء عليهم السلام .

٣ - مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة سنته .

٤ - الصد عن سبيل الله .

٥ - تضييع للأمانه ، وغش لعباد الله والتسليم لغير المعصوم .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) تفسير القرطبى ١٠/١٧٢ .

* المبحث الثانـــي *

" المخالفات العقديـــة "

ليس من شك أن العقيده الصحيحه ، ميزان مستقيم ومصدر معصوم ، ومنهـج محكم متكامل مبرهن بالأدلة الثابتة من الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة، فهـــي عصمة للعقول من الشطط، والمناهج من الإعوجاج، والأفهام من السقم ، من أخـذ بها أفلح وأنجح، ومن حاد عنها فهو إلى نقيصة وصغار ، ولا شـك أن أصل الضلال في القول والعمل والإعتقاد، بسبب الزيغ عن العقيده والأعتياض عنهـــا بمفاهيم الرجال واجتهاداتهم غير المعصومه، ومن أجل ذلك فاني اورد بعـــض النماذج الدالة على خطورة ترك العقيده في الدعوه، ليتدارك المخلصون أنفسهم قبل فوات الأوان .

المطلب الأول : الجهل بالعقيده .

تتعدد صور ومظاهر الجهل بالعقيده الصحيحه ، ولكن أن يصدر الجهل من الداعيه ، فهذا أمر مرفوض لا مبرر له، إلا التساهل بشأن العقيده أو الجهـل بها إذا احسنـا الظن ، ومن ذلك ما ذكره أحد الدعاة البارزين في هـــذا العصر، عن مسألة عقديه مشهوره، فقد سئل عن حقيقه المسيح الدجال فقـــال ما نصه (أما قصة " الدجال الأعور " وما شابهها من القصص ليست لها أهميـة من ناحية الشريعة ولا حاجة بنا إلى البحث فيها فليس الاسلام بمسؤول عما يشيع فـي العوام ، وإذا ثبت عدم صحة شئ منها ، فان ذلك لا يضر الاسلام قليلاً أو كثيراً "[1].

فهذه الفتوى المركبه من إطلاق القول بلا دليل علمي ، وإنكار ما ثبـــت

---

(١) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصره للمودودي ص ٢٧٧ .

من الأحاديث الصحيحه أمر يثير الدهشة والاستغراب حقاً !! وما هو جواب الداعيه الفاضل على قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ما من نبي إلا وأنذر قومه الأعور الدجال ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، ومكتوب بين عينيه ك ف ر)) (١) .

قال المحدث الشيخ محمد ناصر الالبانى حفظه الله :

(واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواتره يجب الإيمان بها ، ولا تغتر بمن يدعى فيها أنها أحاديث آحاد ، فإنهم جهال بهذا العلم ، وليس فيهم من تتبع طرقها ، ولوفعل لوجدها متواتره، كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره ، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لا سيما والأمر دين وعقيده) (٢) .

وهذه شهادة من أحد علماء الحديث الذين يشار إليهم بالبنان وحسبك بهذا القول كفايه، فى الرد على إنكار الداعيه السالف الذكر حقيقة المسيح الدجال ، فإن من الهزيمة النفسيه أن يلجأ بعض الدعاه إلى تجاهل ماعلم من الدين بالضرورة أو إنكاره أو تأويله ، فالعقيده الصحيحه لا تضيق ذرعاً بكل حوار أو مناظره، يقصد بها الوصول إلى الحق ، ولا يضيرها ما يثيره الأعداء من مغالطات وشبهات هالكها

---

(١) رواه الترمذى ٤/٥١٦ ، كتاب الفتن رقم الحديث ٢٢٤٥ عن انس رضى الله عنه .

(٢) انظر : هامش العقيده الطحاويه ص ٥٦٥ والشيخ الألبانى هو أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح الالبانى ولد سنة ١٣٣٣هـ فى مدينة اشقرور عاصمة ألبانيا قديماً حفظ الله الشيخ وبارك فيه .
انظر ترجمته رسالة علماؤنا ٤٠-٤٤ إعداد فهد البدرانى وفهد البراك .

الخيبة والخسران ، فالوضوح والثبات من محاسن العقيده الصحيحه ، واتبـــاع منهج العقيده الصحيحه خير وسيلة للتأثير والاقناع .

ومن المجازفات الخطيره ، ما يدعيه بعض الدعاة من تبرئة ساحة الرافضه من الإنحراف في أصول الدين ، وإنه لا خلاف بين السنة والشيعة ، وأورد فـــي هذا الصدد قولين لإثنين من الدعاة البارزين في عصرنا .

يقول أحدهما : " وخدع العامه من أهل السنه فقيل لهم : أن الشيعة زعموا علياً أحق بالنبوة من رسول الله ، وأنهم يتبعون قرآناً غير الـذى بايدينا ، وتلك المزاعم كلها إفتراء كالمصحف الشريف لا يختلف عليه شيعـــي ولا سني ، وليس هناك مصحف في بلاد الإسلام كلها يخالف مصحفاً آخر مـــن القرن الأول إلى هذا اليوم ، ومحمد هو وحده الرسول ، وهو أفضل الخلق عند المسلمين قاطبة ، لا يدانيه في مرتبة أحد " (١) .

ويقول الآخر : " ليس صحيحاً أن التراث السني والشيعي متباينان هذا التباين ، فكتاب الشوكاني دليل لنا رغم أنه شيعي زيدي ، وما يجمـــــع المسلمين أكثر مما يفرقهم فما يجمعهم ٩٥ ٪ وما يفرقهم ٥ ٪ .

وسئل هل أنت على المذهب الشيعي فأجاب : أنا لا أسمي نفســـي شيعياً ولا سنياً .

سني وشيعي لا تعني أنه يتبع سنة الرسول أو لا يتبعها ، معناهـــا حزب سياسي ، ومرشح لكل حزب ، وأنا لا أصوت لهذا ولا لهذا " (٢) .

---

(١) الاسلام والطاقات المعطله تأليف الشيخ محمد الغزالي ص ١٤٨ .

(٢) دراسات في السيرة النبويه تأليف محمد سرور نايف زين العابدين ص ٣٤٩ .

إن صدور مثل هذه المجازفات العلميه ، دون التعويل على الرجوع إلى البحث والإطلاع ، دليل على التجاهل المتعمد في خضم الحرص على الوحده الاسلاميه المزعومه ، وإن آحاد طلبة العلم ليدركون هذه المغالطه البلهاء ، فقد خرجت عشرات الكتب التي تفضح مذهب الشيعه من خلال كتبهم ، ومن العلماء من تخصص في دراسة المذهب الشيعي ، من مصادره الأصليه ، وأخرج كتباً أصيله ، تفضح وتبين عقيدتهم الزائفه (١) .

واكتفي بايراد شئ مما كتبه الشيخ احسان إلهي ظهير في كتابه الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه عن الشيعة لأن الدكتور المؤلف قد وقع في أشد مما وقع فيه ذلكما الشيخان ، وإليك البيان في مثال واحد مما يعتقده الشيعة :

١ - معتقد الشيعة في القرآن .

يقول المحدث المشهور نعمت الله الجزائري رداً على من يقول بعدم التحريف في القرآن : (إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي ، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضه ، بل المتواتره

---

(١) من أمثال هؤلاء الشيخ احسان الهي ظهير رحمه الله الذي قرأ المذهب الشيعي العقدي من خلال كتبه وبلسانه (أخرج الكتب التاليه الشيعة وأهل البيت ، الشيعة والقرآن ، الشيعة والسنة ، والدكتور عبد الله الغريب ، في كتابه وجاء دور المجوس ، والشيخ محب الدين الخطيب في كتابه الخطوط العريضه ، أما من العلماء السابقين شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابه منهاج السنه فلتراجع تلك الكتب ليقف القارئ على حقيقة مذهب الشيعة الرافضه .

الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة واعراباً مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها)- (١) .

ويقول خاتمة محدثي القوم الملا باقر المجلسي في كتاب " حياة القلوب " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلن يوم الغدير :

((بأن علي بن ابي طالب ولي ووصي وخليفتي من بعدي ، ولكن أصحابه عملوا عمل قوم موسى فاتبعوا عجل هذه الأمة وساحريها) أعني أبا بكر وعمر فغصب المنافقون خلافته ، خلافة رسول الله من خليفته ، وتجاوزوا الى خليفة الله أي كتابه ، فحرفوه ، وغيروه ، وعملوا به ما أرادوه)) (٢) .

قال الشيخ احسان الهي ظهير رحمه الله :

(والجدير بالذكر أننا أوردنا في كتابنا " الشيعة والقرآن " اكثر من ألف حديث شيعي من مختلف الطرق ومختلف الرواة ومختلف الكتب ، كلها تنص وتصرح بأن القرآن مغير ومحرف ، زيد فيه ونقص منه كثير ، غير ما ذكرناه في كتابنا " الشيعة والسنة " من الأسباب التي جعلت الشيعة يعتقدون هذا الاعتقاد الزائغ الخبيث ينقل روايات كثيرة من أمهات كتب القوم)- (٣) .

---

(١) الأنوار النعمانيه للجزائري ٢ / ٢٥٧ طبعة جديده نقلاً من كتاب الشيخ احسان الهي ص ٧٩ الرد الكافي .

(٢) حياة القلوب للمجلس الفارسي ص ٥٥٤ وما بعدها ط إيران نقلاً من كتاب الرد الكافي ص ٨١ .

(٣) الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٩١ ونعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني الجزائري من فقهاء الإمامية نسبة إلى جزائر البصرة .
انظر : ترجمته في الأعلام للزركلي ص ٨/ ٣٩ .

وقال رحمه الله : ـ (ولقد ذكرنا في كتابنا " الشيعة والقرآن ، وقبله الشيعة والسنة بإن علماء الشيعة ألفوا كتباً ورسائل مستقلة في اثبات التحريف في القرآن في كل عصر وبلد وجد وا فيه ، ولا يخلوا مكان أو زمان لم تضف فيه مثل هذه الكتب ، كما اثبتنا أسماءهم وأسماء كتبهم في كتبنا المذكوره ، ولم ينكر هذه العقيده ، من أنكر منهم إلا مداره للمسلمين ، وتقية وخداعاً لأهل السنة وسداً لباب المطاعن ، ولم يعنوا إنكارهم هذا على رواية من أئمتهم المعصومين حيث يزعمون أن مذهبهم قائم على أرائهم وأفكارهم) ـ (١) .

ويورد رحمه الله شبهة يردد ها بعض السذج من أهل السنة مفاد ها أن الشيعة لا يقرؤون إلا هذا القرآن ولا يتناقلون بينهم إلا هذا نفسه ، وإن كان لهم قرآن غير هذا فأين هو ؟ ، فإن لم يكونوا يؤمنون به ، ويعتقد ون فيه التحريف والحذف والنقصان فلماذا يقرؤنه ؟ فالجواب : أن من يقول بهذا الكلام من أهل السنة لا يقوله إلا جهلاً لمعتقدات الشيعه ومروياتهم ، ومن يقوله من الشيعة لا يقوله إلا خداعاً للمسلمين أهل السنة وتغطية للحق وتعمية للأبصار ، لأن القوم نصوا على ذلك وصرحوا بأن القرآن الأصل المحفوظ ، هو عند القائم من ولد علي رضي الله عنه ، وإن الشيعة أمروا بقراءة هذا القرآن إلى أن يخرج القائم ، ثم يورد رحمه الله أدلة على هذا كما في الكافي .

عن سالم بن سلمه أنه قال : قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفاً ليس على ما يقرأه الناس فقال أبو عبد الله عليه السلام ـ (كف عن هذه القراءة أقرأ كما يقرأه الناس حتى يقوم القائم ، فاذا قام القائم قرأ كتاب

---

(١) الرد الكافي ص ٩٨ .

الله عز وجل على حده، وأخرج المصحف الذى كتبه على عليه السلام وقال: أخرجه على عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم قد جمعته من اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه)- (١).

وقال الكرمانى: -(وقع التحريف والتصحيف والنقص فى القرآن وإن القرآن المحفوظ ليس إلا عند القائم، وإن الشيعة مجبورون على أن يقرؤوا هذا القرآن تقيه بأمر آل محمد عليهم السلام)- (٢).

وقال نعمت الله الجزائرى:

-(فإن قلت: كيف جازت القراءة فى هذا مع ما لحقه من التغيير قلت: قد روى فى الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءتهم هذا القرآن الموجود بأيدى الناس فى الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدى الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذى ألفه أمير المؤمنين عليه السلام فيقرأ ويعمل بأحكامه، والأخبار الوارده بهذا المضمون كثيره جداً)- (٣).

---

(١) الكافى فى الأصول ٢/٦٣٣، ط طهران نقلاً من الرد الكامن ص ١٠٦ الحاشيه.

(٢) تذييل فى الرد على هاشم الشامى ص ١٣ وما بعد - ط كرمان إيران نقلا من الرد الكافى ص ١٠٧ الحاشيه.

(٣) الأنوار النعمانيه للجزائرى ٢/٣٦٣ - ٣٦٤، نقلاً عن الرد الكافى الحاشيه ص ١٠٧ - ١٠٨.

وفى هذا كفاية لمن كان له قلب يعي الحقائق ويبصر الأدله فليس ثمة التقاء بين الرافضة والسنة ، وما يزعمه بعض الدعاه من نفى الخلاف بين الرافضة والسنة قول متهافت ساقط ، يدل على ضحاله العلميه والتساهل فى إلقاء الكلام ، دون تثبت وبيان .

أما قول القائل إن كتاب الشوكانى دليل لنا رغم أنه شيعى زيدى ، فيقال أن القائل يجهل أن الشوكانى رحمه الله كان فى أول أمره زيدياً ثم رجع وترك هذا المذهب ، وأصبح من أئمة أهل السنة والجماعة وكتب المؤلفات التى نصر فيها مذهب أهل السنة ، وعاب أهل الرفض وانكر عليهم ، ومن أبرز كتبه فى ذلك التحف فى مذهب السلف .

فهذا نموذج واحد فقط يدل على أن بعض الدعاة يجهلون العقيده الصحيحه مما أوقعهم فى طامات لا قبل لهم فى الخروج منها الا بتعلم العقيده ، والاعتذار العلنى عما بدر منهم ، حتى يعي أتباعهم الحقيقة .

المطلب الثانى : تحريف المفاهيم العقديه .

ساق إهمال العقيده إلى الوقوع فى تحريف كثير من المفاهيم الثابته فى العقيديه الصحيحه ، وما يزيد الأمر خطراً الا يقتصر هذا الفهم المنحرف على شخص بعينه ، ولكنه أخذ مساراً خطيراً تمثل فى دعوة علنيه صريحه ، وفى كتب منشوره يحملها الركبان ، مطبوعه بأسماء دعاة مشهورين مما أدى إلى ضلال كثير من المدعوين ، الذين لم تتاح لهم معرفة عقيده التوحيد ، وفيما يلى نماذج لتلك المفاهيم المحرفة :

أ - تحريف معنى لا إله إلا الله .

يذهب بعض طوائف الدعاه ، إلى تفسير معنى لا إله إلا الله بقولهم : اخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصادق على ذات الله تعالى (١) .

وهذا المعنى بعيد النجعه عن المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد إذ يفسر توحيد الألوهيه بالربوبيه ، وفي ذلك تضليل وتلبيس للمدعوين ، وكان الواجب المحتم تفسيرها بما درج عليه السلف الصالح .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

« اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات ، لا إله نفي إلا الله إثبات تنفي أربعة أنواع وتثبت اربعة أنواع : المنفي : الألهه ، والطواغيت ، والأنداد ، والأرباب ، فالإله ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر ، وما قصدته كذلك فأنت متخذه إلهاً ، والطواغيت من عبد وهو راض أو ترشح للعباده ، والأنداد ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال فهو ند لقوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) (٢) .

والأرباب من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته ، لقوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (٣)

وتثبت أربعة " القصد " كونك ما تقصد إلا الله ، والتعظيم والمحبة

---

(١) - حقيقة الدعوة إلى الله وما اختص به جزيرة العرب ص ٧٠

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٦٥ .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٣١ .

لقوله عز وجل : (والذين آمنوا أشد حبا لله) (١) والخوف والرجاء لقوله تعالى وأن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (٢) والبراءة من الشرك وأهله كما فعل إبراهيم كسر الأصنام وتبرأ من عبادتها قال تعالى : (قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم إنا برءوا منكم ومما تعبدون من دون كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) (٣) .

هذا ما تنفيه وتثبته كلمة لا إله إلا الله(٤) .

فنخلص مما تقدم أن كلمة لا إله إلا الله ، أى لا معبود بحق إلا الله .

ولكن هؤلاء الدعاه يفسرونها بإثبات توحيد الربوبيه ولذا ، فقد أهملوا قضية العقيده في دعوتهم وبين أتباعهم مما أوقع بعضهم في محاذير كثيره ، الجهل بالعقيده وطيها تعلم العقيده كما جاءت في الكتاب والسنة ولا مندوحة لهم من التنصل من هذه الأمانة ، والعدول عنها خيانة وظلم لا سيما من عرف منهم حقيقة التوحيد ثم أعرض عنها ، ومن ثم فلا يغتروا بكثرة الأتباع وإقبال العامة إليهم ، فإنهم يحملون أوزارهم وأوزار من يدعون ، ما داموا يبصرون الحق وعنه يعرضون .

ب - تفسير الكرامة بالشعوذة والدجل .

يقول أحد الدعاة البارزين :

(حدثني مره نصراني عن حادثة وقعت له شخصياً وهي حادثة

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٦٥ .
(٢) سورة يونس آية رقم ١٠٧ .
(٣) سورة الممتحنة آية رقم ٤ .
(٤) الدرر السنيه ٢/٦٢ باختصار جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم .

مشهورة معلومه ، جمعنى الله بصاحبها بعد أن بلغنى الحادثه عن غيره ، وحدثنى كيف أنه حضر حلقة " ذكر " فضربه أحد الذاكرين بالشيش فى ظهره فخرج من صدره ، حتى قبض عليه ، ثم سحب الشيش منه ولم يكن لذلك أثر أو ضرر ، إن هذا الشئ الذى جرى من طبقات أبناء الطرق " الرفاعيه " ويستمر بينهم هو من اعظم فضل الله على هذه الأمة ، إذ من رأى ذلك تقوم عليه الحجة بشكل واضح على معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .

ثم يقول :(إن هذا الموضوع مهم جداً ، ولا يجوز أن تقف منه موقفاً ظالماً ومحله فى إقامة الحجة فى دين الله على مثل هذه الشاكله ، إن الحجة الرئيسيه لمنكرى هذا الموضوع هى أن هذه الخوارق تظهر على يد فساق من هؤلاء كما تظهر على يد صالحين وهذا صحيح " والتعليل " لذلك هو أن الكرامه ليست لهؤلاء بل هى للشيخ الأول الذى أكرمه الله عز وجل بهذه الكرامه وجعلها مستمرة فى أتباعه ، من باب المعجزة لرسولنا صلى الله عليه وسلم فهى كرامة للشيخ الذى هو الشيخ أحمد الرفاعى رحمه الله)(١) .

إن صدور هذا القول ، دليل على الإفلاس العلمى فى جانب العقيده ، مما أدى بالجهل مركب بحقيقة الكرامة وتفسيرها بالشعوذه والدجل ، وتشبيه المبتدعة من أصحاب الطرق الصوفيه بأهل التوحيد والتقوى وكيف مصير الدعوه إذا كان بعض رموزها على هذا المستوى من الجهل بالعقيدة ؟ .

وفساد هذا القول يتبين من وجوه :

١ - من الضرورى أن نوضح أن كرامات الأولياء حق لا ريب فيها ، وذلك من معتقد السلف ، لكن السؤال يتعلق :

---

(١) انظر كتاب وفقات مع كتاب الدعاة فقط ص ٤٣ - ٤٥ .
والرفاعى هو احمد بن على بن يحيى الرفاعى الحسينى ولد بالعراق فى قرية حسن من أعمال واسط ، انظر : الاعلام للزركلى ١/ ١٧٤ .

احدهما : ما المراد بالكرامه والفرق بينها وبين الخرافـــه ،

والثانـى : من هو الولى وعكســه ؟ .

ويجمع ذلك قول الامام السفارينى رحمه الله فى منظومته :

وكل خارق أتى من صالـــح من تابع لشرعنا وناصـــــح

فإنها من الكرامات التـــى بها تقول فاقف للأدلـــــة

ومن نفاها من ذوى ضـــلال فقد أتى ذاك بالمحـــــال

فإنها شهيرة ولم تـــــزل فى كل عصر ياشقا أهل الزلـل (١)

فتحصل من هذه الأبيات أن الكرامة أمر خارق تظهر على يد رجل صالح مـن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فيخرج من ذلك الحيل والمكر وصور الخداع السحرى والرياضى والطبى .

اما الكرامة فضابطها (لابد أن يكون أمراً خارقاً للعاده ، "أتى" ذلـك الخارق " عن " امرئ " صالح وهوالولى العارف بالله وصفاته حسب مايمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب المعاصى المعرض عن الإنهماك فى اللـــذات والشهوات من ذكر أو أنثى ولابد أن يكون صدور ذلك الخارق فى زماننا وبعـده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " من " إنسان " تابع لشرعنا " معشر المسلمين لأن سائر الشرائع سواه قد نسخـــت

فما لا يكون مقروناً بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجاً (٢) .

فهل تنطبق هذه الشروط السلفيه على اتباع الطريقه الرفاعيه ؟ .

---

(١) لوامع الانوار البهيه وسواطع الأسرار الاثريه ٢/٣٩٢ .

(٢) لوامع الأنوار البهيه وسواطع الأسرار الاثريه ٢/٣٩٢ .

والحق أن بينهما بوناً شاسعاً ، فهم فساق باعتراف كلام الداعيه السالف الذكر ، كما أنهم ينتسبون الى طريقة بدعيه فى أذكارها ومجالسها (١) فاذا تبين ذلك فإن ماظهر على أيدى هذه الطريقة فهو شعوذه ودجل وحيلة ومكر وخداع وخير شاهد واقعى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله عن هذه الطريقه وأحوالها عياناً ، والتى انتهت مناظراته لهم بتوبيتهم أمامه فى مشهد يوم عظيم بحضور الأمراء والعلماء والقضاه والفقراء وختم مناظرته بقوله لهم :

(ياشيعة الرافضة يا بيت الكذب - فان فيهم من الغلو والشرك والمروق من الشريعة ما شاركوا به الرافضة فى بعض صفاتهم وفيهم من الكذب ما قد يقاربون به الرافضة فى ذلك ، أو يساوونهم أو يزيدون عليهم ، فإنهم من أكذب الطوائف حتى قيل فيهم : لا تقولوا أكذب من اليهود على الله ، ولكن قولوا أكذب من الأحمديه على شيخهم ، وقلت لهم : أنا كافريكم وبأحوالكم (فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون) .

ولما رددت عليهم الأحاديث المكذوبه أخذوا يطلبون منى كتباً صحيحه ليهتدوا بها فبذلت لهم ذلك ، وأعيد الكلام لمن خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه ، وأعاد الأمير هذا الكلام واستقر الكلام على ذلك ، والحمد لله

---

(١) انظر : كتاب الفكر الصوفى فى الكتاب والسنه ت الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق من ص ٣٦٦ الى ص ٤١٠ فقد تحدث المؤلف عن أصل الطريقة الرفاعية ومورد ها ومصدرها وأعطى نماذج موثقه من كتبها على انحرافها وبعد ها عن سبيل الهدى كما بين صلتها بالتشيع ، ثم نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه عن هذه الطريقة وبدعها .

رب العالمين الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) (١) .

المطلب الثالث : إقرار الشرك والدفاع عنه .

يقول أحد الدعاة البارزين فى عصرنا :

(لا داعى للتشدد فى النكير على من يعتقد فى كرامة الأولياء واللجوء إليهم فى قبورهم الظاهرة ، والدعاء فيها عند الشدائد ، وكرامات الأولياء من أدلة معجزات الأنبياء ، فما لنا للحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم) (٢) .

وإن القارى ليعجب ، وتأخذه الدهشة ، من غرابة هذا التقرير والتأكيد على ضرورة ترك الدعاء عند قبور الأولياء واللجاء عندها ، فماذا يبقى بعد ذلك من توحيد ؟ وللرد على هذا القول والفتوى الغريبة أورد كلام الإمام الصنعانى رحمه الله (٣) .

إذ يقول : (إن من إعتقد فى شجر أو حجر أو قبر ، أو ملك أو جن أو ميت أنه ينفع أو يضر ، أو أنه يقرب الى الله ، ويشفع عنده فى حاجة من حوائج الدنيا بخير والتشفع به ، والتوسل إلى الرب تعالى فإنه قد أشرك مع الله غيره ، وأعتقد مالا يحل أعتقاده ، كما أعتقد المشركون فى الأوثان فضلاً عمن

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) شهيد المحراب عمر بن الخطاب ص ٢٢٦ للشيخ عمر التلمسانى .

(٣) الامام الصنعانى هو محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسنى الكحلانى ثم الصنعانى ولد بمدينة كحلان ونشأ وتوفى بصنعاء .
انظر : ترجمته فى البدر الطالع ٢ / ١٣٣ .

ينذر بماله وولده ، لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت مالا يطلبه إلا من الله تعالى من الحاجات ، من عافية مريضه ، أو قدوم غائبه ، أو نيله لأى مطلب من المطالب فإن هذا هو الشرك بعينه الذى كان ويكون عليه عباد الاصنام .

وتسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه عن إسم الصنم والوثن ، إذ هم يعاملون لها معاملة المشركين للاصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بيت الله الحرام ويستلمونهم كأركان البيت ، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفريه من قولهم : على الله وعليك ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها ، وكل قوم لهم ينادونه ، فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلاني ، وأهل التهائم لهم فى كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون : يازيلعى يا بن العجيل ، وأهل مكة وأهل الطائف يا ابن العباس ، واهل مصر يارفاعى ، يابدوى يا ابن علوان ، وفى كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم بجلب الخير ودفع الضر وهذا بعينه فعل المشركين فى الأصنام (١) .

وما حكاه الامام الصنعانى رحمه الله هو الواقع الحقيقى لعكاف القبور ، وحال الأضرحه والمشاهد اليوم فى بلاد المسلمين ، فكيف والحاله هذه القول : بانه لا داعى للتشدد فى النكير على من يدعون عند القبور ويهتفون بأسمائهم صراحة من دون الله ، بان هذه نتيجة التساهل فى شأن العقيده ونبذها من ميدان الدعوة إلى الله فإذا كان هذا حال بعض الدعاه الذين يقتدى بهم فكيف بمن هو دونهم !

---

(١) تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد من ٢٧ - ٣٢ باختصار .

* المبحث الثالث *

" الفشل الذريع في تحقيق الأهداف "

تمثل العقيده الصحيحه في الاسلام ركنين مكين ، وأصل متين يفتقر كل عمل فردي أو جماعي الى استكماله ، وبدون تحقيق هذا الأصل الأكبر ، فان دواعي الفشل والاخفاق والخسران محققة لا محاله ، ومما يؤسف له أن يعتذر بعض الدعاه عن الإهتمام بالعقيده اهتماماً لا يقدم عليه بقولهم (نحن أحوج ما يكون في هذا العصر ، الى تقوية روابط الاخوة حتى تستطيع مواجهة التحديات المعاصره الخطيره التي صارت تحاربنا وتنازعنا حتى في الربوبيه ، فنحن أحوج مانكون الى توثيق عرى هذه الاخوه الايمانيه) (١) .

وهذه الكلمات لها من البريق مالا يخفى لكنها عند التمحيص ، سرعان ما تخفت وتزول للأسباب التاليه :

١ - إن هذا القول ينافي الايمان ولوازمه ، ويقدح في أعظم أصل في الاسلام ويصمه بما قاله المشركون من قبل .

٢ - تكشف هذه المقوله عن جهل بالغ بتاريخ الاسلام وأثر العقيده في توحيد المسلمين ، بعد أن كانوا اعداء ألداء ، تثيرهم النعرات الجاهليه ، وتتحكم فيهم العواطف الطائشه ، يقول تعالى مذكراً بهذه النعمة (واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته أخواناً) (٢) .

---

(١) العقيده أولا لو كانوا يعلمون ص ٣٧ - ٣٨ للدكتور عبد العزيز القارئ .
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٠٣ .

فإن الذى جمع الأولين، قادر على جمع الأخرين ، فمن المستحيل شرعاً وعقلاً اجتماع القلوب وتأليفها بين رافضي يطعن فى الكتاب ، ويفتتح دعائه بلعن الأصحاب ، وبين سني ملتزم بتعظيم الكتاب ومحبة الأصحاب ، وبين خليط من صوفى منحرف عاكف على البدعة ، ومقدس للوثنيه معتقد بوحده الوجود، وبين موحد يعلن التوحيد ،ويسعى إلى تطبيق سنة سيد المرسلين .

فإنه مما لا خلاف عليه أن المرء ينطلق فى عواطفه وشعوره وإرادته ، من خبيئة قلبه التى انطوى عليها صدره، وبناء على هذا فلا يمكن (أن يقوم صرح الأخوة الإيمانيه ، ويكون لها كيان ، إلا بعد تصحيح الإيمان ،إلا بعد تصحيح العقيده . هل يمكن توثيق عرى الوشائج الإيمانيه وتقوية روابط الأخوة الإيمانيه إلا على أساس الإيمان والعقيده الصائبه الصحيحه ! إن جميع أنواع الروابط وأشكال الأخوة التى أقيمت على غير هذا الأساس ، سرعان ما ينهار أمام أول زوبعه من زوابع هذه الدنيا الفتانه المملؤه بالمحن والفتن فكرية وغير فكرية كل ذلك لأن العقيدة فيها خلل (١) .

ولنا أن نتسائل عن سبب زحزحة العقيدة الصحيحه عن ميدان الدعوة إلى الله ،وقد رأيت إجمالها فيما يلى :

١ - الظروف السياسيه والثقافيه والاجتماعيه ، التى صاحبت نشأة بعض حركات الإصلاح ، حيث كان الاستعمار يفرض سيطرته على غالب البلاد الاسلاميه ، فصاحب ذلك قيام حركة ثقافيه حاولت إيقاظ المسلمين ،فنادت بوحدة

---

(١) العقيدة أولا لو كانوا يعلمون ص ٣٨ للدكتور عبد العزيز قارئ .

المسلمين ، وإقامة الجامعة الإسلامية ما أمكن للتخلص من نير الاستعمار وعودة الخلافة الاسلاميه ، ثم أعقب ذلك أن ورث الأحفاد ما اجتهد فى تحصيله الأجداد ، دون تمحيص أو نقد ، مما أدى الى ظهور بعض المذاهب الدعويه الجديده ، ذات التوجهات الفكريه المتأثره بافكار رجال الاصلاح العقليين .

٢ - الإنبهار بحركات الاستغلال ، ونظمها السياسيه والحركيه ، والتى ألقت بظلالها على افكار المصلحين من رجالات الدعوة ، الذين ذهب بعضهم إلى القول (أن الإيمان أو الدين أمر يسير لا يحتاج الى علم أو عمل ، أما الدولة وما يتصل بها من تشريع وسياسه واقتصاد ، فهذا هو الذى يجب أن تتوجه اليه جهود المسلمين ، بأن يكافحوا ويقاوموا ، كل من يقف فى سبيل تطبيق الحكم بالاسلام ، ولذلك وجهوا كل جهودهم إلى المعارك السياسيه الحزبيه وغير الحزبية وأهملوا ما سوى ذلك .

بل ان فريقاً آخر غلا وتطرف حتى زعم أن الدين لا قيام له إلا بعد وجود الدولة ، وذهب بهم الغلو والانحراف حتى فسروا قوله تعالى : (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) الآيه وقالوا : بان الصلاة ، وإيتاء الزكاة " لا يجبان على المسلم حتى يمكن فى الأرض ، وذلك لقيام الدولة المسلمه التى تحكم بالقرآن والشريعه الإسلاميه " (١)

---

(١) المدخل الى الثقافة الاسلاميه تأليف د . رشاد سالم ص ١٦٣ - ١٦٤ .

٣ - تغلغل بعض رموز الصوفيه إلى الجماعات الاسلاميه ووصول بعضهم إلى التوجيه أو المراقبة أو الإرشاد أو المشورة ، وقد يكون بعض الدعوات خرجت من بيئة صوفيه محضه ، كل ذلك أدى إلى وقوفهم حجر عثرة أمام الدعوه إلى العقيده الصحيحه التى تعارض ما ألفوه وما تلقوه ، وما أطمأنوا إليه مما جعلهم يتخذون مسلكاً يتسم بالذكاء ، فلا يعلنوا معارضتهم للعقيده الصحيحه بشكل سافر ، وإنما نهجوا مسلك عدم المبالاة المقصود ، وسدوا وملئوا فراغ المدعوين ، بما يأخذ بافكارهم وشعورهم وأوقاتهم .

٤ - قصور بعض دعاة العقيده دون المستوى المطلوب فى الوسائل والأساليب وعدم سد الفراغ الهائل الذى تركه الإستعمار ، مما أدى إلى إعطاء الفرصة للجماعات الأخرى ، أن تتحدث بالإسلام ، وتمثله فى مجالات كثيرة ، واستطاعت أن تؤثر بأساليبها ووسائلها ، حتى لدى بعض أتباع العقيدة الصحيحه ، مما حدا ببعضهم أن يهون من شأن عقيدة التوحيد ولا يلقى لها بالا . وجعلوا ضعف بعض دعاة العقيدة دليلاً على العقيدة الصحيحه .

هذه فى نظرى أهم الدوافع التى أدت إلى زحزحة العقيده عن الدعوة حتى لدى بعض الدعاة المنتسبين للعقيده الصحيحه ، ولكن هل تحقق لهذه الجماعات ما تصبوا إليه ؟ .

إنه من الظلم أن يتجاهل الباحث محاسن الجماعات وأثرها المحمود فى الصحوة الإسلاميه المعاصره ، وبروز بعض المؤسسات الاسلاميه الطيبة ، وانتشار الكتاب الإسلامى والشريط الإسلامى ، وكل ذلك فى حيز المستوى الشعبى

غالباً ، ومن الصعب جداً ، نسبة هذه الصحوه إلى جهة بعينها إلا فى حدود التخصصات العلمية وهى فى غالبها تعود إلى تصحيح العقيده ، ونشر السنه ، وإقامة الجامعات والمعاهد الإسلاميه وتقديم المساعدات للأقليات الإسلاميه ، وعند التحقيق والإنصاف فان الفضل يعود لله وحده ثم لتأثير العقيده الصحيحه فى هذا التيار فى الغالب الأعم .

ومن الإنصاف كذلك ، أن الوعى السياسى والإعلامى والثقافى الذى يهيمن على الصحوه المعاصره يعود لله وحده ثم لتيار دعوى تخصص فى هذه تلك النواحى ، وإن أعلن أنه شامل كامل ، لكن التطبيق العملى لا يساعد على ذلك الإدعاء ، والسؤال الكبير فى هذه الفقره ! هل تحققت الأهداف المعلنة للجماعات التى لم تعطى للعقيده الصحيحه حقها من التمكين والدعوه ؟ .

والجواب : بكل أسف ، أنه لم تقم دولة مسلمه حتى اليوم بفضل ذلك التيار رغم مرور الفتره الكافيه ، وتوفر دواعى النجاح وكثرة الأتباع ، وإنما قويت شوكة الأنظمة التى تحارب الإسلام ، وتفننت فى شتى أساليب الرصد والمتابعة والاجهاض لكل عمل إسلامى مثمر ، وساعدهم على ذلك الثالوث الخطير ، اليهوديه والشيوعيه والصليبيه بإمكانياته وإعلامه وخبراته وقضه وقضيضه ، والعله فى ذلك كله ، مخالفة سنة إلهية ثابتة كما فى قوله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١) .

يقول الإمام القرطبى عند تفسير هذه الآية :

(أخبر الله تعالى فى هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم

---

(١) سورة الرعد آية رقم ١١ .

تغييـــر، اما منهم أو من الناظر لهم ، أومن هـــو منهم بسبب) (١) والحاصل أن هذه سنة الهيه ثابته ، فإن التغيير نحو الأفضل أو الأسوء وما يترتـــب عليهما من تبعات طيبه أو سيئه، مشروط بحدوث تغيير من داخل نفـــوس المخاطبين، أو ممن هو فيهم ناظر أومدبر، لكنه بسبب وليس بثمة سبب يغيـــر النفوس والطباع والأخلاق نحو الأفضل والأكمل الا العقيده الصحيحه، التى غير الله بها أمة العرب.

وهذا ديوان التاريخ ناطق بأثر عقيده التوحيد فى الجهاد والدعـــوة وإقامة الدولة المسلمه .

وليس ثمة سبب يغير النفوس نحو الأسوء والاخبث فى الطبـــــاع والأخلاق والمعاملات ، مثل الشرك والكفر والنفاق، وهذا حال الأمم المعذبة ناطق بسبب ذلك التغيير .

ومحال أن تقوم دولة الإسلام فى وسط مجتمعات واقعه فى حمأة الشرك والبدعه والخرافه ، يفتقر دعاتها الى رصيد من العقيده الصحيحه فـــــى الجانبين النظرى والعملى .

ونخلص من ذلك كله أن الجماعات الإسلاميه قطعت شوطاً نحو أهدافها لكنها لا زالت فى أول الطريق ولن تصل الى ما تريد مالم تتزود بزاد العقيـــده الصحيحه قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) (٢)

ومن أعظم مراتب التقوى تحقيق التوحيد واجتناب الشرك بمظاهره وأشكاله وألوانه .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٩٤ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

* الفصل الرابع *

" أثر العقيدة الصحيحة في الداعية "

لا غنى للدعاة إلى الله من دراسة العقيدة الصحيحة من مصادرها الأصلية ، وتطبيقها عملياً بالقول والعمل والإعتقاد، فلا يكفي الفهم النظري المجرد دون اقتران ذلك بالعمل،فإن فاقد الشئ لا يعطيه ، وإن الآثار الطيبة للعقيدة على المدعو وحده تشمل الداعية نفسه ،لكونه أعرف الناس بها ، وأكثرهم إطلاعاً عليها ويتبين ذلك من خلال المباحث التالية :

* المبحث الأول *

" أثر العقيدة الصحيحة في بناء شخصية الداعية "

إن الإيمان بالله وتوحيده على الوجه الأكمل ، يغير النفوس ويهذب الطباع ويقيم الأخلاق ، ويصلح السرائر،ويصنع العجائب من النماذج الإنسانية الكاملة خلقاً ودِيناً. فالداعية يعلم الوعيد الشديد في قوله تعالى :

(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)[1].

وقوله تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم)[2] .

فكل هذه الآيات وأمثالها تثير في نفس الداعية الخوف الشديد ، فلا تراه إلا باحثاً عن معرفة الشرك وأقسامه ومساربه ، حذراً من الوقوع فيه مجاهداً نفسه حتى تستقيم على التوحيد الخالص في سره وعلانيته ، ومنشطه ومكره ، ورغبته

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣١ .
(٢) سورة لقمان آية رقم ١٣ .

ورهينه ، وفى شأنه كله وبذلك يسلم التمزق والجبره والذبذبه ، التى يقع فيهـا المشركون بسبب تنازع الألهه .

كما يقرأ الداعيه قول الله تعالى : (ان المنافقين فى الدرك الأسفـل من النار ولن تجد لهم نصيراً الا الذين تابـوا وأصلحـوا واعتصموا باللـه وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما)(١)

فهو من أخوف الناس من النفاق ، كما هو حال المؤمنين من أمثـال عمر بن الخطاب الذى بشره الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ورغم ذلـك يخاف على نفسه من النفاق ، ولم يحمله على ذلك شك أو ريب حاشاه من ذلك ولكنه صدق الايمان ، وحرارة اليقين، التى تدفع المؤمن على مجاهدة نفسـه والخشيه من ربه .

روى الامام البخارى فى صحيحه عن ابن أبى مليكة قال : (أدركـت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسـه ما منهم أحد يقول إنه على ايمان جبريل ، وميكائيل ويذكر عن الحسن : ما خافه الا مؤمن ولا أمنه الا منافق)(٢) والداعيه الفقيه للعقيده، يدرك الترابط الوثيق بين الأخلاق والعقيده وسائر التكاليف فكل هذه المفاهيم الإيمانيه تملى علـى الداعيه أن يصلح خلقه ويحسنه ويحمله فى سره وعلانيته ليكون برهاناً على صـدق يقينه ، وكمال ايمانه ، وبذلك تتكامل حلقات شخصيته، بصلاح باطنه وظاهره، على طراز عقدى فريد ، تقصر جميع النظريات التربويه القديمه والحديثه دونه ،

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٤٦

(٢) صحيح البخارى كتاب الإيمان ١/٣٢ باب خوف المؤمن أن يحبـط عملـه

وللدلالة على هذه الخاصية ، أضرب مثالاً على ناحية من النواحي التي نالت إهتماماً كبيراً في الدراسات النفسيه المعاصره لما لها من علاقة كبرى بتكوين الشخصيـــة الانسانيه عامة تلك الناحية : هي الصحة النفسية ، وقد أفرد بعلم خاص يطلـق عليه (علم الصحة النفسية) وغاية هـذا العلم أن يتسم الانسان بقدر كـاف من التكيف المتزن، والمواءمة بين العواطف والرغبات ، دون الالتفاف إلى مرضاة الله عز وجل .

ومن هنا فقد أختلف علماء النفس في تعريف جامع مانع للصحة النفسيـــه فمـــن قائـــل (إنـــه البـــرء مـــن الأمـــراض النفسيـــه والعقليه) ورد على هذا التعريف بأن من الصعوبة إدراك معنى الحالات المرضيه وهي صعوبات تشبه ما يقع فيه الطبيب عند تشخيص الأمراض ،إضافة إلى عجز هذا التعريف على إعطاء جواب يثبت صفات ايجابيه معينه للصحة النفسيـــه يمكن بواسطتها التأكد من توفر الصحة حين يكون هذه الصفات موجـــوده ، كما أنه من الصعوبة بمعرفة شروط الوظائف النفسيه وعددها ، كل ذلك أدى إلى عدم وجود ضابط تقاس به الصحة النفسية (١) .

وهي مسائل معقدة جداً ، إذ كل فقرة من فقرات الصحة النفسية متشعب ومختلف في العناصر والدوافع ،والمقدمات والمواقف والمستويات (٢) .

وفي رأيي أن الإعتماد على الجهد المادي البشري المحض دون التعويل على الشرع هو وراء التخبط البشري الفكري في القديم والحديث ، ومن ثم فـــان مناقشة الآراء التربويه على أسس مادية في هذا الموضوع على وجه الخصـــوص

---

(١) الصحة النفسية ت د . فائز محمد علي ص ١٢-١٣ بتصرف واختصار .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

دون التعويل على الشرع الحنيف،وراء كل حيرة واختلاف،وبعد المحصلة النهائية من البحث والمناقشة،انتهوا إلى أن المظهر الأساسي للصحة النفسية هو الشعور بالأمن والأمان والطمأنينه ، لكنها طمأنينه غير مقيدة بقيد، أو ضابط شرعي ،فكل ماحقق الطمأنينه فثم المراد ، وذلك يؤدي بالمرء إلى المهلكات واللهاث وراء الشهوات ، واكتساب أكبر قدر ممكن منها قبل الممات ،مما يجعل الحياة صراعاً على الشهوات كما هو حال العالم اليوم .

لكنها في ميدان العقيده الصحيحه سهلة القطاف ميسورة المعرفة ، معصومة الزلل ، تتوافق مع الفطره، وتتجاوب مع العقل والوجدان،كما قال تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (١) .

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآيه :

(أي تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن) (٢) .

وخلاصة القول أن العقيده الصحيحه متى أخذت كاملة ، وطبقت شاملة أحدثت تغييرات جذريه، تسمو بنفس الإنسان وعقله وخلقه إلى أوج الكمال الانساني ولا ريب أن الداعية العارف بالعقيدة الصحيحه ، أكثر الناس حظاً ، من ثمرات تطبيق العقيده وآثارها الكبرى في بناء الشخصية وصياغتها على أمثل طراز وأجمله .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) سورة الرعد آية رقم ٢٨ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٩/٣١٥ .

* المبحث الثاني *

" أثر العقيدة في ثبات الداعية واستمراره "

ليس من شك أن طريق الدعوة محفوف بالأخطار، لا يثبت عليه إلا من اصطفاه الله وأعانه على حمل أمانة التبليغ ثم وطن نفسه على تحمل المشاق، يحدوه أمل لا ينقطع، ورجاء لا يتزلزل، وخير زاد لهذا السبيل، الأخذ بالعقيدة الصحيحة التي تبعث في روح الداعية الصبر والإصرار والتوكل على الله، حتى يبلغ دعوة الله أو يهلك دونها.

فان الايمان الصادق يحمل المسلم على الوفاء بالتكاليف الشرعية، ومن أعظمها تبليغ الدعوة، فإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام سيد الحنفاء وقدوة الدعاة، واجه جاهلية قومه وحيداً ووقف أمامهم داعياً إلى نبذ الأصنام وسارع بنفسه إلى ذلك، ولم تؤثر في عزيمته التهديد والوعيد، ولم يتزعزع ثابت الجنان فصيح اللسان، يقول تعالى حكاية عن قومه :

(قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) (١) .

فلم يتضعضع، وإنما قال كلمته المشهورة " حسبنا الله ونعم الوكيل " .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (٢) .

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ٦٨ .

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير ٣/ ٢١١ رقم الحديث ٤٥٦٣ والحاكم ٢/ ٢٩٨، والآية من سورة آل عمران رقم ١٧٣ .

ان العقيدة الصحيحة اذا ضربت بجذورها المباركة في نفس الداعية ، سهل عليه الفداء ، واستعذب التضحية في سبيل الله ، ولا شك في وجود العوائق وكثرة المثبطات ، والداعية بحاجة الى ازالتها وهدمها حتى يتمكن من المسير دون انقطاع ، وفيما يلي بيان لبعضها ، وأثر العقيدة الصحيحة في تجاوزها والسلامة منها وهي :

المطلب الأول : الخوف والتهديد .

لقد فطر الانسان على الحذر والتوجس مما يضره ويجلب عليه المتاعب ، وذلك أمر محمود ، يحمل المرء على الاستعداد والحذر من الوقوع فيما يضره ، مالم يتجاوز الحد الوسط ، فيصبح مرضاً نفسياً ، يدعو الى الاستكانة والضعف والذلة .

ومن أسس العقيدة أن الخوف يجب أن يكون من الله وحده ، كما قال تعالى : (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) (١) .

مالم يكن الخوف طبيعياً ، فذلك أمر لا محذور فيه ، فاذا أدرك الداعية هذه الحقيقة ، زالت المخاوف وأصبح أكثر اقداماً ، على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً اليه وذهاباً في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى في كل ذلك ، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار ، وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ، ومحافظة عليها ونحو ذلك "(٢) .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٧٥ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/٢١٥ .

ومن النماذج الدالة على شجاعة الداعية ، وعدم مبالاته بما يعرض عليه من تهديد ما جاء في قصة هود عليه السلام .

قال تعالى : (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)[1] .

وهذا جواب من لا يخشى إلا الله، ولا ترعبه التهديدات، فقد أعلن هود عليه السلام براءته الصارمة من الشرك، ودعا في نفس الوقت إلى استفراغ الجهد في بلوغ كيدهم، لا رغبة في العناد، ولا تمادياً في اللجاج ، وإنما لاستدراجهم وكشف زيف عقيدتهم وتهافت آلهتهم ، وإبراز توحيد الله وعظمته ، وهكذا تحمل العقيدة الصحيحة صاحبها على التحمل والصبر والمصابرة ، ضاربة أروع الأمثلة في هذا السبيل .

المطلب الثاني : التعذيب الجسدي .

في وقت ضعف دعاة الحق ، يتسلط الباطل، وتصل أيدي الظلمة بالبطش والتعذيب أعوان الحق وخاصة دعاته ، وتُنال منهم نصيباً من العذاب تروى به ظمئها ، وتحقق به حقدها ، وفي أشد الحالات ابتلاء على المؤمنين، تتضاءل تلك المحن وتمر بسلام ، فيظفر بإحدى الحسنيين ، إما النصر وإما الشهادة فتنقلب المحن نعماً في العاجل والآجل ، ومن لوازم العقيدة الصحيحة أن الصبر قرين الإيمان ، وهو بمنزلة الروح للجسد، وبتحقيقه أنبط الفلاح والنصر

(١) سورة هود آية رقم ٥٣ - ٥٦ .

كما قال تعالى :

(والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((واعلم أن النصر مع الصبر))[2] وأعطى خاتم المرسلين وسيد هم القدوة في صبره وشجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام ، فقد أوذي في ذات الله وألقي عليه سلا الناقه وهو ساجد .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :- (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيت ، وأبو جهل وأصحابه له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلى جزور بن فلان فيأخذه ، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ! فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وضعه على كتفيه قال فاستضحكوا وجعل يميل بعضهم على بعض)- [3] .

وجاء عقبة بن أبي معيط أحد رؤوس الكفر بمكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء ابو بكر حتى وضعه عنه فقال -(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)- [4] .

---

(١) سورة العصر . (٢) جزء من حديث طويل رواه ابن عباس انظر المسند حـ١ ص ٣٠٧ .

(٣) البخاري كتاب الوضوء ١/ ٢٩-١٢٨ وكتاب الجهاد ٤/ ٥٣ ، ١٢٧ ، كتاب مناقب الانصار ٥/ ٥٧ ومسلم كتاب الجهاد ٣/ ١٤١٨ رقم الحديث ١٧٩٤ وأحمد ١/ ٣٩٣ - ٤١٧ .

(٤) البخاري كتاب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣/ ١٤ رقم ٣٦٧٨ وكتاب المناقب ٣/ ٥٦ رقم ٣٨٥٦ .

وعقبه بن أبي معيط هو عقبه بن أبان بن ذكوان بن أميه بن عبد شمس من رؤوس كفرة قريش يكنى بأبي الوليد اسر يوم بدر وقتل في الطريق إلى المدينة انظر : ترجمته في الروض الأنف ٣/ ١٠٢ .

كما رمى بالحجارة يوم الطائف حتى أدميت قداماه الشريفتان، وحوصر اقتصادياً ثلاث سنين في شعب أبي طالب .

وضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة نورانيه في الثبات والتضحية .

وفي قصة خبيب (١) بن زيد بن عاصم الأنصاري رضي الله عنه فقد وقع أسيراً في يد مسيلمة الكذاب فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم فيقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده فلا يزيده على ذلك ، وإذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه، وإذا ذكر له مسيلمة الكذاب قال : لا أسمع .

وتعتبر قصة عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، من أروع أمثلة الثبات والقوة، فقد وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً إلى الروم ، فيهم عبد الله بن حذافة السهمي، فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم وقالوا له هذا من أصحاب محمد .

فقال له : هل لك أن تتنصر وأشركك في ملكي وسلطاني ، فقال عبد الله له : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما ملكته العرب ، على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت .

---

(١) الاستيعاب حاشية الاصابة جـ ١ ص ٣٢٨ .
ومسيلمة الكذاب هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفي لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بمسيلمة الكذاب قتل في معركة اليمامة في خلافة الصديق سنة ١٢ هـ ، سيرة ابن هشام ٣/١٨ ، ٤٠/٢٤٣ .

قال : اذن أقتلك قال : أنت وذاك ،فأمر به فعلق على خشبة ، وقال للرماة ، أرموا به قريباً من يديه ، قريبا من رجليه ،وهو يعرض عليه النصرانيه ، وهو يأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم دعا بقدر ، فصب فيها ماء حتى اخترقت ثم دعا بأسيرين من المسلمين ،فأمر باحدهما فألقى فيها ، وهو يعرض على عبد الله النصرانيه وهو يأبى ، ثم أمر به أن يلقى فيها ، فلما ذهب به بكى ، فظن الطاغية ، أن قد جزع فقال ردوه ، فلما ردوه عرض عليه النصرانيه فأبى ، قال : ما أبكاك اذن ؟ .

فقال:أبكاني ، اني إن قتلت فلي نفس واحده ، تلقى الساعة في هذا القدر فتذهب ، فكنت أشتهي ، أن يكون لي بعدد كل شعرة من جسدي نفس تلقى هذا في الله ، فقال له الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخل عنك ، فقال له عبد الله : ان فعلت تخلى عني وعن جميع أساري المسلمين ، قال عبد الله : قلت في نفسي عدو من أعداء الله أقبل رأسه يخل عني وعن أساري المسلمين لا أبالي ، فدنا منه وقبل رأسه فدفع إليه الأساري ، فقدم بهم على عمر وأخبره الخبر فقال : حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ فقام عمر فقبل رأسه (١) هكذا تحمل العقيدة أتباعها على التضحية والفداء ، دون وجل أو نكوص .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٣٥١ - ٣٥٣ .

وقد اشتملت تلك الأخبار على الدروس والحقائق التالية :-

١ - الشجاعة والثبات فى ميدان المحن رغم هولها وضخامتها التى تضطرب لرؤيتها الأبصار ، مما يدل قطعاً على قوة العقيده الكامنه فى النفوس وانعكاسها على الجوارح .

٢ - تقديم النفس رخيصة فى سبيل الله إبتغاء مرضات الله، والاستعلاء على مظاهر الترغيب والترهيب، الذى استخدمه الأعداء ، واستخدام العقيدة سلاحاً واقياً دون تلك المؤثرات .

٣ - الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى الدعوة وتحمل تبعاتها والصبر على نشرها بنفوس مطمئنة ، وقلوب مخبته وألسنة ذاكره .

المطلب الثالث : الإغراء المادى .

يسعى أعداء الاسلام الى استخدام كل الوسائل والاساليب للصد عن سبيل الله ، لايقاف مد الدعوه الاسلاميه ، والقضاء عليها نهائياً ، ومن أخطر تلك الوسائل، استغلال غريزة حب الشهوات الكامنه فى النفوس واثارتها واستمالتها وترويض النفوس عليها ، خاصة فى حالات الضعف والفتور التى تصيب الداعيه ، فتصيب منه مقتلاً بالغاً ، وتخدير قاتلاً .

كعرض مختلف زخارف الدنيا من مال وقير ومركب وشهر وجاه عريض لضرب الدعوه باسم الدعوه ، وقلب الموازين وبلبلة الأفكار وصرف وجوه الناس لتحقيق مقاصد أعداء الدعوه وبسط نفوذهم ، ومن صور ذلك إطلاق الفتاوى فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، كتحليل الربا مثلاً بيد أن مثل هذه الشهوات لا تؤثر الا فى النفوس الخاليه من معرفة العقيده

الصحيحه ، ومن أبرز الأمثله على أثر الشهوات وخطرها على الداعيه، ماورد فـي قوله تعالـى :

(واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطـان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولٰكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذيـن كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (١) .

فهذا مثل ضربه الله تعالى لمن آثر الغانية على الباقية وركب هـواه، وانهزم أمام المغريات والشهوات وباع دينه بدنياه .

وقد نزلت هذه الآيات فى رجل من " مدينة الجبارين يقال لـه " بلعام " تعلم اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى، أتاه بنو عمه وقومـه فقالوا : ان موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيره ، وإنه يظهر علينا يهلكنـا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال : ماذا دعوت الله ان يـرد موسى ومعه ، مقت دنياى وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلـخ مما كان منه " (٢) .

ومعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فكل من يبـدل حكم الله واستعاض عنه بما دونه ، واشترى بآيات الله ثمناً قليلاً ، داخـل لا محالة فى الذم الوارد فى الآيه .

وقد كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدوة صالحة فى دفـع

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) انظر : الدر المنثور للسيوطى ٦٠٨/١ .

المغريات ، وايثار ما عند الله ، وتوجيه أقوامهم بمقالة أطبقوا عليها وهى قولـــه تعالـــى :

(وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى إلا على رب العالمين) (١) .

وماذاك إلا لقطع دابر التهمه ، وبيان أن الدعوة الى الله فوق المغريات ، وان رسالتهم أعظم من أن تباع بعرض من الدنيا .

ومن أعظم من ابتلى بالاغراء المادى ، يوسف الصديق عليه الصـــــلاة والسلام ، فقد عرضت عليه اللذه الحرام ، بمعزل عن أعين الناظرين ، فى قصـــر عزيز مصر بين بذخ الملك وخفض العيش وغضـارة الشباب . وفتنة الجمـال وغربة الأوطان ، لكنه عليه الصلاة والسلام أعلنها صريحة قائلاً :

" معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون) (٢) .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

(وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم من العفاف أعظم مايكون ، فإن الداعى الذى اجتمع فى حقه لم يجتمع فـــى حق غيره ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان شاباً والشباب مركب الشهوة وكـــان غريبا عن أهله ووطنه ، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحى منهم أن يعلمـــوا فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرب زال هذا المانع وكان فى صورة المملـــوك ، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر ، وكانت المرأة ذات منصب وجمـــال وكانت هى المطالبة فيسهل بذلك كله تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عـــدم

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٠٩ .
(٢) سورة يوسف آية رقم ٢٣ .

الإجابه ، وزادت مع الطلب الرغبه التامه والمراوده التى يزول منها ظن الإمتحان والاختبار، لتعلم عفافه من فجوره ، وكانت محل سلطانها وبيتها ، بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذى لا تناله العيون ، وزادت مع ذلك تغليق الأبـــواب لتأمن هجوم الداخل على بغيه ، وأتته بالرغبة وبالرهبه ، ومع ذلك كله عف للـه ولم يطعها وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله .

وهذا أمر لو ابتلى به سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله (١) .

بانه ولا شك موقف إيمانى عميق الجذور فى التوحيد والمراقبة للـــه رب العالمين ، لا يناله إلا المصطفون من الرسل الكرام ، ومن سار على نهجهـــم من ذوى البصائر والعقائد السليمه .

وقد حدث لكعب بن مالك رضى الله عنه(٢) ابتلاء وامتحان نجا منـــه بفضل الله ثم بفضل رسوخ عقيدته الصلبه الصحيحه يقول رضى الله عنه فى معرض حديثه عن تخلفه فى غزوة تبوك ، وما آل إليه من هجران المسلمين لـــه ولصاحبيه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (فبينما أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى(٣) من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقـــول : من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له : حتى إذا جاءنى دفع

---

(١) روضة المحبين ص ٣٠٩ .

(٢) كعب بن مالك بن أبى كعب أبو عبد الله أو أبو عبد الرحمن الخزرجى الإنصارى ، شهد العقبه الثانيه شهد أحداً وما بعدها وتخلف فـى تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وهو أحد شعراء الرســول صلى الله عليه وسلم ، توفى فى الشام فى خلافة معاوية سنة ٥٠ هـ ، انظر : ترجمته فى الأصابه ٣٠٢/٣ والإستيعاب

(٣) النبطى نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه وهم أهل الفلاحه من أهل الشام من النصارى ، انظر : الفتح حـ ١ ص ١٢٠ .

الى كتاباً من ملك غسان فإذا فيه : أما بعد قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسيك ، فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته(١) بها (٢)

وهذا الخبر يشهد على قوة إيمان كعب وتحمله البلاء ، ابتغاء رضوان الله وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تؤثر فيه حبائل الأعداء واغراءهم المادية الزائفه ، بل اعتبرها من البلاء وهذا دليل فقه ، ورسوخ يقينه وكمال إيمانه رضى الله عنه .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقاً على خبر كعب رضى الله عنه (ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ورسوله ، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك وتحمله الرغبة فى الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمنه من الملك الذى استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه ، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الأفتتان حسم المادة ، وأحرق الكتاب ومنع الجواب ، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال ، ولا سيما الذى استدعاه قريبه ونسيبه ، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوى عنده يقينه ، ورجع ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعى إليه من الراحة والنعيم ، حباً فى الله

---

(١) فسجرته أى أوقدته الفتح ٨/١٢١ .

(٢) رواه البخارى كتاب المغازى ٣/١٧٦ باب حديث كعب بن مالك .

ورسولـــه)ـ (١) .

ان كعباً رضي الله عنه لم يكن ليثبت هذا الثبات إلا بفضل الله ثـــم بتلقيه العقيده صافيه نقيه قولاً وعملاً واعتقاداً ، مما جعله يحتقر تلك الرسالة ويحرقها فوراً ، ويبقـــى مرتقباً فرج الله وييسره .

المطلب الرابع : فساد الزمن .

إن الإنسان مدنى بالطبع ، والبيئة التى تحيطـه لها آثارها الملموســـة عليه فى الغالب ، والحق أنه لا يصبر وسط آتون الأحداث ومعترك الحيـــاه إلا أصحاب العقائد الصحيحه ، فحياة المؤمن منضبطه متسقه مع أوامر الشـرع الحنيف ولو عاش فى بيئة منحرفه، وزمان فساد ، فلديه من الفرقان والبصيـــره ما يفرق به بين الحق والباطل ويقف أمة وحده ، أمام طوفان الباطـــــل وجيوش الشيطان،كما وصف الله إبراهيم الخليل عليه السلام : (إن ابراهيـــم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) (٢) .

وقد أقتضت حكمة الله أن يرث دعاه الإسلام مهمة النبى عليه الســـلام فى الدعوه والبلاغ ، ولو ساقت احدهم الأقدار بالعيش فى بيئـة أطبـــق عليها الباطل و خدمتـــه الدولة والسلطان ، مما يستوجـــب على الداعية أن ينتظم فى سلك الدعاة الحواريين الذين ورد وصفهم بقوله عليه الصلاة والسلام ((ما من نبى بعثه الله فى أمه قبلى إلا كان له فى أمته حواريون وأصحـاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون مالا يفعلون ،

---

(١) فتح البارى ٨/ ١٢١ .

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٠ .

ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)) (١) .

فهذه معالم الفرقة الناجية في كل زمان ومكان ، وفي رحاب العقيدة الصحيحة يجد الداعية نفسه متفقاً مع أصول الفرقة الناجية، حذو القذة بالقذة ، ومن ثم فهو مطمئن على مسلكه مغتبط بدعوته ، متنور بعقيدته ، لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض كما قال عليه الصلاة والسلام :

((تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ، مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)) (٢) .

ومن الخطأ الأخذ ببعض الأحاديث الوارده في الفتن ، وإهمال البعض الآخر دون فقه وبصيره .

---

(١) تقدم تخريجه ص ١١٤ .

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان ١/ ١٢٨ رقم ١٤٤ ، وأحمد حـ٥ / ٤٠٥ . عن حذيفة رضي الله عنه .
" مرباداً " المرباد والمربد : الذي في لونه زبده ، وهي بين السواد والغبره ، " كالكوز مجخيا " المجخي : المائل عن الاستقامة والاعتدال جامع الاصول لابن الاثير ١٠/ ٢٣ .

وقد ورد فى بعضها ما يفيد إقبال الفتن ، وكثرة الشرور كقوله عليه الصلاة والسلام : ((لا يأتى زمان إلا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم))(١) وما يشاكله من الأحاديث، والحق أنها ثابته لا ريب فيها ، لكنها لا تفيد استحاله الاصلاح بدليل النصوص الداله على وجود الخير وأهله، كقوله عليه الصلاة والسلام : ((ولا تزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتى وعد الله ، الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة))(٢) .

وفى رواية ((ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة))(٣) .

وفى نظرى أن الأحاديث الوارده فى الفتن، تفيد النهى وأخذ الحيطه والحذر، قبل الوقوع فيها ، حتى لا يؤخذ المسلمون على غره ، ويتسع الخرق على الراقع ، فإن المسلمين لم يصابوا فى تاريخ كله بأعظم من إهمالهم للدعوة ولم ينالوا ما نالوا من عز وتمكين، إلا بسبب اهتمامهم بشأن الدعوة ونشرها وتحكيمها ، وتلك قاعدة منضبطه ثابته فى الزمن الحاضر والغابر .

---

(١) البخارى كتاب الفتن ٤/٣١٥ .
والترمذى رقم ٢٢٠٦ كتاب الفتن ٤/٤٩٢ . عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٢) النسائي ٦/٢١٤ - ٢١٥ ، كتاب الخيل وأحمد فى المسند ٤/٥١٤ - ٢١٥ عن سلمه بن نفيل الكندى .

(٣) البخارى كتاب الإعتصام ٤/٣٦٦ رقم ٧٣١١ ومسلم فى كتاب الإمارة ٣/٥٢٤ رقم ١٩٢٤ عن عقبة بن عامر رضى الله عنه .

ويؤكد هذا الرأى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فى تفسير الحديث السالف الذكر ((لا يأتى عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذى كان قبله حتى تقوم الساعه ، لست أعنى رخاء من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده ، ولكن لايأتى عليكم يوم إلا وهو أقل علماً من اليوم الذى مضى قبله ، فاذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون))[1] .

فهذا كله من رحمة الله سبحانه وتعالى ، بهذه الأمة حيث أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأحوال المستقبل لتكون الأمه على بصيرة من دينها ، ونستعد للأحداث قبل وقوعها ، فالأمة الفطنة تستفيد من دراسة التاريخ وتوظفه لرفعة شأنها .

إن فى عالمنا المعاصر دولاً ، أسست مراكز بحوث متقدمه للدراسات المستقبليه فى شتى العلوم ، لاستكشاف المستقبل ، وما يحفل به من ضروريات وحاجات واحداث، وليس ذلك ضرب من الخرافة فى شئ ، ولكنه استخلاص لحوادث التاريخ وتطور العلوم وربط النتائج بالمقدمات وفق حسابات دقيقة ومعايير متطوره .

فكيف يهمل المسلمون هذا الجانب ،ويركنوا إلى العجز والوهن ؟ ولديهم من مصادر العقيده الصحيحه ، ما يمدهم بمعلومات مستقبله معصومه من الخطأ والزلل والمبالغة ، مما يدفعهم إلى تذليل الصعاب وسيادة الأمم .

وبهذا كله يتضح أن العقيده الصحيحه تقوى جنان الداعيه ، وتجعل

---

(١) فتح البارى ١٣/ ٢١ .

من فساد الزمن ، حافزاً إلى الاصلاح وبرهاناً على صحة منهجه ، وسلامة مسلكه وصدق الله القائـــل :

(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ، إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين) (١) .

وهذا وعد من الله تعالى لا يتخلف أطبقت عليه رسالات السماء ، ونـال هذا الفضل الصالحون فى كل زمان، والآيات فى هذا المعنى كثيره منها قولـــه تعالـــى :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى أرتضى لهم وليبدلنهـــم من بعد خوفهم آمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاولئك هـــم الفاسقون) (٢) .

وقد قيد هذا التمكين، بتحقيق العقيده الصحيحه كاملة، كما هو واضـــح من الآية الكريمة وذلك بتحقيق العبودية بمعناها الشامل ، وقطع دابر الشرك بكل مظاهره وألوانه .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) سورة النور آية رقم ٥٥ .

* الفصل الرابع *

" أثر العقيدة الصحيحة في الدعوة "

يحتدم الصراع بين الدعوات قديماً وحديثاً حول اكتساب المدعو واستمالته بشتى الوسائل والأساليب ، نظراً لكونه أحد الأهداف الكبرى لأى دعوه .

ويتفاضل الدعاة فيما بينهم بمدى قدرتهم على اجتذاب المدعوين وتجنيدهم لخدمة ما يؤمنون به ، ولخطورة هذا الموضوع أشير إلى أهمية العقيده الصحيحه ، فى هذا الشأن وذلك لتقديم العقيدة الصحيحة فى مراتب الدعوه والعنايه بها ، ويتضح ذلك فيما يلى :

* المبحث الأول *

" أثر العقيدة الصحيحه فى استمالة المدعو "

تحتفظ العقيدة الصحيحه ، بقوة التأثير المباشر على عقل المخاطب ووجدانه ، بإذا عرضت وفق المنهج المحدد فى الكتاب والسنة ، فالسمع والبصر والعقل هى منافذ التلقى عند الانسان ، وقد فطر الانسان على الجنوح إلى ما يخاطب فطرته ويحرك أوتار قلبه ، وبذلك ورد خطاب العقيدة الصحيحة الذى يلج إلى النفوس بسهولة ، فيضرب على أوتار القلوب فيهزها هزاً ، الا من قدر الله ضلاله وسعى إلى الضلاله جاهداً ، رافضاً سماع الحق ، مدبراً عن حياضه .

فخطاب العقيده يحنى باستثارة الفكر وايقافه أمام الحقائق المجرده لينظر ويقرر كما فى قوله تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (١) .

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٢١ .

وهذا خطاب مفتوح لعموم الجنس البشرى فى أصل خلقهم ، وطور نموهم وما بين ذلك من عجائب القدره والتكوين ، ومن ثم يسوقه الخطاب العقدى بجلاء إلى معرفة الحكمه من خلقه ووجوده ، كما فى قوله تعالى :

(أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يكن نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقه فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) (١) .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وفى الجانب العاطفى ، يتوجه الخطاب العقدى إلى استثمار عاطفة المدعو وتذكيره بأشد الأزمات والحالات فى حياته ، مقروناً بتقرير التوحيد كقوله تعالى :

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) (٢) .. الآية .

وكل مخاطب يدرك هذه اللحظات الحاسمه من حياته ، ولا يستطيع أن ينكر هذا أحد .

وفى الجانب النفسى نجد أن النفس الانسانيه تتزع إلى معرفة المستقبل وتلح فى طلبه ، وبدون توجيه معصوم من الشرع ، يصاب الإنسان بالتشاؤم والتطير واللجوء إلى الكهنه والعرافين والمنجمين ، لتخفيف وطأة معاناته المستمره وحياته القلقه الممزقه ، لكن ما أن يتعرف على العقيدة الصحيحة وإلا وتزول تلك الأوهام والخرافات والخيالات ، وينقلب الخوف أمناً ، والتشاؤم تفاؤلاً وتنقشع تلك الكوابس النفسيه .

---

(١) سورة القيامة آية رقم ٣٦ - ٤٠ .

(٢) سورة النمل آية رقم ٦٢ .

يقول تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)(١) .

وهذه أمثلة يسيره على إحاطة الخطاب العقدي بمسارب العقل والوجدان الانساني ووضع الدواء الشافي لأزماته ومشاكله، وفي الجانب التطبيقي العملي نجد أن العقيده الصحيحه لا تعترف بإيمان من انتسب اليها بالقول فقط ، فالايمان في العقيده الصحيحه (قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح)(٢) يزيد بالطاعة وينقص بالمعصيه، خلاف الفرقه الضاله ، التي لا ترى ضرورة العمل ، كقول المرجئه بإنه لا يضر مع الايمان معصيه .

فالتلفظ باللسان دون القلب ، ينصرف الى ماذكره سبحانه في المنافقين في كتابه العزيز (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)(٣) .

إن اشتراط العمل في الايمان ، يسوق المدعو قطعاً إلى الانصياع لأوامر الشريعة ، التي سرعان ما يجد لذة الايمان تسري في فؤاده، فلا يبغي بها بدلاً ، ولو حرق أو قطع ، فالبدء بالعقيده الصحيحه خير ضامن لرد النفس واستقلتها ، فالاقتناع الفكري بالمثل والمبادئ لا يغني فتيلاً ، مالم

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٥٩ .
(٢) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيميه ص ١٦٢ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٨ - ١٠ .

يطابقه اعتقاد راسخ بمبدأ الثواب والعقاب فى الأخرة، ومن أجل ذلك نجد أن وهم الدهرى لا يجتمع مع فضيلة الصدق والشرف وكمال الرجولة، وذلك لأن الإنسان له شهوات، وطريقة تحصيلها إما بالسيف والقوة، وهذا يقضى الى سفك الدماء، أو بشرف النفس وهذا محدود بالعرف والعادة، وليس له مقياس عام، أو الحكومة وهى لا تعرف إلا الاعتداءات الواضحه أما المفاسد الموهمه فلا تعرفها، على أن رجالها قد يكونون أيضاً من المفسدين، أو الاعتقاد بمدبر الكون وبأنه مالك الجزاء فى الحياة الأبديه وذلك هو المتعين "(١).

فالإيمان بالله عز وجل عن علم صحيح وعمل مطابق لذلك العلم، يولد ملكة المراقبة الذاتيه، التى لا تنال إلا بالإيمان، ولا تترسخ إلا بالإحسان وقد ثبت طبياً أثر الإيمان فى تغيير الصفات الوراثيه، الذى عجز الطب الحديث عن تغييرها.

يقول الدكتور محمد محمود عبد القادر رئيس قسم الكيمياء الحيويه بطب قصر العينى ورئيس مجلس إدارة معهد التغذيه ما نصه " يتكون جسم الإنسان من خلايا وكل خلية تتكون من جدار الخليه " البيتوبلازم " الذى يتوسطه نواة الخليه تتكون نواة الخلية من جدار وبداخله الشبكه الكروماتينية، التى تحتوى على الكروموزومات، حيث توجد عليها الصفات الوراثيه، وهذه الصفات الوراثيه التى تسمى "الجينات" مشتق حامض النيوكليك وبما أنها تحتوى على ديزكسى رايبونيوكليك وتوجد النواة على هيئة خيطين بطريقه حلزونيه ومن وظائفها الاساسيه مسؤوليتها فى بناء المركبات البروتينيه فى جسم الانسان

---

(١) الرد على الدهريين تأليف جمال الدين الافغانى ص ٥٧ - ٦٣.

على العموم وهذه العمليه تتم فى خطوات كيميائيه حيوية ،تؤكد اعجاز الخالق فى تلك العمليات التى تدور فى خلايا الجسم والتركيب الكيميائي " الحامض النووى " سر من أسرار الحياة ،وله لغة كيميائيه ذات شفرة معينة هى التى تتحكم فى عملية بناء البروتينات فى جسم الإنسان ، وقد تكون المادة البروتينية خاصة ببروتين خلايا الكبد أو البنكرياس أو أى عضو من خلايا الجسم . . وقد تكون المادة البروتينية عبارة عن هرمونات تفرزهما الغدد الصماء مثل الغدة النخامية وغدة فوق الكلية والغدة الدرقيه . . الخ .

وقد تكون إنزيماً من الإنزيمات التى تهيمن على جميع العمليات الفسيولوجيه والحيويه التى تحدث فى جميع خلايا الجسم بدءا من هضم الطعام إلى امتصاصه إلى تمثيله إلى إطلاق الطاقة الحراريه والكهربيه والعصبيه والفكريه فى حياة الإنسان . . ولا شك فى أن انفعال الإنسان " البيولوجى " تحدده كيميائية تلك الصفات الوراثية " الحامض النووى ، لأنه حصيلة العمليات الكيميائية الحيوية التى تسيطر عليها الهرمونات فى المقام الأول بدءا من الغدة النخامية التى تعتبر الحاكم الرئيسى لجميع الغدد الصماء بالجسم والتى تعطى الأوامر الرئاسيه لجميع الغدد الصماء الأخرى التى تفرز هرموناتها فتؤثر على عمليات التمثيل وعمليات انطلاق الطاقات المختلفه فى جسم الانسان والتى تترجم فى هيئة انفعال . . أى أن طريقة الإنفعال ونوعيتها تعتمد فى المقام الأول (١) على التكوين الكيميائى للصفة الوراثية . . فمثلاً قد تلد المرأة طفلين يتصف أحدهما

---

(١) التعبير الصحيح - أن يقول تعتمد فى المقام الأول على الله ثم . .

بصفة الشجاعة ويتصف الآخر بصفة الجبن ، هذه الصفات الإنفعاليه هى حصيلة كيميائيه الصفات الوراثيه التى تتحكم فى الإنفعال ، وهى صفة ثابته وتكبر مع الطفل .

ويتحدث القرآن بوضوح عن صفات المؤمنين وعن أخلاقياتهم وانفعالاتهم ليبين إعجاز الخالق فى تغيير الانفعالات فيقول سبحانه وتعالى : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) (١) .

والسكينة التى يبعثها الله فى قلب المؤمن ، هى هبة من روح الله والروح هى تلك القوة الإلهية التى تهيمن على مادية الجسم وكيميائيته فحينما تشعر بالسكينة يتغير الإنفعال إلى نوع من الاسترخاء النفسى والعقلي والوجدانى ولذلك فهو يعتبر تغيراً فى كيميائية الصفة الوراثية ، وفى اللغة الكيميائيه لتلك الصفات الوراثية التى تؤكد هذا الانفعال .

مما يوضح أن الإيمان له أثر فى كيميائية الصفات الوراثيه بحيث تكون حصيلة الإنفعال التى لا يعلم كنهه إلا الله هو الركيزه الأخلاقية التى تواكب العقيده الإيمانيه (٢) .

وأخيراً أختم هذا المبحث ببيان نماذج لإفراد من المدعوين حملهم الخطاب العقدى على تقديم حياتهم لله ابتغاء الرحمه والتكفير عن ذنوبهم ، ومنهم من تلقى التكليف بصدر رحب ، ونفس وثابة مطمئنة ، ومن ذلك :

أن ماعز بن مالك رضى الله عنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٤ .

(٢) مجلة طبيبك العدد ٢١٢ ص ١٢ - ١٣ سنة ١٩٨٦م .

فقال : يارسول الله طهرنى ، قال ، ويحك ارجع ،فاستغفر الله وتب اليه ، فرجع غير بعيد ، ثم جاء ، فقال: يارسول الله طهرنى ، قال ويحك ، ارجع فاستغفر الله وتب اليه ، فرجع غير بعيد ، ثم جاء ، فقال : يارسول الله طهرنى ،فأعاد القول ، وأعاد هو ، حتى اذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : م أطهرك؟ قال : من الزنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبه جنون ؟فأخبر أنه ليس بمجنون ، فقال : أشرب خمراً ؟ فقال رجل فاستنكهه فلم منه ريح الخمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت ؟ قال : نعم ، فأمر به فرجم ، فكان الناس فيه فرقتين ، فقائل يقول : قد هلك لقد أحاطت به خطيئة ، وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز انه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده فى يده ، ثم قال : أقتلنى بالحجارة ، قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جلوس ، فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك ،فقالوا : غفر الله لماعز ابن مالك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم ، قال : ثم جاءته إمرأة من غامد من الأزد ، فقالت يارسول الله ،طهرنى ، فقال : ويحك ، إرجعى فاستغفرى الله وتوبى اليه ،قالت : أراك تريد أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك ، قال : وما ذاك ؟ قالت : إنها حبلى من الزنا ، قال : أنت ؟ قالت نعم ، فقال لها : حتى تضعى ما فى بطنك ، قال : فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت فاتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد وضعت الغامدية ، فقال : إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغير السن ليس له من يرضعه ، فقام رجل من الأنصار قال : إلى

رضاعه يا نبى الله ،فرجمها - (١) .

ففى هاتين الحادثتين دلالة صادقه على تأثير العقيده الصحيحه فى حياة ماعز والغامديه رضى الله عنهما ، حيث بلغ بهما الخوف من الله عز وجل أن قدما نفسيهما فداء لمرضاة الله ،وتكفيراً لما اقترفا من أثم بكل حزم وإصرار .

وإن كان بالامكان أن يستترا ويتوبا ، لكنهما آثرا عاجل الكفارة واحبا لقاء الله مطهرين مطيبين . وقد تجلى واضحاً أثر العقيدة الصحيحه ، فى تلقى التكاليف الشرعيه ، والمسارعة إلى بذل النفس فى سبيل تحقيقها ، والرضا التام بما يترتب على تطبيقها .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) رواه مسلم كتاب الحدود ١٣٢٢/١٥ رقم ١٦٩٥ باب من اعترف على نفسه بالزنا عن بريده رضى الله عنه ، وماعز بن مالك الأسلمى له صحبة وهو الذى رجم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، استغفر له النبى ، صلى الله عليه وسلم .

أنظر : ترجمته فى الإصابة ٣٣٧/٣ .

* المبحث الثانـــى *

" الثمرات التى يجتنيهـا المدعو "

يتحقق للمدعو بدعوته للعقيدة الصحيحه وانتسابه لها ، قلباً وقالبـــاً مالا يتحقق له فى سائر الفرق المنتسبه إلى الاسلام فضلاً عن غيرها ومـــن أبرز تلك الثمـرات والمكتسبات :

المطلب الأول : الانتظام فى سلك الفرقة الناجية .

وهذا مطلب عزيز لا يناله إلا من وفقه الله إلى الإعتصام بالكتاب والسنـــة وتلقى عقيدة التوحيد ،بالقبول والتسليم الكامل . فالعقيدة الصحيحه من أهـــم الفوارق والعلامات المميزه بين الفرق والنحل ، وعلى ضوئها ومنهجها ، تعـــرض المقالات ،وتصوب الاجتهادات ،وتتضح الزلات ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع،ولا يتصور إنتظام عقد الشريعه على عقيدة منحرفه وفكر زائغ،وقد ورد التنصيص على فضيلة التمسك بالعقيدة الصحيحه ، كعصمة من الزيغ والضـــلال كما فى قوله عليه الصلاة والسلام ((ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتـــاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعيـــن ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة ،وهى الجماعة)) (١) .

ومعلوم أن الذم لا ينصب على الخلاف فى الفروع ،وإنما يختص بالأصول ،وهو ماتهت عنه العقيدة الصحيحه ، حيث لم ينقل لنا اختلاف الصحابة فى أصول الديـــن ، وعلى هذا فان أهل الشرك متفرقون وأهل الإخلاص متفقون (٢) .

---

(١) رواه أبو داود كتاب السنة رقم ٤٥٩٧ وأحمد ٤/١٠٢ والحاكم ١/١٢٨ ، والآجرى فى الشريعة ص ١٨ عن معاويه رضى الله عنه .
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٤٥٦ .

ومن أجل ذلك أطلق لفظ أهل السنة والجماعة على أهل العقيدة الصحيحة لأنهم اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى ذلك : (وسموا أهل الجماعة ، لأن الجماعة هى الإجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسماً لنفس القوم المجتمعين ، والاجماع هو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين) (١) .

فتبين مما تقدم أن من خالف هذه الفرقه - أهل السنة والجماعه - يسمى مبتدعاً (٢) ، فالانتساب حقاً إلى العقيده الصحيحه منجاه من الابتداع ، وضمان لسلامة الاتجاه ، فضلاً عما يدخر للعبد من الأجر العظيم فى الآخره .

المطلب الثانى : النجاة من العذاب .

من أعظم ما ينالهه المدعو من تمسكه بعقيدة التوحيد ، نجاته من عذاب الآخره وذلك أن الله تعالى ، قد جعل التوحيد أعظم الحسنات ، وأكبر المكفرات يقول تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (٣) فهذا وعد من الله جل وعز لعبادة الموحدين ، الذين اخلصوا فى عبادة الله بفوزهم بالأمن المطلق فى الدنيا ويشمل السلامة من التمزق والحيره والشعور بالاستقرار والسكينة والطمأنينه ، وآية ذلك الاهتداء إلى الصراط المستقيم والثبات عليه أما فى الآخره ، فالآمان من عذاب الله فى النار .

يقول الشيخ ابن عتيق رحمه الله :

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٥٧ .

(٢) منهاج السنة ١/٤٨١ ت محمد رشاد سالم .

(٣) سورة الانعام آية رقم ٨٢ .

(إن الذين وحدوا الله ولم يخالطوا توحيدهم بشرك أولئك لهم الأمن ، والأمن أمنان :

فالأول : هو الأمن من العذاب وهو لمن مات على التوحيد ولم يصر على الكبائر.

والثاني : لمن مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر فله الأمن من الخلود في النار(١) .

وهذا القول مستنبط من النصوص الوارده في الوعد والوعيد ، وهو جمع حسن للأدلة التي ظاهرها التعارض ، فإن الله تعالى توعد أهل الإشراك ومن سار على مشاكلتهم بقوله تعالى :

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٢) .

فالخلود في النار مخصوص بأهل الشرك ومن في منزلتهم من أهل الكفر والنفاق وما سوى ذلك فتحت المشيئة الإلهيه فمن شاء غفر له بفضله ، ومن شاء عذبه بعدله وحكمته البالغة وهو سبحانه أحكم الحاكمين ، لا يظلم أحداً من العالمين .

أما أهل العقيدة الصحيحه ، فقد وردت الأحاديث الصحيحه بفضل ما يعتقدون ويشهدون ، ومن أهم ذلك كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

يقول عليه الصلاة والسلام : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان

---

(١) ابطال التنديد باختصار التوحيد ص ١١ ت الشيخ ابن عتيق .
(٢) سورة النساء آية رقم ١١٦ .

من العمل)) (١) .

وليس القصد بهذا الحديث الشريف مجرد التلفظ بهذه الكلمات وإنما يجب الإعتقاد الباطن والعمل بذلك ظاهراً .

يقول الإمام سليمان بن عبد الله رحمه الله :

« قوله (يشهد أن لا اله إلا الله) أى من تكلم بهذه الكلمه عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً وذلك ، كما دل عليه قوله : (فاعلم أنه لا اله إلا الله) (٢) وقوله : (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) (٣) أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا عمل بمقتضاها ، فإن ذلك غير نافع بالإجماع، وفى الحديث ما يدل على هذا ، وهو قوله : (من شهد) إذ كيف يشهد وهو لا يعلم ومجرد النطق بشئ لا يسمى شهادة به) (٤) ولا يتسنى لأي مدعو معرفة شروط كلمة التوحيد ونواقضها ، إلا إذا دعى إلى ذلك ، وأقبل دارساً لتلك العلوم النفيسه ، التى يتجاهلها بعض الدعاة فى هذا العصر - هدانا الله وإياهم إلى الحق وثبتنا جميعاً عليه والاحاديث فى فضل كلمة التوحيد كثيرة ومتعدده والمهم العناية البالغة بفقهها وفق فهم سلف الامة وعلمائها الثقات ليقف المدعو على حقيقة الفقه الرشيد لهذه الكلمة العظيمة .

---

(١) رواه البخارى كتاب الأنبياء ح٢ / ٤٨٧ رقم ٣٤٣٥ ومسلم كتاب الايمان ١ / ٥٧ رقم ٤٦ عن عباده بن الصامت رضى الله عنه .

(٢) سورة محمد آية رقم ١٩ .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٨٦ .

(٤) تيسير العزيز الحميد تأليف الإمام سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٥٣ .

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله في الأحاديث الوارده في هذا البـــاب نوعـــان :

احدهما : مافيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها ، وهذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالـــص ، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها ، اذا طهر من ذنوبه بالنار .

الثاني : مافيه أنه يحرم على النار ، وهذا قد حمله بعضهم على الخلـــود فيها أو على نار فيها أهلها ، وهي ماعدا الدرك الأعلى من النار ، فأما الدرك الاعلـــى يدخله خلق كثير من عصاة الموحديـــن بذنوبهم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين)- (١) .

فمآل صاحب العقيدة الصحيحه ولوكان من أهل الذنوب المبقة إلـــى الخير، وقد تناله الشفاعه المثبتـــه التي لا يستحقها سواه ، فلا يخلد النـــار أبداً ، فعندما يأذن الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلـــم وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام والشهداء والصالحين ، تصيب شفاعـــة هؤلاء الكرام أهل التوحيد خاصة ، كما قال تعالى عن الشافع والمشفوع لـــه (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (٢) وقال تعالى : (وكم من ملك فـــي السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً ، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٣)

وهذا في الشافع أما المشفوع له فيقول تعالى :

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ص ١٢ .
(٢) سورة البقرة جزء من آية الكرسي رقم ٢٥٥ .
(٣) سورة النجم آية رقم ٢٦ .

(ولا يشفعون إلا لمن أرتضى)[1] وقال تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)[2] وأما ما يجمع الأمرين فكقوله سبحانه : (قل لله الشفاعه جميعاً)[3] وقوله : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعه إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)[4] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على الآية : (وهذا يتناول الشافع والمشفوع له ، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون فالملائكة والأنبياء والصالحون ، وان كانوا لا يملكون الشفاعه لكن إذا اذن الرب لهم شفعوا ، وهم لا يؤذن لهم في الشفاعه إلا للمؤمنين ، الذين يشهدون أن لا إله إلا الله ، فيشهدون بالحق وهم يعلمون ، لا يشفعون لمن قال هذه الكلمة تقليداً للأباء والشيوخ)[5] .

ويؤكد هذا التفسير ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص الشفاعة بأهل العقيده الصحيحه كما ثبت ان أبا هريرة رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : ((لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أول منك[6] ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله ، خالصاً مخلصاً من قلبه))[7] فعلم من نصوص الكتاب والسنة أن الموحد لله عز وجل هو أسعد

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ٢٨ .
(٢) سورة المدثر آية رقم ٤٨ .
(٣) سورة الزمر آية رقم ٤٤ .
(٤) سورة الزخرف آية رقم ٨٦ .
(٥) الحسنة والسيئة ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٦) أول منك : أي قبلك .
انظر : جامع الأصول ٩/٣٦٩ .
(٧) رواه البخاري ١/٥٢ كتاب العلم رقم ٩٩ .

الناس فى الأخره وبما فيها من مبشرات ونعيم مقيم ، وفى ذلك كله دعوة لعموم الدعاه ، أن يولوا قضية العقيده الصحيحه جل اهتمامهم ولا يضنوا على عموم المسلمين بأعظم رصيد يدخره المسلم ليوم القيامه ،والرغبة عن ذلك ظلم للمدعو وبخس فى حقه يسأل عنه الداعى ، لكونه كتماناً صريحاً للعلم والبلاغ .

المطلب الثالث : السعادة فى الدنيا .

من القواسم المشتركه بين الناس السعى نحو تحقيق الأمن والأمان ، وبلوغ أعلى درجات السعادة الدنيويه ، وإن اختلفت مذاهبهم فى ذلك ، وبالنظرة الحيادية المجرده ، نجد أن جميع الأبواب والسبل موصده دون تحقيق السعادة للانسان عدا باب الايمان بالله سبحانه وتعالى فإن الاستكثار من اللذائذ والشهوات شقاء فى ذاته ، لما يجلب من هموم ومتاعب فى تحصيله ، وحسرة وندامه عند فقده . وانعدام مقياس محدد بين الناس فى كفايته ، فالنفس راغبة دائماً لا تقف عند حد ، وإن وجد جدلاً المأمول المادى ، نغصته الكوادر العارضه وما أكثرها ، ولربما ساق بطر النعمة إلى العواقب الوخيمه ، والآلام الدائمه ، والشرور المطبقة يقول أحد عشاق المادة ، ودهاقنة الترف : (إننى أعيش فى خوف دائم ، فى رعب من الناس والأشياء ، رعب من نفسى لا الثروة أعطتنى الطمأنينه ، ولا المركز الممتاز أعطانيها ،ولا الصحة ولا الرجوله ولا المرأة ولا السهرات الحمراء ، ضقت بكل شئ ، بعد أن جربت كل شئ) (١) فهذا لسان حال أبناء

---

(١) الإيمان والحياه ص ٤٣ ، تأليف د . يوسف القرضاوى .

الشهوات ، وعباد اللذه ، وطلاب الهوى ، فلم تزدهم شهواتهم إلا ضيقاً وضنكاً كما قال تعالى : (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) (١) .

قال الإمام القرطبى رحمه الله تفسيراً لهذه الآية ـ ومعنى ذلك أن الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعه والتوكل عليه وعلى قسمته ، فصاحبه ينفق مما رزقه الله ـ عز وجل ـ بسماح وسهوله ويعيش عيشاً رافغاً كما قال تعالى : (فلنحيينه حياة طيبه) ، والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق ، فعيشة ضنك وحاله مظلمه ، كما قال بعضهم : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ، وكان فى عيشة ضنك)(٢) ، وذلك جزاء الإعراض عن رحاب الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

أما المؤمن بالله عز وجل ، فهو يعيش حياة هانئة مطمئنه على كل حال ، فقد تكفل سبحانه وتعالى بذلك ، وعداً لا يتخلف بشرط توفر شروطه المذكوره فى قوله سبحانه : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٣) .

يقول الامام الرازى رحمه الله تعليقاً على الآية الكريمه :

ـ واعلم أن عيش المؤمن فى الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه :

---

(١) سورة طه آية رقم ١٢٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٥٨ - ٢٥٩ .
(٣) سورة النمل آية رقم ٩٧ .

الأول : أنه لما عرف أن رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى ، وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضياً بكل ما قضاه وقدره ، وعلم أن مصلحته في ذلك ، أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدا في الحزن والشقاء .

وثانيها : أن المؤمن أبداً يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها ، لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب ، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن تلك المعارف ، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه .

وثالثها : أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى ، والقلب إذا كان مملوءاً من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا ، أما قلب الجاهل فإنه خال من معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءاً من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا .

ورابعها : أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ، أما الجاهل فإنه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها .

وخامسها : أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره إليه .

واعلم أن ماكان واجب التغير فانه عند وصوله إليه لا تنقلب حقيقته ولا تتبدل ماهيته ، فعند وصوله إليه يكون أيضاً واجب التغير ، فعند ذلك لا يطمع العاقل قلبه عليه ولا يقيم له

في قلبه وزناً بخلاف الجاهل فانه يكون غافلاً عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها ويعانقها معانقة العاشق لمعشوقه ،فعند فوته وزواله يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده ،فهذه وجوه كافيه في بيان أن عيش المؤمن العارف أطيب من عيش الكافر هذا كله اذا فسرنا الحياة الطيبه بأنها الدنيا (١) .

وعند عرض هذا القول على أركان العقيده الصحيحه نجد تطابقاً وتلازماً وتوافقاً في الفهم والتطبيق ، ويتجلى ذلك في الايمان باليوم الآخر والتصديق بعقيدة القضاء والقدر فمن آمن باليوم الآخر ومافيه من الأخبار والأمور العظام ، هانت عليه تكاليف الحياه وسعى مصعداً نحو الهدف الأسمى والغاية الكبرى ، لا يلوى على متاع الغانيه ولا تستفزه شهواتها ، فهو راضي النفس مطمئنها ، مع الاقلال صابر، وبالنعماء شاكر .

أما الكافر المكذب بعقيدة اليوم الآخر ، فنفسه تتقطع ألما وحسرة وتتجزع غصص الأحزان دائماً ، لا تردعها موعظة ، ولا تعرف السكون ، نفس جشعة ظالمة هابطه ، استولى عليها الاستكبار والعلو والأنانيه ، يقول تعالى عن هذا الصنف :

(أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) (٢) .

ومن آمن بالقضاء والقدر حقاً وصدقاً ، فقد عرف حقيقة الحياة الدنيا وما تحفل به من نشاط إنسانى ، لا يخرج عن التقدير الربانى فى صغيره

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٠ / ١١٥ .

(٢) سورة الماعون آية رقم ١-٣ .

وكبيره ، فما قدر الله سبحانه كائن لا محاله ، لكنه بحكمة وعناية يلتمس فيها المؤمن مخرجاً من كل كربة ، وفرجاً من كل نكبة ، وشكراً عند كل نعمة ، وهو في الحالات كلها ، قائم بحق العبودية ، راضياً بما قسم الله له ، لا يخشى قبيلاً ، ولا يرجو زيداً ولا عمراً ، وانما جمع الهموم هماً واحداً ، والآمال أملاً واحداً ، يترقب ساعة الرحيل الى دار الفناء والهناء ، وحاله في الدنيا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((من كانت همه الآخره ، جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمه)) (١)

فالمؤمن بالله عز وجل سعيد كل السعادة ، بما ينطوي عليه صدره من حلاوة الايمان ، ونور اليقين ، وصفاء السريره ، ونور الفرقان ، فلا يرى جزعاً ولا ساخطاً ولا شاكياً ، يشق طريقه في الحياة مصعداً ، لا يلوى على شئ من شهواتها الهابطه ولا ملذاتها الآثمه ، غير آسف على فوات شئ من حطامها الزائل ، وبريقها الخادع ، ومن تملك هذا حاله فقد نال سهماً وافراً من السكينة القلبية ، وحقق لنفسه السعاده الابديه .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) رواه الترمذي كتاب القيامة ٤/٦٤٢ رقم ٢٤٦٥ عن أنس رضي الله عنه وله رواية أخرى عند ابن ماجه ٢/٥٢٤ - ٥٢٥ عن زيد بن ثابت رضي عنه ، وأحمد في المسند ٥/١٨٣ والحديث صحيح بطرقه .
انظر : سلسلة الاحاديث الصحيحه ٢/٦٧٠ - ٦٧١ وصحيح الجامع المجلد الخامس ص ٣٥١ .

* الفصـــل الخامـــس *

" أثر العقيدة الصحيحه فى أعـداء الدعـــوه "

تستند كل دعوة فى انتشارها على مدى الوسائل المسخرة فى خدمتهـــا سواء كانت من الداخل أو الخارج ، ولا يفتـأ الدعاة عامة من الابتكار والتجديد حسب مقتضيات الزمان والمكان ، وتنال الحروب عادة حلاً نهائياً لا عدول عنـه ، أمام الدعوة المنافسة ، وتعتمد دعوة الباطل بأشكالها وأنواعها على استغـــلال ضعف دعاة الحق وغيابهم عن الساحة العمليه ، لتنشر من سلطانها وغشمهـــا وظلمها ، ولو بسفك الدم الحرام ، وهتك الأعراض ،وأهلاك الزرع والنســـل ، نظراً لافلاسها ومناقضتها للفطرة فليس ثمة قوة برهانيه وعقليه ترتكز عليها .

وفى المقابل نجد أن العقيدة الصحيحه تملك من القوة الذاتيه ما يمكنهـا من الانتشار وسط طغوان الباطل وعنفوانه وهزيمته وكشف زيفه ،وفى هذا الفصل بيان موجز لأثر العقيده الصحيحه فى هزيمة أعدائها وكشف زيفهم ،وسريـــان تأثيرها إليهم حتى أعتناقها .

وفيما يلى بيان ذلك :

* المبحث الأول *

" أثر العقيدة الصحيحه فى المشركيـــــن "

المطلب الأول : ابطال عبادة الاصنام .

تختلف عقائد المشركين إلى طرائق شتى ،يجمعها الاشراك فى عبادة الله عز وجل ، بإله أو بأكثر من جنس البشر كعيسى عليه السلام كما هى عقيـــــدة

النصارى المحرفه ، أو من شجر أو حجر أو كواكب ،كاشراك سائر العرب و المجوس ومن نحا نحوهم ، ويلتقي المشركون جميعاً على تعظيم آلهتهم والخضوع لهـــا رغبـة ورهبـة .

ومن عجائب عقلية المشركين الهابطه ، استنكارهم أفراد الله سبحانـــه بالعبادة ، وحكى الله سبحانه وتعالى مقالـتهم بقوله : (أجعل الآلهه إلهاً واحداً ، إن هذا لشئ عجاب) (١) .

واحتجوا على عقيدتهم بما حكى الله تعالى بقوله : (ما سمعنا بهذا فى الملة الاخره إن هذا إلا اختلاق) (٢) .

فكان الرد المفحم لهم ، هو إفراغ هذه الآلهه من محتواها المزعـــوم ، وكشف حقيقتها الزائفه ، فالمعلوم لدى العقلاء أن القلوب تتعلق بكل ما يجلـب لها الخير ، ويدفع عنها الشر ، بيد أن آلهة المشركين تفتقد لعنصر الحيـــاة فى نفسها ، فهى لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل شيئاً ، ومن كان هذا شأنه ، فمـن الحماقة والغباء ،العكوف عليه ، والتعلق بأهدابه كما قال تعالى : (والذيـن يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، أموات غير أحياء ومـــا يشعرون أيان يبعثون) (٣) .

فهذه حال أصنام المشركين ميتـه لا حراك فيها ، لا تملك لنفسها نفعـــاً ولا ضراً كما قال تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهـــم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بمالايعلم فى السمـــوات

---

(١) سورة ص آية رقم ٥ .
(٢) سورة ص آية رقم ٧ .
(٣) سورة النحل آية رقم ٢٠ - ٢١ .

ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (١) .

يقول الامام الرازى رحمه الله : (اعلم أن الله تعالى حكى عنهم أمرين :

أحدهما : أنهم كانوا يعبدون الأصنام .

الثانى : أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

أما الأول فقد بينه الله تعالى على فساده بقوله : (مالا يضرهم ولا ينفعهم إن عبدوه) .

الثانى : أن المعبود لابد وان يكون أكمل قدرة من العابد ، وهذه الأصنام لا تنفع ولا تضر البته ، وأما هؤلاء الكفار فهم قادرون على التصرف فى هذه الأصنام تارة بالاصلاح وأخرى بالافساد ، وإذا كان العابد أكمل حالاً من المعبود كانت العبادة باطله .

الثالث : أن العبادة أعظم أنواع التعظيم ، فهى لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام ، وذلك ليس إلا الحياة والعقل والقدرة ومصالح المعاش والمعاد ، فإذا كانت المنافع والمضار كلها من الله سبحانه وتعالى ، وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه (٢) .

فكان اللائق بالمشركين أن يقارنوا بين حقيقة أصنامهم الزائفة وبين عظمة رب العالمين الذى بيده ملكوت كل شئ ، ليقفوا على جهالتهم وحماقتهم ، فيرعووا عن هذا الإسفاف والهبوط ، ويعودوا إلى رشدهم ، ويجحضوا التوحيد والعبادة لله وحده .

---

(١) سورة يونس آية رقم ١٨ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٦٢/١٧ .

كما قال تعالى : (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن اكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) (١) .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تفسيراً للآية الكريمة :

(لا أتخذ ولياً إلا الله وحده لا شريك له فإنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم) (٢) .

ويحمد أحد دعاة العقيدة الصحيحة إلى تلقين قومه المشركين درساً عملياً برهن فيه على فساد الأصنام وعبادتها ، فقد عمد إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حين غفله من قومه إلى أصنامهم فحطمها وكسرها وتركها شذر مذر إلا كبيرها ، استبقاه شاهداً ودليلاً دامغاً على زيف عبادة الأصنام ، يقول تعالى حاكياً تلك الحادثة بقوله : (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ، وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) (٣) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٤ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ١٢٥ .
(٣) سورة الأنبياء من الآية ٥٦ - ٦٧ .

لقد كان فى هذا البيان العقدى ، حجة بينه على المشركين قاطبة ، إذا لو كانت الأصنام المزعومة آلهة كما يزعمون لدفعت عن نفسها ، عادية التحطيم وإعتراف عبادها بظلمهم ، وافتقار أصنامهم لعناصر الحياة ، كل ذلك برهان على انحطاط تفكير المشركين وبطلان عقيدتهم .

ويعرض الخطاب العقدى برهاناً آخر يفند عقيدة المشركين وذلك بإيراد مثل يدركونه من حياتهم الاجتماعية ، التى يسودها نظام الطبقية والإمتيازات العائلية ، الذى يرفع السادة ويحط من مكانة العبيد.

يقول تعالى : (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم ، أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) (١) .

فإذا كان من المستنكر لدى عباد الأصنام أن يستوى السادة والعبيد فى الرزق والتصرف الشخصى الحر ، فإن من الإنصاف والعدل أن لا تستوى عبادة الأحجار والأشجار مع عبادة الله الواحد القهار ، ولكن الشرك أعمى البصيرة والقلب ، يتناسى هذه الحقائق الناصعة ويسدل فى غيه وعمايته ، والآية الكريمة جاءت باستبعاد العبادة لغير الله سبحانه وتعالى (لأن الأغيار إذا لم يصلحوا للشركة فليس لهم ملك ولا ملك فلا عظمة حتى يعبدوا لتعظمهم ، ولا يرجى منهم منفعة لعدم ملكهم ، حتى يعبدوا لنفع ، وليس لهم قوة وقدرة ، لأنهم عبيد) (٢) .

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢٨ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٥/١١٩ .

وهذه حال كل ما عبد من دون الله فهي مخلوقات مربوبة ، لا تملك ضراً ولا نفعاً ، وبذلك كشف الخطاب العقدي تناقض المشركين مع أنفسهم ، ودفعهم للحقائق ، جرياً وراء التقاليد والعادات الزائفة .

ويحاصر الخطاب العقدي المشركين من وجه آخر ، لا يستطيعون منه فكاكاً فالمشركون يؤمنون بتعدد الآلهة ، ومن المحال شرعاً وعقلاً ، وجود آلهة ذات قهر وسلطان ، وتدبير وإرادة في آن واحد ، إذ لو كان الأمر كذلك لأفضى إلى التنازع في الملك ، والاختلاف في الإرادة والتدبير وتعرض الكون كله لاضطرابات وفساد عريض ، كما قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (١) ويطلق العلماء على هذا الإستدلال دليل التمانع(٢) .

يقول الامام أبو العز الحنفي رحمه الله :

« إن الاله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً ، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه ، لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والالهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك إنفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه ما إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه ، فلابد من أحد ثلاثة أمور :

— إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ٢٢ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢/٢١٨ .

- واما أن يعلو بعضهم على بعض .

- واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله ، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه .

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره ، من أول دليل على أن مدبره إله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا إله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه ، كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد ، لا رب غيره ولا إله سواه ، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد ، وهذا تمانع في العبادة والإلهية ، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون لهم ألهان معبودان)[1] .

ولن تكون اجابة المشركين على هذا البرهان إلا اللجوء إلى التدليس والتلبيس والكذب الصريح ، كما قال تعالى : (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار)[2] .

وهذا قياس فاسد من قبل المشركين، وجهل واضح بأسماء الله وصفاته ، فالله تعالى ليس كخلقه من بني الإنسان الذين تتقدم بين أيديهم المطالب ليعلموها ، ويعرف بأنواع الحاجات عندهم ليقضوها ، فهو سبحانه على كل شيء قدير ، عليم بخلقه بين بالأدلة ما يحب وما يبغض ومن جملة ذلك الشرك به ، الذي نفاه المشركون في الآية الكريمة ، وسموه بغير اسمه ، مما اضطرهم إلى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٦ .

(٢) سورة الزمر آية رقم ٣ .

الكذب وقلب الحقائق ومشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتجرأ المشركون فنسبوا للذات الالهية الصاحبة والولد تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وذلك من جهلهم بصفات الله سبحانه وظنهم السيء أرداهم في ظلمات الجهالة والضلالة ، ولبعدهم عن العقيدة الصحيحة وقعوا في الغلو المغرق في الشرك والوثنية .

وأورد في هذا الشأن مقالتين مشهورتين : يتضمنهما المطلبان التاليان

المطلب الثاني : الرد على مقالة النصارى القائلين : بأن عيسى بن مريم عليه السلام ولد الله فهو اله من اله .

يقول تعالى عن هذه العقيدة الزائفة : (يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) (١) .

وفي الآية الكريمة دعوة لأهل الكتاب بترك الغلو ، والشطط الذي أوقعهم في الشرك والكفر ، وعليهم أن يدركوا حقيقة عيسى عليه السلام ، فإنما هو بشر كسائر البشر ، وكونه خلق من غير أب لا يسوغ تأليهه ، فإن آدم عليه السلام خلق من تراب ، من غير أب ولا أم ، ومع ذلك فالنصارى لا ينسبونه إلى الألوهية

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٧١ - ١٧٢ .

كما وصفوا عيسى عليه السلام ، فلم الغلو إذن ، وخلق آدم أعجب وأبهر؟!

يقول الامام ابن كثير رحمه الله تفسيراً لقوله تعالى : (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) .

أى خلقه - يعنى عيسى - بالكلمة التى أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل وكانت تلك النفخه التى نفخها من جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم ، والجميع مخلوق لله عز وجل ، ولهذا قيل لعيسى أنه كلمة الله وروح منه ، لأنه لم يكن له أب تولد منه ، وإنما هو عن الكلمة التى قال بها - كن - فكان)- (١) .

ويزيد الخطاب العقدى أوجه الرد على زيف عقيدة النصارى منها الأصل التاريخى لهذه المقولة كما فى قوله تعالى : (قل يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) (٢) .

فدلت هذه الآية الكريمه أن نسبة الولد إلى الله سبحانه مقولة دخيلة على الديانتين السماويتين - اليهودية والنصرانية - نقلت من مقولات الأمم الضاله ، عمقها الغلو والافراط فى التقديس ، ويؤكد ذلك قوله سبحانه :

(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٠ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٧ .

قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تفسيراً لقوله تعالى : -(يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) أى من قبلهم من الأمم ضلوا كما ضل هؤلاء)- [2] كالأغريق والرومان واليهود والفراعنه وغيرهم من الذين كفروا فأصبحت العقيدة النصرانية خليطاً عجيباً من العقائد الوثنية الزائفة على أثر ذلك الاقتباس .

ومن وجوه الرد العقدى على عقيدة النصارى الزائفة ، بيان طبيعة خلق عيسى عليه السلام ، التى تخالف وصف الألوهيه إذ هو (بشر يأكل ويشرب ويقذف من جسمه بالفضلات الحيوانيه ، فكيف تنفى عنه صفته الانسانية ،أو يزعم له ما هو فوقها) [3] .

يقول تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقه ، كانا يأكلان الطعام ،انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) [4] فلا يعدو عن كونه عليه السلام عبداً انعم الله عليه بالرسالة وفضله بها إن شاء أهلكه هو ومن فى الأرض جميعاً كما قال سبحانه وتعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) [5] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٨ .

(٣) عقيدة المسلم ص ٥١ تأليف الشيخ محمد الغزالى .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٧٥ .

(٥) سورة المائدة آية رقم ١٧ .

يقول العلامة أبو السعود رحمه الله :

(ان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ، ظهر بالنسبة الى المسيح على أبلغ وجه وأكده ، فيظهر استحالة ألوهيته قطعاً ، وتعميم إرادة الإهلاك للكل مع حصول ماذكر من التحقق بقصرها على المسيح عليه السلام - لتهويل الخطب ، وإظهار كمال العجز ، ببيان أن الكل تحت قهره تعالى وملكوته ، لا يقدر أحد على دفع ما أريد به فضلاً عن دفع ما أريد بغيره ، وللإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك ، كما أنه أسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاقه الألوهية)(١) .

فذوو الألباب يدركون ماهية خلق الانسان وما يليق بضعفه وعجزه، ولا يمكن أن تسمو مواهبه الى مقام الألوهية ، ودون ذلك المحال المطلق .

لكن النصارى أبوا الا اللجاج في العناد والامعان في الضلال وقد أشار خطاب العقيد ، إلى حقيقة تدركها طوائف النصارى ومذاهبهم وفرقهم المتعددة ، تكفي في اسقاط ألوهية عيسى عليه السلام من أصلها ، وتلك هي اختلافهم المرير ، وتناقضهم العجيب ، وصراعهم الطويل في حقيقة عيسى عليه السلام .

يقول تعالى : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً)(٢) .

---

(١) تفسير ابي السعود ٢ / ٢٩ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٥٧ .

والشاهد من الآية الكريمة قوله سبحانه : (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) حيث أخبر سبحانه بتخبط النصارى فى شأن عيسى عليه السلام ، وشكهم المريب فيه ، فعقيدتهم مختلفة مبنيه على الشك ، فمن قائل -(هل الأبن مساو للأب ؟ وهل هو ذو طبيعة واحده أو ذو طبيعتين الهيه ، وهل هو اله أو انسان مفضل على سائر البشر ؟ وهل يصدر الروح القدس من الأب وحده أو من الأب والأبن معاً ؟ وهل المسيح هو الكلمة أو هو الابن فقط أو أن الكلمة والابن مترادفان ، وان الكلمة هى الأب والاله)-[1].

وانعقدت مجامع عديدة للبت فى هذه القضية ، انفضت جميعها على أختلاف أكثر وعدّ الامام ابن القيم رحمه الله فى كتابه " هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى عشرة مجامع وقال رحمه الله : -(وكل منهم يكفر صاحبه فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم الهاً ثم عرض عليهم دين النصرانيه هكذا لتوقفوا عن قبوله)-[2] واذا وصل الشك والاختلاف فى أساس العقيدة النصرانيه الى هذا الحد ، فإن سائر الدين النصرانى أشد اختلافاً والتباساً .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : -(قالت طائفة من العقلاء ان عامة مقالات الناس يمكن تصورها الا مقالة النصارى ، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصورا ماقالوا بل تكلموا بجهل وجمعوا فى كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا ، وقال آخر : لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً

---

(١) كتاب (الله جل جلاله) للعقاد ص ١٧٣ .
وانظر : هداية الحيارى لابن القيم ص ٣٤٧ .
(٢) هدايه الحيارى ص ٣٤٧ .

وأمراته قولا آخر وابنه قولا ثالثاً)) (١) .

ولكن الله تعالى وعد ووعده الحق ، بإيقاف أهل الكتاب جميعاً على حقيقة عيسى عليه السلام قبل موتهم كما قال تعالى : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) (٢) .

قال الامام القرطبي رحمه الله :

((انه ليس أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام إذا عاين الملك ، ولكنه ايمان لا ينفع ، لأنه ايمان عند اليأس وحين التلبس بحالة الموت ، فاليهودي يقر في ذلك الوقت بإنه رسول الله والنصراني يقر بأنه كان رسول الله)) (٣) .

وهكذا تبين بجلاء أن خطاب العقيدة الصحيحه ، قد أبان العقيدة النصرانية وناقشها بإستقراء وكشف زيفها ، ورد الحق في نصابه وأشار بالأدلة القاطعة إلى منهج الإعتقاد الصحيح .

المطلب الثالث : الرد على مقالة لمشركي العرب القائلين بإن الملائكة بنات الله .

يعتقد المشركون أن لله سبحانه وتعالى " بنات ، هي الملائكة " تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، ومن ثم عبدوا الملائكة لانهم في زعمهم الباطل بنات الله وجعلوا للجنة نسباً مع الله وذكر الله سبحانه وتعالى مقالتهم تلك فقال (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون

---

(١) الجواب الصحيح ٢/١٥٥ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١٥٩ .
(٣) الجامع لاحكام القرآن ٦/١٠ - ١١ .

ألا إنهم من إفكهم ليقولون ، ولد الله وإنهم لكاذبون ، أصطفى البنات على البنين ، مالكم كيف تحكمون ،أفلا تذكرون ، أم لكم سلطان مبين ، فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ،وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون ، سبحان الله عما يصفون ، إلا عباد الله المخلصين)(١).

وقال تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) (٢) .

فورد خطاب العقيد ، الصحيحه محاصراً للمشركين ناسفاً لعقيدتهم مستشهداً على ذلك بأقوالهم ،وكاشفاً عن جهلهم وضلالتهم، فإن نسبة الولد لله سبحانه تستوجب إيراد دليل قطعي الدلالة والثبوت،إما بدلالة العلم المعصوم أو بدليل المشاهد ، الحسيه ،والمشركون يفتقرون تماماً لأى دليل مقبول عند العقلاء فضلاً عن المؤمنين ،فثبت بذلك كذبهم وافتراءهم وظنهم السيء بربهم عز وجل يقول تعالى : (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) (٣) وهذا استفهام إنكارى يتضمن توبيخهم بالعقل الصرف مع مافيه من الاستهزاء والإشعار بأنهم لفرط جهلهم بثبوته كأنهم قد شاهدوا خلقهم وأما الخبر فمفقود لأن الخبر إنما يفيد العلم إذا علم وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون (٤) .

---

(١) سورة الصافات آية رقم ١٤٩ - ١٦٠ .

(٢) سورة النحل آية رقم ٥٧ .

(٣) سورة الصافات آية رقم ١٥٠ .

(٤) تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ٣/ ٣٩٥ .

(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) (١) .

وتضمن هذا الخطاب العقدى مطالبة المشركين بالجواب المقنع لسؤال هام يتعلق بقولهم الملائكة بنات ، هل ذلك عن مشاهدة ؟ أو علم مكتوب ؟ ، وإن الله تعالى لسائلهم عما يقولون ، ومجازيهم بذلك كما تقدم فى الآية الكريمة وجملة القول أنهم لا يستطيعون اثبات مايدعون كماقال تعالى : (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) (٢) .

ومن تناقضهم العجيب أن يستنكفوا من محبة الأنثى وولادتها ، ويعتبروها مخلوقاً غير مرغوب فيه ، وفى مقابل هذا الاعتبار ، يسمون الملائكة إناثاً ويعبدونهم من دون الله عز وجل .

قال تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) (٣) .

يقول الامام ابن كثير رحمه الله :

(أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً وجعلوها بنات الله فعبدوهم فأخطأوا خطأ كبيراً فى كل مقام من هذه المقامات الثلاثة فنسبوا اليه تعالى أن له ولداً ولا ولد له ثم أعطوه أخس

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ١٩ .
(٢) سورة الصافات آية رقم ١٥٦ - ١٥٧ .
(٣) سورة النحل آية رقم ٥٧ - ٥٩ .

القسمين من الأولاد وهو البنات،وهم لا يرضونها لأنفسهم فإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً كئيباً من شدة ما هو فيه من الحزن يكره أن يراه الناس من سوء ما بشر به وأن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتنى بها ويفضل أولاده الذكور عليها أو يدفنها حية في التراب ، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله) (١) .

ولا ريب أن هذا الاختيار المشين ،يدل على ظلم المشركين وتفريطهم في جنب الله ،وخلو قلوبهم من تعظيم الله ومهابته ،وجاء الخطاب العقدي بتبكيتهم وتكذيبهم ووصمهم بالجور والاعتداء .

قال تعالى : (ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذاً قسمة ضيزى) (٢) .

فتلخص لنا مما تقدم أن المشركين لا يعتمدون على برهان ولا يستندون في دعواهم -تسمية الملائكة إناثاً - على يقين ،وواقعهم الاجتماعي وتقاليدهم تتنافى مع اعتقادهم في عبادة الإناث ، ولا أشك أبداً في تعمدهم تشويه الذات الإلهيه عن قصد وإصرار ، ورثة الأحفاد عن الأجداد بغباء واستكبار .

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :-(زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وابليس أخوان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)- (٣) ولا يصدر هذا القول إلا ممن امتلأ قلبه استخفافاً بمقام الربوبيه والألوهيه ، فلم يأبه

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧٣ بأختصار .

(٢) سورة النجم آية رقم ٢١ - ٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٣ .

بنسبة النقائص والعيوب لمولاه ، ولا يليق ذلك إلا بالمشرك الذى انحط تفكيره وتدنست نفسه بالقاذورات ، ومسخت شخصيته واستحالت إلى شيطان في إهاب إنسان .

وهكذا يكشف خطاب العقيده الصحيحه للعميان المشركين وهم عكاف على الأصنام ، يتمسحون بأذيالها ، قد ذهبت بهم أخيلتهم المريضه في أغراق مطبق في لجج الضلالة والخذلان .

* * * *
* * *
* *
*

* المبحث الثانـــى *

" أثر العقيدة الصحيحه فى كشف زيـــــف "

عقيـــدة الكافريـــن

الكفر قرين التكذيب والاستكبار، وأتسمت مناقشة العقيدة الصحيحـــــة للكافرين بالحجة الواضحة ،والبرهان الساطع والدليل المقنع ، ولما كان هذا منهجها تهافتت حجج الكافرين ، وتجلى عنادهم ومكابرتهم ،وبـــــدت شخصياتهم بقسوتها المعهوده ، فهم وإن كانوا فى الغالب حذاقاً فى أمـــور دنياهم ، الا أنهم فى أمر أخرتهم غافلون بالكليـــة بسبب استحواذ الدنيا على تفكيرهم وعواطفهم ،ويقينهم وإيمانهم بقيمتهـــــا ومكانتها،أما الآخره فعلـــى النقيض من ذلك تماماً فليس لها عندهم أى رصيد من تفكير ، أو نصيب مـــن اهتمام سوى الصد عنها ومحاربتها وخاصة عند الشعور بتهديد مصالحهـــــم وتراثهم وتقاليدهم .

يقول تعالى عنهم : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون) (١) .

قال الامام الرازى رحمه الله تفسيراً للآية الكريمة :

-(يعنى علمهم منحصر فى الدنيا وأيضاً لا يعلمون الدنيا كما هى وإنمـــا يعلمون ظاهرها وهى ملاذها وملاعبها ، ولا يعلمون باطنها وهى مضارهـــــا ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر ، ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هـــم

---

(١) سورة الروم آية رقم ٧ .

غافلون) والمعنى هم عن الآخرة غافلون ، وذكرت(هم)الثانيه لتفيد أن الغفلة منهم وإلا فأسباب التذكر حاصلة وهذا كما يقول القائل لغيره غفلت عن أمرى ، فإذا قال هو شغلنى فلان فيقول : ما شغلك ولكن أنت اشتغلت)ـ (١) ومن أجل تبرير ما هم عليه من منهج معوج ، وغفلة مطبقة ، لم يجدوا بدأ من إلقاء القول الجزاف ، والتهم الباطله والكذب المتعمد ، والدعاوى العريضة ، وأورد فى هذا المبحث إن شاء الله فريتين عظيمتين من صلب عقيدة الكافرين ، أكر عليهما بالرد والتفنيد من خلال خطاب العقيده الصحيحه وهما :

المطلب الأول : رد تهم الكفار تجاه الرسل والأنبياء . وأورد في ذلك فريتين مشهورتين

تعمد الكفار الصاق التهم برسل الله وانبيائه عليهم الصلاة والسلام ورميهم بالكذب ، سعياً وراء نسف ماجاؤا به من رسالات،لأن الطعن المباشر فى الرسول يكفى فى زعمهم لإنكار ماجاء به ، وكانت تلك سنة الكافرين عبر التاريخ كما قال تعالى : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرأومجنون) (٢) .

وما من رسول من رسل الله إلا كانت له شيع الكافرين من أمته شتى أنواع السباب والشتائم ، للتأثير على الرأى العام الذى يضم الرعاع والدهماء أتباع كل ناعق ، وكانت لتلك الحملات المسعوره صدى بالغ فى أذهان أولئك وغيرهم ، وفيما يلى استعراض مجمل لبعض ماوجه لرسل الله عليهم الصلاة والسلام من كذب وأباطيل ، يتضح بها عسف الكافرين وعنادهم واستكبارهم ، يقول تعالى حكاية عن

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٥ / ٩٨ .

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٢ .

قوم نوح عليه السلام : (ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) (١) وقال تعالى حكاية عنهم : (إنا لنراك فى ضلال مبين) (٢) وهذا أول رسول قوبل بهذا العناد والأفتراء .

ثم توالت أجيال الكافرين تترى على الوتيرة ذاتها كما قال تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ماجاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لايؤمنون) (٣) .

ومن أمثلة ذلك ما قوبل به نبى الله هود عليه السلام من قومه بالسخرية ورمى بالكذب يقول تعالى مخبراً وحاكياً ما يقولون : (كذبت ثمود ، بالنذر ، فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفى ضلال وسعر ، أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) (٤) .

وقال تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام : (قالوا إنما انت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) (٥) .

وظهر من الآيات الكريمة تمادى الكافرين فى الطعن والمبالغة فى التجريح بحيث وصفوا شعيباً عليه السلام بالسحر الطافح، وعطفوا بالجزم المؤكد ،أنه غير صالح للرسالة لكونه كاذباً فى زعمهم الباطل ، وتعنتوا فى الضلال وطالبوه بإنزال

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٢٥ .
(٢) سورة الأعراف آية رقم ٦٠ .
(٣) سورة المؤمنون آية رقم ٤٤ .
(٤) سورة القمر آية رقم ٢٣ - ٢٥ .
(٥) سورة الشعراء آية رقم ١٨٥ - ١٨٧ .

العذاب تعجيزاً .

أما موسى عليه الصلاة والسلام فكان له شأن مع فرعون الذى حمله بطر الملك ونزواته على التكذيب والاستكبار يقول تعالى حكاية عنه : (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ، فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكه مقترنين ، فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين) (١) .

وتتضح من الآيات الكريمة معالم شخصية فرعون الطاغيه وتفكيره المادى الصرف ، ولغته المتعاليه ، وغروره الجلى حيث جعل المقياس المادى دليلاً على أفضليته وتقدمه على موسى عليه السلام (محتجاً على جهله قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقاً فيما يأتي به من الآيات والعبر ولم يكن ذلك سحراً ، لأكسب نفسه من الملك والنعم مثل الذى هو فيه ، جهلاً بالله واغترارا منه باملائه اياه)(٢) .

ولما كانت ملة الكفر واحده ، وإن اختلفت وسائل الكفر وأساليبه فقد وجه لخاتم المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه مختلف الشتائم والألقاب وأنواع الشتائم من أعداء الله ورسوله الذى قض مضاجعهم وهدد عروشهم ، وزلزل أقدامهم ، نور الحق فسعى كفرة قريش ومن شايعهم من كفرة اليهود والنصارى الى بث الأراجيف والصاق التهم ، واطلاق الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مناسبة وبكل وسيلة ، وإذا كان كل رسول خصه قومه بالسباب دون غيرهم ،

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٥١ - ٥٤ .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٥ - ٨١ " بشيء من التصرف " .

فقد اجتمع فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر الكافرين ، ومن هنا نفهم ضخامة المشقه والشدة والعنت الذى واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الترهات التى أطلقها الكافرون ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحكاه الله سبحانه وتعالى بقوله : (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) (١) .

وقال تعالى حكاية عنهم (وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (٢) فقد أنكر الكفرة أن يكون الرسول بشراً يعتريه ما يعترى البشر ، وتجرى عليه سنن الانسانية ، ونفوا رسالته ونبوته ورموه بالسحر والكذب ، لئلا يؤمن به ويتبعه أحد يذكر .

ونخلص مما تقدم أن مطاعن الكافرين لا تخرج عما يلى :

١ - التكذيب المباشر .

٢ - التشكيك والتلبيس والاتهام .

٣ - التحدى .

وكلها مقولات عارية من البرهان ، مبنية على الظن الكاذب والتعنت الظاهر ، والمكابره العمياء ولبيان تهافت تلك المقولات ، أورد بيان خطاب العقيدة الصحيحه فى كشف زيف تلك الأباطيل ، فقولهم أن الأنبياء والرسل كاذبون فيما دعوا إليه ، فذلك مردود من أصله لان الأدلة القاطعه والبراهين الساطعة ،

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٧ - ٨ .

(٢) سورة الحجر آية رقم ٦ .

والمعجزات الباهره كانت بين يدى كل رسول مصداقاً لرسالته ودليلاً على نبوتـــه ، وقد أيد الله سبحانه كل رسول بمعجزه تبـز وتربو على كل مظاهر الأعجـــاز والعظمة فى زمانه ، والكذاب لا يعطى شيئاً من هذا البته ، ومن أمثال تلـــك المعجزات البينات ما أجراه الله تبارك وتعالى على يدى موسى عليه السلام مـــن الآيات العظام كما فى قوله تعالى : (فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونـــزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) ، وقد سلم كبار السحره بعجزهم عن تحـــدى موسى عليه السلام ، وإن ما رأوه ليس بسحر فى ورد ولا صدر ، ومن عجيب صنـع الكافرين تناقضهم فى تكذيب الرسل ، فكلهم يعلمون أن الرسل عليهم الســـلام قبل الرسالة ، من أكمل الناس خلقاً وأصدقهم لهجة ، اشتهروا بتلك الخـــلال الحميده بين أقوامهم وبعد التكليف بالرسالة قلبوا لهم ظهر المجن ، ومن اعترافاتهم ما ذكره سبحانه فى قصة شعيب عليه السلام بقوله :

(قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبـــد أباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب) (١) .

ولقبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمين ، وقد كان هرقل عظيم الروم على علم بهذه الحقيقه من تاريخ دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما فـــى محاورته مع أبى سفيان رضى الله عنه إذ قال هرقل : قل له : سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكـــن

---

(١) سورة هود آية رقم ٦٢ .

ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله) (١) .

ولا يسع المقام استعراض معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام فان سيرتهم الطاهره تبرئ ساحتهم من أى لون من الوان الكذب ، فضلاً عما جاءوا به من نهي وتحريم وتحذير للكذب بكل أشكاله وألوانه ، وهم سادة المؤمنين الصادقين ، واعرف الناس بالله ، فلا يتصور منهم انتحال أي شخصية ازدواجيه ، يترفع عن تقمصها آحاد المؤمنين فضلاً سادتهم .

وتسنم الكفار إلى وصم الرسل بالتكذيب بعلة أنهم بشر ، والبشر لا يكون منهم رسل وتلك مقدمة ونتيجة فاسدتان ، فإن لازم البلاغ يتطلب إقامة الحجة على الوجه الكامل ، وتسهيل مهمة المبلغ والمتلقى عنه ، ولو كان ملكاً لتعذر ذلك بالجملة ، الا يكون بشراً من جنس المخاطبين كما قال تعالى : (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) (٢) فلا محل بعد ذلك للتعجب والدهشة اذ لو كان ملكاً فى صورة بشر لحق لهم التعجب يقول تعالى :

(أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) (٣) .

قال الإمام القرطبى رحمه الله تفسيراً لهذه الآية الكريمه :

(أى على رجل من جنسكم ، ولو كان ملكاً فربما كان فى اختلاف الجنس تنافر الطبع) (٤) فتبين أن عقيدة الكافرين لا تعتمد على شئ فى تكذيب الرسل

---

(١) رواه البخارى كتاب الوحى ١ / ٥ - ٨ عن ابن عباس رضى الله عنه .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩ .
(٣) سورة الأعراف آية رقم ٦٣ .
(٤) الجامع لاحكام القرآن ٧ / ٢٣٥ .

عليهم السلام ، وانما حاديها الكفر ومرديها ظلمته .

أما قولهم بإن الرسل سحرة وكهنـــه ، فقول ساقط متهافت يناقض بعضه بعضا ، نابع من خبث طويتهم وبذاءة ألسنتهم، فالحقيقة أن السحر إنحـــراف ظاهر وباطـــن يشذ بالشخصية عن مسارها ويفقد العقليه الإنسانيه اتزانهـــا ، فمثل هذا المزيج المشوش الدنس، لا يصلح بأى حال من الأحوال مشكاة تتفـق من أغطافها أنوار الحكمة والبيان ، وساحة السحر شاهدة على أصحابها بخبـــث طويتـــهم وسوء أخلاقهم وانحراف أمزجتهم ، وتتصف ألفاظ السحرة بالركاكـة والتقعر والغموض والسماجة المضحكة .

يقول الامام ابن الوزير رحمه الله :

(إن صاحب المعجز يفارق صاحب السحر والحيل فى الزى والهيئـــة والكلام والأفعال فى كافة الأحوال وأنوار العبادة تتلألأ فى وجه صاحب المعجزات وآثار الصلاح تلوح فى حياة أهل الخيرات المعجزات وآثار الصلاح تلوح فـــى حياة أهل الخيرات شيمتهـــم التحلم والأصطبار ، ودينهم الصفح والعفو والاستغفار والجود والسخاء والايثار والمصافاة مع المساكين والفقراء والحنـــو والحدب على الضعفاء ، والإعراض عن زخارف الدنيا واشباع الشهوات والأهواء وأما أصحاب السحر والحيل ، فرذائل التزوير لائحه فى وجوههم ، ومخايل الجهل واضحة فى جباههم ، فصارى همهم استمالة الأغنياء وإيثار مواطن الملـــوك والأمراء ، وغاية أمنيتهم نيل العزة والجاه فى الدنيا والظفر بما يوافق النفـــوس والهوى)- (١) فهذه الفوارق بين النبى الكريم والساحر الآثم تؤكد بـــراءة

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ١٠٦ - ١٠٨ .

المرسلين من سيما الساحرين وتؤكد أن مقام النبوة أجل وأعظم من أن يقـــارن بزبالة السحر والكهانه والشعوذه والدجل .

لقد أراد الكفار بذلك دفع معجزات المرسلين والخروج من دعوتهم بـأى وسيلة ، ولو بانكار الحقائق الكبرى ، فإن الطعن فى عقولهم والغمز فى توازنهم الشخصى مدعاة لتوهين دعوتهم وصرف وجوه الناس عنهم والحق أن الكفره كذابون آفاكون يلتمسون للرسل العيب .

كما قال تعالى : (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبـــاء ما كانوا به يستهزؤن)[1] فدعوى المشركين أن ما أتى به الرسل عليهم الصـــلاة والسلام سحر، مغالطة وتلبيس وكذب صريح ، فالقرآن الكريم مثلاً من أعظـــم المعجزات ، لا يظهر عليه شئ من علامات السحر والكهانة ، من التمويه والتلبيس فقد كان صلى الله عليه وسلم يتحداهم بالقرآن حالاً بعد حال ، مدة مـــن الزمان ، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، وكانوا فى نهاية الحرص على ابطال أمره ، معارضة للقرآن فلو قدروا على المعارضة لامتنع أن لا يأتوا بها لأن الفعل عنـد توافر الدواعى وارتفاع الصارف واجب الوقوع ، فلما لم يأتوا بها دلنا ذلك على أنـه فى نفسه معجزة ، وأنهم عرفوا حاله ، فكيف يجوز أن يقال أنه سحر والحال ماذكرناه ؟ وكل ذلك يدل على أنهم كانوا عالمين بصدقه إلا أنهم كانوا يموهون على ضعفائهم بمثل هذا القول وان كانوا فيه مكابرين)[2] .

وتعتبر إعترافاتهم الصريحة رد بليغ عليهم ، خاصة إذا صدرت من كبـــار الخبراء والمتخصصين ففى قصة موسى عليه السلام صرح السحره ببراءة موسى عليه السلام

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٥ .
(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٢ / ١٤٢ .

من السحر واتبعوه وآمنوا به كما فى قولـــه تعالى : (فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ، قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ، فتنازعوا أمرهم بينهم وأســـروا النجوى ، قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهمـــا ويذهبا بطريقتكم المثلى ، فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى ، قالوا يا موسى اما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس فى نفسه خيفة موســـى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعـــوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ، فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى) (١) .

قال فهذه شهادة ثابتة تدمغ تهم الكافرين ، وترد ها حسيرة خاسئـــة ، صادرة من أهل الإختصاص بالسحر العارفين بأحابيله وحيله ، فلو ثمة تشابه بين معجزه موسى عليه السلام والسحر لما أذعن سحرة فرعون ، ولرموه بأعظم مراتب السحر ، لكنهم تبرؤ من فرعون وآثروا البلاء على النعماء ، والشدة على الرخـــاء وقالوا آمنا برب هارون وموسى .

وفى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نجد أن أرباب الفصاحة والبيان قد أعملوا النظر فى القرآن ، وازدادوا قناعة بعظمته وبراءته من ركاكة السحرة ، وتقعرات ألفاظ الكهان ، لكن سطوة التقاليد وتقديس العادة ، أعمـــت بصائرهم عن اتباع الحق ، واستفز تهـــم على نكرانه .

---

(١) سورة طه آية رقم ٦٠ - ٧٠ .

روى ابن عباس رضى الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء الى رسول الله فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ،فأتاه فقال : يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ ليعطوكه فأنت أتيت محمداً لتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، قال : وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالشعر منى ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده منى ، ولا بأشعار الجن ،والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول لحلاوه ، وان عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وأنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته ، قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه : قال : فدعنى حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره فنزلت : ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً الآيات (١) .

فلما أخفق بنو الكفار في وصف الرسل الكرام بالسحر ، انتقلوا إلى أسلوب آخر يشير إلى إفلاسهم وتخبطهم الأهوج فقد اتهموا الرسل عليهم الصلاة والسلام بالجنون والخبل مع علمهم برجاحة عقولهم ،وشريف قدرهم ، ونباهة رأيهم ، وترقيهم ذرى المجد والشرف، ومن أقوالهم ما حكاه الله تعالى عنهم فى كتابه الكريم من مثل قوله تعالى : (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) (٢) .

---

(١) رواه الحاكم ٢ / ٥٠٦ - ٥٠٧ ، وقال صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى والبيهقى فى دلائل النبوه ١ / ٤٤٥ - ٤٤٧ والآيةمن سورة المدثر آية رقم ١١-١٣ .

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٢٥ .

وقال تعالى حكاية عن فرعون وهو بصدد تكذيب موسى عليه السلام : (قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) (١) .

ورمى الكفار من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون كما قال تعالى حكاية عنهم : (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الزكر انك لمجنون) (٢) .

وقد كانت هذه التهمه سببه مجردة ، وكذبه بلقاء ، وطعن ظاهر لا يستند إلى دليل ، فإن حال الرسل يشهد بكمالهم الخلقى ، فالمجنون قاصر فى نفسه ، لا يصلح لإصلاح أمة ولا رعاية أسره ، والرسل عليهم الصلاة والسلام قادة سادة هداه يقول تعالى : (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ، ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) (٣) .

فهذا الخطاب العقدى يكشف النوايا الحقيقيه وراء اتهام الكفار الرسل عليهم الصلاة والسلام بالجنون ، فقريش مثلا تعلم علم اليقين أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهناً ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ، ولم يوافق ما نشأوا عليه ، وسيط (٤) بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ، ولم يجدوا له مرداً ولا مدفعاً لأنه الحق الأبلج ، والصراط المستقيم) (٥) .

والجنون كما هو معلوم له دلائل ناطقه وشمايل نيره ، وأمارات بينه كالخبل

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢٧ .

(٢) سورة الحجر آية رقم ٦ .

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ٦٩ - ٧١ .

(٤) سيط بمعنى خلط .

انظر : اللسان ٧/ ٣٢٥ .

(٥) الكشاف ٣/ ٥ .

والمس والخفة والوسوسة الزائفة وما وراءها ولا يستطيع الكفار اثبات شيء من هـذا في جانب رسـل الله وانبياءه عليهم السلام ، وقد دعاهم المولى سبحانه إلى النظر والتفكر والبحث في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليأتوا بدليل يصدق ما يقولون ، يقول تعالى :

(أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين) (١) .

يقول الامام الرازي رحمه الله تفسيراً لهذه الآية :

(فالله تعالى بين في هذه الآية أنه ليس به نوع من أنواع الجنون ، وذلك لأنه عليه السلام كان يدعوا إلى الله ، ويقيم الدلائل القاطعة والبينات الباهره ، بألفاظ صحيحه ، بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والأخرون عن معارضتها وكان حسن الخلق ، طيب العشرة ، مرضي الطريقه تقي السيره ، مواظباً على أعمال حسنة صار بسببها قدوة للعقلاء والعالمين ، ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالجنون) (٢) .

وأكد الخطاب العقدي مطالبه الكفار آحاداً وجماعات أن يتفكروا في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله ، ويفتشوا وينقبوا في أمره ثم يقرروا ما أنتهوا اليه بتجرد واخلاص ، ففي ذلك كفاية المبتغي ونهاية النظر يقول تعالى :

(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) (٣) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٨٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٥/ ٨٠ .

(٣) سورة سبأ آية رقم ٤٦ .

يقول الامام الزمخشري رحمه الله :-(والمعنى أنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً ، "ثم تتفكروا " في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به أما الأثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينفي لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفه من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم ،والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الإجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الرويه ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الإعتساف ويثور حجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب ، وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلاً وأوزنهم حلماً وأثقفهم ذهناً وأصلبهم رأياً وأصدقهم قولا وأنزههم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به ، فكان مظنة لأن تظنوا به الخير (١) .

ومن المفيد هنا ايراد دليل ثبته الفحص ، وقام عليه البرهان يثبت براءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنون ، فقد قدم ضماد الأزدي وكان من أزد شنوءه وكان يرقي من الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون أن محمداً مجنون ، فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي ،قال

---

(١) الكشاف ٣/٢٦٣ - ٢٦٤ مختصراً ، والزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ولد في زمخشر سنة ٤٦٧هـ وفيات الأعيان ٥/١٦٨ - ١٧٤ .

فلقيه ، فقال يا محمد إني أرقى من هذه الريح وان الله يشفي على يدى من شاء فهل لك ، فقال رسول الله : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسترشده ، من يهد الله فلا مضل له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد : قال فقال أعد على كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال فقال : سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر (١) قال فقال : هات يداك أبايعك على الاسلام قال فبايعه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي (٢) فقد حصحص الحق واستبان ، وأدرك ضماد رضى الله بتجربته الطويلة بالسحر وأعراض الجنون ، أن ماسمعه وشاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم يباين ويضاد ما درج عليه وألفه ،ومن أجل ذلك أسلم وانقاد سهلاً طائعاً .

وأطلق الكفار العنان لغيهم ،وأرخوا زمام كذبهم وعنادهم،وطالبوا بإنزال العذاب استخفافاً وتهوراً وسفاهة منهم وجهلاً بعظمة الله سبحانه وتعالى وقد رتعومن أقوالهم يستدل على غلظة قلوبهم ، وشدة عنادهم .

يقول تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام :

(قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ، قال إنما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين) (٣) .

---

(١) رواه مسلم كتاب الجمعة ٢ / ٥٩٣ رقم ٨٦٨ وأحمد في المسند

(٢) ناعوس البحر أو قاموس البحر المراد به لجته أو قعره الاقصى .
انظر : حاشية صحيح مسلم ٢ / ٥٩٣ .

(٣) سورة هود آية رقم ٣٢ - ٣٣ .

ويتجلى من هذه الآية الكريمة أسلوب العناد والمكابرة الخارج عن ميزان العقل والحكمة إلى أسلوب الرفض واللجاجة والحمق ، فان عامة مسلك العقلاء يتسم بالأناة والتؤده والتثبت ، وهذا ما يفتقده الكفار كما دلت عليه أقوالهم ومن ذلك ما حكاه الله تعالى عن قوم هود عليه السلام بقوله : (قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد اباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين)[1] ورغم ابتعاد الأوطان وافتراق الزمان الا انهم اتفقوا على سقيم الرأى وعمى البصيره ، فما من نبى إلا أعطى من الآيات ما على مثله آمن البشر ، فكيف يسألون حتفهم ، وينشدون هلاكهم ؟ لكنها الغباوة والجهالة متى استحكمت حلقاتها أوردت بصاحبها المهالك كما هو شأن الكافر فى أمر دينه فانه غر جاهل أعمته الشهوات وسدت منافذ قلبه الشبهات .

يقول تعالى حكاية عن قوم لوط عليه السلام: (ولوطاً إذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فماكان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين)[2] فإن العقول السليمه والفطره الزكيه تستهجن وتشمئز من صنيعهم وارتكابهم المقيت الذى هتك العفه وخرق الحياء ، ومن أبلغ شفاعه هؤلاء القوم المنحرفين مقابلة النصح بالتهديد ، والوعظ بالإصرار واستعجال العذاب لا يحجزهم تقى ، ولا يردعهم نهى .

ومن بعدهم قوم شعيب عليه السلام الذى دعاهم ناصحاً ومذكراً بنعم الله

١- سورة الأعراف آية رقم ٧٠

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٢٨ - ٢٩ .

عليهم وما حل بما سبقهم من الأمم فكان جوابهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله :

(قالوا انما أنت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين ، فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) (١) .

لقد نسوا وتعافلوا نعم الله عليهم ، فأطغاهم البطر و غرهم الأمل ، ولم يعوا التاريخ ولم يدركوا المثلات والعبر، وكذبوا رسولهم وطلبوا العذاب المنتظر ، بألفاظ قاسيه وعبارات نابية تكشف عن خراب قلوبهم ورعونة أخلاقهم وقد كان كفار قريش على هذا النهج المعوج ،والبطر العاتي ،والتكذيب المستمر يقول تعالى :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ،وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) (٢) .

وتظهر الموافقة جلية بين الكفار عبر التاريخ في العقيدة وفي أنماط التفكير الأخرى تسيطر عليهم عاطفة مشتركة ويسودهم شعور متحد كما قال تعالى :

(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا) (٣) .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تفسيراً لهذه الآية الكريمة :

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٨٥ - ١٨٧ .
(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣١ - ٣٢ .
(٣) سورة الكهف آية رقم ٥٥ .

ـ(يخبر تعالى عن تمرد الكفرة فى قديم الزمان وحديثه ، وتكذيبهم بالحق المبين الظاهر مما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات وأنه ما صنعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذى وعدوا به عياناً كما قال اولئك لنبيهم : (فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) (١) .

وآخرون قالوا :

(أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) (٢) .

وقالت قريش :

(اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (٣) .

(وقالوا يا يها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) (٤) .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك)ـ (٥) .

وتستطيع بسهولة أن تستكشف خطاب العقيدة الصحيحه للرد على تلك المقولات الرعناء من وجوه :

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٨٧ .
(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٢٩ .
(٣) سورة الانفال آية رقم ٣٢ .
(٤) سورة الحجر آية رقم ٦ - ٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٩١ .

١ - أن التكذيب والاستكبار عن معرفة مهمة الرسول المبعوث إليهم، حملهم على المطالبة بالمحال على وجه الاستعجال فيما لا طاقة للنبي والرسول به والذي انحصرت رسالته في النذاره والبشاره كما قال تعالى : (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً)[1] وقال تعالى : (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[2] .

فليس من مهمة الرسل في شئ إنزال العذاب الكوني الشامل فذلك خروج عن وظيفتهم الدعويه ،لكنهم حذروا أممهم من مغبة استعجال العذاب كما قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون)[3] .

ففي ذلك كمال التسليم ، وعمق اليقين ورسوخ الفقه في الدين .

٢ - إن ما طلبه واقترحه الكافرون من العذاب في الدنيا حصل لهم عياناً ، وطالبوا من رسلهم رفعه مشروطاً بالايمان من قبلهم بعد ما ذاقوا مس العذاب وأحسوا بأسه وتجرعوا مرارته .

يقول تعالى عن طائفة منهم (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ، ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٩٣ .
(٢) سورة ابراهيم آية رقم ١١ .
(٣) سورة هود آية رقم ٣٣ - ٣٤ .

الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ، فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ،فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) (١) .

فذلك دين الكفره ، فلم تك تنفعهم الزواجر ، فقد صدئت قلوبهم بالموبقات وتلوثت بالضلال فأصبحت وكراً للباطل ومرسى لدعائم الفتن .

٣ - ان الله تعالى قد أيد الرسل بالمعجزات والبراهين حتى لا يقال أن أمر الرسل عليهم الصلاة والسلام قد استغلق والتبس على المخاطبين فهم بحاجة إلى إزالة الارتياب وإبانة اليقين مما حدا بالكفره الى اتخاذ العناد مركباً ، واللجاجه مسلكاً ،والتعجيز مراماً ومطلباً .

يقول تعالى : (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلاً ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) (٢) فقد وصفهم الله بالجهل لأنهم-(يجهلون أنه لا يجوز إقتراح الآيات بعد أن رأوا آية واحده)- (٣) ، والحق انهم رأوا آيات كثيره ، ودلائل بينه ، كافيه في حسم داء الشك والريبه ،وقطع دابر النفاق والشبهه ، لكنهم لا يستفيدون ولا ينتفعون بما يسمعون ويشاهدون كما قال تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين) (٤) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٣٣ - ١٣٦ .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ١١١ .
(٣) الجامع لاحكام القرآن ٦٧/٧ .
(٤) سورة الجاثية آية رقم ٢٥ .

المطلب الثانى : اثبات عقيدة البعث والرد على مخالفيها.

أجمع الكافرون باختلاف أجناسهم وألوانهم على إنكار عقيدة البعث والنشور كما قال تعالى :

(بل قالوا مثل ماقال الأولون ، قالوا أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون ، لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل ان هذا إلا أساطير الأولين)(١).

واعتمد الكفار على إنكار البعث على مايرونه من صيرورة العظام واستحالتها إلى رميم ، فاستدلوا بذلك على إنكار البعث كما قال تعالى :

(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم)(٢) وذلك ناتج من قصر نظرهم وسقم عقولهم وإيغالهم فى الماديه الصرفه ، التى أعمت بصائرهم ، وصرفتهم عن الحقائق البينه ، والدلائل الساطعه ، وقد تضمن الخطاب العقدى رداً مفحماً ، وإجابات مقنعه تسزم ألسن الكافرين ، وتكف عاديتهم ، وتفند هذه الغرية الحمقاء بما لا يستطيع العقل السوى إنكاره ، ومن ذلك الاستدلال ببيان الحكمة من خلق الإنسان وايجاده ، فإن حكمة الله البالغة تمنع (أن ينقض ما بنى إلا أن يكون ذلك لحكمه أتم من حكمة النقض)(٣) .

يقول تعالى رداً على حماقة الكافرين وجهلهم (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون)(٤) ، فإن الحياة الدنيا تحفل بشتى أنواع النشاط التى تتعدد مظاهره وأشكاله ومن هذا وذاك تظهر هنات الانسان وغشمه وظلمه ،

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٨١ - ٨٢ .
(٢) سورة يس آية رقم ٧٧ - ٧٨ .
(٣) استخراج الجدل من القرآن لعبد الرحمن بن نجم ص ٩٨ تحقيق زاهر عواض الالمعى .
(٤) سورة المؤمنون آية رقم ١١٥ .

فمن الانصاف وتمام الحكمة نصر المظلوم على الظالم ورد الحقوق ومكافأة المحسن ومعاقبة المسيء كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين[1]) ولا يتم إلا ببعث الأجساد ونفخ الأرواح فيها وإعادتها إلى سيرتها الأولى يقول تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى[2]) .

يقول الإمام الرازى رحمه الله تفسيراً لهذه الآية :

(أى مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخره .

وقال رحمه الله (وتقريره أن اعطاء القدرة والآله والعقل بدون التكليف والأمر والطاعه والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضياً بقبائح الأفعال ، وذلك لا يليق بحكمته ، فإذاً لابد من التكليف والتكليف لا يحسن ولا يليق بالكريم الرحيم إلا إذا كان هناك دار الثواب والبعث والقيامه)[3] .

والكافر فى بلاهه وشروده عن هذه الحقيقة ، يستنكف عن الإنصياع لنداء النقل والعقل ، لما للكفر من شؤم وبلاء على صاحبه يصيبه بلوثة عقلية وعصبية شاذة لسد منافذ الوجدان والتأمل ، يصاب على أثرها بجفاف فى عواطفه وشدة فى طبعه تستعصى على التقويم والاصلاح ، وتتجلى على قسمات وجهه ، وفلتات لسانه وهو يدعى إلى الإيمان .

ان من المحال أن يخلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون العجيب ويكرم الانسان فيه بالقوة العقليه والكلاميه وحسن المظهر ، ويسخر له ما فى السموات والأرض ، ويرسل اليه الرسل بالحجج البالغة ثم تنتهى حياته إلى عدم دون

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧ . (٢) سورة القيامة آية رقم ٣٦
(٣) تفسير الفخر الرازى حـ ٣٠ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

حساب ،فذلك أمر يرفضه العقل السليم ويضده جاء التنزيل يقول تعالى

(أم حسب الذين أجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) (١) .

والآيات الكريمه دالة على حتمية البعث ، وتندد بالكافرين الذين جار حكمهم ، وعميت بصيرتهم دون إدراك حقيقته البعث .

ومن وجوه الاستدلال على البعث النظر فى قدرة الله فى الخلق والتكوين سواء كان فى عالم الإنسان أو الحيوان أو الجماد ، فإن أطوار الخلق عامة شاهدة محسوسه تدل قطعاً على حتمية البعث وإمكانه ،وما ينفيه الكافرون من انكار البعث بألسنتهم تكذبه قلوبهم عند التحقيق كما قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) (٢) فأطوار خلق الانسان ناطقه على كمال قدرة الله عز وجل وأمره فالقادر على الخلق والتكوين قادر على الاعادة ، يقول تعالى مبيناً عجائب قدرته فى خلق الإنسان :

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً ءاخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (٣) .

يقول الإمام الزمخشرى رحمه الله :

(أى خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما أبعدها : حيث جعله حيواناً وكان

---

(١) سورة الجاثيه آية رقم ٢١ - ٢٢ .
(٢) سورة النمل اية رقم ١٤ .
(٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٢ - ١٤ .

جماداً ، وناطقاً وكان أبكم ، وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً ، وكان أكمه ، وأودع باطنه وظاهره ، بل كل عضو من أعضائه ، وكل جزء من أجزائه عجائب فطره وغرائب حكمه لا تدرك بوصف الواصف ، ولا تبلغ بشرح الشارح)- (١) .

وقال تعالى : (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)(٢) .

وقد جاء فى سبب نزول الآية عن ابن عباس رحمه الله عنهما أن العاص ابن وائل أخذ عظماً ففتته بيده ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيحيى الله هذا بعد ما أرم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((نعم ، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم))(٣) .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى :

(ويقول الانسان أءذا مامت لسوف أخرج حياً أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)(٤) .

قال الإمام الرازى رحمه الله :

-(قال بعض العلماء ، لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها إذ لا شك أن الاعادة ثانية أهون من الايجاد أولاً)-(٥) ، ولا ينحصر دليل البعث فى خلق الانسان ، بل يسرى إلى

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤ .
(٢) سورة يس آية رقم ٧٧ - ٧٩ .
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٤٢٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .
(٤) سورة مريم آية رقم ٦٦ .
(٥) تفسير الرازى ٢١ / ٢٤١ .

عالم الجماد والحيوان .

يقول تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) (١) .

والآيات الكريمه تدعو صراحة إلى لفت الانظار لمظاهر القدرة الالهيه ، حيث تبدو الأرض فى حال جدبها مقفرة جرداء ، هامدة لا حياة بها تعصف الريح فى أنحائها مثيرة الغبار والأتربة ، حتى إذا سقيت من ربها وابلاً منهمراً وصيباً ينساب هادراً ، دبت الحياة فى أنحائها فانبسطت الأرض مروجاً فيحاء ورياضاً خضراء ، واعشوشبت السهول والآكام من زهور وكلاء ، وأصبحت الأرض غير الأرض .

فهذا الحدث العظيم يستوجب النظر فيه بعمق ، والمقارنة بينه وبين حياة الانسان بصدق ، ليزداد المؤمن إيماناً ولا يرتاب الذين آوتوا العلم ، ولتنقشع غياهب الشبهه ويزول الشك ، ويستبين اليقين ويستوى المسلك ، وقد ذهل الكافرون عن هذه الآيات البينات رغم دلالتها القاطعه على البعث كما قال تعالى :

(وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٢) .

قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله تفسيراً لهذه الآية :

---

(١) سورة الحج آية رقم ٥ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٥٧ .

ـ(أى مثل هذا الإخراج لأنواع النبات من الأرض الميته باحيائها بالمـــاء (يخرج الموتى) من البشر وغيرهم ، فالقادر على هذا قادر على ذلك (لعلكم تذكرون) هذا الشبه فيزول استبعادكم للبعث الذى عبرتم عنه بقولكم (من يحيى العظام وهى رميم) (١) (وإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أنا لمبعثون)(٢) أءنا لمدينون) (٣) (ذلك رجع بعيد) (٤) ، وأمثال هذه الأقوال الدالة على أن انكاركم لا منشأ له إلا ما تحكمون به بادى الرأى من امتناع خروج الحى من الميت ، ذاهلين عن خروج النبات الحى من الأرض الميتة ، وعن عدم الفرق بين حياة النبات وحياة الحيـــوان ، فى خضوعهما لقدرة الرب الخالق لكل شئ فوجه الشبه فى الأمه ، هو اخـــراج الحى من الميت ، والحى فى عرفهم يمده بالثمار والتغذى ، كالنبات وبالحـــس والتحرك بالإراده والحيوان)ـ (٥) .

فاتضح وجه التلازم بين احياء الارض الموات واحياء الانسان بعد موتـــه فكانت آية محسوسة مشاهدة ، ويظهر هذا المعنى جلياً كما فى أواخر سورة يس ، حيث أن دلائل البعث منصبـــه فى تلك الآيات ، ويمكن تلخيص تلك المعانى فيما يلـــى :

١ - أن وجود الشئ من جديد بعد كونه وتحلله السابقين ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة ، لا سيما أن جمع المتفرق أسهل من ايجاده وابداعـــه

---

(١) سورة يس آية رقم ٧٨ .
(٢) سورة الصافات آية رقم ١٦ .
(٣) سورة الصافات آية رقم ٥٣ .
(٤) سورة ق آية رقم ٣ .
(٥) تفسير المنار ٨/ ٤٧٠ .

عن عدم وان كان لا يوجد بالنسبة لله شئ هو أسهل وشئ هو أصعب ، هـــذا دليل موجود فى قوله (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) .

٢ - ظهور الشئ من نقيضه كظهور النار من الشجر الأخضر ممكن وواقع تحـــت الحس وإذن يمكن أن تدب الحياة فى الجسد المتحلل الهامد مرة أخـــرى وذلك على أساس المبدأ الأكبر ، وهو أن الشئ يمكن أن يوجد من العـــدم المطلق بفعل المبدع الخالق ، وهذا الدليل العقلى موجود فى قوله تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) .

٣ - خلق الانسان أو إحياؤه بعد الموت أيسر من خلق العالم الأكبر بعـــد أن لم يكن وهذا الدليل موجود فى قوله تعالى :

(أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهـو الخلاق العليم) .

٤ - الخلق والفعل مطلقاً مهما عظم المخلوق لا يحتاج من جانب الله لا الـــى مادة ولا الى زمان خلافاً للفعل البشرى الذى لا يتم إلا فى زمان ويحتـــاج الى مادة تكون موضوع الفعل وهذا الدليل موجود فى قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (١) .

ومن الحقائق الكبرى على البعث ما أجراه الله سبحانه وتعالى على أيـــدى عباده الصالحين من احياء الموتى ما بين معجزة لنبى أو كرامة لولى ، ومن تلـــك

---

(١) رسائل الكندى ص ٥٧ - ٥٨ نقلاً من كتاب مناهج الجدل فى القرآن الكريم تأليف د . زاهر عواض الألمعى ص ٣١٩ .

المعجزات ما ورد عن عيسى عليه السلام من إحياء الموتى كما قال تعالى : (ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين)[1] .

فهذه معجزة نبى من أولى العزم شهد بها القرآن الكريم ، ويعرفها أهل الكتاب لا سيما النصارى ومن قبل سأل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى عياناً كما قال تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم)[2] .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بيان لهذه الآية إذ يقول : (أوثقهن فلما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزءا فذكروا أنه عمد الى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن إلى أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءا ، قيل أربعة أجبل وقيل سبعة ، قال ابن عباس وأخذ رؤوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر الى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعياً ليكون أبلغ له فى الرؤية التى سألها وجعل كل طائر يجىء

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٤٩ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠ .

ليأخذ بأباه، فإذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته)» (١) .

وأنبأنا الله تعالى فى كتابه الكريم عن موسى عليه السلام وما أجرى الله تعالى على يديه من احياء الرجل القتيل من بنى قومه بعد ما خفي قاتله، وتدافع بنو إسرائيل فى شأنه يقول تعالى : (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) (٢) .

وقد توافر عدد من حوادث احياء الموتى فى بنى اسرائيل، شمل الجماعات والأفراد ومن ذلك ما ورد فى شأن النقباء السبعين من بنى اسرائيل الذين آماتهم الله تعالى واحياهم كما قال تعالى : (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) (٣) .

وأحيا الله أمة كاملة من بنى اسرائيل بعد إماتتها كما فى قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) (٤) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : «كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتى أرضاً ليس بها موت فأماتهم الله تعالى فمر بهم نبى فدعا الله فاحياهم »» (٥) .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣١٥ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٢ - ٧٣ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٥ - ٥٦ .
(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٤٣ .
(٥) تفسير القرطبى ٣/ ٢٣٠ .

ومن الحوادث الفردية الثابتة في هذا الشأن قصة العبد الصالح الـــذى أخذته الدهشه والعجب من خراب دمار قرية مر عليها ووقف على أطلالها حزينـــاً فقال تعالى حكاية عنه : (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنـــى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثـــت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظـــر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له ، قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) (١) .

وعلى الشاكلة نفسها قصة أصحاب الكهف العجيبة التى سأل اليهود رســول الله عليه وسلم عنها كما ورد فى سبب نزولها (٢) .

وخبر القصة بكاملها نزل به القرآن كما فى قوله تعالى :

(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ آوى الفتية إلى الكهف) (٣) الى قوله تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا) (٤) .

فتلك دلائل مادية محسوسة صدرت من الوحى المعصوم لا ينكرها عاقل حصيف ، ولا يتجاهلها إلا أحمق الملكه . أما طالب الحقيقة فيطمئن قلبه ويزداد إيمانـــه ، وتعلو درجات يقينه ، بخلاف الكافر فلو شاهدها بأم عينيه لما ازداد بها إلا فسقاً وكفراً وعناداً .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩ .
(٢) الدر المنثور ٥/٣٥٧ - ٣٥٨ .
(٣) سورة الكهف آية رقم ٩ - ١٠ .
(٤) سورة الكهف آية رقم ٢٥ .

كما قال تعالى : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ماكانوا ليؤمنوا) (١) .

وقال تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (٢) .

ويكشف الخطاب العقدي بواعث إنكار الكفار لعقيدة البعث ويبين وضوح حججه وبراهينه كما تقدم ويشير إلى أسباب تكذيب الكافرين بأمور كثيرة منها :

١ - التقليد للآباء والأجداد ، حمل الكفار على التمسك بتقاليد آبائهم وتشبثهم بموروثاتهم ، فردوا الحقائق وأنكروها وجادلوا بالباطل ونصروه ودفعوا الحق ولجوا في الضلال ، يقول تعالى : (بل قالوا مثل ماقال الأولون ، قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (٣) .

٢ - الرغبة في الزيادة من الترف والشهوات ، فإن الإيمان باليوم الآخر يقمع الشهوات ويحسم داء الترف، ورغبة الكافر جامحة ، ونزواته وثابة ، مما جعله ينكر اليوم الآخر ليستزيد من شهواته .

يقول تعالى : (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، يسأل أيان يوم القيامة) (٤) .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعليقاً على الآية الكريمة : (مايجهل

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١١١ .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٢٨ .
(٣) سورة المؤمنون آية رقم ٨١ - ٨٣ .
(٤) سورة القيامة آية رقم ٥ - ٦ .

ابن آدم على أن الله يجمع عظامه ، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قدماً في معاصي الله لا يثنيه عنها شيء ولا يتوب عنها أبداً ويسوف التوبة)- (١) .

٣ - أثر المعاصي واقتراف الذنوب .

ليس من شك أن الايمان والهداية من الله تتحصل أسبابهما بفضل من الله ومنه ، والكفر بالله واقتراف الموبقات صارف عن باب الهداية وصاد عن سبيل الله ، لا تنفع مع صاحبه المواعظ، ولا تستميله الآيات كما قال تعالى : (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ،كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) (٢) .

وهكذا يحيط خطاب العقيدة ، حقيقة الكفر وأهله ، ويكشف زيف كفرهم ، وما تشبثوا به من تكذيب واستكبار .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٧٧ .

(٢) سورة المطففين آية رقم ١٣ .

* المبحث الثالث *

" فضح المنافقين وتجلية خبيئة نفوسهم "

تدل كلمة المنافق على الخفاء والمراوغه وصعوبة الكشف ،إذ هى مشتقة من " النافقاء " وهو جحر اليربوع الذى يتخذه سكناً وحصناً ضد الغوائل ، حيث يسد باب جحره ، ويسمى " القاصعاء " ثم يحفر له مخرجاً آخر ، حتى إذا بقي من التراب قشرة رقيقة تركها حتى لا يعرف مكان هذا المخرج ويسمى هذا " النافقاء" فإذا أتى من قبل القاصعاء ، عدا فضرب النافقاء برأسه وخرج منها هارباً ،وكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطن (١) .

والمناسبة بين المعنيين واضحة جليه ، فاليربوع قد صنع جحره ظاهراً مستوياً بخلاف باطنه ،ليتمكن من الهرب عند الخطر وشعوره بالتهديد ،والمنافق يظهر الإسلام والصلاح لينجو بنفسه ويحصن ماله ودمه،وفى باطنه تناقض صارخ ، وكذب صراح ، وصورة مغايرة للظاهر ، فاتفق المعنيان ، وتجلت المناسبة اللغوية .

ان مكمن الخطر فى النفاق خفاء أهله ووصعوبة اكتشافهم منهم وسط بين المسلمين ومن جلدتهم ويتكلمون بألسنتهم ، ويأخذون من العبادات كما يأخذون ، وقد ينتحل أحدهم الدعوه بالى الإصلاح ورفع الشعارات الرنانه ،ولم يعد من سبيل مضمون لكشفهم وسبر مكرهم وخداعهم ، سوى تسليط نور العقيدة الصحيحه وبرهانها لمحصارتهم وتجريدهم من سلاحهم الذى يتترسون وراءه ، وليس المقصود فى هذا المبحث استقراء صفاتهم ومخازيهم ،وانما بيان المعالم الرئيسيه التى

---

(١) انظر : معنى هذه الكلمة فى ترتيب القاموس حـ ٤ ص ٤١٩ والمصباح المنير حـ ٢ ص ٦١٨ - ولسان العرب حـ ١٠ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

أشار اليها الوحى المعصوم من موبقات النفاق ، التى لا تختلف ولا تتغير باختلاف الزمان والمكان ، يستطيع المسلم على ضوئها تمييز المنافق من غيره وفيما يلى أبرز تلك المعالم .

المطلب الأول : موالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين .

من المستحيل اجتماع الضدين والجمع بين النقيضين ، ويمزيد بيان فان محبة الله وحزبه لا تقترن فى قلب أمرئ بمحبة الشيطان وحزبه وبذلك نزل الوحى مؤكداً هذه الحقيقه يقول تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه)[1] فالآية الكريمة قاطعة بنفي الإيمان عمن يتودد ويتقرب بالوان المحاب والرغائب لمن حارب الله ورسوله ، فكيف بمن استحث السير وسارع الخطى فى محبتهم ،كما هوشأن المنافقين الذين تغلغل حب الكفر واهله فى قلوبهم كما قال تعالى :

(يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائره فعسى الله أن يأتى بالفتح أوامر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين)[2] .

قال الإمام القرطبى رحمه الله تفسيراً للآية الكريمة :

(أي من يعاضدهم وينا صرهم على المسلمين ، فحكمه كحكمهم فى الكفر

---

(١) سورة المجادلة آية رقم ٢٢ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥١ - ٥٢ .

والجزاء وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة)[1] .

ومن أجل ذلك استحق المنافقون الوعيد الشديد لتهالكهم فى محبة الكافرين ، يقول تعالى : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)[2] .

وهذا الجزاء من جنس العمل ، فإن من معانى كلمة التوحيد موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين يقول العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله :

(معنى " الإله " هو المألوه الذى تألهه القلوب وتحبه ، وقد دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه المعبود كما فى قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ،وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون)[3]) .

قال المفسرون : هى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده ، والمعنى ، جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية فى ذرية إبراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم ، بعضهم عن بعض وهى كلمة (لا إله إلا الله) فبين أن موالاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه ، هى معنى كلمة لا إله إلا الله)[4] .

ولما كان المنافقون قد تميزوا بمحبة وموالاة عموم الكافرين فى مقابلة كراهية ومحاربة جميع المؤمنين، صح اختصاصهم بهذه المثلية التى برهنت على إفلاسهم من

---

(١) تفسير القرطبى ٦/ ٢١٧ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) الزخرف آية رقم ٢٦ - ٢٨ .

(٤) الدرر السنيه ٢/ ١٤٣ .

الايمان ، ودخولهم حظيرة الكفر ومستنقعه الآسن ، وبذلك سهل اكتشافهم وفضحهم وقد كان لتلك الموالاة الآثمة مظاهر قام بها المنافقون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالانخراط فى خدمة الكافرين والتجسس لهم ، وكشف عورات المسلمين ونقل أسرارهم إلى أسيادهم الكفره كما فى قوله تعالى :

(يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) (١) .

لقد استغل المنافقون اسلامهم الظاهر، ليندسوا فى صفوف الجماعة المسلمه يومئذ، فيستقوا الأخبار من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويبلغوها إلى إخوانهم فى الكفر ، وتلك صورة قد تتكرر فى كل زمان ومكان ، يستطيع المؤمن بموجبها دمغ فاعلها بالنفاق .

يقول الإمام الرازى تعليقاً على الآية الكريمة : (والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فى الكفر بسبب احتيالهم فى استخراج وجوه الكيد والمكر فى حق المسلمين وفى مبالغتهم فى موالاة الكافرين فإنى ناصرك وكافيك شرهم ، يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد لمعنى وقع فيه سريعاً ، فكذلك مسارعتهم فى الكفره عبارة عن القائهم أنفسهم فيه على أسرع الوجوه حتى وجدوا فيه فرصه ، وقوله (من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) فيه تقديم وتأخير ،

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٤١ .

والتقدير : من الذين قالوا بافواههم آمنا ولم تؤمن قلوبهم ولا شك أن هؤلاء هم المنافقون)- (١) .

وتتجلى رابطة الموالاة بين المنافقين وسائر الكفره، في عقد الأحلاف ضد المؤمنين وتشديد العهود والمواثيق على ذلك كما قال تعالى :

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون) (٢) .

والآيات الكريمه نزلت في إجلاء بني النضير حين نقضوا العهد، وبيان أثر المنافقين في تسعير الفتنة وتقوية جانب اليهود واغرائهم بالمسلمين (٣) .

والآية الكريمة تكشف عن قوة الوشائج النفسية بين المنافقين واليهود وتصفهم بالأخوه ، برهاناً على مروق المنافقين من دين الاسلام وارتمائهم في وحل الكفر والفساد ،يقول تعالى موضحاً هذه الحقيقة :

(ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ماكانوا يعملون) (٤).

وكم عانى المسلمون في تاريخهم من هذه الولاية الآثمة بين المافقين وأعداء المسلمين ، فقد ضاعت أقاليم وسقطت دول وسفكت دماء بسبب خيانة المنافقين وترويجهم في خدمة الكافرين، ولا يتأخر المنافقون في اهتبال أي فرصة سانحة لضرب

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١١/٢٣٨ .
(٢) سورة الحشر آية رقم ١١ .
(٣) انظر : مغازي الواقدي ١/٣٦٨ - ٣٧٠ .
(٤) المجادلة آية رقم ١٤ - ١٥ .

الإسلام والمسلمين، خاصة حال انتفاش رأس النفاق، واستلاكه أسباب القوة أما في حال ضعفهم يلجئون إلى بث الأراجيف وحبك المؤمرات لزعزعة وحدة المسلمين وتحقيق أهداف الكافرين .

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض من تلك الأحابيل والمكائد ومن أبرزها بناء مسجد الضرار ارصاداً ومحاربة لله ورسوله كما قال تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (١) .

روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم آتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعوا لنا بالبركة فأنزل الله فيه (لا تقم فيه ابداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) إلى قوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) (٢) .

فهذه مؤامرة ومكيدة لضرب الإسلام باسم الإسلام ، وتلك سبل لا يفتأ المنافقون من استخدامها ، لتزويق منهجهم وخداع المسلمين برفع الشعارات الطنانه ، وإطلاق العبارات الرنانه، التي ظاهرها نصر الإسلام ، وباطنها هدمه وتدميره ، ولم تتستر الفرق الباطنيه وسائر النحل الباطله المنتسبة للإسلام الا وراء

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٧ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١١/٢٤ .

هذا الستار الكاذب وجملة القول أن ولاء المنافقين للكافرين دائم ومتصل تختلف مظاهره حسب اختلاف الزمان والمكان بين تصريح سافر، أو سرية مبطنة بالكذب والخداع .

المطلب الثاني : الرغبة عن تحكيم شرع الله .

من أهم صفات المنافقين الملازمة لهم في السر والعلانية رفض التحاكم الى شرع الله والرضا بمن هو دونه، وليس من شك أن من الفوارق الأصيلة بين المؤمن والمنافق، أن المؤمن مسارع لحكم الله، طيب النفس بقضائه لا يختلجه شك، ولا تنتابه الريب، والمنافق على النقيض من ذلك، وقد نبهنا الله سبحانه في كتابه عن هؤلاء المنافقين بقوله :

(ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا الا احساناً وتوفيقاً ، أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ، وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ، ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به، لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ، وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ، ولهديناهم

صراطاً مستقيماً) (١) .

فهذا الخطاب العقدى قد فصل وأبان بوضوح لا لبس فيه أنه لا يصح لإحد إسلام ولا إيمان مالم يرضى بتحكيم شرع الله راضياً بذلك مطمئناً وإنه لا يصد عن حكم الله ورسوله إلا منافق معلوم النفاق .

يقول الإمام الطبرى رحمه الله تفسيراً لقوله تعالى : (ألم تر إلى الذين الآية) يعنى بذلك جل ثناؤه : ألم تر يا محمد إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك من المنافقين ، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من أهل الكتاب ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ، يعنى بذلك : وإذا قيل لهم : تعالوا هلموا إلى حكم الله الذى أنزله فى كتابه ، وإلى الرسول ليحكم بيننا ، رأيت المنافقين يصدون عنك ، يعنى بذلك : يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم ، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم صدوداً) (٢) .

بيد أن المنافقين إذا لاح لهم بريق من أمل فى تحقيق مصلحة أو كان لهم الحق كانوا من أسرع الناس لحكم الشرع لا إيماناً ولا احتساباً وإنما طمعاً ورغبة فى تحقيق مكاسبهم ومصالحهم يقول تعالى :

(ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ، إنما كان قول

---

(١) سورة النساء آية رقم ٦٠ - ٦٨ .

(٢) تفسير الطبرى ٤ / ١٥٥ .

المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ، وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون) (١) .

يقول الإمام الرازى رحمه الله :

(بين سبحانه أنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وهذا ترك للرضا بحكم الرسول ، ونبه بقوله تعالى : (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) على أنهم إنما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم أو شكوا فأما إذا عرفوه لأنفسهم عدلوا عن الاعراض بل سارعوا إلى الحكم وأذعنوا ببذل الرضا وفى ذلك دلالة على انه ليس بهم اتباع الحق ، وإنما يريدون النفع المعجل ، وذلك ايضاً نفاق) (٢) .

كما دل الخطاب العقدى على الدوافع الحقيقيه وراء التولى عن حكم الله ورسوله، منها ما ذكر فى الآيات السالفة الذكر ومنها ما ورد فى نصوص أخرى، اذكر بعضاً منها، ليفهم المقصود إن شاء الله وهى :

أ - مرض الشك والريبة .

لا جرم أن قلب المنافق قد امتلأ شكاً وريبة، وأصبح خلواً من الإيمان ، وعشش الكفر فى رحابه ، وغلب عليه واستحكم ، وضرب بجرانه فى سويداءه ، فهو مريض معتل يستبيغ قبول الحق والانقياد له .

---

(١) سورة النور آية رقم ٤٧ - ٥٣ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٤ / ٢١ .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

« المرض نوعان : مرض القلوب ومرض الأبدان وهما مذكوران فى القرآن ومرض القلوب نوعان : مرض شبهه وشك ومرض شهوه وغى وكلاهما فى القرآن قال تعالى فى مرض الشبهه (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) وقال تعالى (ويقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وقال تعالى فى حق من دعى إلى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) فهذا مرض الشبهات والشكوك »(١) الذى جعل المنافقين ينفرون من تحكيم شريعة الله والدينونة لمولاهم ، فاستحكام هذا الداء العضال فى قلوبهم صارف قوى عن حياض الإيمان وموارده المعصومه ، قلب موازين الخير والعدل والإحسان ، إلى كراهية مطبقه وإدبار وجموح مستمر فى حياة المنافقين .

ب - كراهية الإسلام وبغضه .

ينظر المنافقون إلى الاسلام نظرة سخرية وازدراء واستخفاف فليس ثم تقديس فى قلوبهم لله عز وجل ، ولا تعظيم لكتابه ، ولا محبة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقد حكى الله تعالى أحوالهم وأقوالهم فى ذلك يقول تعالى مبيناً سخريتهم بكتابه (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض

---

(١) زاد المعاد ٤/٥ .

فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ، أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)(١) .

فبلاغات القرآن وإنذاره لا تؤثر فيهم البته ، ولا تحرك ساكناً فى نفوسهم نحو الخير لكونهم لا يلقون له بالاً ، ولا تخشع قلوبهم لسماعه، لا لكونهم لا يفهمون معناه ، بل هم عرب أقحاح لكن قلوبهم فى أكنة مما يدعوهم الله اليه كما قال تعالى :

(ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم)(٢) .

ومن أبلغ ما يدل على بغضهم للاسلام مخادعتهم لله واستخفافهم بعظمته وجبروته وكماله كما قال تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا)(٣) وإذا وصل الإستخفاف والسخرية إلى مقام الألوهيه ، فلا يتصور من مثل هذا الصنف قبول شرع الله أو تعظيمه ، وقد لقى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المنافقين صنوفاً من الأذى والسخريه تدل على كفرهم وخبث طويتهم ، كما قال تعالى : (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا إن الله

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٤ - ١٢٧ .
(٢) سورة محمد آية رقم ١٦ .
(٣) سورة النساء آية رقم ١٤٢ - ١٤٣ .

مخرج ما تحذرون ، ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وءايته ورسوله كنتم تستهزءون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) (١) .

يقول الامام الطبرى رحمه الله تفسيراً للآيات الكريمة : ـ(يقول تعالى ذكره يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ،لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين قالوا : لعل الله لا يخشى سرنا ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،قل لهم : استهزءوا ، متهدداً لهم متوعداً (إن الله مخرج ما تحذرون) ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ،ليقولن لك : إنما قلنا ذلك لعباً ،وكنا نخوض فى حديث لعباً وهزواً ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد أبالله وآياته كتابه ورسوله كنتم تستهزءون ! وقل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم (لا تعتذروا بالباطل ، فتقولوا كنا نخوض ونلعب (قد كفرتم) يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (بعد ايمانكم) يقول : بعد تصديقكم به ، وإقراركم به)ـ (٢) .

ومحال أن يتلقى أهل هذه النفوس الدنسه شرع الله بالرضا والقبول والغبطة والسرور ، وهم لشرع الله مبغضون ، وعن منهاجه ناكبون ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم قالون . وتلك علامات جلية ، وفضائح أبدية لا تنفك عن أهل النفاق .

---

(١) سورة التوبة الآية رقم ٦٤-٦٦ .

(٢) جامع البيان ١٠ / ١٧١ ومابعدها باختصار .

حـ - الولوغ فى الشهوات .

نفس المنافق كلفة بالشهوات ومولعة بها لا يردعها زاجر، ولا ينهيها وعيد ولا يقف بها الطمع عند حد ، مما أدى إلى انحراف المنافقين وانحطاطهم وتماديهم فى الباطل، والانهماك فى الشهوات البهيمية، ولا بد أن ينعكس ذلك على طباعهم وأنماط تفكيرهم ، فيصبح الهوى رائدهم ، والأمانى واللذائذ مقصدهم، وقد ذكر تعالى تلك الخاصيه عن المنافقين بقوله : (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) (١) .

هذا وصف للمنافقين الذين أعماهم الهوى ، فلا يبصرون الحق ولا يفهمون خطابه ، لأنهم يرونه ابتداً عائقاً وقامعاً لشهواتهم ، وصارفاً لهم دون تحقيق لذاتهم، ومن هنا ندرك أن رفض تحكيم شرع الله من جانب المنافقين يتسق مع منهجهم المعوج فى الحياة ، لعلمهم أن تحكيم الشريعة يحسم الشهوات ويقطع دابرها ، ومن ثم تزول الرذيلة ويعلو شأن الفضيلة ، وتكون القيادة والسيادة للمؤمنين وهذا ما لا يمكن أن يرتضيه المنافقون على الاطلاق .

ب الثالث : - اشاعة الفساد .

من لوازم النفاق وأهله السعى فى الأرض بالفساد . بكل أضافة وألوانه لكون المنافق ينزع إلى الباطل والشر وفق طبيعته الخبيثه ،

---

(١) سورة محمد آية رقم ١٦ .

فهو يضيق ذرعاً بالمصلحين ويندد بهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وليست لهم معايير مقدسة يقف عندها ، فكل ما أشبع تهمته وحقق رغائبه فهو المطلوب المرغوب ، ولو يهدم العقيدة وهتك الأعراض وسفك الدم الحرام وأكل أموال الناس بالباطل ، وتتفق مناهج المنافقين قديماً وحديثاً على هذه الغاية الدنيئة ، وإن اختلفت الوسائل حسب اختلاف الزمان والمكان ، ولا يجد المسلم أى عنت فى معرفة المنافقين على ضوء الخطاب العقدى الذى يكشف بكل وضوح شخصية المنافق من خلال سيرته الذاتيه وممارسته من خلال هذا المقياس.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز هذه الصفة متأصلة بأهل النفاق يقول تعالى :

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (١) .

فالمنافقون يمارسون الفساد منهجاً فى الحياة ، وينافحون دونه مدعين الأصلاح كذباً وزوراً ، مما يدل على إمعانهم فى الضلال وترديهم فى الشر ، حيث أصبح الفساد سجية فى طباعهم .

كما قال تعالى :

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١١ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٠٤ - ٢٠٦ .

يقول الامام الطبرى رحمه الله :

(وهذا نعت من الله تبارك وتعالى للمنافقين ، يقول جل ثناؤه : ومن الناس من يعجبك يا محمد ظاهر قوله وعلانيته ، ويستشهد الله على مافى قلبه ، وهو ألد الخصام ، جدل فى الباطل وإذا أدبر هذا المنافق عمل فى الأرض بما حرم الله عليه ، وحاول فيها معصية الله ، وقطع الطريق ، وإفساد السبيل على عباد الله ، وإذا قيل لهذا المنافق : اتق الله وخفه فى افسادك فى أرض الله وسعيك فيها بما حرم الله عليك من معاصيه ، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم ، استكبر ودخلته عزة وحمية بما حرم الله عليه وتمادى فى غيه وضلاله)- (١) .

ومن صور افساد هم المشين، تشجيع البغاء والدعاره وسط المجتمع المسلم كما قال تعالى فى شأن المنافقين :

(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراهن غفور رحيم) (٢) .

وهذه الآية الكريمة نزلت فى رأس المنافقين كما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال :- كان عبد الله بن أبى سلول يقول لجارية له أذهبى فابغينا شيئاً فانزل الله عز وجل (ولا تكرهو فتياتكم على البغاء إن اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فان الله بعد اكراهن غفور رحيم) -(٣) .

وتشير الآية الكريمه الى ارتكاب المنافقين لجريمتين بشعتين هما :

---

(١) الجامع البيان للطبرى ٢/٣١٢ وما بعدها باختصار .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب التفسير ٤/٢٣٢٠ رقم ٣٠٢٩ .

اكراه المحصنات على البغاء ، والثانية طلب متاع الحياة دون وازع من خلق أو دين ، وتلك هى العلة وراء نشر الفساد فى الأرض .

فتبين مما تقدم أن من شارات المنافقين وعلاماتهم نشر الفساد فى الأرض سعياً وراء جمع المال والعلو فى الأرض ، ومن كان هذا شأنه فقد أفلس فى ايمانه وتلوث فى عرضه وتنكب سبيل المؤمنين ، وانزوى فى زمرة المنافقين .

* * * *
* * *
* *
*

* المبحث الرابع *

"انقلاب الاعداء اولياء"

تبين من المباحث السابقة أثر الخطاب العقدى فى كشف أعداء الاسلام والرد عليهم ، وهزيمتهم بالحجة والبرهان ، وإزالة شبهة الباطل ودحضه ورفع الحق ونصره .

ولم يكن تأثير العقيدة الصحيحه منصباً على المقارعة والجدال ولكنها تستوعب كل ما من شأنه تحقيق السعادة لبنى الانسان فكان من معجزاتها الخاصة ، انقلاب اعدائها الالداء ، الذين بالغوا فى حربها الى أولياء مخلصين يبذلون النفس والنفيس من أجل نصرتها والثبات عليها ، فاعتنقوها منقادين طائعين عن رضا وقبول واقتناع دون قهر أو إذلال أو رغبة فى شهوة دنيوية أو تحقيق مكاسب وقتيه ، مما يدل قطعاً على ضرورة تقديم العقيدة الصحيحه كاملة كمطلب أساسى فى الدعوة إلى الله عز وجل .

واكتفى فى هذا الصدد بإيراد شاهدين على تأثير العقيدة الصحيحه فى خصومها الذين أصبحوا من أشد أنصارها واتباعها إخلاصاً وصدقاً .

المطلب الأول : سحرة فرعون .

كما ورد فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغيه ، الذى قابل الآيات المعجزات الدالة على صدق موسى عليه السلام بالعناد والتكبر ، ولم يكتفى بذلك ، بل نسب ما أجراه الله عز وجل على يد موسى عليه السلام بإنه سحر وكهانه ، واستطال وتجبر ، ودعا إلى المغالبه واستعان بكبار السحرة وخبراء الكهانه ، قال تعالى : (وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ، قال نعم

وانكم لمن المقربين)(١) .

فكان هذا الإغراء المادى دافعاً قوياً إلى محاربة النبى موسى عليه السلام زيادة على ما تكنه صدور السحرة من الكفر بالله وبرسوله بيد أن هذه الدوافع تلاشت أمام برهان العقيدة الصحيحة ، وانقلب السحرة العارفون بالسحر ، إلى مؤمنين موحدين ، لا يرهبهم وعيد فرعون ولا يثنيهم عن إيمانهم عذابه .

يقول تعالى عن أثر العقيدة الصحيحة فى نفوس السحرة بعد رؤية برهانها (قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ، قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم ، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وألقى السحرة ساجدين ، قالوا ءامنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، قال فرعون ءامنتم به قبل أن ءاذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ، لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ، قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ، وما تنقم منا إلا أن ءامنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين)(٢) .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله فى ظلال القرآن :

(ولقد أطمأن السحرة على الأجر ، وأشرأبت أعناقهم إلى القربى من فرعون واستعدوا للحلبة ثم ها هم يتوجهون إلى موسى - عليه السلام - بالتحدى ثم يكون من أمرهم ما قسم الله لهم من الخير الذى لم يكونوا يحتسبون ومن الأجر الذى لم يكونوا يتوقعون .

---

(١) سورة الاعراف آية رقم ١١٣ - ١١٤ .
(٢) سورة الأعراف آية رقم ١١٥ - ١٢٦ .

قالوا : يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا ويبدو التحدى واضحاً فى تخييرهم لموسى ، وتبدو كذلك ثقتهم بسحرهم وقدرتهم على الغلبه وفى الجانب الآخر تتجلى ثقة موسى - عليه السلام - واستهانته بالتحدى (قال ألقوا) فهذه الكلمة الواحده تبدو فيها قلة المبالاه ، وتلقى ظل الثقة الكامنة وراءها فى نفس موسى - وبينما نحن فى ظلال الاستتهانه وعدم المبالاه اذا بنا أمام مظهر السحر البارع ، الذى يرهب ويخيف : وحسبنا أن يقرر القرآن بانه سحر عظيم ، وحسبنا أن نعلم أنهم سحروا (أعين الناس وأثاروا الرهبة فى قلوبهم .

ولكن مفاجأة أخرى تطالع فرعون وملأه ، وتطالع السحرة الكهنة ، وتطالع جماهير فى الساحة الكبرى التى شهدت ذلك السحر العظيم ولكن المفاجأة لم تختم بعد ، والمشهد مايزال يحمل مفاجأة كبرى (وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) .

انها صوله الحق فى المشاعر ، ونور الحق فى المشاعر ، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقى الحق والنور واليقين ، ان السحره هم أعلم الناس بحقيقة فنهم ، والعالم فى فنه هو أكثر الناس استعدادا للتسليم بالحقيقة فيه حين تتكشف له ، ومن هنا تحول السحرة من التحدى السافر إلى التسليم المطلق ، الذى يجدون برهانه فى أنفسهم عن يقين)- (١) .

والمتفحص فى ثنايا هذه القصة يجد الإصرار العجيب والثبات القوى على الإيمان ، واستطابة العذاب من أجل العقيده وإيثار الموت فى ظلها .

---

(١) ظلال القرآن ٣/١٣٤٩ ومابعدها باختصار .

يقول تعالى حكاية عنهم في خطابهم لفرعـــون :

(قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنـــت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) (١) .

وقال تعالى : (قال أمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعيـــن قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ، انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنـــا أول المؤمنين) (٢) .

فالأجوبة الصادره من تلك النفوس المؤمنة تدل وتنبئ عن رسوخ الإيمان في قلوبهم ، وسريان برد اليقين في جوانحهم ، واغتياطهم بما خصهم اللـــه سبحانه به من علم ومعرفة بجلالته وعظمته .

يقول الإمام الرازى رحمه اللـــه :

(اعلم أنه تعالى لما حكى تهديد فرعون لأولئك حكى جوابهم عن ذلـك بما يدل على حصول اليقين التام والبصيره الكاملة لهم في أصول الدين ، فقالـوا (لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات) وذلك يدل على أن فرعون طلب منهـم الرجوع عن الإيمان والا فعل بهم ما أوعدهم فقالوا (لن نؤثرك) جواباً لمـا قاله وبينوا العلة وهى : ان الذى جاءهم ببينات وأدلة والذى يذكره فرعـــون يخص الدنيا ، ومنافع الدنيا ومضارها لا تعـارض منافع الآخره ومضارها أما قولـه

---

(١) سورة طه آية رقم ٧٢ - ٧٣ .

(٢) سورة الشعراء آية رقم ٤٩ - ٥١ .

(والذى فطرنا) ففيه وجهان :

الأول : أن التقدير لن نؤثرك يا فرعون على ماجاءنا من البينات وعلى الـــذى فطرنا أى وعلى طاعة الذى فطرنا وعلى عبادته .

الثاني : يجوز أن يكون خفضاً على القسم .

وأعلم أنهم لما علموا أنهم متى أصروا على الايمان فعل فرعون ما أوعدهم بـــه فقالوا (فاقض ما أنت قاض) لا على معنى أنهم أمروه بذلك ، لكن أظهروا أن ذلك الوعيد لا يزجرهم البتة عن ايمانهم وعما عرفوه من الحق علماً وعملاً ، ثم بينوا ما لأجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) والمعـــنى أن قضاءك وحكمك إنما يكون فى هذه الحياة الدنيا ، وهى كيف كانت فانية ، وإنما مطلبنا سعادة الأخرة وهى باقية)[1] .

وما حصل للسحره من علم وبصيره وايمان يعود بلاشك لتأثير خطاب العقيده الصحيحه الذى بلغهم اياه موسى عليه السلام ، مما دفعهم إلى المسارعه الـــى الدعوة الى الله سبحانه تكفيراً لذنوبهم ، وسعياً وراء هداية قومهم وتلك حـــال المؤمن الصادق الذى علم وعلم يقول تعالى حكاية عنهم (إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهـــم الدرجات العلى ، جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكـــى)[2] .

وهكذا يتغلغل تأثير العقيده الصحيحه فى أشد البيئات كفراً وعنـــاداً

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٢ / ٨٩ .

(٢) سورة طه آية رقم ٧٤ - ٧٦ .

ويجند من الأعداء أولياء يكونون حجة على أقوامهم ، ودعاة إلى سبيل الله .

المطلب الثاني : " إسلام عمر بن الخطاب " رضي الله عنه " .

لقد عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل إسلامه بعدائه الشديد للدعوة الإسلامية ، ومن أشد أهل مكة نكاية بالمسلمين حتى غدا يوماً متقلداً سيفه متوجهاً قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، وشاء الله تعالى بحكمته وكرمه أن يهدي عمر رضي الله عنه بسماع خطاب العقيدة الصحيحة ، فيسلم عن إيمان ويقين ، ويصبح عمر الفاروق الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، داعياً مجاهداً في سبيل الله ، تضرب به الأمثال في الزهد والعدل والشجاعة .

وفي سياق قصة إسلامه بيان للمراحل التي مر بها وهو يدلف إلى ساحة الإيمان من قراءته الصحيفة حتى إعلان إسلامه .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه واصفاً قصة إسلام عمر رضي الله عنه :

" خرج عمر متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهره فقال : أين تعمد يا عمر ، قال أريد أن أقتل محمداً ، قال وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهره وقد قتلت محمداً فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي كنت عليه ، قال : أفلا على العجب ياعمر إن أختك وختنك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه فمشى عمر ذامراً (١) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع حس عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة (٢) التي سمعتها عندكم ؟ قال : - وكانوا يقرؤن طه - فقالا : ما عدا

---

(١) ذامراً : متهدداً ، انظر : النهاية ٢ / ١٦٧ .

(٢) الهينمة : الصوت الخفي ، انظر : ترتيب القاموس ٤ / ٥٥٨ .

حديثاً تحدثناه بيننا ، قال فلعلكما قد صبوتما ، فقال له ختنه : ياعمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً فجاءت أخته فرفعته عن زوجها فنفحها (١) نفحة بيده فدمى وجهها . فقالت وهي غضبى : يا عمر بان كان الحق في غير دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ،فلما يئس عمر قال : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم ،فأقرأه - وكان عمر يقرأ الكتاب - فقالت اخته : إنك رجس (لا يمسه إلا المطهرون)(٢) فقم واغتسل أو توضأ - فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه) حتى انتهى إلى قوله تعالى : (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني وأقم الصلاة لذكري)(٣) فقال عمر : دلوني على محمد ، فلما سمع خباب قوله خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر فاني أرجو أن يكون دعوة رسول الله لك ليلة الخميس ((اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بابي جهل بن هشام)) ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، قال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم فهذا عمر فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً ، قال : والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف : فقال أما أنت منتهياً ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيره اللهم هذا عمر بن

---

(١) نفحها : ضربها ، انظر : النهاية ٥/ ٨٨ بتصرف .

(٢) سورة الواقعة آية رقم ٧٩ .

(٣) سورة طه آية رقم ١-١٤ .

الخطاب أعز الاسلام بعمر بن الخطاب ، فقال عمر أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله ، فاسلم وقال : أخرج يارسول الله ﴾ (١) .

وهكذا يتبين وقع تأثير خطاب العقيده الصحيحه كما فى سورة طه فى نفس عمر رضى الله عنه ، حيث أحدث تحولاً جذرياً عظيماً انتقل به إلى ساحة الإيمان منيباً صادقاً مخلصاً وباسلامه ظهر الإسلام وخرج المسلمون .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

﴿ كان إسلام عمر عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمه ، والله ما استطعنا أن نصلى عند البيت حتى أسلم عمر ﴾ (٢) .

وفى ذلك درس بليغ للدعاة إلى الله ، ومنهج دعوى قويم نحو استمالة المدعوين وهدايتهم إلى دين الله ، فإن من لم يتأثر بخطاب الصحيحه ويستسلم لبرهانهـا ، فما سواها من الأدلة والأساليب قاصر دونها .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٧ - ٢٨ .
وانظر : طبقات ابن سعد ٣/٢٦٧ - ٢٦٩ .
(٢) فتح البارى ٧/٣٨ .

* الفصل السـادس *

" أهمية الدعوه إلى العقيدة في العصور المختلفـة "

في هذا الفصل بيان موجز لبلوغ الدعوة إلى العقيدة الصحيحه المرتبة الكبرى ، والإهتمام الأول ، لدى الصفوه المختاره من الدعاه إلى الله عبر القرون ، وفي طليعتهم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، الذين شهد الله تعالى لهم بالحكمة والكمال ، ولا مراء أن كل جهد وعمل مثمر في الدعوه الى الله، تتجلى آثره للرسل عليهم الصلاة والسلام قصب السبق فيه ، فهم الهداة ، وعلى قدر الاقتداء بهم تنال الأمامة في الدين ، وقد قال الله تعالى لرسوله الخاتم الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده) (١) .

وأمرت الأمة المسلمة بالإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم التي اجتمعت فيه كمالات الانبياء والرسل عليه الصلاة والسلام ، يقول تعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٢) .

وقد سار على نهج رسول الله واتبع أثره أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ومن اتبعهم باحسان وانعقد إجماع الأمة على تقدم أفضلية الصحابة رضوان الله عليهم على من ماجاء بعدهم ويليهم في الفضل التابعون لهم بإحسان الذين سلكوا منهج الصحابة وتشبثوا به ولم يبغوا به بدلاً ، فكانوا خير خلف لخير سلف .

واختص الأئمة الأربعة رحمهم الله بمرتبة سامقه في العلم والدين بين عموم

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٩٠ .

(٢) سورة الاحزاب آية رقم ٢١ .

المسلمين جعلتهم في موضع القدوه والإهتداء ثم توارث علماء السلف من كل قرن مهمة رسالة الدعوة الحقه، حتى انتهت إلى شيخ الإسلام ابن تيميه رحمهم الله الذى رفع لواء العقيده الإسلاميه الصحيحه، ونافح دونها ونشرها وابتلى في سبيلها حتى توفاه الله .

وحمل الأمانه من بعده تلاميذه ، ومن أبرزهم الامام ابن القيم رحمه الله الذى لم يألو جهداً مستطاعاً إلا وبذله لنصره عقيدة التوحيد .

ثم توالت القرون برز بعدها إمام همام وداعيه عصامى جدد الله به الدين وقمع به البدع ، ورفع به لواء السنن وسرى تأثيره إلى أطراف الأرض، ذلكم هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

وقد حاولت في هذا الفصل أن أستشهد بسيرة هؤلاء الصفوة ابتداء برسل الله وختاماً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على أهمية الدعوة إلى العقيدة الصحيحه من خلال سيرتهم العمليه ، ولم يكن القصد هو الاحاطة والاستيعاب لمناهجهم وأصول دعوتهم فذلك جهد لا يحصره خطاب ولا يحصيه كتاب ، وإنما المقصود الإستدلال بنماذج موجزه من سيرتهم للدلالة على أهمية الدعوة إلى العقيدة الصحيحه ليكون ذلك حجة دامغة ، وبرهاناً ساطعاً على ضرورة إتباعهم والحذر من الرغبة عن منهجهم ويتضح ذلك في المباحث التاليه :

* المبحث الأول *

" في حياة الرسل عليهم الصلاة والسلام "

تقدم في الفصل الأول من هذا الباب بالأدلة القطعيه إتفاق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى عقيدة التوحيد الخالص .

يقول الامام الدهلوى رحمه الله :

" إن الانبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم ، وكبير هدفهم في كل زمان ، وفي كل بيئة هو تصحيح العقيدة في الله تعالى وتصحيح ما بين العبد وربه والدعوة إلى اخلاص الدين وإقرار العباده لله وحده ، وأنه النافع الضار المستحق للعباده والدعاء والالتجاء والنسك وحده ، وكانت حملتهم مركزه موجهه إلى الوثنية القائمه في عصورهم ، المثله بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام والصالحين والمقدسين من الأحياء والأموات ، اللذين كان أهل الجاهلية يعتقدون أن الله قد خلع عليهم لباس الشرف والتأله وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصه ، ويقبل شفاعتهم منهم بالاطلاق بمنزلة مالك الملك يبعث على كل قطر ملكاً ، ويغلب تدبير المملكة "(١) .

فهذا الأصل الأصيل لا يشك أى باحث أنه أخذ الاهتمام الأكبر والجهد الأوفر في حياتهم ، ونستطيع أن نستشف هذا المعنى بوضوح من أقوال الرسل ودعوتهم وفيما يلى نماذج من ذلك .

يقول تعالى حكاية من أول الرسل نوح عليه السلام لقومه :

---

(١) حجة الله البالغة ١/ ١٢٧ .

(لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)[1] .

ولم يكن دعوته عارضه عابره ألقاها على قومه ومضى على وجهه ، ولكنه استخدم جميع الوسائل والأساليب دون يأس كما قال تعالى حكاية عنه :

(قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، ثم إني دعوتهم جهاراً ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً)[2] .

واستمرت دعوته المباركة ألف سنة إلا خمسين عاماً قضى هذه القرون المديدة داعياً إلى التوحيد الخالص .

قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون)[3] .

ولم تكن خطوات نوح عليه السلام في دعوته نابعة من اجتهاده الشخصي وإنما يسدده الوحي ، فيمتثل بما أمر به وهذا دليل على أن تقديم العقيدة في الدعوة تكليف شرعي وأمر رباني ملزم لا محيد عنه .

وفي قصة هود يقول تعالى حكاية عنه :

(وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون)[4] .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٥٩ .
(٢) سورة نوح آية رقم ٥ - ٨ .
(٣) سورة العنكبوت آية رقم ١٤ .
(٤) سورة الأعراف آية رقم ٦٥ .

إنه لم يخالف من قبله من الرسل رغم تباعد الزمن ، فكانت دعوته عليه السلام موافقه لدعوة نوح عليه السلام بالنص ، وهذا توافق له مغزاه الهام .

ومن أجل ذلك فإن تكذيب قوم عاد لهود عليه السلام تكذيب بعموم المرسلين قال تعالى : (كذبت عاد المرسلين) (١) ، ومن الثابت المشهور أنه لم يرسل لعاد إلا هود عليه السلام ، فلم التعبير بصيغة الجمع ؟ .

ويجيب على هذا التساؤل الإمام القرطبى رحمه الله بقوله :

ـ (لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع المرسلين) ـ (٢) .

قلت : وتكرر هذا المعنى فى قوله تعالى فى سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسلين) (٣) وقوله : (كذبت عاد المرسلين) (٤) وقوله : (كذبت ثمود المرسلين) (٥) وقوله : (كذبت قوم لوط المرسلين) (٦) .

وفى قصة صالح مع قومه يقول تعالى عنه :

(وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (٧) ، ولا نجد فى دعوة صالح عليه السلام أى خلاف مع من مضى قبله من الرسل فى هذا

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٢٣ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١٩/١٣ ، وبهذا المعنى قال الإمام الرازى فى تفسيره ١٥٤/٢٤ .
(٣) سورة الشعراء آية رقم ١٠٥ .
(٤) سورة الشعراء آية رقم ١٢٣ .
(٥) سورة الشعراء آية رقم ١٤١ .
(٦) سورة السعراء آية رقم ١٦٠ .
(٧) سورة الأعراف آية رقم ٧٣ .

الأصل ، كما نلحظ التشابه التام فى المعارضبين قومه والأمم السابقة فى الألفاظ والعبارات والعواطف والميول ، وفى ذلك إشارة إلى حاجة الأمم قاطبه إلى التوحيد ، لكونه الأصل الذى يبنى عليه غيره والذى يرسوخه تزول جميع العوائق والسدود المادية والمعنويه الصاد ه عن سبيل الله وشريعته يقول تعالى حكاية عن مقاله قوم صالح عليه السلام :

(قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد اباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب) (١) .

وهذا المعنى يتكرر دائماً فى قصص المرسلين ، وهو عين قوله تعالى حكاية عن قوم هود عليه السلام :

(قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) (٢) .

وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام :

(والى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم أعبدوا الله وأرجوا اليوم الأخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) (٣) .

ويتفق هذا الخطاب مع ما سلف ذكره من التنصيص على تقديم العقيده فى الدعوه ، كما يشير إلى وحدة الأسلوب واللهجة التى استخدمها الرسل عليهم السلام فى دعوتهم لأقوامهم ، فهى تنم عن تمام الاشفاق ، وصدق اللهجة ، وحسن

---

(١) سورة هود آية رقم ٦٢ .
(٢) سورة الاعراف آية رقم ٧٠ .
(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٣٦ .

الإلقاء ، وطيب الكلام ، ومحض النصيحة المخلصه ، وفى ذلك إعلام للدعاه من بعدهم ، أن أحق ما يستوجب البذل والنصح للمدعوين تقديم خطاب العقيدة مشفوعاً بأسلوب هين لين . وفى قالب من الحكمة البالغة ، والنظر الحكيم والخطاب الكريم، فان الرسل قابلوا الاساءة بالإحسان والجهل بالحكمة والرعونة والصلف بالحلم ، فنجد أن خطاب الأنبياء يعطى المقام حقه ، ويطلق العبارات المنضبطة المقتضيه لحال المدعوين قال تعالى حكاية عن موسى الكليم عليه السلام حين وبخ قومه على طلبهم الوارد فى قوله تعالى :

(قالوا يا موسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهه قال إنكم قوماً تجهلون ، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون) (١) .

وبنحوه خاطب هود عليه السلام قومه قال تعالى حكاية عنه :

(وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) (٢) .

وتتشرجم وتعرب هذه المقولات عن غيرة الرسل وحميتهم لعقيدة التوحيد وإن الرسل عليهم السلام لم يألوا جهداً فى محاربة الوثنيه ونصرة الحنفية السمحة كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام :

(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ، قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٣٨ - ١٣٩ .
(٢) سورة هود آية رقم ٥٠ .

اللاعبين ، قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ، وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) (١) .

فكانت قضية العقيدة وتصحيحها هى الشغل الشاغل لخليل الله إبراهيم عليه السلام الذى ما فتأ يدعو قومه إلى التوحيد حتى بلغ حد المصارمه ، والصراع المادى ، والمواجهه المباشره ، بين أمة وسلطانها ، وبين واحد فرد لا يملك إلا ايمانه بالله ، ونعم المولى ونعم النصير !! لم يخف إبراهيم الخليل التهديد ولم يرهبه الوعيد بل اقتحم غمار وخضم الصراع مع الوثنية فحطمها ، وأبان سخافتها وتهافتها ، ولقن المشركين درساً بليغاً لا ينسى ، وبهذا استحق الخله ونال شرف الإمامه ، فكان امام الحنفاء ، وقدوة الصلحاء وخوطبت الأمة المسلمه ومنها دعاتها بالاقتداء به كما قال تعالى :

(قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) (٢) .

يقول الإمام الطبرى رحمه الله تفسيرا للآية :

(يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة : يقول : قدوة حسنة فى إبراهيم خليل الرحمن ، تقتدون به ، والذين معه من أنبياء الله - الذين قالوا لقومهم -

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ٥١ - ٥٨ .

(٢) سورة الممتحنة آية رقم ٤ .

كفرنا بكم ،أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً على كفركم بالله ، وعبادتكم سواه ،ولا صلح بيننا ولا هواده حتى تؤمنوا بالله وحده ، يقول : حتى تصدقوا بالله وحده ، فتوحدوه ،وتفردوه بالعباده ﴾ (١) .

فحقيقة دعوة الأنبياء تتجلى فى دعوة ابراهيم عليه السلام الذى أعلن استحالة التوافق مع قومه ،مالم يعلنوا التوحيد ويكفروا بالشرك بكل صوره وأشكاله ، وذلك لأن الاصلاح الناجح لا يتأتى فى بيئة يهيمن فيها الشرك وحزبه ، وإذا أصاب الخلل عقيدة الأمة فلا ينظر لها على الاطلاق الفلاح والنجاح ، وكل دعوة لا تأخذ فى الحسبان اصلاح العقيدة وتقديمها فمآلها الفشل الذريع . فمنهج ابراهيم والرسل عليهم السلام من بعده يؤكد هذه الحقيقة الدعوية الهامه .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

﴿ ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح فى الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكل شر فى العالم وفتنة بلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك ، فسببه مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الى غير الله ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كله فى خاصة نفسه ،وفى غيره عموماً وخصوصاً ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ (٢) .

لذلك نجد أن التوحيد لب دعوة ابراهيم عليه السلام حيث دعا قومه وقرابته ، فلما أدرك اصرارهم على مناقضة التوحيد هجرهم وهاجر من بلاده إلى

---

(١) جامع البيان ٦/١٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/١٥ .

الشام ليعبد الله في أمن وليمكن للدعوه .

يقول تعالى : (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) (١) ، وقال تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) (٢) .

فكانت الدعوة إلى التوحيد عند ابراهيم عليه السلام ذات مكانة سابقـــه ، ترك وطنه وفارق أهله وقومه من أجل نصرتها ونشرها ، فكان حقاً على كل داعيـــة حصيف أن يلزم منهج الحنيفية السمحة في الدعوة والعمل الذي رضيه اللـــه سبحانه لعباده منهجاً وسبيلاً ، ومن لم يفعـل فقد سفه نفسه واوردها المهالك .

قال تعالى : (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد أصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخره لمن الصالحين) (٣) .

وأشار يوسف عليه السلام إلى هذه الحقيقه ونوه بها وركز عليها في دعوتـه إلى الله كما قال تعالى :

(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك مـــن المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعـت ملة آبائي إبراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك مـــن فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبي السجن أأرباب

---

(١) سورة الصافات الآية رقم ٩٩ .
(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٢٦ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٣٠ .

متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دون الله إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) .

في غياهب السجن وتحت وطأة المأساة التي حلت بيوسف عليه السلام لم ينسى دعوة التوحيد أو يقدم عليها غيرها بل اهتبل فرصة إقبال نزلاء السجن عليه فدعاهم إلى التوحيد الخالص.

يقول الشيخ ربيع هادي المدخلي حفظه الله :

(من فقه سيرة يوسف عليه السلام التي عرضتها علينا هذه الآيات الكريمة أن الدعوة إلى التوحيد أمر لابد منه ، وأن الشرك لا هوادة ولا مداهنة في محاربته فلا يجوز السكوت عنه مهما كانت ظروف الداعية إلى الله بل لا يجوز لمسلم اطلاقاً أن يحابي ويداهن في أمره وهذا يبين مكانة العقيدة وعظم شأنها عند الله وعند أنبيائه ورسله وأن الفرق والبون شاسع جداً بينها وبين فروع الإسلام) (٢) .

أما رسالة الوجيه الكليم موسى عليه السلام فكانت على الوتيرة ذاتها ، إذ أمره الله تعالى ابتداء بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى التوحيد والتخلي عن الطغيان والتحول إلى الإيمان، وأعلمه بأن الله سبحانه رب العالمين لا إله غيره ولا معبود سواه، ولصعوبة المهمة الملقاة ، آنس موسى عليه السلام من نفسه ضعفاً فسأل الله أن يقويه ويعينه بأخيه هارون عليه السلام .

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٣٦ - ٤٠ .

(٢) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ص ٤٥ ، ت د . ربيع هادي المدخلي .

يقول تعالى عن دعوة موسى عليه السلام :

(وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل) (١) ويقابل فرعون دعوة موسى عليه السلام بالعناد والاستكبار ويتسأل فى صلف وخسه كما حكى الله تعالى عنه بقوله :

(قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) (٢)

ولم يغت فى عضد الرسولين الكريمين موسى وهارون عناد فرعون واستكباره بل مضيا يقيمان الحجج الساطعة والبراهين القاطعة على صدق رسالتهما ولزوم اتباعهما وحذرا فرعون من مغبة استكباره كما فى قوله تعالى :

(إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) (٣) .

وتلك سنة إلهيه لكل من خالف عقيدة التوحيد، ولج فى الكفر وأصر على الشرك كما حكى الله ذلك عن مؤمن آل فرعون قال تعالى :

(وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد) (٤) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) سورة الشعراء آية رقم ٢٣ - ٢٨ .

(٣) سورة طه آية رقم ٤٨ .

(٤) سورة غافر آية رقم ٣٠ - ٣١ .

وقد تحققت الوخيمة لفرعون وقومه الذين صدوا عن سبيل الله وحاربوا التوحيد وآذوا المؤمنين به ، فكان عاقبتهم الخسران والبوار كما قال تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) (١) ، وقال تعالى : (ولقد منا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ، ونصرناهم فكانوا هم الغالبين) (٢) .

وقال تعالى : (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (٣) .

وجاءت رسالة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام مؤكدة لما قبلها من الرسالات ، وذلك بتقرير التوحيد وتعميقه في نفوس بني اسرائيل والتحذير من مناصره كالشرك بالله عز وجل يقول تعالى موضحاً لباب دعوته :

(وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) (٤) .

وقال تعالى :

---

(١) سورة غافر جزء من آية رقم ٤٥ .
(٢) سورة الصافات آية رقم ١٥ .
(٣) القصص آية رقم ٣٩ - ٤٠ .
(٤) سورة المائدة آية رقم ١١٦ - ١١٧ .

(ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (١) .

وقال تعالى :

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) (٢) .

هذه دعوة عيسى عليه السلام خاتم أنبياء بنى إسرائيل، حيث أقام الحجج والبراهين على رسالته التى اقتصرت على إصلاح عقيدة بنى إسرائيل وتقويم أخلاقهم وهدايتهم إلى الاستقامة على الصراط المستقيم ، فلما شعر عليه السلام من بنى اسرائيل الريبه وإبطان الكفر والإنهماك فى الضلالة والغي انتدب أصحابه وحضهم على نصرة دين الله عز وجل، والدفع عن بيضة التوحيد قال تعالى :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) (٣) .

وفى ذلك دلالة على أهمية العقيده وجلالة قدرها فى الدعوة إلى الله ، حيث نرى فى قصة عيسى عليه السلام نماذج عاليه من التضحيه والفداء فى سبيل

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٦٣ - ٦٤ .
(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٢ .
(٣) سورة آل عمران آية رقم ٥٢ - ٥٣ .

نصرة عقيدة التوحيد ، خاطب الله عموم المؤمنين بالتأسي والإقتداء بهم .

قال تعالى :

(يايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) (١) .

وما اتفقت على دعوات الرسل الكرام أن السعادة في الدنيا والآخرة مقرونة بتحقيق التوحيد كما في قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام :

(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) (٢) .

وبهذا الخطاب توجه هود عليه السلام قومه إلى نبذ الشرك قال تعالى حكاية عنه : (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (٣) .

وبنحو هذا دعا صالح عليه السلام قومه قال تعالى حكاية عنه :(لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) (٤) .

ومعلوم أن الاستغفار المشار إليه في الآيات الكريمه مناسب لحالة المدعوين المشركين ، الذى كذبوا رسلهم وابتغوا سبيل الغى منهجاً ، وأما وقوع العذاب لمن خالف عقيدة التوحيد فأمر ظاهر ، أطبقت عليه أحوال الأمم السابقة ، التى نبذت رسالات الله ، وجاهروا بالكفر والشرك بالله يقول تعالى

---

(١) سورة الصف آية رقم ١٤ .

(٢) سورة نوح آية رقم ١٠ - ١٢ .

(٣) سورة هود آية رقم ٥٢ .

(٤) سورة النمل آية رقم ٤٦ .

مجملاً أحوالهم في قوله سبحانه :

(فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حصباً ومنهم من أخذته الصحيه ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (١) .

كل ذلك حصاد الشرك والتنصل من مستلزمات العقيدة الصحيحه ومخالفة رسل الله ،وفي هذا العصر خاصة ضرورة أكبر وحاجة أشد للدعوة إلى العقيدة الصحيحه ، نظراً لاجتماع موبقات الأمم كافة ، وبطريقة علنية منظمة ، مما يؤكد أن الإستئصال والعذاب ، أمر حتمي لا مفر منه ، مالم ينهض دعاة العقيدة بواجبهم في الإعذار والإنذار .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٤٠ .

* المبحث الثاني *

"في عصر النبي صلى الله عليه وسلم"

الناظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستخلص بسهولة اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى العقيدة الصحيحه كمطلب أولي لا محيد عنه ، فقد قضى عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاماً في مكة داعياً إلى التوحيد الخالص ولم يكن ثمة تشريع يذكر إلا يسيراً ، مما يؤكد بصورة جازمه أن العقيدة الصحيحه أعظم تكليف يطالب به كل مدعو إبتداء ، وعلى قدر أخذه للعقيدة يكون نصيبه من الدين ، وللمدعو حق ملزم في عنق كل داعيه مسلم ، حتى يعرف التوحيد أولا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

(والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداء ولا إلى إثبات الصانع ، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان ، وبذلك أمر أصحابه وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين ، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول ، أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواء كان معطلاً أو مشركاً أو كتابياً ، وبذلك يصير الكافر مسلماً ، ولا يصير مسلماً بدون ذلك) (١) .

وقد كان التكليف بالدعوة إلى العقيده من لدن حكيم حميد كما قال تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/٦ - ٧ .

(٢) سورة الحجر آية رقم ٩٤ .

ومن أبلغ الآيات الداعية إلى العقيدة قوله تعالى :

(قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) (١) .

وفي ذلك اعلام لكل مشرك باستحالة الموافقة على دينه والبراءة من الشرك وأهله حتى يفيء الى التوحيد الخالص ، وتتضمن السور المكية محاجة المشركين والرد على عقائدهم ودعوتهم إلى العقيدة الصحيحة وتقرير حقائقها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة .

وقد حاول مشركو قريش بكل دهاء وخبث اثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم دون هذا المطلب ، لكن جهودهم باءت بالفشل رغم ضخامتها وشدتها ، وانتهت المرحلة المكية بثمرات عظام يمكن تلخيصها فيما يلي :

أ - اعلان التوحيد والدعوة إليه في بيئة وثنية صرفه حتى اصبح له انصار وأتباع يكثرون ولا ينقصون ويهددون ولا يرهبون .

ب - تربيته فئة من المؤمنين على النصيحة والفداء وتمحيصها بمختلف المحن والفتن حتى صلب عودها واشتد لودها ، وسلس انقيادها فكانوا عزة أهل زمانهم ومن جاء بعدهم .

حـ - انتشار الاسلام خارج مكة ، وشعور أهل الشرك بالتهديد ، وأوقع ذلك في نفوسهم ، وأشرب في قلوبهم حتى طاشت أحلامهم ، واعتاصت أمورهم .

---

(١) سورة الكافرون.

د - ايجاد أرض آمنه ، تمكن فيها الدعوة يأوى إليها المؤمنون من كل فج عميق ، ليعبدوا ربهم في أمن وآمان .

وقد يقول قائل : ان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما ذكرت ، حيث انه في العهد المدني إتجه إلى بناء الدولة المسلمة وارساء دعائمها والإشراف على سير الحياة الجديدة في المجتمع الجديد .

والحق أن الاهتمام بالعقيدة الصحيحه في العهد المدني لم ينقطع ولم يفتر بل زاد وتشعب وأحاط بمظاهر الحياة كلها وسرى إلى كل صغيرة وكبيرة في حياة المسلمين ، وقدمت تضحيات جسام ، في سبيل نشرها وتمكينها ، ومن رصد مسيرة الدعوة في العهد المدني وانسيابها في المعمورة يلحظ حجم هذا الاهتمام وبرهان ذلك في المطالب التاليه :

المطلب الأول : المبايعه والمواخاه .

لا نستطيع من الناحية العمليه الفصل بين العهد المكي والمدني ، اذ أن أحدهما مكمل للآخر ، فالملاحظ أن العهد المدني سبقته استعدادات أعظمها المبايعه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار ، وأول شروطها العقيدة وهذا طرف من البيعه كما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان فيمن شهد بدراً ، وهو أحد النقيبا ليلة العقبه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في رهط فقال : ((أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً))(١) الحديث.

---

(١) النسائي في البيعة ٧/١٤٨ باب البيعة على فراق الشرك والحديث له روايات أخر من البخاري في كتاب الايمان ١/٢٢ ، ومسلم رقم ١٧٠٩ في كتاب الحدود والترمذي رقم ١٤٣٩ في الحدود ٤/٤٥ .

وهذه البيعه على العقيدة لم تكن مختصة بأهل المدينة فحسب ، بل شملت كل من أسلم ممن كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي والمدني ، ولكن المقصود انها كانت الشرط الأول في بيعة العقبة الأولى والثانية وبعد وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على أسس العقيدة الصحيحه ، وبلغ من هذه الأخوة أن يتوارث المهاجرون والانصار بعد الموت حتى نزلت الآية (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، إن الله كان على كل شيء شهيد) (١) ، فرد التوارث دون عقد الأخوة (٢) .

وقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد وربط المسلمين بها ففي اقامته بقباء عند وصوله المبارك من هجرته المباركه بدأ ببناء مسجد قباء وصلى بالمسلمين فيه ، وكانت أول أعماله الكبرى بعد استقراره في منزله بناء المسجد النبوي الذي أصبح مثابة يجتمع فيه المسلمون لعبادة ربهم وتعلم دينهم وتعميق الإيمان والعقيده في قلوبهم كما قال تعالى :

(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) (٣) .

المطلب الثاني : إقامة الدولة المسلمه .

لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام دولة مسلمة سخر جميع

---

(١) انظر : البخاري كتاب الكفاله ٢/١٤١ رقم ٢٢٩٢ .
الآية من سورة النساء آية رقم ٣٣ .

(٢) زاد المعاد ٣/٦٣ .

(٣) سورة النور آية رقم ٣٧ .

إمكاناتها وخصائصها ووظائفها لخدمة ونشر عقيدة التوحيد ، كما قال تعالى :

(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (١) .

فقامت دولة التوحيد في المدينة كثمرة دانية ، ونتيجة منطقية لجماعة اجتمعت على عقيدة واحدة ومنهج واحد ، فكانت وسيلة لتقوية هذه الأواصر ، ودرعاً واقياً أمام الغوائل ، ومن المهم بيانه استحالة وجود دولة على الإطلاق بين أمة مبعثرة الصفوف ، متباينة العقائد مختلفة الاتجاهات والميول ، وان وجدت فهي على درجة من الضعف والفوضى السياسية لا تحسد عليها .

ونخلص من ذلك كله ، أنه لولا فضل الله سبحانه وتعالى ثم عقيدة التوحيد لما قامت دولة التوحيد ، والدعاة عامة مدعوون لفهم هذه الحقيقة ، والتعامل وفق معطياتها في الدعوة إلى الله عز وجل .

المطلب الثالث : الجهاد في سبيل الله عز وجل .

شرع الجهاد في الاسلام لتمكين عقيدة التوحيد ، واجتناب الشرك من جذوره ، ودفع صوله أهل الشرك والكفر ، يقول تعالى :

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) (٢) .

قال الإمام ابن جرير رحمه الله :

---

(١) سورة الحج آية رقم ٤١ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٣ .

﴿ فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة ويكون الدين كله لله وحتى يكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره ﴾ (١) .

والمراد بالفتنة في الآية الكريمة ، الشرك بالله عز وجل وبهذا قال أكثر علماء التفسير من سلف الأمة (٢) .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله :

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي : ألا يكون فتنة وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل إلى الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله ﴾ (٣) .

فالدلالة من الآية الكريمة قاطعة بأن غاية الجهاد وهدفه الأسمى ، إخراج الناس من ظلمات الشرك والكفر الى نور الإيمان والتوحيد ، وفي السنة الكريمة ما يؤكد هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم :

((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)) (٤) .

والمجاهد في سبيل الله لا يستقيم قصده في ميزان الحق مالم ينوى بذلك

---

(١) تفسير الطبري ١٣/٥٣٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٢٢٧ .

(٣) فتح القدير ١/١٩١ .

(٤) رواه البخاري ص ٢٤ رقم ٢٥ ومسلم ١/٥٣ رقم ٣٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وجه الله دون الالتفاف إلى رغبة أو مغنم، ومن خالف مقصد الشرع لا يعتد بجهاده ولا يحسب في عداد المجاهدين المخلصين، كما ورد في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : ((من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)) »(١) .

فهذا القيد يحمل المسلم على إيثار العقيدة وتقديمها على رغائب النفس وحظوظها رجاء نيل ما أعد الله سبحانه للمجاهدين المخلصين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

« والجهاد مقصود ، أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين لله، فمقصوده إقامة دين الله ،لا استيفاء الرجل حظه ، ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وماله أجره فيه على الله فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »(٢) .

المطلب الرابع : بعث الدعاة وارسال الكتب .

لم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة مجدية لنشر العقيدة الصحيحة إلا استخدمها ، ومن ذلك بعث الدعاة إلى الأمصار وإرسال الكتب إلى سراة الناس وأشرافهم ، وبالنظر إلى مهمة الدعاة المرسلين ، والاطلاع على محتوى تلك الكتب يتضح جلياً الاهتمام البالغ بالعقيدة في الدعوة إلى الله ومن شواهد ذلك

---

(١) رواه البخاري رقم ٢٨١٠ ، ٢/٣٠٩ ومسلم ٣/١٥١٢ رقم ١٩٠٤ .
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/١٧٠ .

ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن حيث قاله له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهـــادة أن لا إله إلا الله وفى رواية - إلى أن يوحدوا الله - وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فاخبرهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلـــة فان هم أطاعوك لذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك وإياك كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) (١) .

وهذا الحديث حجة بالغة على كل داعيه ،وحكم فصل لا يجوز مخالفتـــه ففيه تنصيص واضح على تقديم العقيدة فى الدعوة إبتداء ، إذ هى الأساس الذى بنى عليه غيره ، ومن الظلم البين للدعوه اهمال أصولها ، والا هتمام بمسائـــل أخرى لا تضاهى العقيده معنى ومبنى ، وإن كان كل أمر الشرع ليس مهجـــوراً ، بيد أن منطق الحكمة يستلزم البداءة بالأهم ولا نجد فى الإسلام ما يحرم هذه القاعدة ،والنصوص الشرعيه تؤكد ذلك ومن شواهدها الرسائل النبوية إلى ملوك الأرض فى زمانه عليه الصلاة والسلام وأكتفى بايراد مثال واحد يغى بالمقصود ان شاء الله .

روى ابن عباس رضى الله عنهما رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيـــم

من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهـدى :

أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم يؤتك الله أجـــرك

---

(١) مسلم بشرح النووى حـ ١ ص ١٩٦ عن ابن عباس رضى الله عنهما .

مرتين ،فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ،فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون) (١) .

والمعنى الوارد في الرسالة النبويه إلى هرقل مستفيض في سائر كتبه عليه الصلاة والسلام ، مما يدل على ان التطابق في المعنى دليل على أنه مما نُعم به الحاجة القصوى ، بحيث لا يخرج عن الخطاب العقدى مكلف أبداً .

المطلب الرابع : حماية جانب التوحيد .

لم يغتنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى التوحيد مجاهدا واهتبل كل سانحه لشرح العقيدة وتفصيلها ما أمكن إلى ذلك سبيلا ، كما سعى إلى الإحداق بالشرك والإجهاز عليه وقطع وسائله وأساليبه ،ولم يلحق بالرفيق الأعلى حتى أقر الله عينه بإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ونصرة دين الله ،قال تعالى :

(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (٢) .

وقال تعالى :

(إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) (٣) .

يقول الامام سليمان بن عبد الله رحمه الله :

« ولقد بالغ صلى الله عليه وسلم وحذر وأنذر ، وأبدأ وأعاد ، وخص وعم في

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٤ . والحديث تقدم تخريجه ص ١٦ .
(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨١ .
(٣) سورة النصر .

حماية الحنفية السمحه التى بعثه الله بها ، فهى حنفيه فى التوحيد ، سمحة فى العمل ، كما قال بعض العلماء :-(هى أشد الشرائع فى التوحيد والابعاد عن الشرك ، وأسمح الشرائع فى العمل)[1] .

ولم ينقطع ذلكم الاهتمام حتى فى اللحظات الاخيره من حياته صلى الله عليه وسلم ، ففى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفى رواية أخرى ((لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصته له على وجهه ، فاذا اغتم كشفها عن وجه فقال وهو كذلك ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً))[2] يحذر مما صنعوا .

وفى الحديث الشريف إرشاد نبوى كريم بتحريم بناء المساجد على القبور لكونها وسيلة محققه للولوغ فى حمأة الشرك فتعظم الأموات ضرب من الغلو المفضى إلى الشطط والوقوع فى المحذور ومن ثم أخذت الوسائل حكم المقاصد .

وهذا مثال على اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بحماية جناب التوحيد ، والتحذير من الشرك .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٠٢ .

(٢) رواه البخارى كتاب الجنائز ١/ ٤٠٨ رقم ١٣٣٠ ومسلم فى كتاب المساجد ١/ ٣٧٥ رقم ٥٢٩ والنسائى فى كتاب المساجد ٤/ ٤١ - ٩٥ .

* المبحث الثالث *

" الصحابة رضي(١) الله عنهم "

لم يزل الاهتمام بالعقيدة الصحيحة وتقديمها في الدعوة موصولاً بحمد لله في حياة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا أمناء حقاً على ميراث النبوة وكنز الاسلام ، حافظوا عليه من التبديل والتحريف ، وبلغوه لغيرهم بكل كمال واخلاص ، بذلوا أموالهم ونفوسهم رخيصة في جنب الله ، فكانوا رضي الله عنهم خير من اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم وحسبنا ثناء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم يقول تعالى :

(لكن الرسول والذين معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) (٢) .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداً لأصحابه بالفلاح والأسبقية والمآب الحسن ، ومشيراً إلى أثرهم ومكانهم في حفظ الدين وإصلاح المسلمين .

يقول عليه الصلاة والسلام :

((النجوم آمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا

---

(١) يطلق الصحابي على من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات على ذلك ، انظر : بحث هذه المسئلة في كتاب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة " رسالة ماجستير " تأليف : الشيخ عبد الله عباد ، أيوب الكبيسي ص ٣٦ - ٧٧ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٨٨ .

أمنة لأصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)) (١) .

والمشاكلة في كلمة (أمنة) الوارد ، في الحديث دلالة على عظيم مكانة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله وأثرهم الكبير في حفظ الدين وحماية العقيدة ، فأمن الناس مرهون بفضل الله ثم بدعوتهم من البدع والضلالات كما كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم آمان لأصحابه .

يقول الامام ابن الاثير رحمه الله تعليقاً على قوله صلى الله عليه وسلم : ((أتى أصحابي ما يوعدون)) إشارة إلى وقوع الفتن ، ومجيء الشر عند ذهاب أهل الخير ، فإنه لما كان صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه ، فلما فقد جالت الآراء ، واختلفت فكان الصحابه يسندون الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول أو فعل أو دلالة حال ، فلما فقد قل النور وقويت الظلمة) (٢) .

والتاريخ شاهد على ذلك ، فان البدع والضلالات لم تقوى شوكتها وتنتشر أدرانها ومقولاتها إلا بعد ذهاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين وقفوا كالجبال الشامخه رافعين لواء السنة ، ذابين عن حياضها حتى آتاهم اليقين .

---

(١) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب بيان ان بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لاصحابه ٤/١٩٦١ رقم ٢٥٣١ عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه .

(٢) جامع الأصول ٨/٥٥٥ - ٥٥٦ والإمام ابن الأثير هو مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو السعادات ولد ونشأ في جزيرة ابني عمر ، توفي في احدى قرى الموصل .
انظر : ترجمته في وفيات الأعيان ٤/١٤١ .

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

(إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء) (١) .

ولست بصدد حصر فضائلهم فذلك أمر يفوق الحصر ، وإنما المقصود الإشارة الموجزه لمدى إهتمامهم بشأن العقيدة في الدعوه لأنهم موضع القدوة والإهتداء للدعاه ومن رغب عن سبيلهم فقد شاق الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع غير سبيل المؤمنين ، وعرض نفسه للخطر المحدق ، والوعيد المحقق كما قال تعالى :

(ومن يشاقق الرسول من بعد تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) (٢) .

والصحابة رضوان الله عليهم هم المؤمنون حقاً ، ولا يد انهم في قوة الايمان أحد ممن جاء بعدهم ، وفي المطالب التاليه تلخيص موجز لمدى عنايتهم بالعقيدة في الدعوة .

المطلب الاول : الإسراع بتنصيب الامام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد عرف الصحابة أهمية الخلافة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، ومن ثم سارعوا إلى تنصيب خليفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مسند أحمد ٣٧٩/١ ، ومسند الطيالسي ٣٣/١ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١١٥ .

يقول الإمام الهيتمي رحمه الله :

(اعلم أيضا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوه واجب ، بل جعلوه أهم الواجبات حيث أشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١) .

فهذا الاهتمام دليل على موقع الخلافة من الدين ، ويؤكده قوله عليه الصلاة والسلام :

((من مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهليه)) (٢) .

والدلالة من الحديث جليه ، اذ تعلق البيعة في عنق كل مسلم ، يستلزم وجود الإمام إذ لا بيعة بدون إمام .

وكذلك إن نشر العقيدة الصحيحه وتمكينها وإزالة العوائق أمامها ، يتطلب قوة ومنعة وسلطاناً ، به يقمع المبتدعه ويجاهد المشركون والكفاره

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله :

(يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس) (٣) .

---

(١) الصواعق المحرقه في الرد على أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيثمي ص ٧ .

(٢) رواه مسلم كتاب الإماره بان وجوب بيعة الخلفاء ٣/١٤٧٨ رقم ١٨٥٠ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) السياسة الشرعيه في اصلاح الراعي والرعيه ص ١٦١ .

فوظيفة الامام على الحقيقه حراسة الدين من التبديل والتحريف يقـــول الإمام أبو يعلى رحمه الله :

(فان على الإمام حفظ الدين على الأصول التى أجمع عليها سلف الأمـــة ، فإن زاغ ذو شبهه بيـــن له الحجة وأوضح له الصواب ، وأخذه بما يلزمـــه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروساً من خلل ، والائمة ممنوعة من الزلل)(١) .

من أجل ذلك توجه اهتمام الصحابه رضوان الله عليهم الى تنصيب خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقوم بحمل عبء أمانة نشر الدعوة وحمايتها ولأهمية الإمامه فى الدين عدت من مسائل العقيده الصحيحه ، ولا يخلوا كتاب جامع فى العقيدة الصحيحه ، لا يشير إلى هذه المسئلة الهامه موضحاً منهج أهل السنة والجماعة ومعتقدهم فى الخلفاء ، وما يجب أن يكون عليه الخليفه ، وماله وما عليه .

المطلب الثانى : الجهاد فى سبيل الله .

استأنف الصحابة رضى الله عنهم الجهاد فى سبيل الله بعيد وفاة رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بتسيير جيش أسامة رضى الله عنه فى خلافـــة أبي بكر رضى الله عنه ، وباستعراض موجز لجهادهم فى سبيل نشر عقيدة التوحيـــد ندرك مدى التضحيات الجسام والجهد العظيم الذى قدموه فى سبيل نشر هذا الدين فقد وجه الخليفة الراشد أبو بكر رضى الله عنه جيش أسامة رضى الله عنـــه وجهته التى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جيش الجيوش لمحاربـــة المرتدين وردهم إلى ساحة الإيمان ، فكان موقف ابى بكر رضى الله عنه فى تلـــك

---

(١) الاحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٢٧ .

يشهد ، بحزمه وعلو كعبه في مواقف الشدة ، ولولا أن ثبت الله قلبه ، لطوحت الفتن أمجاد الإسلام فكسر بفضل الله شوكة المرتدين ، وقتل مسيلمة الكذاب وعادت جزيرة العرب كسيرتها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم توجهت الجيوش المسلمة يقودها الصحابة إلى جبهتين :

الأولى : جبهة فارس .

فقد أرسل الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه جيشاً ، بقيادة خالد رضي الله عنه لفتح العراق ونجح في فتح تلك البلاد ، ثم تواصلت الفتوح في عهد الخليفة الفاروق عمر رضي الله عنه حيث أرسل سبعة ألوية بعد معركة نهاوند لفتح بقية أرض العراق وفارس (١) ، ومن أهم المعارك في عهد عمر رضي الله عنه معركتان فاصلتان : الأولى : معركة القادسية بقيادة سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه سنة ١٤ وانتهت بفتح بلاد العراق والأخرى : معركة نهاوند سنة ٢١ بقيادة النعمان بن مقرن وانتهت بزوال دولة فارس (٢) .

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه واصلت الجيوش الإسلامية توغلها في بلاد خراسان وما وراء النهر .

الثانية : جبهة الروم .

ابتدأت فتوح الشام في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك بإرسال جيش بقيادة خالد بن سعيد رضي الله عنه (٣) ، الذي لاقى الروم ، واطلع على

---

(١) البداية والنهاية ٤/٧ وتاريخ الطبري ٣٤٢/٣ .
(٢) تاريخ الطبري ٥٦٣/٣ ، ١١٤/٤ البداية والنهاية ٣٩/٧ ، ١٠٥ .
(٣) البداية والنهاية ٤/٧ .

جموعهم الغفيره ، فكتب إلى الخليفة أبى بكر رحمه الله عنه يطلب منه المدد ، فجهز الخليفة أبو بكر رحمه الله أربعة جيوش :

الأول : بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه .

الثانى : بقيادة شرحبيل بن حسنه رضى الله عنه .

الثالث : بقيادة يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه .

الرابع : بقيادة عبدة بن الجراح رضى الله عنه (١) .

ثم أمر خالد بن الوليد رضى الله عنه باللحاق بهم من العراق فاجتمع المسلمون والتقوا بالروم فى مكان يقال له اليرموك ، سميت المعركة باسمه ، وانتهت بنصر عظيم للمسلمين على الروم (٢) ، ثم استمرت الفتوح قدماً فى عهد الخليفة الفاروق رضى الله عنه ، وتولى القياده أبوعبيده رضى الله عنه وافتتحت دمشق وحمص وبعلبك وحماه واللاذقية وحلب وفلسطين وفى خلافة عثمان رضى الله عنه سار معاوية رضى الله عنه إلى بلاد الروم ففتح عموريه ، وطرطوس ، وانطاكيه ، وفى سنة ٢٨ تم فتح جزيرة قبرص (٣) .

الثالثة : جهة أفريقيه .

بعد معركة اليرموك وانتصار المسلمين فيها ، استأذن عمرو بن العاص رضى الله عنه الخليفة الفاروق رضى الله عنه فى فتح مصر ، فأذن له وبفضل الله تعالى تم فتح مصر سنة ٢٠ هـ (٤) بعد قتال وصلح ثم استمرت الفتوح فى عهد عثمان

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٤ .

(٢) المصدر السابق ٧/ ٤ - ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٧/ ١٩ ، ٧٥ ، ١٥٣ ، تاريخ الطبرى ٤/ ٢٥٨ ومابعدها .

(٤) البداية والنهاية ٧/ ٩٧ ومابعدها وتاريخ الطبرى ٤/ ٤ ومابعدها .

رضى الله عنه فاتجهت شرقاً حتى وصلت الجزائر (١) .

فتمت هذه الفتوح العظيمة فى بحر سبعة عشر عاما ، تخللها تضحيات جسام ،حصادها الفتح المبين ،والنصر المؤزر لعقيدة التوحيد .

المطلب الثالث : إنكارهم على من خالف منهج العقيدة الصحيحه .

لشتد غضب الصحابه وإنكارهم على من خالف عقيدة التوحيد، فقد بارزوا أقوامهم وأهليهم الكافرين بالعداء وصارصوهم حبال المودة ، كل ذلك من أجل العقيدة .

وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالشدة والغلظة على الكفر وأهله قال تعالى :

(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) (٢) .

ولما بدت بعض البدع فى الظهور، سارع الصحابة رضوان الله عليهم باماتتها فى مهدها ، ولعمر الفاروق السهم الوافر ، من درء المسلمين من لوثة البدع يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

(ان عمر كان حصناً حصيناً للاسلام يدخلون ولا يخرجون منه) (٣)

روى الدارمى أن صبيغاً العراقى جعل يسأل عن اشياء من القرآن

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٥١ ومابعدها وتاريخ الطبرى ٤/ ٢٥٣ ومابعدها .
(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٩ .
(٣) سيرة عمر لابن الجوزى ص ٢٧٥ .

في أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص(١) إلى عمر بن الخطاب ، فلما آتاه بالكتاب فقرأه فقال : أين الرجل ، فقال : في الرحل ، قال عمر : أبصر أن يكون قد ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة ، فأتاه به فقال عمر : تسأل محدثة فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه حتى ترك ظهره وبره ، ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ، ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود ، قال : صبغ إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً كاملاً ، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري(٢) أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته (٣) .

فهذا الإنكار العملي من عمر رضي الله عنه ، والهجران الجماعي من المسلمين لصبيغ ، دليل على عظيم منزلة العقيدة الصحيحة عند السلف، وكونها محل إهتمامهم ، ونفورهم الشديد ممن خالفها .

ومن مواقف الفاروق رضي الله عنه في هذا الباب ، الحرص على قطع دابر

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي أمير مصر يكنى أبا عبد الله وأبا محمد أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان وقيل بين الحديبية وخيبر توفي سنة ٤٣ .
انظر : ترجمته ٣/٢ - ٣ ، الإصابة .

(٢) أبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار أسلم وهاجر إلى الحبشة فتح الأهواز وأصبهان ، توفي سنة ٤٢ .
انظر : ترجمته في الإصابة ٢/٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) سنن الدارمي حـ٥٥ - ٥٦ .

الفتنة والزيغ وازالة ما من شأنه ذريعة إلى الشرك ، فقد أمر رضى الله عنه بتغييب قبر دانيال النبى عن أعين الناس ، حتى لا يفتنوا به (١) كما أمر بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية للغرض نفسه .

وعلى الشاكله نفسها قام الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بمحاربة وإنكار ما خالف العقيدة الصحيحه ، تقول إمرأته جاء عبد الله ذات يوم ، وعندى عجوز ترقينى من - الحمره - فأدخلتها تحت السرير قالت : فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطاً ، فقال : ماهذا الخيط ؟ قلت رقي لي فيه رقيه ، فأخذه وقطعه ثم قال : ان آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن من الرقى والتمائم والتوله شرك)) (٢) ، قالت فقلت له : لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها ، فكان إذا رقاها سكنت ، قال : إنما ذلك من عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اللهم اذهب الباس رب الناس أشف أنت الشافى ، اللهم لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما)) .

وله موقف آخر مع قوم يجتمعون فى المسجد حلقاً يذكرون الله تعالى بعد الحصى فى أيديهم ، فقد اعتبر ذلك خروجاً عن الهدى النبوي فى العباده وعلامة بارزه على الانحراف عن منهج العقيده الصحيحه .

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٨٨ .

(٢) مسند أحمد ١/ ٣٨١ وابن ماجه كتاب الطب ٢/ ١١٦٦ - ١١٦٧ . رقم ٣٥٣٠ .

قال ابو موسى رضى الله عنه : يا أبا عبد الرحمن إنى رأيت فى المسجد آنفاً امراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً ، قال : فما هو ؟ فقال : إن عشت فستراه قال : رأيت فى المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة فى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصا فيقول : كبروا مائة فيكبرون مائه فيقول هللوا مائة ، فيهللون مائة ، ويقول : سبحوا مائة فيسبحون مائه ، قال : فماذا قلت لهم ؟ قال : ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا تضيع من حسناتهم ، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم فقال : ما هذا الذى أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال : فعدوا سيئاتكم فانا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شئ ، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر ، والذى نفسي بيده ، انكم لعلى ملة هى أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلاله قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن قوماً يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدرى لعل اكثرهم منكم ثم تولى عنهم (١) .

وقد تجلى الفهم الثاقب والاتباع الصادق فى انكار عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فبقيت كلماته حججاً خالدة ،على من رام الخروج عن منهج العقيدة الصحيحه .

---

(١) سنن الدارمى ١/٦٨ - ٦٩ .

وقريب من هذا الموقف ما فعله الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين دخل على مريض ، فرأى في عضده سيراً فقطعه أو انتزعه ثم تلا قوله (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) (١) .

فهذا التوافق في الانكار ، دليل على عناية الصحابة رضوان الله عليهم بالعقيدة وصيانتها من العبث والتحريف ، وقد بلغ من انكارهم قتل بعض مخالفي العقيدة ، تنفيذاً لحكم الله ورسوله فيهم .

روى الدارقطني (أن ساحراً كان يلعب عند الوليد بن عقبه - الأمير - فكان يأخذ سيفه فيذبح نفسه ولا يضره ، فقام جندب إلى السيف فأخذه ، فضرب عنقه) (٢) .

فتلك شواهد عليه موجزة تبرهن على أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يألوا جهداً في الدعوة إلى العقيدة والإنكار على مخالفيها ، مستخدمين جميع الوسائل المتوفرة في زمانهم لتحقيق هذا القصد النبيل ، مما أورثهم ذلك المحافظة على جوهر العقيدة وصفائها ، فقد نقل إلينا اختلافهم في الأحكام الفقهية بيد أنه لم يروى عنهم اختلاف في مسائل العقيدة وأركانها البتة .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

(لقد تنازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل الأحكام إلا أنهم لم يتنازعوا في مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل تلقوها بالقبول والتسليم) (٣) بل برئوا ممن خالفها .

---

(١) تفسير العزيز الحميد ص ١٦١ والآية من سورة يوسف آية رقم ١٠٦ .
(٢) سنن الدارقطني ٣/١١٤ .
(٣) إعلام الموقعين ١/٥٥ .

كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه حين سئل عن نفاة القدر إذ قال : « فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برئ منهم ، وإنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر »(١) .

بهذا الوضوح قابل الصحابة رضوان الله عليهم المخالفين لمبدأ العقيدة الصحيحه ، وبرهنوا بما لا يدع مجالاً للشك ، أنهم لا يلتقون مع المخالفين فى صدر ولا ورد ، وليس فى سيرتهم ما يدل على توانيهم فى القيام بهذا الواجب ، بل الدلائل جميعها تؤكد على اهتمامهم البالغ بشأن الدعوة إلى العقيدة ، واعتبارها المقصد الأول لدعوتهم وجهادهم وتضحياتهم ، تلك هى الصبغة الجامعة لمنهج الصحابة رضوان الله عليهم فى الدعوة الى الله .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) رواه مسلم ١/ ٣٦ رقم الحديث ١ وعبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى ولد سنة ثلاث من المبعث النبوى أسلم مع أبيه وهاجر ، توفى سنة أربع وثمانين ، الإصابة ٢/ ٣٤٧ .

* المبحث الرابع *

" التابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة "

سار التابعون رحمهم الله على منهج شيوخهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيرة التلميذ المجد ، والمخلص المحب حذو القذة بالقذة ، فمضوا على هذا النهج القويم ، لا تزيغ بهم الأهواء ، ولا تختلف بهم الطرق ، وحسبنا شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالخيريه .

قال عليه الصلاة والسلام : ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) (١) .

كما عرف الصحابة رضي الله عنهم فضل تلامذتهم ، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن سعيد بن المسيب " لله أخبركم إنه أحد العلماء ، ولو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره هو والله أحد المتقين "(٢) وما ذاك إلا بفضل الله ثم بركة الصحبه والتلمذه على يدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان منهجهم واحداً .

يقول الامام الاوزاعي رحمه الله :

(خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، لزوم الجماعه ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله) (٣) .

ويقول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

---

(١) رواه البخاري ٣/٦ رقم ٣٦٥٠ عن عمران بن حصين رضي الله عنه .
(٢) تهذيب التهذيب ٤/٨٤ .
(٣) شرح اعتقاد اهل السنة والجماعة للالكائي ١/٦٢ .

(سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعدة سناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرهـــا ولا تبديلها ولا النظر فى رأى من خالفها، فمن إقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها بصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عز وجل ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) (١) .

فهذه المنهجيه العقديه والعمليه سار التابعون رحمهم الله عليها ولابد من الاطلاع والسير على منهجهم إذ هم حلقة الوصل بين ميراث النبوه الذى حمله الصحابة والأجيال المتتابعه ، فهم أحق بالاقتداء والاهتدا بعد الصحابه وخاصة فى قضايا العقيدة التى اشتهروا وتميزوا بها عن غيرهم ، فهم أهل السنة والحديث وكفى بذلك خاصية ومنقبه .

يقول عنهم الإمام اللالكائى رحمه الله :

(فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة وانحفظت بهم أصول السنـــة فوجبت لهم بذلك المنه على جميع الأمة) والدعوة لهم من الله بالمغفرة فهم حملة علمه ، ونقلة دينه ، وسفرته بينه وبين أمته ، وأمناؤه فى تبليغ الوحى عنه فحرى أن يكونوا أولى الناس به فى حياته ووفاته ، فهم إليه ينتسبون ، وإلى علمـــه يستندون ، وبه يستدلون ، وإليه يفزعون وبرأيه يقتدون ، وبذلك يفتخرون ، وعلى أعداء سنته يقربهم منه [illegible] من يوازيهم فى شرف الذكر ؟ ويباهيهم فـــى ساحـة الفخر وعلو الاسم ؟ ! .

إذ إسمهم مأخوذ من معاني الكتاب والسنة يشتمل عليهما لتحققهم بهمـــا أو لاختصاصهم بأخذها منهم يترددون فى انتسابهم إلى الحديث بين ما ذكـــر

---

(١) شرح اعتقاد اهل السنة والجماعة للالكائى ١/ ٩٤ .

الله سبحانه وتعالى فى كتابه فقال تعالى ذكره (الله أنزل أحسن الحديث) (١) فهو القرآن فهم حملة القرآن وأهله وقراؤه وحفظته وبين أن ينتموا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خلت من الأيام فلا شك أنهم يستحقون هذا الاسم لوجود المعنيين فيهم ، لشاهدتنا إن اقتباس الناس الكتاب والسنة منهم واعتماد البرية فى تصحيحهما عليهم (٢) .

وفى هذا القول تأصيل وتأكيد لسلامة منهج التابعين ومن بعدهم من أهل القرون المفضله ، فقد أوفوا كمالاً ظاهراً وباطناً ، فناسب إطلاق اسم أهل السنة عليهم ، فلننظر إذن على وجه الإيجاز فى دعوتهم إلى العقيدة الصحيحه واهتمامهم بها ليكن ذلك دليلاً نزداد به علما ومحبة ودعوة لعقيدة التوحيد ، ويتلخص ذلك فى المطالب التاليه :

المطلب الأول : هجرهم لأهل الأهواء والرد عليهم .

حافظ التابعون ومن بعدهم من أئمة السلف على جوهر العقيدة الصحيحة وصفائها ، وهاجموا بشدة كل من أراد النيل منها ، أو انحرف عن منهجها القويم ، وتوارثوا حراسة العقيدة بكل ما أوتوا من قوة علمية وعمليه ، ضاربين أروع الأمثلة فى التفاني والذود عن حياض العقيدة ، وقد نال جانب الهجران والرد على أهل البدع أولوية فى دعوتهم إلى الله ، سعياً منهم إلى تأديب المخالفين وتلقينهم دروساً عمليه ، تصرف وجوه الناس عنهم ، وتحاصرهم من كل جانب وتحملهم على الإنابة والرجوع عما هم عليه من إنحراف .

---

(١) سورة الزمر آية ٢٣ .

(٢) شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة للالكائى ١/ ٢٤ ت د . احمد حمدان .

روى الدارمي عن أبي قلابه أنه قال :

﴿ لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون ﴾ (١) .

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين (٢) ، فقالا يا أبا بكر نحدثك بحديث قال : لا قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله قال : لا لتقومان عني أو لأقومن ، قال : فخرجا فقال بعض القوم : يا أبا بكر وماكان عليك ان يقرآ عليك آية من كتاب الله تعالى قال : إني خشيت أن يقرآ على آية فيجرفانها فيقر ذلك في قلبي (٣) .

وقال الحسن وابن سيرين :

﴿ لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم ﴾ (٤) .

فتلك نماذج شاهدة على عظيم منزلة العقيدة في صدور أئمة السلف رحمهم الله ، وانتهاجهم مسلك المصارمة والهجران لأهل الأهواء . ، وبذلك تسلم العقيدة والدعوة الاسلاميه من الدخلاء المحسوبين عليها وهي منهم براء ، ولم تصب

---

(١) سنن الدارمي ١/١٠٨ .

(٢) ابن سيرين محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم أبو بكر بن أبي عمره البصري امام وقته كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً كبير العلم وربما يعبر الرؤيا مات سنة ١١٠هـ ، تهذيب التهذيب ٩/٢١٤ - ٢١٧ .

(٣) سنن الدارمي ١/١٠٩ .

(٤) المصدر السابق ١/١١٠ .

دعوة الاسلام في تاريخها بأشد ، من تغلغل أعدائها تحت عباءة الإنتساب إليها ، دون تمحيص أو تدقيق وفق موازين العقيدة وتقويمها الموضوعي ، فقد شاعت كثير من المقولات المتحرفة باسم الإسلام وراجت شهرتها بسبب التفريط في العقيدة الصحيحة والدعوة إليها وتلك محصلة نهائية لا تقبل المماحكة .

ومن صور إنكسار التابعين ومن بعدهم على المتنكبين عن منهج العقيدة الصحيحة ، ما اقتطفه من كلماتهم النيرة القوية ، التي ألجمت كل مبتدع وزائغ ، فكانت حكماً قسطاً وبلاغاً أميناً ، وزاداً علمياً رصيناً .

سئل الإمام محمد بن جعفر الصادق عن قول الله تعالى :

﴿ (الرحمن على العرش استوى) ﴾

قال من زعم أن الله استوى على العرش : استواء مخلوق على مخلوق فقد كفر ومن اعتقد أن الله استوى على العرش استواء خالق على مخلوق فهو مؤمن (١) .

وقال طاووس رحمه الله :

﴿ أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا السنة ﴾ (٢) .

وقال نعيم بن حماد رحمه الله :

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/٤٠١ ت د . أحمد حمدان . ومحمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب من علماء أهل البيت ، توفي بجرجان تاريخ بغداد ٢/١٥٢ .

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/٥٣٢ وطاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري الهندي من سادات التابعين ، مات سنة ست ومائة .

انظر : تهذيب التهذيب ٥/٨ .

ـ(من شبه الله بشئ من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه)ـ (١) .

وكان الحسن وسليمان بن يسار يلعنان القدرية (٢) وكذلك سالم بن عبد الله بن عمر (٣) .

وقال سعيد بن جبير (٤) : ـ(القدريه يهود)ـ .

وقال الشعبى (٥) ـ(لا تجالسوا القدرية فوالذى يحلف به انهم لنصارى)ـ (٦) .

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٣/٥٣٢ ونعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمه بن مالك الخزاعى أبو عبد الله سديد على الرد على الجهمية وأهل الأهواء ، مات سنة سبع وعشرين .
انظر : ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٠/٤٥٨ - ٤٦٣ .

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٤/٦٠٧ ، وسليمان بن يسار الهلالي مولى ميمونة أحد الفقهاء السبعة مات سنة سبع ومائة وهو ابن ٧٣ سنة
انظر: ترجمته فى تهذيب التهذيب ٤/٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٣) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أبو عمر المدني الفقيه مات سنة ست ومائة فى ذى القعدة ، تهذيب التهذيب ٣/٤٣٨ - ٤٤٠ .

(٤) سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبي ثقة إمام حجة قتله الحجاج سنة ٩٥هـ .
انظر : تهذيب التهذيب ٤/١١ -

(٥) عامر بن شراحبيل بن عبد وقيل عامر بن عبد الله بن شراحبيل الشعبى الحميرى أبو عمرو الكوفي ولد لست سنين خلت من خلافة عمر وقيل سنة ٢٠ هـ وقيل سنة ٣١ ، ومات سنة ١٠٩ هـ .
انظر : تهذيب التهذيب ٥/٦٥ - ٦٩ .

(٦) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٤/٦٨٧ .

بهذا أنكر أئمة التابعين ومن بعدهم رحمهم الله ما أحدث الناس في زمنهم من بدع وأهواء ، فاستطاعوا بفضل الله ازهاق تيار البدع وقام ولاة الأمور يومئذ بتصفية الصف الاسلامي من دعاة الضلالة وتطبيق حكم الله فيهم .

فمثلاً الجعد بن درهم (١) تولى قتله الأمير خالد عبد الله القسري (٢) رحمه الله الذي قال في يوم أضحى " من كان منكم يريد أن يضحي فلينطلق فليضحي فبارك الله في أضحيته فاني مضح بالجعد بن درهم زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ ابراهيم خليلاً سبحانه عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه" (٣) .

أما الجهم بن صفوان فقد أمر بقتله الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك

---

(١) الجعد بن درهم من الموالي من الزنادقة مبتدع ضال قتله الامير عبد الله القسري ، انظر : ميزان الاعتدال ١/٣٩٩ .

(٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أبو الهيثم أمير العراقيين يماني الأصل من دمشق قتله يوسف بن عمر الثقفي .
انظر : تهذيب التهذيب ٣/١٠١-١٠٢ .

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١١٨ والدارمي في الرد على الجهمية ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٤) الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز الضال المبدع هلك في زمان صغار التابعين قتله مسلم بن أحوز .
انظر : ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٤٢٦ .

(٥) غيلان بن مسلم ابو مروان تنسب فرقة الغيلانية من القدرية ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله فصلب .
انظر : لسان الميزان ٤/٤٢٤ .

(٦) هشام بن عبد الملك بن مروان من خلفاء الدولة الأموية ، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥هـ) .
انظر : ترجمته في الكامل لابن الاثير ٤/١٩٢ .

رحمه الله إذ أوعز إلى عامله بخراسان يزيد لقتل جهم في رسالة وجهها اليه نصها " أما بعد فقد نجم قبلك رجل من الدهرية من الزنادقة يقال له جهم بن صفوان فإن أنت ظفرت به فاقتله وإلا فأدس إليه من الرجال غيلة ليقتلوه "(١) .

أما غيلان الدمشقي فقد أمر بقتله الخليفة هشام بن عبد الملك رحمه الله قائلا : (إذهبا فاقطعا يديه ورجليه وأضربا عنقه واصلباه)(٢) .

كما قاتل التابعون رحمهم الله الخوارج ولم يغتروا بإخلاصهم ولم يخدعوا ببلاغتهم وفصاحتهم، بل جالدوهم بالسيوف وحملوا عليهم في كل الأمصار ، حتى قطع الله دابرهم ووقى المسلمين شرهم وفتنتهم .

المطلب الثاني : مناظرة أهل الأهواء واقامة الحجة عليهم .

سخر التابعون ومن بعدهم - رحمهم الله - جميع الوسائل للدعوة إلى العقيدة الصحيحه ، ومن ذلك إقامة المناظرات للرد على المخالفين ، ولا يقوم بذلك إلا من وثق وتمكن بفضل الله في علم الشرعيه وأعطى لساناً فصيحاً وبياناً شافياً فضلا عن إيمان راسخ عميق بما يدعو إليه وقد توفر ذلك كله في أئمة سلف الأمة رضوان الله عليهم .

ومن أمثلة تلك المناظرات ماروى عن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله(٣) مع غيلان الدمشقي .

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٣٨١ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٧١٥ .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس القرشي الأموي أبو حفص المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين ولد سنة ٦١هـ ، وتوفي سنة ١٠١هـ .
انظر : ترجمته في تهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥ - ٤٧٨ .

قال : عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعد ما أدخل عليه غيلان .

فقال : ويحك يا غيلان ما هذا الذى بلغنى عنك ؟ .

قال : يكذب علي يا أمير المؤمنين ويقال على مالا أقول .

قال : ما تقول فى العلم .

قال : نفذ العلم .

قال : أنت مخصوم أذهب الآن فقل ما شئت يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت وإن جحدته كفرت وإنك إن تقربه فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر ، ثم قال : أتقرأ ياسين ؟ فقال نعم قال إقرأ فقرأ (يس ، والقرآن الحكيم الى قوله حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون) قال : كيف ترى ؟ قال : كأني لم أقرأ هذه الآيه يا أمير المؤمنين .

قال : زد .

فقرأ : (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) .

قال : كيف ترى ؟ .

قال : كأنى لم أقرأ هذه الأيات قط وإنى أعاهد الله أن لا أتكلم فى شىء مما كنت أتكلم فيه أبداً .

قال : اذهب فلما ولى قال : اللهم إن كان كاذباً بما قال فاذقه حر السلاح (١) .

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٤/٧١٤ .

وبين ثنايا هذه المناظرة نجد إلتزام الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله بالمنهج القرآني في الاستدلال ، حيث خلت أقواله من المصطلحات الكلامية والعبارات المنطقية المحدثه ، فذكر غيلان بقدرة الله سبحانه وعلمه ومشيئته وإرادته كما نطقت بذلك الآيات الكريمة من سورة يس ، فالله تعالى خلق البرية وأعمالها ، ولا يبدو شئ عن خلقه وتقديره ، وانتهت تلك المناظرة القيمة ، برجوع غيلان عن غيه ، وإعلانه التوبه ، وتوكيدها بالعهود والمواثيق التي خانها بعد موت عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

المطلب الثالث : الكتابة والتأليف .

تلقى الصحابة رضوان الله عليهم - العلم وحفظوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غضاً طرياً ، وحرصوا على تبليغه كاملاً غير منقوص ، ولم يرو عنهم تسطيره وكتابته سوى القرآن وبعض الصحائف المعدودة لدى النفر اليسير منهم ، وانتهى عصور الخلفاء الراشدين وأوائل دولة بني أميه حتى آل الأمر الى عمر بن عبد العزيز التابعي الجليل والخليفة الراشد الذي أوعز إلى أحد أساطين العلم وأوعيته بجمع الحديث ... قائلاً : « انظر ما كان من حديث رسول الله ما كتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء »(١) .

فهذا النص يدل على فضل التابعين ومكانتهم في حفظ العلم وصيانته ولما كان عصرهم زاخراً بالعلم والعلماء ، فقد إتجه العلماء بفضل الله إلى جميع ضروب المعرفه جمعاً وشرحاً وتأصيلاً ونالت العقيدة الصحيحه حظاً وافراً من هذا الإهتمام الكبير فقد شرع علماء السلف في جمع أصولها وترتيبها وتبويبها

---

(١) صحيح البخاري ١/٥٢ باب كيف يقبض العلم رقم ٣٤ .

وشرحها والرد على مخالفيها ، لكونها الفقه الاعظم ، والأصل الأكبر ، والعلوم تتفاضل فيما بينها بحسب شرف المعلوم ، ولا ريب أن لب العقيدة وموضوعها ومقصدها معرفة الله تعالى وعبادته وفق مراده .

ومن أقدم كتب العقيد ، ماورد عن أئمة التابعين من الرد (١) على القدرية منها كتاب الرد على القدريه للخليفة عمر بن العزيز رحمه الله ثم توالت جهود العلماء من أهل القرون المفضله بما لا يمكن حصره في مثل هذا المطلب ، ومن أهم تلك المؤلفات كتاب " الايمان " للامام أبي عبيد القاسم بن سلام (٢) وكتاب الرد على الجهمية للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، وكتاب الرد على الجهميه " للإمام ابي سعيد الدارمي (٣) وغيرها من المؤلفات القيمه .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) أصول الدين للبغدادي ص ٣٠٧ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى الأزدى الخزاعي بالولاء ولد بهراه وتعلم بها ورحل الى بغداد فولى القضاء وبطرسوس ثماني عشرة سنة .
انظر : تذكرة الحفاظ ٢/٥ .

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي الدارمي أبو محمد السمرقندي إمام أهل زمانه مات سنة خمس وخمسين ومأتين يوم التروية ودفن يوم الجمعة وهو ابن أربع وسبعون سنة .
انظر : تهذيب التهذيب ٥/٢٩٤ - ٢٩٦ .

* المبحث الخامس *

" الأئمـــة الأربعـــة "

أتفق أهل السنة والجماعة على تقديم الأئمة الأربعة والإعتراف بفضلهم وجلالة قدرهم ، فقد نالوا مكانة الامامه في الدين لما قدموه من بذل وتضحيه من نشـــر علوم الشريعة والذود عنها ، ومن ذلك الدعوة إلى عقيدة التوحيد والإهتمام بهـا ، ومن ثم ناسب تخصيصهم بالذكر لتبوءهم مكانة الإقتداء والاهتداء،فتبيان اهتمامهم بالعقيد ه الصحيحه دعوة لأتباعهم بلزوم غرزهم والسير على منهجهم ، فليس الاتباع في الفروع بأولى من الأصول،التي أجمع الأئمة الأربعة رحمهم الله على الاتفاق عليها والإنكار على مخالفيها ، وفي المطالب التالية إشارات موجزة إلى إهتمام الائمـة الأربعة بشأن الدعوة للعقيدة الصحيحه تفي بالمقصود إن شاء الله .

المطلب الأول : عناية الأئمة الأربعة بمذهب السلف والدعوة إليه .

حرص الأئمة الأربعة رحمهم الله على التأكيد الدائم بضرورة التمسك بمذهب السلف والحفاظ عليه بشتى الوسائل والأساليب مما أورث ذلك تأثيراً مباشراً فـــي حياتهم وبمن حولهم، يقول الامام أبو حنيفة رحمه الله حاضا على التمسك بالقـــرآن ـ أعلمنا الله أنه كلامه فمن أخذ بما علمه الله فقد أستمسك بالعروة الوثقـــى ، فهل بعد التمسك بالعروة الوثقى إلا السقوط في الهلكة ـ (١) .

لهذا المنهج جند الامام أبو حنيفة رحمه الله مواهبه لنشره والدعوة إليـــه

---

(١) مناقب أبي حنيفة للامام الذهبي ص ٢٣ وأبو حنيفة هو النعمان بن ثابـــت التيمي بالولاء أحد الأئمة الأربعة ولد بالكوفة امتنع عن القضاء إلى أن مات توفي ببغداد سنة ١٥٠ .
انظر : تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣ - ٤٢٣ .

حتى أثر في كبار علماء عصره .

يقول الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله : ﴿ لولا أن أدركني الله بأبي حنيفة وسفيان لكنت بدعياً ﴾ (١) .

ويكمن تأثير أبي حنيفة رحمه الله في هذا النمط الرفيع من البشر، الذين لا تتطلي عليهم البهارج، إلى قوة تمسكه بالكتاب والسنة وصدقه وإخلاصه .

وقد كان الإمام مالك رحمه الله حريصاً كل حرص على مذهب السلف والدعوة إليه ،كلما وجد إلى ذلك سبيلا يقول هذا طرف :

﴿ سمعت مالكاً إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء : يقول : قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده ، سننا الأخذ بها اتباع لكتاب الله ،واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها ،ولا النظر في شيء يخالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصرها فهو منصور ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٢) .

وقال رحمه الله محذراً من مخالفة العقيدة الصحيحة .

﴿ لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئاً ثم نجا من هذه الأهواء لرجوت أن يكون من أعلى جنات الفردوس لأن كل كبيرة بين

---

(١) مناقب أبي حنيفة للذهبي ص ١٨. ومالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الحميري ابو عبد الله أحد الأئمة الأربعة وإمام دار الهجرة أحد أعلام الاسلام مات في سنة ١٧٩هـ .
انظر : ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠/٥ - ٩ .

(٢) المدارك ٢/٤١ والحلية ٦/٣٢٤ - ٣٢٩ .

العبد وبين ربه هو منها على رجاء ، وكل هوى ليس منه على رجاء ، إنما يهوى بصاحبه في نار جهنم)- (١) .

تلك ملامح منهج مالك رحمه الله في العقيدة والدعوة ، ومن خلالها تتضح مكانة العقيدة ومنهاجها عند مالك رحمه الله وأكد الامام الشافعي رحمه الله هذا المنهج المختار بقوله :

-(يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام)- (٢) .

وكان منهجه في الاستدلال معتمداً على الكتاب والسنة حتى أثر في خصومه ، فعن ابي ثور قال لما ورد الشافعي جاءني حسين الكرابيسي ، وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي ، فقال : قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه ، فقم بنا نسخر به فقمت وذهبنا حتى دخلنا عليه ، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول :-(قال الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا واتبعناه)- (٣) .

وأشتهر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله امام أهل السنة لما عرف عنه من عناية فائقة بمنهج السلف ، وبلائه الجميل في نصرة العقيدة الصحيحه والذب عنها ويتحدث الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن مذهب السلف ورجوعه اليه مقتدياً بالامام أحمد ومنوهاً بمكانته ومنزلته قائلاً :

---

(١) المدارك ٢/ ٤٩ .

(٢) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٨٨ والشافعي هو محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع القرشي المطلبي نزل مصر أحد الائمة الاربعة ولد بغزة سنة ١٥٠هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ .
انظر : تهذيب التهذيب ٩/ ٢٥ - ٣١ .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ١/ ٢٢٨ وأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو

ـ(قولنا الذى نقول به ، ودياننا التى ندين بها ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نصر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته وعمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين فرحمة الله تعالى عليه من امام مقدم ، وجليل معظم وكبير مفهم ورحمة الله على جميع أئمة المسلمين)ـ (١) .

وقد أشار الامام ابو الحسن الاشعرى الى علة تسنم الإمام أحمد مقام الإمامة والاقتداء تلك العلة التى تتمثل فى محنته فى القول بخلق القرآن ، والتى اثبتت أحداثها ، متانة وصلابة إيمانه ، وشدة شكيمته ، وقوة حجته وصدق الامام اسحق ابن راهويه إذ يقول :

ـ(لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام)ـ (٢) .

فلا ريب أن الله تعالى قد من الله على الامام أحمد رحمه الله ووهبه من فضله مما جعله يستهين بالموت وضرب السياط ووحشة السجون وغل القيد ، من أجل نصرة دين الله فى تلك المحنة التى استهدفت هدم أصل الإسلام ودستوره ، فحفظ

= عبد الله المروزى ثم البغدادى ولد سنة ١٦٤هـ أحد أئمة الإسلام .
قال ابن قتيبه إمام الدنيا مات يوم الجمعة من ربيع الأول سنة ٢٤١هـ .
انظر : تهذيب التهذيب ١/ ٧٢ - ٧٦ .

(١) الابانة فى أصول الديانة ١/ ٢٠ - ٢١ .
(٢) مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ص ١٥٦ .

الله دينه بأحمد بن حنبل حتى ظهر الحق وزهق الباطل (١) .

وجملة القول أن الأئمة الأربعة رحمهم الله قد حافظوا على منهج السلف الصالح في الدعوة والعقيدة ، وطبقوا ذلك على أنفسهم وتلامذتهم ، وأوصوا به اقرانهم ، وتحملوا المحن من أجله ، فحق على اتباعهم قديماً وحديثاً ، لزوم منهجهم وخاصة في العقيدة والدعوة .

المطلب الثاني : انكارهم على من خالف منهج العقيدة الصحيحه .

من لوازم منهج السلف الصالح ، الإنكار على أهل البدع والضلاله وذلك ما قام به الأئمة الأربعة رحمهم الله وماكان لمثلهم أن يتساهل في ذلك ، وهم الائمة الموثوقون ، والهداه المرضيون ، وتوجه انكارهم على طريقين : عام وخاص .

اما العام : فانصب على علم الكلام ولنكاره ، باعتباره سبيل الضلالة والانحراف ، فقد أعتبره الأئمه الأربعة رحمهم الله منهجاً يخالف الكتاب و السنة ومنهج سلف الأمه لما فيه من تكلف وشطط ومنفذ خطير لاثارة الشبهات ، وبلبلة الأفكار ، واستحداث مقولات خطيره ، لا ترعى قدسية النصوص الشرعيه ، ولا تعرف مكانة السلف ، وتسوق الى تبديل الشريعة ، وتحريف العقيده .

يقول الامام أبو حنيفة رحمه الله :

« ان من يشتغل الكلام ويجادل فيه قوم ليس سيماهم سمى المتقدمين ، ولا منهاجهم منهاج الصالحين ، رأيتهم قاسية قلوبهم ، غليظة أفئدتهم ، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح ، ولم يكن لهم ورع ولا تقى » (٢) .

---

(١) انظر : تفاصيل المحنة في مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ص ٣٨٥ - ٤٦٤ .
(٢) أبو حنيفة لابى زهره ص ٢٤ .

وقال الإمام مالك رحمه الله :

﴿ الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ﴾[1] .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله :

﴿ حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ﴾[2] .

وقال الإمام أحمد رحمه الله :

﴿ علماء الكلام زنادقة ، ولا أرتدي أحد الكلام فافلح ﴾[3] .

هذه جملة يسيرة من أقوالهم ، تدل قطعاً على عنايتهم بالعقيدة الصحيحة والانكار على مخالفيها ، ووجهة تسميتي هذا الانكار عاماً ، من جهة كون الكلام وعاء الشبهات وقالب المحدثات ، ومنطلق الإنحراف ووسيلته .

أما الإنكار الخاص : فيتضمن ما وجه الأئمة الأربعة رحمهم الله من نقد وتوبيخ لأفراد المتكلمين أو آحاد الفرق الضالة .

يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله :

﴿ أتانا من خراسان صنفان كلاهما ضالان : الجهمية والمشبهة ﴾[4] .

وناظر الإمام أبو حنيفة رحمه الله جماعة من الملاحدة والجهمية بالحجة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ١١٩ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٩ .
(٣) الفتاوى ١٦/ ٤٧٣ .
(٤) المصدر السابق ١٦/ ٤٧٥ .

والبرهان (١) ودخل البصرة نيفاً وعشرين مره لمناظرة الفرق الضاله (٢) .

وكانت مناظراته تتسم بالصدق والإخلاص مع الحذر الشديد من الانسياق وراء المراء والجدل المذموم .

قيل للإمام ابى حنيفة نراك تناظر وتنهانا عنه ، فقال :

ـ كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير ـ (٣) .

وقال الإمام مالك رحمه الله :

ـ أهل الأهواء كلهم كفار ، وأسوأهم الروافض ، قيل : فالنواصب ؟ قال هم الروافض ، رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء ـ (٤) .

وسئل عمن يقول بخلق القرآن فأجاب بانه زنديق فاقتلوه (٥) .

وناظر رحمه الله بعض المرجئة حتى انتهى إلى إلزامه الحجة (٦) وكان يخرج أهل الأهواء من مجلسه إمعاناً فى التحذير منهم ويروى أن رجلاً دخل على الإمام رحمه الله وقال له : " الرحمن على العرش استوى " كيف استوى ؟ فما وجد مالك من شئ ما وجد من مسألته ، فنظر وجعل ينكث بعود فى يده ، حتى علاه الرحضاء ثم رفع رأسه ، ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول والإستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه ، وأظنك صاحب بدعه ، وأمر

---

(١) مناقب أبى حنيفة للمكي ١/١٧٨ ، انظر : تفصيل المناظرة .
(٢) أبو حنيفة لأبى زهرة ص ٢٥ .
(٣) مناقب أبى حنيفة للبزازى ١/١٣١ .
(٤) المدارك ٢/٤٩ .
(٥) المصدر السابق ٢/٤٤ .
(٦) المصدر السابق ٢/٣٨٨ .

به فاخرج)(١) .

لقد اتخذ الإمام مالك رحمه الله هذه المواقف القوية إنطلاقاً من إيمانه العميق بمنهج الكتاب والسنة وسبيل سلف الأمة وإدراكه لخطورة البدع والأهواء ومجانبتها للهدى الصالح ، وأثرها في حاضر الأمة في زمنه ، وتهديدها لمستقبلها .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله :

(لم أر أحداً من أصحاب الأهواء أشهد بالزور من الرافضة)(٢) .

ورغم كراهية الإمام الشافعي رحمه الله الشديدة لمجادلة أهل الأهواء ، إلا أنه يتدخل أحياناً لإزهاق باطلهم كما في مناظراته لبشر المريسي المعتزلي ، بناء على طلب والدة المريسي من الإمام الشافعي أن يكف المريسي عن الكلام والخوض فيه (٣) .

وفي مصر لقي أحد دعاة الجبرية يقال له " حفص الفرد " الذي لا يجد له على أحد المناظرين في مسألة الإيمان بحضرة الإمام الشافعي رحمه الله (فحمى الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان : قول وعمل ، يزيد وينقص فطحن حفصاً الفرد وقطعه)(٤) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٨٩ .

(٢) آداب الشافعي ومناقبه للرازي ص ١٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٤) المصدر السابق حفص الفرد كان متابعاً لضرار بن عمرو في أكثر آرائه وعندهما أن الله عالم قادر على بمعنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وجوزا حصول بين فاعلين .
انظر : الفهرست لابن النديم ص ٢٢٩ ، لسان الميزان ٢/٣٣٠ - ٣٣١ .

وبفضل ما أعطاه الله تعالى من ذكاء وفطنة استطاع تسخير الفقه لخدمة العقيدة الصحيحه والرد على مخالفيها ومن أمثلة ذلك قوله رحمه الله :

﴿ من حلف بإسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة ، لأن إسم الله غير مخلوق ، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا والمروه فليس عليه الكفاره لأنه مخلوق ، وذاك غير مخلوق ﴾ (١) .

وقد تفتق ذهنه عن علم أصول الفقه ، الذى هو سلم لا غنى عنه لفهم الشريعة ومقاصدها ، وهو عون لصاحب العقيدة فى اطلاق الأحكام المناسبة .

أما الإمام أحمد رحمه الله فقد أعجز أهل البدع والأهواء أن ينالوا من العقيدة الصحيحه ، وكر عليهم مفنداً شبهاتهم ومن أبرز من نازلهم المعتزله القائلون بخلق القرآن ، ولم يستطيعوا بما لهم من سلطان وقوة أن يثنوا الإمام أحمد رحمه الله عن منهج السلف ، وكلما أحدثوا شبهه أبطلها وفندها (٢) .

وكان قوله : ﴿ أعطونى شيئاً من كتاب الله عز وجل ، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقول به ﴾ (٣) ولم يقتصر انكاره على المسائل العقديه بل تعدى الى مسائل السلوك ، فقد انكر الإمام احمد رحمه الله على الامام المحاسبى (٤) رحمه الله وأصحابه مسلكهم فى الذكر ونهى عن مصاحبتهم .

وقد عقد الامام ابن الجوزى رحمه الله باباً فى مناقب الإمام أحمد رحمه الله

---

(١) آداب الشافعى ومناقبه للرازى ص ١٩٣ .

(٢) مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ص ٤٠١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٠ .

(٤) المحاسبى هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى من شيوخ الصوفيه توفى فى بغداد سنة ٢٤٣ .
انظر : ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ٢١١ - ٢١٦ .

بعنوان الباب الثالث والعشرون في ذكر إعراضه عن أهل البدع والنهي عن كلامهم وقدحه فيهم ، ذكر فيه أسماء مشهورين وجه إليهم الإمام أحمد نقده وإنكاره(١) .

ونخلص من هذا كله أن الائمه الاربعة رحمهم الله ،قد حرصوا على التمسك بمنهاج النبوة في الدعوه ، حيث عنوا بحماية العقيدة من كل صائل ، وانبروا لمحاربة كل زائغ ، وفي هذا دعوة مؤكدة بان خيار المسلمين علماً وعملاً في كل زمان ،متبعون لما كان عليه سلف الامة ، فعلى الدعاة المعاصرين خاصة ادراك هذه الحقيقة .

المطلب الثالث : الكتابة والتأليف .

لم يدع الأئمة الاربعة رحمهم الله سبيلاً لخدمة العقيدة الصحيحه الا سلكوه ، آخذين في الإعتبار ما أخذ الله تعالى على أهل العلم من وجوب البيان والتبليغ، وقد اثمرت جهودهم تلك مصنفات في غاية الإتقان ، كانت ولا تزال منبعاثراً للعلم النافع، والفقه الرشيد ، ومن أبرز تلك المؤلفات ، موطأ الإمام مالك رحمه الله ومسند الامام أحمد رحمه الله ففي هذين الكتابين حفظت لنا كثير من مسائل العقيدة المبثوثه في الأحاديث النبويه وللامام أبي حنيفة والشافعي مسندان في الحديث الشريف لهما مكانتهما العلميه السامقه في المكتبة الاسلاميه .

أما في مجال الكتابه العقديه الصرفه ، فقد ضرب الأئمة رحمهم الله بسهم وافر ، ومن أبرز ما يطالعنا في هذا المجال المؤلفات التاليه :

١ - الفقه الأكبر للامام أبي حنيفة رحمه الله ،قال الامام البغدادي رحمه الله "إن أبا حنيفة نصر فيه قول أهل السنة في خلق أفعال العباد "(٢) .

---

(١) انظر : مناقب الامام أحمد من ص ٢٣٦ - ٢٤١ .

(٢) أصول الدين للبغدادي ص ٣١٢ .

٢ - وصية الامام أبي حنيفة لاصحابه كتبها عند موته يوصي فيها باتباع طريق أهل السنة ومجانبة أهل البدعة (١) .

٣ - الرد على القدريه للامام مالك رحمه الله قال القاضي عياض رحمه الله عن هذا المؤلف : (من أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدريه وهو من خيار الكتب في هذا الباب ، الدال على سعة علمه بهذا الشأن رحمه الله) (٢) .

٤ - نسبت إلى الامام الشافعي رحمه الله بعض الرسائل مثل رسالة في الفقه الأكبر ، واثبات النبوه ، والرد على البراهمه (٣) .

٥ - الرد على الزنادقه والجهميه للامام أحمد رحمه الله ، وهو كتاب نفيس ، من أعظم ما كتب في الرد على أهل الزيغ والضلال " يشتمل هذا الكتاب على قسمين ، يرد الامام في القسم الاول منه على الزنادقة الذين كانوا يشككون في القرآن ، ويأخذون آيات معينه مقطوعه عن سياقها وعن جملة القرآن ، ويدعون أنها متناقضه مع آيات أخرى ، فأجاب الامام أحمد بن حنبل عن جميع ما ادعوا فيه من التناقض أما القسم الثاني فهو يشتمل على رد الامام على فرقة الجهميه في مسألتين أساسيتين وهما مسألة الصفات ومسألة خلق القرآن "(٤) .

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٣١ مجاميع ، انظر الفقهاء وبحوث العقيدة الاسلامية ص ٣٢ ت د . ابو اليزيد العجمي .

(٢) ترتيب المدارك ٢ / ٩ - ٦١ .

(٣) انظر : فقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية ص ٧٣ .

(٤) انظر : مقدمة عقائد السلف ت على سامي النشار - عمار الطالبي ص ١٧ ومابعدها باختصار .

* المبحث السادس *

" شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله "

برز في تاريخ المسلمين ،رجال قل نظيرهم ،وعز على الزمان وجودهم منهم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، الذى وهبه الله ذكاءً حاداً ، وقلبا ذكياً ،وقريحة فياضه ،وحافظة عجيبه ، كل ذلك أفرغ في شخصيه صبغت بشريعة علماً وعملاً ، وتناهت في طلب المعالي كمالاً وأدباً ، وكان ظهوره في زمانه فتحاً مبيناً ،وارهاصاً لصحوة اسلامية حقيقية ، فحق له أن يكون أحد المجددين الذين رفعوا لواء العقيدة الصحيحه ، وأحيوا ما أميت من سننها ، وجاهدوا في نصرتها حتى أواخر سويعات العمر .

فمن نظر بعين المسترشد البصير ، يدرك أن شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله قد جعل اصلاح العقيده أساس دعوته ،وخطته في الاصلاح ، وباعتبار أن هذا العلم الشامخ ،مرضي السيره ، معروف الفضل ، مجمع على امامته عند دعاة أهل السنة والجماعة ،فإني أشير في هذا الصدد بإيجاز إلى مظاهر عناية شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله واهتمامه بالعقيدة والدعوة إليها لتكون براهين وحججاً قاطعة بلزوم منهج سلف هذه الأمة في الدعوة وفيما يلي بيان ذلك .

المطلب الأول : انتصاره لمذهب السلف وتأييده لهم .

نصر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مذهب السلف نصراً مؤزراً ، ونافح دونه ، وأقام البراهين النقليه والعقليه على فضله دون سواه ،لكونه يعتمد على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

« الحق الذى يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان ، وما سواه من كلام النـــاس فيعرض عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل ، وإن لم يعلم هل وافقـــه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لـــم يعرف ، هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فإنه لا يعلم إلا بعلم والعلم ما قـــام عليه الدليل ، والنافع ماجاء به الرسول »(١) .

بهذا الفهم الدقيق والإيمان العميق يعلن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله دعوته ، ويؤكد منهجه على هذا النسق القويم ، كما يعتقد رحمه الله ، بأن الحـــق والصواب لا يخرج عن فهم السلف من القرون فهم أولى من يقتدى بهم لأنهم خير القرون المشهود لهم بالخيرية " وإجماعهم لا يكون إلا معصوماً ، وإذا تنازعـــوا فالحق لا يخرج عنهم فيمكن طلب الحق فى بعض أقاويلهـــم ولا يحكـــم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه ، وبالجملة فهـم أكمل الأمة علماً وإيماناً وخطؤهم أخف وصوابهم أكبر "(٢) .

وفى قوله هذا رحمه الله بيان على أن المنهج المختار عند شيخ الاســـلام ابن تيمية رحمه الله هو ما كان عليه السلف الصالح من عقيدة وعباده وأخلاق وماسوى منهجهم فانه يفتقر لعناصر الكمال ، ولا يقوم على برهان ، ومآله ونهايته الخيبـــة والخسران .

المطلب الثانى : محاربته للبدع والرد على أهل الاهواء .

ظهر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى عصر ضربت البدع فى مســـار الحياة الإسلامية ، وعصفت الأهواء برؤوس كثير من سراة القوم ، وحل التنازع

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ١/١٠٣ .

(٢) المصدر السابق ١/١٨ .

وكثرة الفرق ، وراجت كتب أهل الكلام ، وحكمت في النصوص الشرعيه ، فهال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما رأى ، لكنه لم يتعجل الإصلاح ، حتى أخذ للأمر عدته ، فدرس ثقافة عصره فضلاً عما سبقه ، وأطلع على أحوال زمانه عن كثب ، فواجه الجم الغفير من الفرق الضاله ومقولاتها متبعاً أصولها ، هاتكاً لعيوبها ، كاشفاً عن مثالبها ، مفنداً ما تعلقت به من شبه بدراية كامله ، ومعرفة عميقة ، ولم يروعه غربة الزمان ولا كثرة المخالفين (ثقلهم الإجتماعي) وسلطانهم السياسي ، الذى طالما استخدموه ضد الامام ودعوته، ولم يترك سبيلاً لنصرة العقيدة الصحيحه والرد على مخالفيها إلا أخذ به حتى منتهاه ، فقد رد على الفلاسفة ومقولاتهم كما فند شبهات المتكلمين باختلاف طبقاتهم وفرقهم ، كما بين بطلان مسلك الصوفية ورد عليه ، وانبرى لدعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ونافح دون أنبياء الله ورسله وأوضح تهافت ماعليه اليهود والنصارى من عقائد وعبادات كما طارد الفرق الباطنيه وكشف عورها، وحذر من أخطارها، وبيان ذلك موجود في مضانه من مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (١) .

المطلب الثالث : جهوده العلميه في خدمة العقيدة .

شهد معاصروا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من المخالفين والموافقين له بسعة علمه ، وموسوعيته ثقافته.وبلوغه رتبة الإجتهاد ، وخير شاهد على هذا ما خلفه رحمه الله من ثروة علميه وفكريه ، أثرت المكتبة الإسلاميه في مختلف العلوم والفنون ، ومن أهم العلوم التي نالت اهتماماً خاصاً من شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) انظر : في هذا على سبيل المثال كتابه درء تعارض العقل والنقل .
وكتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية .

رحمه الله علم العقيده الذى يعتبر فحق امامها بلا منازع ، فقد بلغت مؤلفاته حوالى واحداً وتسعين ومائتين مابين رسالة وكتاب كما ذكر ذلك الامام ابن القيم رحمه الله (١) .

وله من المؤلفات ما يقارب ثلاث مائة مجلد (٢) ، ومن أهم كتبه فى العقيدة ما يلى :

١- كتاب درء تعارض العقل والنقل .

٢- كتاب منهاج السنة النبوية .

٣- كتاب الايمان .

٤- الجواب الصحيح فيما يدل دين المسيح .

٥- الرد على المنطقيين .

٦- شرح سورة الإخلاص .

٧- العقيدة الواسطيه .

٨- الفتوى الحمويه وغيرها من المؤلفات النافعة .

فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(١) انظر : أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم .
وانظر : ببليوغرافيا وصفيه لمؤلفات ابن تيمية من ص ٢٢٥ - ٢٤٢ .
من كتاب ابن تيمية وفكره السياسى ت : قمر الدين خان ترجمة وتعليق د . أحمد مبارك البغدادى .

(٢) الدر الكامنة ١/ ١٦٠ .

المطلب الرابع : جهاده ومحنته .

إقترن اللسان بالسنان فى جهاد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وتاريخ جهاده ، شاهد على صلابة إيمانه ، وشجاعة قلبه وجراءة لسانه ، لا يمنعه من قول الحق تهديد ، ولا يثنيه وعيد ، وضرب أروع الامثلة فى جرأة الداعية ، وثبات العالم ، وشجاعة المجاهد ، ساقته هذه المناقب الجليلة إلى ساحات القتال الضارى ومجالدة الأعداء ، وأودعته غياهب السجون الموحشة ، كل ذلك ابتغاء رضوان الله ونصرة دينه ، وما غير ولا ونى ولا بدل حتى آتاه اليقين ومن صور جهاده .

أنه دخل على " قازان " امير التتار فى وفد بعد غزوه بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ ، فقال له شيخ الإسلام ، أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون ، على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما غزونا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا ، وانت عاهدت وغدرت ، ثم قرب (قازان) إلى الوفد طعاماً فاكلوا إلا ابن تيمية فقيل له : لا تأكل ، فقال كيف آكل طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختموه مما قطعتم من اشجار الناس ، وقازان مصغ لما يقول ، شاخص إليه لا يعرض عنه ، وإن قازان من شدة ما أوقع فى قلبه من الهيبة والمحبة سأل عن هذا الشيخ ؟ انى لم أر مثله ، ولا أثبت قلباً منه ولا أوقع من حديثه ولا رأيتنى أعظم انقياداً لأحد منه فاخبر بحاله ، وما هو عليه من العلم والعمل ، ثم طلب قازان الدعاء ، فقال الشيخ يدعو : اللهم إن كان عبدك هذا انما يقاتل لتكون كلمتك هى العليا ، وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان قد قام رياء وسمعه ، وطلباً للدنيا ،

ولتكون كلمته هى العليا وليبذل الاسلام وأهله فاخذله وزلزله ، ودمره واقطع دابره وقازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه .

قال الراوى : فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث من دم ابن تيمية لو أمر بقتله ، فلما خرجنا من عنده ، قال قاض القضاه : والله لا تصحبك من هنا[1] .

كما سافر بنفسه إلى مصر لحث سلطانها لمحاربة التتار وصدهم عن الشام ، وقال له : لو أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم اهله ، وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه ، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم (٢) .

ولم يكن يدعو غيره وينسى نفسه بل بادر إلى القتال فى الوقت الذى خرج بعض الفقهاء من دمشق فراراً من التتار (٣) .

وقال لاصحابه قبل المعركة ـ (إذا رأيتموني من ذلك الجانب ـ أى خارج المعركة ـ وعلى رأسي مصحف فاقتلوني)ـ (٤) .

أما محنته وابتلاؤه فى سبيل نشر العقيدة الصحيحه فحلقات متصلة بعضها ببعض ، لا يكاد يقر بشيخ الاسلام قرار، حتى تتلو محنه وراء محنة ، وبلاء بعضه فوق بعض، ويصف لنا الإمام ابن رجب رحمه الله جوانب من محن شيخ الإسلام رحمه الله فى سبيل العقيدة بقوله :

ـ (وأما محن الشيخ فكثيرة وشرحها يطول جداً ، وقد اعتقله مرة السلطان بالشام بسبب قيامه على نصراني سب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٧ مختصرا .
(٢) المصدر السابق ١٤/ ١٥ .
(٣) المصدر السابق ١٤/ ٧ .
(٤) المصدر السابق ١٤/ ٢٤ .

صنف المسألة " الحمويه " في الصفات ، شنع بها جماعه ، ونودى عليها في الأسواق على قعبه ، ثم امتحن سنة خمس وسبعمائه بالسؤال عن معتقده .

ثم إن المصريين دبروا الحيلة في أمر الشيخ ، فطلب الشيخ على البريد إلى القاهرة ، وعقد له ثاني يوم وصوله ، ثم حبس ومن معه في البرج أياماً ، ونقلوا إلى الجب ليلة عيد الفطر ، ثم في ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائه دخل أمير العرب إلى مصر وحضر بنفسه إلى السجن وأخرج الشيخ منه بعد أن استأذن في ذلك ، ثم في شوال من السنة المذكوره اجتمع جماعة كثيره من الصوفيه وشكوا من الشيخ إلى الحاكم الشافعي .

ثم ان الدولة خيروه بين أشياء ، وهي الاقامة بدمشق أو بالاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس ، فلما عاد الملك الناصر الى السلطنه وتمكن ، بادر باحضار الشيخ إلى القاهرة مكرماً سنة تسع وسبعمائه وفي شعبان سنة إحدى عشرة وصل النبأ ، أن الفقيه البكري أحد المبغضين للشيخ استغرد بالشيخ بمصر ووثب عليه ، وفي سنة اثنتي عشرة قدم الشام بنية الجهاد ثم في سنة ثمان عشر ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير ومنع من ذلك ونودى به في البلد ، ثم في سنة تسع عشرة عقد له مجلس كالمجلس الأول وقرئ كتاب السلطان بمنعه ، ثم بعد مدة عقد له مجلس ، ثالث وعوتب وحبس بالقلعة ثم حبس لاجل ذلك مرة أخرى ، ومنع بسبب من الفتيا مطلقا فاقام مدة يفتي بلسانه ويقول : لا يسعني كتم العلم ، وفي آخر الأمر : دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين ، وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه ، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهراً وبها مات رحمه الله تعالى (١) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابله لابن رجب ص ٣٩٦-٤٠٣ باختصار وتصرف يسير .

وهكذا تطوى صفحات هذا الامام الجليل، معطره بفيح جهاده العظيم وفي سيرته الطيبه دروس وعظات لا غنى للداعيه المسلم عن معرفتها ، فقد لاقى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في مهمته الدعويه والاصلاحيه صنوف الأذى ، وتكالب الأعداء ضده ، وطورد أتباعه ، وأحرقت كتبه ، ورغم هذه الجهود التدميريه ، الا ان دعوته لم تمت ولم يستطع الاعداء طمسها ، فقد قيض الله سبحانه من يحملها عبر الأجيال حتى يومنا هذا ، وكانت العاقبة إنتصار داعي العقيدة الصحيحه ، وخذلان أعدائه .

وحسبنا ما ذكره الامام الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله :

(ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن القيم الجوزيه ، صاحب التصانيف النافعه السائره ، التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان في الدلالة على عظيم منزلته)- (١) .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) الرد الوافر ص ١٤٥ - ١٤٦ لابن ناصر .

* المبحث السابع *

" الامام ابن القيم رحمه الله "

من الأئمة المصلحين ، والدعاة الربانيين الامام ابن القيم رحمه الله ، ذلك العلم الشامخ الذى أفنى عمره المبارك فى خدمة العقيدة الصحيحه فاكتسب ود أهل التوحيد وسار بذكره الركبان ، ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثيره فى الاصلاح ، فى عصره وبعد عصره ، ومكانته العاليه بين علماء المسلمين المجتهدين ، الذين عنوا عناية فائقة بالدعوة إلى العقيدة الصحيحه وإزالة ما علق بها من أوشاب وتكدير ، بجهد موفور مقترناً بالعلم الغزير والتحقيق البديع ، والحرص على إقامة الدليل كل ذلك بعبارات مشرقه وبلاغة مدهشة ، فكان لزاماً على دعاة الحق أن يدرسوا سيرة هذا الامام الهمام ، وينتفعوا بما ترك من علم وفقه ودعوة ، وليس فى استطاعتى استيعاب جهود الامام ابن القيم رحمه الله وآثاره ، فإن جوانب حياته العلميه والدعويه أوسع من أن يحيط بها هذا المبحث ، وحسبى أن أشير بايجاز إلى عناية الامام ابن القيم رحمه الله بالدعوة إلى العقيدة الصحيحه ، ليعلم المخالف فى عصرنا أنه ليس له قدوة من أهل العلم والايمان فيما ذهب إليه ويمكن اجمال ذلك فى المطالب التاليه :

المطلب الأول : انتصاره لمذهب السلف .

ارتضى الامام ابن القيم رحمه الله لنفسه منهجاً اختطه عن علم ويقين ، وتحقيق دقيق ، وأكده باقتناع تام بأن الطرق كلها إلا طريقة صلى الله عليه وسلم مسدوده ، والقلوب بأسرها اتباعه منقاده إليه عن الله محبوسه مصدوده ، فحق على من كان مع سعاده نفسه ساعياً ، وكان قلبه حباً عن الله واعياً ، أن يجعل

على هذين الأصلين مداره أقواله وأعماله التي إليها مفزعة في حياته)- (١) .

وفي هذا تأصيل لمنهج الامام ابن القيم رحمه الله ، حيث أعتمد على الكتاب والسنة في الفهم والتطبيق ، لما لكتاب الكريم والسنة المطهره من خصائص علمية كبرى لا تتوفر في أي مصدر تشريعي آخر، فهذا كتاب الله ليس فوق بيانه مرتبة في البيان ، وهذه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مطابقة له أعظم من مطابقة البيان للبيان ، وهذه أعقل الامم بعده والتابعون لهم بإحسان(٢) .

ويشير الامام ابن القيم رحمه الله إلى أن فهم السلف الصالح لهذين المصدرين المعصومين ، أمر بالغ الأهمية ، فإن إتصالهم الوثيق بالتشريع وما حباهم الله من سليقة عربية خالصة من شوائب العجمة ، وسابقتهم في العلم والتقى ، أكسبهم ذلك كله فضل المتابعة الصادقة ، والفهم الثاقب ، والفقه الأصيل ، والسلامة من التكلف .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

(لما كان الصحابة رضوان الله عليهم ، أبر قلوباً، وأعمق علماً ، وأقل تكلفاً ، وأقرب الناس لسماع فعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان قولهم أصح الأقوال)- (٣) .

ومؤلفاته تزخر بهذه الأقوال النيره ، والعبارات البليغة في هذا الشأن كما أن منهجه التطبيقي ، يدل على حزمه وصرامته في التقيد بما سلف ذكره .

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٧ .

(٢) مختصر الصواعق المرسله ١/ ١٨٣ .

(٣) اعلام الموقعين ٢/ ٥٧ .

المطلب الثاني : دعوته إلى العقيدة الصحيحة .

لم يدع الإمام ابن القيم رحمه الله مسئلة من مسائل العقيدة الصحيحة إلا دعا إليها مع أدلتها والرد على مخالفيها ، وتمتاز دعوته بالدقة العلمية مع العذوبة الأدبية التي تأسر القارئ ، وتلك وظيفة العالم الداعية ، صاحب الرسالة الإصلاحية.

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله في ذلك :

(له من حسن التصرف مع العذوبة الزائد ، وحسن السياق ، بما لا يقدر عليه غالب المصنفين ، بحيث تعشق الأفهام كلامه ، وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب) (١) .

ومن نماذج اقواله في هذا الصدد :

(اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته ولا خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ولا في العمل له ولا في الخلف به ولا في الخضوع له ولا في التوكل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها ، بل ليس هذه الحاجة نظير تقاس به ، فان حقيقة العبد بروحه وقلبه ، ولا صلاح لها إلا بأن إلاهها الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ، ولا بد لها من لقائه ولا صلاح لها الا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه) (٢) .

ولئن كان الإمام ابن القيم رحمه الله يدعو إلى العقيدة الصحيحة بهذا الإجمال ، فإنه قد خص الاركان والمسائل الأخرى بالافراد والتنصيص والاهتمام كما

---

(١) البدر الطالع ١/١٤٤ للشوكاني .

(٢) طريق الهجرتين ص ٥٧ - ٥٨ .

قال عن توحيد الأسماء والصفات :

﴿ والعصمة النافعة في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، بل تثبت له الأسماء والصفات ، وتنفى عنه مشابهة المخلوقات فيكون إثباتك منزهاً عن التشبيه ونفيك منزها عن التعطيل ، فمن نفى حقيقة الإستواء فهو معطل ومن شبهه باستواء المخلوق فهو ممثل ، ومن قال : استواء ليس كمثله شئ ، فهو الموحد المنزه ، وهكذا الكلام في السمع ، والبصر ، والحياء والإرادة ، والقدرة ، واليد ، والوجه ، والرضى ، والعقب ، والنزول ، والضحك ، وسائر ما وصف به نفسه ﴾ (١) .

وينحو الامام ابن القيم رحمه الله في كل موضوع يبحثه إلى الاسهاب والاستيعاب وقد يفرد بعض المسائل بمصنفات خاصة ، ووجه آخر جدير بالملاحظة في دعوة الامام ابن القيم رحمه الله ، إذ هو في بيانه لا يركز على تقرير الحقائق العلميه فحسب ، بل يمزجها بروح الداعيه المصلح ، ويقتنص كل سانحة لدعوة الشاردين وتذكير الغافلين .

المطلب الثالث : دفاعه عن العقيدة .

دافع الامام ابن القيم رحمه الله بقوة عن العقيدة الصحيحه أمام هجمات الفلاسفة والمتكلمين ، وفند أباطيلهم ، وبين تهافت أدلتهم وأزاح للناظرين تناقضتهم ، وألزمهم بما لا يستطيعوا منه فكاكاً ، وقد تميز دفاعه بخصائص علميه

---

(١) مدارج السالكين ٢/٨٢ .

قيمة منها : الإعتماد على الكتاب الكريم والسنة المطهرة في النظر والاستدلال .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

« وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن من البراهين والآيات الدالة على المطالب : من التوحيد وإثبات الصفات ، وإثبات المعاد والثواب ، ورد النحل الباطله ، والآراء الفاسده ، مثل القرآن ، فإنه كفيل بذلك كله متضمن على أتم الوجوه وأحسنها وأقربها للعقول وأصحها بياناً فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك ، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه ، فمن رزقه تعالى ذلك أبصر الحق والباطل ، وعلم أن ماعداه من كتب الناس وآرائهم ومقولاتهم إنما هي آراء وتقليد ، وبين ظنون كاذبه لا تغني عن الحق شيئاً ، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها ، وبين علوم صحيحه قد وعروا الطريق إلى تحصيلها وأطالوا الكلام في إثباتها ، مع قلة نفعها ، فهم يزعمون أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشبه والشكوك ، والفاضل الذكي يعلم أن الشبه والشكوك ترد بذلك ، ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحصل من كلام هؤلاء المتحيرين المتشككين الشاكين »[1] .

واتصفت ردود الإمام ابن القيم رحمه الله بالإحاطة الموضوعيه والاستيعاب الشمولي للموضوع المراد طرقه ، حتى لا يدع لناظر مزيد .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

« وهو طويل النفس في مؤلفاته يعاني الإيضاح جهده ، فيسهب جداً »[2] .

---

(١) اغاثة اللهفان ١/٤٤-٤٥ باختصار .

(٢) البداية والنهاية ١٤/٢٠٢ .

ولم يدع نحلة لها شأن إلا وأقبل عليها إقبال الواثق الخبير، متناولا كل مقولة بالتفصيل من حيث نشأتها التاريخيه وتطورها العقدى ثم يتبع ذلك رده المحكم وجوابه المفحم ، واستدلاله المقنع وتعتبر الجهميه والمعطله أوفى الفرق حظاً من ردود الامام ابن القيم رحمه الله كما أعطى جانباً من اهتمامة للرد على مقـــولات اليهود والنصارى وسائر الفرق والنحل الضالة (١) .

المطلب الرابع : جهوده العلميه .

سخر الإمام ابن القيم رحمه الله قلمه السيال ، وعلمه الزاخر وفكره الثاقـــب لخدمة العقيدة الصحيحه ونشرها بأعذب الأساليب وأرقاها ، فجاءت مؤلفاته ، دراً ثمينة وكنوزاً نادرة ،توارثها الدعاه والمصلحون ،وانتفع بها العلماء المحققون ، يتزودون من رحيقها ،وينهلون من معينها الفياض،ومن أهم تلك المؤلفات :

١ - اجتماع الجيوش الإسلاميه على غزو المعطلة والجهمية .

٢ - الصواعق المحرقه على الجهمية والمعطله .

٣ - طريق الهجرتين وباب السعادتين .

٤ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .

٥ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل .

٦ - مفتاح دار السعادة .

٧ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .

---

(١) من أمثلة كتب الإمام ابن القيم في هذا الشأن اجتماع الجيوش الإسلاميـة على غزو المعطلة والجهميه ، والصواعق المحرقه على الجهمية والمعطلـة وكتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .

٨ - زاد المعاد في هدى خير العباد .

٩ - الكافيه الشافيه في الإنتصار للفرقة الناجيه .

١٠- هادي الأرواح إلى بلاد الافراح .

المطلب الخامس : محنتـه .

ليس بغريب أن يتعرض الإمام ابن القيم رحمه الله ، لألوان من المحن والفتن في زمن تسلطت فيه الخرافة والدجل ، وعم التقليد المذموم أوساط الأمة ، وتعلقت العامه بأهداب الخاصه دون وعي ، وانتشرت كتب الكلام وراج سوقها ، وتستم تيار التصوف مقاليد الرأي العام ، فقابل الامام ابن القيم رحمه الله هذه المعوقات جميعاً غير هياب ولا وجل ، وعندما صدع بكلمة الحق ، فتألبت عليه القوى ، فلابد والحالة هذه أن يصيبه من جرائها الأذى ، فقد (أوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيره بالقلعة ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ (١) .

ولما كان الامام ابن القيم رحمه الله يتمتع بالشجاعة والإيمان الراسخ ، لم يسعه أن يكتم ما يؤمن به من مبادئ وقيم ، يقول رحمه الله :

« ولا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده فنحكي المذهب الراجح ونرجحه ، وتقول هذا هو الصواب وهو أولى أن يؤخذ به » (٢) .

تلك إشارات موجزة تدل قطعاً على أولوية العقيدة الصحيحه في دعوة الامام ابن القيم رحمه الله .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨ .

(٢) اعلام الموقعين ٤ / ١٧٧ .

(٣) الدرر الكامنة ٤ / ٢٣ .

* المبحث الثامن *

" الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله "

يعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من العلماء المجددين الذين سجل لهم التاريخ تأثيراً عالمياً ، مما يستوجب دراسة شخصية هذا الإمام الفذ وأسباب نجاح دعوته .

فقد نشأ رحمه الله في بيئة اتفق المؤرخون على بلوغها درجة بالغة من الانحطاط العقدي ، والاسفاف الأخلاقي ، والتشرذم السياسي ، والتخلف العلمي ، فكان لابد من داعيه مصلح يملك مقومات عدة ، ومواهب متعددة ، يهيئها الله سبحانه إياه ، يزيل بها هذا الركام الزائف ، فيعيد للدين صفائه وللعقيدة رونقها الخلاب ، لأنها أساس الإصلاح ، وبسلامتها تكمل نواحي الإصلاح وتستقيم جادة العمران .

ولا شك أنها مهمة شاقة وعسيره ، مما حدا بالامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن يركز على قضية واحده ، ابتدأ ، استجمع لها قواه ، ووظف لها مواهبه ، وجعلها قطب رحى دعوته ، فانطلق بالدعوة إلى العقيدة الصحيحه ، بدأ من بلده - حريملاء - وخلال رحلاته العلميه في الحجاز والعراق ، حتى إذا اشتد عوده ونضجت تجربته ، إنتهى إلى إختيار الوسائل المناسبه المؤثره ، ومن أهمها : قوة للحق تحميه في عصر لا يفهم إلا لغة القوة ، فعرض دعوته على أمير العيينه وقال له كلمته المشهوره : - إني لأرجو إن كنت قمت بنصر لا إله إلا الله بأن يظهرك الله تعالى وتملك نجد ، وأعرابها - (١) ، فاستجاب الامير في بادئ

---

(١) عنوان المجد ١٢/١ لابن بشر .

الأمر ،لكنه لم يصبر على الوفاء بالعهد ، ورضخ للتهديد السياسي والعقوبات الاقتصادية من قبل أمير الاحساء ، الذى أغضبته أخبار الدعوة الناشئة .

فخرج الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من العيينه بعد نقض أميرها العهد الى أرض أشد صلابة ،وأبعد عن أى تأثير سياسى أو اقتصادى ،فاختار الدرعيه ،التى يعرفها جيداً ،وله فيها تلاميذ بررة ، فحل على أحدهم ضيفاً مكرماً ، واستاذاً مبجلاً ، وفى هذا الأثناء نمى خبر وصول الامام الى أمير الدرعيه محمد بن سعود رحمه الله فسارع إلى ملاقاة الامام والترحيب به ،وعندها عرض الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوته على الأمير محمد بن سعود رحمه الله وتمت المبايعة فى سنة ١١٥٧ هـ (١) .

وسخر رحمه الله جميع الوسائل المتاحه فى زمنه للدعوه إلى العقيدة الصحيحه كالحسبه ،والتعليم ،والرسائل الشخصية ، والردود والكتب العلميه ،واحياء فريضة الجهاد .

وأصبحت الدرعيه منارة علم تعج بالطلبة المقيمين والوافدين الذين سرعان ما يأخذون مكانهم القيادى ،فانتشرت بفضل الله الدعوة فى نجد وخارجها ، وقامت فى الدرعيه حركة علميه سلفيه قويه ، توازرها قوة سياسيه وعسكريه هائله كانت ثمرة دانيه للدعوه الى العقيدة الصحيحه ، وبهذا تكون قد تكللت جهود الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله بالنجاح المنقطع النظير، فكان من المناسب أن أشير بايجاز الى مظاهر اهتمامه بالعقيده الصحيحه لتكون دافعاً قوياً للدعاة فى عصرنا بلزوم منهج العقيدة الصحيحه والدعوة لها ،وأنها خير ضمان لتحقيق الأهداف

---

(١) تاريخ ابن غنام ٢/٤ .

النبيلة ، والغايات السامية ويتلخص في المطالب التالية :

المطلب الأول : الدعوة إلى التوحيد .

ابتدأ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوته إلى التوحيد الخالص اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد رجع رحمه الله من رحلة شاقه أدرك من خلالها أدواء الأمة ، وكانت نجد مثالاً للحالة العقدية المزرية للعالم الاسلامي يومذاك ، فقام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يدعو أهل نجد إلى :

(التوحيد وأن يخلصوا العبادة بجميع أنواعها لله ، وأن يتركوا ماكانوا يعبدونه من قبر أو طاغوت أو شجر أو حجر ، والناس يتبعه الواحد منهم والاثنان فصاح به الأكثرون وحذروا منه الملوك وأمروهم بعداوته) (١) .

ولم يفت ذلك من عزيمة الإمام ، بل زاده إيماناً بضرورة الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ، فكاتب علماء نجد والحرمين والعراق واليمن كما كاتب أمراء المناطق والعشائر (٢) .

ويقوم منهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على أربعة أسس رئيسية هي :

١ - الدعوة إلى التوحيد .

٢ - البراءة من الشرك والتحذير منه .

٣ - تكفير من بان له التوحيد وعرف أنه حق ثم أبغضه وحاربه .

---

(١) الدرر السنية ٩/٢١٦ .

(٢) انظر : مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (القسم الخامس الرسائل الشخصية) .

٤ - القتال لمن سب دين الرسول وحارب التوحيد وأهله .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

(فلما اشتهر هؤلاء الأربع صدقني من يدعي أنه من العلماء من جميع البلدان في التوحيد ونفي الشرك وردوا علي بالتكفير والقتال) (١) .

واستمرت دعوته المباركة على هذا أكثر من خمسين عاماً حيث كانت وفاته رحمه الله في شوال سنة ١٢٠٦ هـ (٢) .

المطلب الثاني : تحمله الأذى في سبيل نشر العقيدة الصحيحة .

لقي الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كغيره من الأئمة والمصلحين ، فقد رمي بالسحر ، والجهل والادعاء بانه لا عهد له ولا ذمام ، وشنع عليه الجهال ، وعلماء السوء (٣) ، وفي إبان إقامته في البصرة لطلب العلم رأى بعض مظاهر الشرك ، فأنكره أشد الانكار فلما تكرر منه ذلك آذاه بعض أهل البصرة أشد الأذى وأخرجوه منها وقت الظهيرة ، وكاد أن يموت عطشاً لولا أن الله تعالى أعانه برجل يقال - حميدان - فسقاه وأركبه حماره حتى أوصله الزبير (٤) وبعد قيامه بالدعوة إلى التوحيد وإقامة حدود الله في العيينة أرجف أميرها ، وأخرج الشيخ منها برفقة جندي إسمه - فريد الظفيري - في حر الصحراء ووهجها ليس في يده إلا مروحة (٥) .

وفي حريملا كان طائفة من المماليك عاثوا في الأرض فساداً فأراد الشيخ

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الشخصي رقم ٣/٢٤-٢٥ .
(٢) تاريخ نجد ٢/٨٤ .
(٣) المصدر السابق حـ ١ / ص ٧٩ - ٨٢ .
(٤) انظر : تاريخ نجد ١/٧٦ ، وعنوان المجد ١/١١ .
(٥) عنوان المجد ١/١٤ .

محمد بن عبد الوهاب أن يمتنعوا عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه سراً بالليل ، فلما تسوروا عليه الجدار علم بهم الناس فصاحوا بهم فهربوا (١) .

وكان الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مثالاً للداعيه الصابر على ما يلاقي من بلاء ومحنه ، يقابل السيئه بالحسنة ، ويتعزى بما قاساه قبله الموحدون ، وما لقيه المؤمنون من أنواع البلاء ، وما سمى لهم به أهل الشرك والضلال ، وهذه سنة الله تعالى في عباده جارية في جميع الأزمان (٢) .

المطلب الثالث : جهوده العلميه .

توجهت جهود الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله العلميه إلى جميع أصناف المعرفه ، مستخدماً جميع الوسائل حيث جلس في حلقات العلم والوعظ ، فأقبل عليه طلبة العلم من كل فج ، كما نظم دروساً عامه ، أما الكتابه فله سهم وافر منها ، ومن أبرز كتبه ما يلي :

١ - كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وهو " كتاب بديع الوضع لم يسبق إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله جعل كل باب منه قاعدة من القواعد يبنى عليها كثير من الفوائد " (٣) .

٢ - كشف الشبهات .

٣ - الرد على الرافضة .

---

(١) تاريخ نجد ١/٧٨ .

(٢) تاريخ نجد ١/٧٩ .

(٣) الدرر النضير ص ٥ .

٤ - فضل الإسلام .

٥ - مسائل الجاهليه ،وغيرها ذلك من الكتب والرسائل القيمة .

كما تحمل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على ذمته الخاصة تفقه طلبة العلم الذين يفدون إلى الدرعية لطلب العلم ،ولما تم فتح الرياض كان في ذمته أربعون ألف نجدية قضاها من غنائمها (١) .

المطلب الرابع : إحياء فريضة الجهاد واقامة الدولة المسلمة .

من كان له أدنى المام بتاريخ جزيرة العرب وظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،يدرك ضرورة وجود دولة قوية تلم شعث شمل تلك الأمة الغوضوية يومئذ ، التي اشتعلت نيران حربها ،وعادت إلى جاهليتها القديمة ، ففي كل بلده وقريه زعيم ، وبين ذلك قبائل الأعراب المتوحشة ،فلا سبل مأمونه ، ولا أعراض مصونة،ولا دماء معصومة،قانون الجميع الثأر ، وعاطفتهم الحميه الجاهلية ، فمن المستحيل والحالة هذه ، ان ترفع راية التوحيد، وسط طوفان الغوضى والهمجيه مالم تستند على قوة ضاربة ، تزلزل أقدام الباطل ،وترهب المفسدين ،مما حدا بالامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الى مبايعة الامير محمد بن سعود (٢) قائداً لجهاد المسلمين ،من مهامة الرئيسيه قيادة الجيوش ،وكان الإمام رحمه الله يتولى بدوره (تجهيز الجيوش ، وبعث السرايا ، ويكاتب أهل البلدان

---

(١) عنوان المجد ١/١٨ .

(٢) محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان أول من لقب بالإمامه من آل سعود في نجد كان مقامه بالدرعيه وفي أيامه وفد على الدرعيه الشيخ محمد ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحيه ،فتعاهدا على أن يكون حارساً للدين وناصراً للسنة ،توفي في الدرعيه .
انظر : الاعلام ٦/١٣٨ .

ويكاتبونه ، والوجوه إليه والضيوف عنده ، والداخل والخارج من عنده " (١) .

ولا ريب أن العقيدة التي جمعت بين قلوب الموحدين ، ووجدت صفوفهم وحملتهم على بذل أموالهم ونفوسهم رخيصة في سبيل الله هي الدافع الأقوى ، والأساس المتين في قيام الدولة السعودية المباركة ، وفي هذا أن الاهتمام بالعقيدة الصحيحة والدعوة إليها بصدق وإخلاص وتفان ، يعجل باستجابة الأمة المسلمة لنداء الشريعة وحكمها ، ويزيل جميع العوائق دون تطبيقها بشمولية وكمال . ومن ثم فان عودة الخلافة الاسلامية بعد ذلك لن تكون بعيدة المنال بيد أن تخطى قواعد التشريع ، وإهدار منهج الأنبياء والرسل وسائر المصلحين في الدعوة يعد تكريساً وإمعاناً لتعميق الفجوة دون عز المسلمين وسؤددهم .

* * * *
* * *
* *
*

---

(١) عنوان المجد ١/١١٠ - ١١١ .

الخاتمة

* الخاتمـــــة *

بفضل الله عز وجل وكرمه تم إعداد هذه الرسالة ، والتي إنتهيت فيها إلى نتائج هامه أوردها حسب ترتيبها في الرسالة كما يلي :

١ - حاجة الإنسان لربه عز وجل لازمه له بكل حال ، ومن العسير جداً حصرها واستقرارها، ولا سبيل لتحقيقها إلا بالتعلق بالله عز وجل والوقوف بين يديه وقطع الرجاء والأمل من سواه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة العقيدة الصحيحة والعمل بمقتضاياتها ، إذ العقل لا يستقل بمعرفة الحق ، ولا ريب أن الدعوة إلى الله خير من يعرف الناس بربهم سبحانه وتعالى .

٢ - ضرورة وجود فئة متخصصة ومتفرغة للقيام بواجب الدعوه إلى الله بحيث يغطي نشاطها سواد الأمة ، مع السعي إلى بث الوعي الشرعي بلزوم كل مسلم على قدر علمه ومسؤوليته بواجب الدعوه إلى الله .

٣ - شمولية الدعوة الإسلاميه واستيعابها لكل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان .

٤ - العناية الفائقه باختيار الأساليب الشرعيه المعصومه أكبر ضمان لنشر الدعوة وقبولها .

٥ - المطالبة بتوظيف جميع الوسائل المباحه لخدمة الدعوة إلى الله ، وفق خطط علميه مبرمجه .

٦ - السعي الدؤوب إلى إيجاد الداعيه الكفء علماً وعملاً ، ووضع البرامج الكفيلة بذلك .

٧ - الشرع الحنيف بنصوصه المعصومه ، يؤكد على أهمية الدعوة ووجوب نشرها لعالميتها التكليفيه وما يترتب على إهمالها من آثار خطيره على الكون والحياه

فضلاً على ما يحصل من اقـامتها من نتائج وثمرات عظيمه للبشرية جمعاء .

٨ - الدعوة الاسلاميه ضرورة تاريخيه، وحاجة انسانيه ، ودراسة التاريخ وتتبـع مراحله يؤكد هذه الحقيقه .

٩ - واقع المسلمين اليوم وما يشهد من انحطاط وتخلف وانهزاميه فى جميـع المجالات، يستدعى العمل بالضد، والنهوض من جديد تحت مظلة الدعـوة الاسلاميه ، وليس من شك أن حالة العالم المعاصر وما يعصف به ، مـن موبقات تهدد حتماً حاضره ومستقبله ، يستلزم تدخل الدعاه لانقاذه مـن المصير المرتقب .

١٠- من الحقائق الهامه التى لا تقبل الجدل، أنه على قدر قوة الدعوة وتمكينهـا ينال المسلمون ما يقابل ذلك من عز وسؤود وتمكين أو يزيد ، ويعتبر الحكام والعلماء وعموم الدعاه، مسؤولون عن حماية الدعوه وقوتها ، وتعاونهـم واتفاقهم ضرورى فى هذا السبيل .

١١- ضرورة قيام حركة علميه حقيقيه تعنى بالجانب الشرعى ، والمجال المدنى المتشعب وفق خطط علميه جاده، تدعمها ارادة سياسيه مخلصة ، ووعى إسلامى رشيد .

١٢- الدعوة إلى إعادة رسالة المسجد الحقيقيه المعروفة عند سلف الأمه واسترداد ما فقده من مهام ومسؤوليات تناسبه فى هذا العصر .

١٣- المطالبه بفتح باب الإجتهاد الجماعى بشروطه وضوابطه .

١٤- تنفرد القدوه بخصائص هامه ، يجب توظيفها وتسخيرها لخدمة الدعوه، ولا ريب أن الدوله المسلمه ورعيتها هم المرشحون لهذا التحقق .

١٥- محاربة البدع والتيارات الهدامه تفتح الطريق واسعاً وتزيل جميع العقبـات

أمام تقدم الدعوه ، وتعيد للدين صفاته وللعقيدة رونقها الخلاب .

١٦- ضرورة الوحده العالميه المنظمه لدعاه أهل السنه والجماعه ، وليس بالعسير ذلك متى صدقت النيات وقويت العزائم .

١٧- معرفه معنى العقيده الصحيح طريق قوى لفهمها على حقيقتها ، وعصمة أكيده من الزلل .

١٨- عرض محاسن العقيدة الصحيحة ضرورة ملحه فى الدعوة الى الله .

١٩- الدعوة إلى العقيدة الصحيحه تتوائم وتتفق مع الغايه من خلق الانسان .

٢٠- الدعوة إلى العقيدة الصحيحه لب دعوة الانبياء ومقصد الرسالات السماويه .

٢١- ترك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة معصية ظاهره ، وكبيرة موبقه .

٢٢- الحيدة عن الدعوة إلى العقيدة مدعاة إلى الوقوع فى الجهل المركب .

٢٣- إهمال العقيدة الصحيحه فى الدعوة ضرب لعقيدة الولاء والبراء وخلخلة لموازين الحق ، ونسف للحقائق العقيديه ، وتحريف للمفاهيم العقديه الثابته .

٢٤- الفشل العملى الذريع مقرون بترك الدعوه إلى العقيدة .

٢٥- يعزى تنحية العقيدة الصحيحه فى الدعوة إلى عوامل خطيره من أهمها : الجهل بها وتبوء بعض أعدائها مقام القدوه والقياده إضافة إلى التأثر بحركة الاصلاح المعاصره ، وقصور بعض دعاة العقيدة الصحيحه دون المستوى المطلوب فى الأسلوب والوسيله .

٢٦- الداعية يغير زاد كاف من العقيدة الصحيحه وبال على نفسه وبلاء على غيره .

٢٧- شخصية الداعيه عنوان دعوته ، ومعرفة العقيدة وتطبيقها عنصر حيوى وهام لبناء الشخصية وقوتها وتأثيرها .

٢٨- لا يستمر فى طريق الدعوة الشاق الطويل الا أصحاب العقائد الصحيحه ، فالمصالح المادية وان عظمت ، والعواطف الجياشه وان قويت، لا يولد ان طاقه فعالة مؤثرة فى المدى البعيد .

٢٩- فى رحاب دعوة العقيدة الصحيحه يتسنى للمدعو مالا يحقق له فى الدعوات الاخرى ، من مثل إنتظام فى سلك الفرقه الناجيه ، والنجاه والسعاده فى الدنيا والأخره .

٣٠- الدعوه إلى العقيده وتطبيق مستلزماتها ذات تأثير بالغ فى تغيير الصفات الوراثية .

٣١- إستمالة المدعو وتجنيده من أقرب طريق ، يكون بتسليط خطاب العقيدة الصحيحه عليه وتعريفه بها .

٣٢- العقيدة الصحيحه تملك من القوة الذاتيه ما يمكنها من إلحاق الهزائم الماحقه بالدعوات المضاده وكشف زيف مقولاتها .

٣٣- الدعوة إلى العقيدة الصحيحه تصير الأعداء أولياء .

٣٤- الاستقراء التاريخى الشامل للدعوة الاسلاميه الصحيحه يثبت أن صفوة الدعاة عبر القرون، لم يتخلوا عن العقيدة فى الدعوه ، ولم يقبلوا أى تنازل دونها ، مهما عظمت التضحيات وكانت النتائج ، فالأنبياء والرسل عليهم السلام دعوا أقوامهم إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك بصراحة بالغة وبمختلف الوسائل والأساليب ، وتحملوا من أجل المشاق والتبعات الباهضه ، وعلى الوتيره ذاتها دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام بذلك خير قيام ، ومنهج دعوته المعصوم قدوة للدعاة جميعا ، وسار أصحابه رضوان الله عليهم على نفس المنهج

ونذروا أموالهم ونفوسهم من أجلها ، ورضوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا ينحرم البتـــه وبالغوا في محاربة البدع وقمع دعاتها وتبرؤا منهم ، وقطعوا دابر كل شبهه ، ولـزم التابعون ومن بعدهم من أهل القرون المفضله منهج شيوخهم من السلف الصالـح حذوا القذة بالقذة ، فردوا على أصحاب المقولات المنحرفه وابغضوهم في اللـــه وهجروهم ، وقاتلوهم ، وتركوا آثاراً عليه نافعه .

ونالت الدعوه إلى العقيدة الصحيحه اهتماماً أولياً عند الإئمه الأربعة - رحمهم الله - فدعوا إلى المذهب الحق وحذروا من مخالفته وأمتحنوا من أجله وكتبـــوا الردود النافعه على المخالفين .

ولا يختلف أحد من أهل السنه والجماعه في مكانة شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله والاعتراف باستاذيته وفضله على من بعده ، وحرصه الشديد على الدعـــوة العقيدة الصحيحه بكل وسيلة شرعيه توفرت له في عصره وحظيت الدعوه إلى العقيدة الصحيحه باهتمام كبير عند الامام ابن القيم رحمه الله وتدل آثاره المكتوبة وسيرتـــه العمليه على إيمانه العميق بأهمية الدعوه الى العقيدة الصحيحه وتقديمه على ماسواهـا ونصرته القويه لها ، ويعتبر الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أحرص الدعـاة تركيزا ودعوه الى العقيدة ويعزى نجاحه بفضل الله ثم بتتبعه لآثار رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، وتركيزه على قضية التوحيد ومحاربة الشرك .

٣٥- التحذير من تخطي قواعد التشريع ، واهدار منهج الأنبياء والرسل والمصلحين وبعد ذلك سعياً إلى تعميق الفجـوة بين المسلمين وما يأملونه من عـــز وتمكيـن .

* * * *

التوصيات

* التوصيـــــات *

عنيت هذه الرسالة بالتركيز على قضيتين اثنتين :

الاولى : التنويه بأهمية الدعوة وضرورة نشرها .

الثانية : إعطاء العقيدة الصحيحه المكانة اللائقه فى الدعوة الاسلاميه المعاصره ، والتحذير من مخالفة ذلك ، وسوف تكون التوصيات حول هاتين القضيتين وفيما يلى بيان تلك التوصيات .

١ - ضرورة بث الوعى الدعوى بأهمية الدعوة الإسلاميه على مستوى الرأى العام الاسلامى .

٢ - المسارعة إلى فض المنازعات التى تطفوا على الساحة العمليه بين الدعاة ، وأن يتقلد العلماء مهمة الحكم فيها من خلال مجامع فقهيه محايده .

٣ - الدعوه إلى العناية الفائقة بموضوع فقه الدعوه وتخصيصه بمادة علمية تدرس بالمعاهد والجامعات الاسلاميه .

٤ - تفتقر الدراسات الدعويه المعاصره إلى الكتابة العلميه المؤصله لذا أقترح أن تكون الطروحات العلميه فى الجامعات الإسلاميه تتم وفق خطط ودراسات مبرمجه لتكون نواة مكتبة علميه دعويه كاملة .

٥ - الاسراع إلى الوحده بين دعاة العقيدة الصحيحه فى العالم وتأهيلهم علمياً وعملياً لدفعهم إلى أخذ زمام المبادره ، والتغلغل فى جميع الأصعده . والارتقاء الدائم إلى المستوى الأمثل ، فى الأسلوب والوسيله .

٦ - رغم خطورة إهمال العقيدة الصحيحه فى الدعوة الا انه لم يتم حتى الآن اتخاذ اجراءات عمليه جماعيه لايقاف هذا الخطر ، لذا فان الحاجة ماسة إلـــى

إلى اقامة المؤتمرات والندوات العامه والدوريه لمعالجة هذا الموضوع الخطير، ولعل الجامعة الاسلاميه أولى الجهات المرشحه للدعوه إلى هذا المؤتمرات والندوات .

٧ - ندب الباحثين في قسم الدراسات العليا إلى الكتابة العلميه في هذا الموضوع البكر وطرقه من جميع جوانبه .

* * * *
* * *
* *
*

فهرس الآيات

* فهـــرس الآيـــات *

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
سورة البقرة		
١ - ومن الناس من يقول آمنا بالله	٨ - ١٠	٤٠١
٢ - واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض	١١	٤٨٠
٣ - واستعينوا بالصبر والصلوة	٤٥	٩٢
٤ - وإذ قلتم يا موسى	٥٥ - ٥٦	٤٦٣
٥ - وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها	٧٢ - ٧٣	٤٦٣
٦ - أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	٧٥	٣٣
٧ - أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم	٨٧	٣٤٦
٨ - ولما جاءهم كتاب من عند الله	٨٩	٩٢ - ١٥٣
٩ - ود كثير من أهل الكتاب	١٠٩	١٦٤
١٠ - ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى	١٢٠	١٦٦
١١ - ربنا واجعلنا مسلمين لك	١٢٨	٣٥٣
١٢ - ومن يرغب عن ملة إبراهيم	١٣٠	٥٠٠
١٣ - أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت	١٣٣	٣٥٣
١٤ - وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا	١٣٥	١٥٢
١٥ - قولوا آمنا بالله	١٣٦	٣٥
١٦ - ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات	١٥٩	٢٢١
١٧ - والذين آمنوا أشد حبا لله	١٦٥	٣٦٦ - ٣٦٧
١٨ - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	١٧٠	٩٤
١٩ - إن الذين يكتمون ما أنزل الله	١٧٤	٢٢١
٢٠ - ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب	١٧٩	٤٩
٢١ - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام	١٨٣	٤٣
٢٢ - يريد الله بكم اليسر	١٨٥	٥٠
٢٣ - أجيب دعوة الداع إذا دعان	١٨٦	١٦
٢٤ - وقتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	٥١١

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٢٥- وتزودوا فان خير الزاد التقوى	١٩٧	٣٧٨
٢٦- ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا	٥٤ -٢٠٦	٤٨٠
٢٧- يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة	٢٠٨	٢٤٤، ٣٢٩
٢٨- كان الناس أمة واحدة	٢١٣	٣٤ - ٣٥
٢٩- واذا طلقتم النساء	٢٣٢	٣٢٨
٣٠- ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم	٢٤٣	٤٦٣
٣١- من ذا الذى يشفع عنده	٢٥٥	٤١١
٣٢- فان الله يأتى بالشمس من المشرق	٢٥٨	٧٥
٣٣- أو كالذى مر على قرية	٢٥٩	٤٦٤
٣٤- واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى	٢٦٠	٤٦٢
٣٥- آمن الرسول بما أنزل	٢٨٥	٣٤٥، ٣٤٦
سورة آل عمران		
١ - الم الله لا اله الا هو الحى القيوم	١ - ٤	٣٢
٢ - شهد الله أنه لا اله الا هو	١٨	٣٠٢
٣ - وقل للذين أوتو الكتاب	٢٠	١٥٣
٤ - قل ان كنتم تحبون الله	٣١	٣٥٥
٥ - ان الله اصطفى آدم	٣٣	٣٥٥
٦ - ورسولا الى بنى إسرائيل	٤٩	٤٦٢
٧ - فلما أحس عيسى منهم الكفر	٥٢ - ٥٣	٥٠٤
٨ - قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء	٦٤	٥١٥
٩ - وقالت طائفه من أهل الكتاب	٧٢	١٦٧
١٠- ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب	٧٩	٧
١١- واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا	١٠٣	٣١٣-٣٧٣
١٢- ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير	١٠٤	٢٠ - ٢٣
١٣- ولا تكونوا كالذين تفرقوا	١٠٥	٣١٤
١٤- كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠	٢٣ - ١٢٣

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
١٥- قد خلت من قبلكم سنن	١٣٧	٩٩ - ١٢٦
١٦- فبما رحمة من الله لنت لهم	١٥٩	٢٥٣ ، ٢٦٨ -
١٧- لقد من الله على المؤمنين	١٦٤	٢١٥
١٨- إنما ذالكم الشيطان يخوف أولياءه	١٧٥	٣٨٤
١٩- واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب	١٨٧	١٩٣
سورة النساء		
١ - يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة	١	٢٧٩
٢ - ومن يعص الله ورسوله	١٤	٣٥٥
٣ - يريد الله أن يخفف عنكم	٢٨	٥٠
٤ - ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان	٣٣	٥١
٥ - واللاتى تخافون نشوزهن	٣٤	٦٦
٦ - واعبدوا الله ولا تشركو به شيئا	٣٦	٢٧٣
٧ - يؤمنون بالجبت والطاغوت	٥١	١٦٧
٨ - أن الله يأمركم	٥٨	٢٥٩
٩ - يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .	٥٩	٢٦٤ - ٣٣١
١٠- ألم تر الى الذين يزعمون أنهم ءامنوا	٦٠ - ٦٨	٤٧ - ٤٧٣
١١- فأعرض عنهم وعظهم	٦٣	٦٠
١٢- فلا وربك لا يؤمنون	٦٥	٢٤٥
١٣- وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله	٧٥	٣٢٥
١٤- وأنزل عليك الكتاب والحكمة	١١٣	٢١٥
١٥- ومن يشاقق الرسول	١١٥	٣٥٥ - ٥١٩
١٦- ان الله لا يغفر أن يشرك به	١١٦	٤٠٩
١٧- يأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط	١٣٥	١٤٤ - ٢٥٨ - ٣٢٨

السورة		رقم الآيات	رقم الصفحة
١٨-	ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله	١٣٦	٣١
١٩-	بشر المنفقين بأن لهم عذاباً أليماً	١٣٨ - ١٣٩	٤٦٩
٢٠-	ان المنفقين يخدعون الله	١٤٢	٤٧٧
٢١-	ان المنفقين فى الدرك الأسفل من النار	١٤٥	٣٨٠
٢٢-	ان الذين يكفرون بالله ورسله	١٥٠	٣٤٦
٢٢-	وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم	١٥٧	٤٢٨
٢٩-	وان من أهل الكتب إلا ليؤمنن به	١٥٩	٤٠
٢٥-	لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل	١٦٥	
٢٦-	ان الذين كفروا وصدو عن سبيل الله	١٦٧	٣٥٦
٢٧-	يأهل الكتب لا تغلوا فى دينكم	١٧١ - ١٧٢	٢٥
	(٥) سورة المائدة .		
١ -	يايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط	٨	١٤٥
٢ -	ومن الذين قالوا انا نصرى	١٤	٣٤
٣ -	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم	٧٢	٥٠٤
٤ -	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	٣٨	٤٩
٥ -	يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسرعون فى الكفر	٤١	٤٧٠
٦ -	انا أنزلنا التورية فيها هدى ونور	٤٤	٣٧
٧ -	وقفينا على آثرهم	٤٦	٣٣
٨ -	وأن احكم بينهم بما أنزل الله	٤٩	٢٤٥
٩ -	افحكم الجاهلية يبغون	٥٠	٢٤٦
١٠-	يأيها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى	٥١ - ٥٢	٢٢٥ - ٤٦٨
١١-	انما وليكم الله ورسوله	٥٥ - ٥٦	٣٢٣
١٢-	ما المسيح ابن مريم الا رسول	٧٥	٤٢٧
١٣-	قل ياهل الكتب لا تغلوا فى دينكم	٧٧	٤٢٦
١٤-	لعن الذين كفروا من بنى اسرآءيل	٧٨	١١٧

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
١٥- انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام	٩٠	٥٠
١٦- اعلموا أن الله شديد العقاب	٩٨	٦٧
١٧- واذ قال الله يٰعيسى ابن مريم	١١٦-١١٧	٥٠٣
(٦) سورة الأنعام .		
١ - فقد كذبوا بالحق لما جاءهم	٥	٤٤٣
٢ - ولو جعلنٰه ملكاً لجعلنٰه رجلاً	٩	٤٤١
٣ - قل لمن مافى السمٰوات والأرض	١٢	٢٨
٤ - قل أغير الله أتخذ ولياً	١٤	٤٢١
٥ - واوحى الى هذا القرآن	١٩	١٣٧
٦ - ولو ردوا لعادوا لما نهوعنه	٢٨	٤٦٥
٧ - ما فرطنا فى الكتٰب من شيء	٣٨	١٠ ، ٢٣٠
٨ - قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم	٤٦	٨
٩ - وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو	٥٩	٤٠١
١٠- ويرسل عليكم حفظة	٦١	٣٢
١١- الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم	٨٢	٤٠٨
١٢- أولٰئك الذين هدى الله	٩٠	٣٥٥ - ٤٩١
١٣- ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله	١٠٨	٦٤
١٤- ولو أننا نزلنا اليهم الملٰئكة	١١١	٤٥٤ - ٤٦٥
١٥- الله اعلم حيث يجعل رسالته	١٢٤	١٣٦
١٦- وهو الذى أنشأ جنٰت معروشٰت	١٤١	٦
١٧- وأن هذا طراطى مستقيماً	١٥٣	٢٨٣ ، ٣٠٩
١٨- ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً	١٥٩	٢٨٣
١٩- قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين	١٦٢	٤١
(٧) سورة الأعراف .		
١ - يابنى ءادم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم	٢٦	٧
٢ - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا	٣١	٥٧

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٣ - وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته	٥٧	٤٥٩
٤ - لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه	٥٩	٤٩٤
٥ - انا لنراك فى ضلال مبين	٦٠	٤٣٧
٦ - أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم	٦٣	٤٤١
٧ - والى عاد أخاهم هودا	٦٥	٤٩٤
٨ - قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده	٧٠	٤٩٦
٩ - والى ثمود أخاهم صالحا	٧٣	٤٩٥
١٠- وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين	١٠٤-١٠٥	٥٠٢
١١- وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجراً	١١٣-١٢٦	٤٨٤
١٢- قالوا يا موسى اما تلقى	١١٥	٤٩٣
١٣- فأرسلنا عليهم الطوفان	١٣٣-١٣٦	٤٥٣-٤٥٤
١٤- قالو يموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة	١٣٨-١٣٩	٤٩٧
١٥- وكتبنا له فى الألواح	١٤٥	١٠٣
١٦- قل يأيها الناس انى رسول الله إليكم	١٥٨	١١٠
١٧- وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر	١٦٣-١٦٦	١٢٠
١٨- واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم	١٧٢	٩
١٩- واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا	١٧٥-١٧٦	٣٩٠
٢٠- ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس	١٧٩	١٤٨
٢١- أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة	١٨٤	٤٤٧
٢٢- خذ العفو وأمر بالعرف	١٩٩	١٤٩-١٥٠
٢٣- واما ينزغنك من الشيطان نزغ	٢٠٠	١٥٠
(٨) سورة الأنفال .		
١ - يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول	٢٤	٣٥٤
١ - واذ تتلى عليهم آياتنا قالو قد سمعنا	٣١-٣٢	٤٥١-٤٥٢

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٣ - وإذ قالوا اللهم ان كان هذ هو الحق من عندك	٣٢	٤٥٢
٤ - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٦٠	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٩٩
٥ - وألف بين قلوبهم	٦٣	٣٢١
٦ - وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر	٧٢	٣٢٤
(٩) سورة التوبة .		
١ - وقالت اليهود عزير ابن الله	٣٠	٤٢٧-٤٢٩
٢ - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم	٣١	٣٦٦
٣ - انما الصدقات للفقراء	٦٠	٩٣
٤ - يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة	٦٤-٦٧	٤٧٨
٥ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	٧١	٢٧١ - ٣١٦
٦ - لكن الرسول والذين آمنوا معه	٨٨	٥١٧
٧ - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم	١٠٣	٤٣
٨ - والذين اتخذوا مسجداً ضراراً	١٠٧	٤٧٢
٩ - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة	١٢٢	٢٠
١٠- وإذا ما أنزلت سورة	١٢٤-١٢٧	٤٧٧
(١٠) سورة يونس .		
١ - ويعبدون من دون الله مالا يضرهم	١٨	٤١٩ - ٤٢٠
٢ - فماذا بعد الحق الا الضلال	٣٢	٣٠٨
٣ - فان توليتم فما سألتكم من أجر	٧٢	١٩٤
٤ - وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو	١٠٧	٣٦٦
(١١) سورة هود .		
١ - فالم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله	١٤	٢٢٠
٢ - ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا	٢٩	١٩٤

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٣ - فالوا يا نوح قد جادلتنا	٣٢	١٩٤
٤ - قال انما يأتيكم به الله ان شاء	٣٣-٣٤	٤٤٩ - ٤٥٣
٥ - وانى عاد أخاهم هودا	٥٠	٤٩٧
٦ - يقوم لا أسئلكم عليه أجرا	٥١	١٩٥
٧ - ويقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه	٥٢	٥٠٥
٨ - قالوا يهود ماجئتنا ببينة	٥٣-٥٦	٣٨٥
٩ - قالو يصلح قد كنت فينا مرجوا	٦٢	٤٤٠-٤٩٦
١٠- قالولو أن لي بكم قوة	٨٠	٣١٥
١١- فلولا كان من القرون من قبلكم	١١٦-١١٧	١١٩
(١٢) سورة يوسف .		
١ - نحن نقص عليك أحسن القصص	٣	٦٧
٢ - قال معاذ الله انه ربى	٢٣	٣٩١
٣ - ودخل معه السجن فتيان	٣٦ - ٤٠	٥٠٠ - ٥٠١
٤ - قال اجعلنى على خزائن الأرض	٥٥	١٠٥
٥ - وما تسئلهم عليه من أجر	١٠٤	١٠٩-١٩٦
٦ - وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون	١٠٦	٥٢٨
٧ - قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة	١٠٨	٥٩
٨ - لقد كان فى قصصهم عبرة	١١١	٦٨
(١٣) سورة الرعد		
١ - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	١١	٣٧٧
٢ - الا بذكر الله تطمئن القلوب	٢٨	٣٨٢
٣ - قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به	٣٦	١٨
٤ - يمحوا الله ما يشاء ويثبت	٣٩	٣٩

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
(١٤) سورة ابراهيم .		
١ - قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات	١٠	٢٨
٢ - قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم	١١	٤٥٣
٣ - الله الذى خلق السموات والأرض	٣٢-٣٤	١ - ٦
(١٥) سورة الحجر .		
١ - وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون	٦- ٧	٤٣٩-٤٤٦-٤٥٢-٥٠٧
٢ - انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٩	٣٣٠ - ٣٤١
(١٦) سورة النحل		
١ - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	١٤	٢٩٣
٢ - والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً	٢٠ = ٢١	٤١٩
٣ - ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا	٣٦	٣٠٧ - ٣٥١
٤ - فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	٤٣	١٥٠
٥ - ويجعلون لله البنات سبحانه	٥٧ - ٥٩	٤٣١ ٣٦ - ٤٣٢
٦ - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم	٧٨	٣
٧ - والله جعل لكم من بيوتكم سكنا	٨٠	٧
٨ - والله جعل لكم مما خلق ظلالا	٨١	٧
٩ - ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم	٩٤-٩٦	٣٥٦
١٠- من عمل صالحا من ذكر او انثى	٩٧	٤١٤
١١- ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله	١٢٠	٣٩٤
١٢- ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن .	١٢٥	٢٩ - ٦١ - ٧٢
(١٧) سورة الاسراء .		
١ - وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه	١٣	٢٤٠
١ - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك	٢٩	٥٧

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٣ - وآتينا داؤد زبورا	٥٥	٣٢ - ٣٤
٤ - واجلب عليهم بخيلك ورجلك	٦٤	٢٧٨
٥ - وقل جاء الحق وزحق البـطل	٨١	٥١٥
٦ - قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا	٩٣	٤٥٣
٧ - قل ادعوا الله أو ادعو الرحمٰن	١١٠	٢٩
(١٨) سورة الكهف .		
١ - أم حسبت أن أصحٰب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجبا .	٩ - ١٠	٤٦٤
٢ - ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة	٤٧	٣٧
٣ - ولبثوا فى كهفهم	٢٥	٤٦٤
٤ - وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى	٥٥	٤٥١
(١٩) سورة مريم .		
١ - ويقول الانسان أأذا مامت	٦٦-٦٧	٤٥٨
(٢٠) سورة طـه .		
١ - طه ما انزلنا عليك القرآن لتشـق	١-١٤	٤٨٩
٢ - الرحمٰن على العرش استوى	٥	٣٤٥
٣ - واحلل عقدة من لسانى	٢٧ - ٢٨	٦٠
٤ - انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى	٤٨	٥٠٢
٥ - فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى	٦٠ - ٧٠	٤٤٤
٦ - قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا	٧٢ - ٧٣	٤٨٦
٧ - انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم	٧٤ - ٧٦	٤٨٧
٨ - ولا يحيطون به علما	١١٠	٣٤٥
٩ - وقل رب زدنى علما	١١٤	٢١٥
١٠ - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا	١٢٤	١١ - ٤١٤

	رقم الآيات	رقم الصفحة
(٢١) سورة الانبياء		
١- لوكان فيهما الهه الا الله لفسدتا	٢٢	٤٢٣
٢- وما أرسلنا من قبلك من رسول	٢٥	٢١٩-٣٥١
٣- وقالوا أتخذ الرحمٰن ولدا سبحٰنه	٢٦	٣١
٤- ولا يشفعون الا لمن ارتضى	٢٨	٤١٢
٥- وجعلنا من الماء كل شيء حى	٣٠	٣٠٨
٦- ونضع الموازين القسط ليوم القيٰمة	٤٧	٣٧ - ٤٥٦
٧- ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل	٥١ - ٥٨	٤٩٧ - ٤٩٨
٨- قال بل ربكم رب السموات والأرض	٥٦ - ٥٧	٤٢١
٩- قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم	٦٨	٣٨٣
١٠- فمن يعمل من الصٰلحٰت وهو مؤ من	٩٤	٤٣
١١- ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر	١٠٥	٢٩٨
١٢- وما أرسلناك الا رحمة للعالمين	١٠٧	١٣٦
(٢٢) سورة الحج		
- ان زلزلة الساعة شيء عظيم	١	٤٥٩
- وترى الأرض هامدة	٥	٣٨
- الم تر أن الله يعلم مافى	٢٢	٢٦٨
- وهدوا الى الطيب من القول	٢٤	١٦٨
- ومن يشرك بالله	٣١	٣٧٩
- الذين ان مكنٰهم فى الأرض	٤١	٢١ - ٢٤٤ - ٥١١
- هو اجتبٰكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج	٧٨	٥٠
(٢٣) سورة المؤ منون		
- ولقد خلقنا الانسٰن من سلٰلة من طين	١٢-١٤	٣ - ٤٥٧
- ان هو الا رجل به جنة	٢٥	٢٣٧ - ٤٤٥
- ثم أرسلنا رسلنا تترا	٤٤	٤٣٧
- أم لم يعرفوا رسولهم	٦٩-٧١	٤٤٦
- وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار	٧٨	٤
- بل قالوا مثل ما قال الأولون	٨١ - ٨٢	٤٥٥ - ٤٦٥
- أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا	١١٥	٤٥٥

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
(٢٤) سورة النور		
١ - الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة	٢	٤٩
٢ - والذين يرمون المحصنات	٤	٤٩
٣ - يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا	١٧	٧٠
٤ - ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء	٣٣	٤٨١
٥ - فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه	٣٦-٣٧	٥١٠
٦ - ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا	٤٧ - ٥٣	٤٧٤ - ٤٧٥
٧ - وعد الله الذين آمنوا منكم	٥٥	١٣٩-١٣٩ - ٣٩٨
٨ - فليحذر الذين يخالفون عن امره	٦٣	١١٢ - ٣٥٦
(٢٥) سورة الفرقان		
١ - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام	٧ - ٨	٤٣٩
٢ - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا	٢٣	٤٤
٣ - قل ما أسئلكم عليه من أجر	٥٧	١٩٥
٤ - والذين اذا انفقوا لم يسرفوا	٦٧	٥٧
(٢٦) سورة الشعراء .		
١ - قال فرعون وما رب العلمين	٢٣ - ٢٨	٥٠٢
٢ - قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون	٢٧	٤٤٦
٣ - قال: امنتم له قبل أن آذن لكم	٤٩ - ٥١	٤٨٦
٤ - رب هب لى حكماً والحقنى بالصلحين	٨٣	٦٢
٥ - فكبكبوا فيها هم والغاوون	٩٤	٢٢٠
٦ - كذبت قوم نوح المرسلين	١٠٥	٤٩٥
٧ - وما أسئلكم عليه من أجر	١٠٩	٣٩١
٨ - كذبت عاد المرسلين	١٢٣	٤٩٥

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٩ - كذبت ثمود المرسلين	١٤١	٤٩٥
١٠- كذبت قوم لوط المرسلين	١٦٠	٤٩٥
١١- قالوا إنما أنت من المسحرين	١٨٥ - ١٨٧	٤٣٧-٤٥١
١٢- فاسقط علينا كسفاً من السماء	١٨٧	٤٥٢
١٣- نزل به الروح الأمين	١٩٣	٣٢
١٤- واخفض جناحك لمن اتبعك	٢١٥	٢٧٠
(٢٧) سورة النمل		
١ - وجحدوا بها واستيقنتها	١٤	٢٩٣ - ٤٥٧
٢ - لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون	٤٦	٥٠٥
٣ - أمن يجيب المضطر إذا دعاه	٦٢	٤٠٠
٤ - من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤ من	٩٧	٤١٤
(٢٨) سورة القصص		
١ - وأخي هارون هو أفصح مني	٣٤ - ٣٥	٣١٥
٢ - واستكبر هو وجنوده في الأرض	٣٩ - ٤٠	٥٠٣
(٢٩) سورة العنكبوت		
١ - ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه	١٤	٤٩٤
٢ - فئامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي	٢٦	٥٠٠
٣ - ما سبقكم بها من أحد	٢٨-٢٩	٤٥٠
٤ - قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين	٢٩	٤٥٢
٥ - والى مدين أخاهم شعيبا	٣٦	٤٩٦
٦ - فكلا أخذنا ذنبه	٤٠	١١٥ - ٥٠٦
٧ - ان الصلوة تنهى عن الفحشاء	٤٥	٤٣
٨ - ولئن سألتهم من خلق السموات	٦١	٢٨

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
(٣٠) سورة الروم		
١ - يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا	٧	٤٣٥
٢ - ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض	٢٥	١٦
٣ - ضرب لكم مثلاً من أنفسكم	٢٨	٤٢٢
٤ - ولا تكونوا من المشركين	٣١	٢٨٤
(٣١) سورة لقمان		
١ - ان الشرك لظلم عظيم	١٣	٣٤٨-٣٧٩
٢ - ولا تصعر خدك للناس	١٨	٢٧٠
(٣٢) سورة السجدة		
١ - قل يتوفكم ملك الموت الذى وكل بكم	١١	٣١
(٣٣) سورة الأحزاب		
١ - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة	٢١	٢٣٧
٢ - انا عرضنا الأمانة على السموات	٧٢	٢٦٩
(٣٤) سورة سبأ		
١ - وما أرسلناك الا كافة للناس	٢٨	٢٠ - ٥٩ - ١٠٩
٢ - قل انما أعظكم بواحدة	٤٦	٤٤٧
(٣٥) سورة فاطر		
١ - اليه يصعد الكلم الطيب	١٠	٣٤٥
٢ - يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله	١٥	١
٣ - انما يخشى الله من عباده العلموا	٢٨	٢٢٠
(٣٦) سورة يس		
١ - انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا	٨	٤٦٠

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٢- وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى	٢٠	١٩٥
٣- أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة	٧٧	٤٥٥ - ٤٥٨
(٣٧) سورة الصافات		
١- أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون	١٦	٤٦٠
٢- أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمدينون	٥٣	٤٦٠
٣- وجعلنا ذريته هم الباقين	٧٧	٢٤٠
٤- وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين	٩٩	٥٠٠
٥- وتركنا عليه فى الأخرين	١٠٨-١١٠	٢٤٠
٦- ولقد مننا على موسى وهارون	١١٤	٥٠٣
٧- وتركنا عليهما فى الأخرين	١١٩	٢٤٠
٨- وتركنا عليه فى الأخرين	١٢٩-١٣١	٢٤١
٩- فاستفتهم الربك البنات	١٤٩	٤٣٠-٤٣١
١٠- ام لكم سلطان مبين	١٥٦-١٥٧	٤٣٢
(٣٨) سورة ص		
٥- أجعل الألهه الها واحدا	٥	٤١٩
٧- ماسمعنا بهذا فى الملة الأخرة	٧	٤١٩
(٣٩) سورة الزمر		
٢- فاعبد الله مخلصا له الدين	٢	٩٠
٣- ألا لله الدين الخالص	٣	٢٢٤-٢٨
٢٣- الله أنزل أحسن الحديث	٢٣	٥٣٢
٢٩- ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء	٢٩	٦٩
٤٤- ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعه	٤٤	٤١٢
٦٨- ونفخ فى الصور	٦٨	٣٧
(٤٠) سورة غافر		
٤- ما يجادل فى ءايات الله	٤	٧٢
٥- وجادلوا بالباطل ليدحضوا به	٥	٧٢
٧- الذين يحملون العرش	٧	٣١
٣٠- وقال الذى ءامن	٣٠	٥٠٢

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٥ - وحاق بآل فرعون سوء العذاب	٤٥	٥٠٣
٦ - انا لننصر رسلنا والذين ءامنوا	٥١	١٣٨
(٤١) سورة فصلت		
١ - ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله	٣٣	١٢٢
٢ - ادفع بالتى هى أحسن	٣٤	٢٦٨
٣ - لا يأتيه البطل من بين يديه	٤٢	٨٢
(٤٢) سورة الشورى		
١ - ليس كمثله شئ وهو السميع البصير	١١	٢٩ - ٣٤٥، ٣٤٧
٢ - شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً	١٣	٣٥١
٣ - فلذلك فادع واستقم كما أمرت	١٥	٢٥٩
٤ - قل لا أسالكم عليه اجرا	٢٣	١٩٦
٥ - والذين استجابوا لربهم	٣٨	٢٥٤
٦ - ان عليك الا البلاغ	٤٨	١٩٣
(٤٣) سورة الزخرف .		
١ - وجعلوا الملئكة الذين هم عبد الرحمن إناثا	١٩	٤٣٢
٢ - واذ قال ابراهيم لابيه وقومه	٢٦-٢٨	٤٦٩
٣ - ونادى فرعون فى قومه	٥١ - ٥٤	٤٣٨
٤ - ولما جاء عيسى بالبينت	٦٣ - ٦٤	٥٠٤
٥ - ولا يملك الذين يدعون	٨٦	٤١٠ - ٤١٢
(٤٥) سورة الجاثيه		
١ - قل للذين ءامنوا يغفروا	١٤	٢٠٧
٢ - أم حسب الذين اجترحوا	٢١ - ٢٢	٤٥٧
٣ - وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا	٢٤	٣٤٦
٤ - واذا تتلى عليهم ءايتنا	٢٥	٤٥٤
(٤٦) سورة الأحقاف		
١ - تدمر كل شئ بأمر ربها	٢٥	١٥٩

السورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
(٤٦) سورة محمد		
١- ومنهم من يستمع اليك	١٦	٤٧٧ - ٤٧٩
٢- فاعلم أنه لا اله الا الله	١٩	٢٢٠ - ٤١٠
(٤٧) سورة الفتح		
١- هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين	٤	٤٠٤
٢- محمد رسول الله والذين معه	٢٩	٥٢٤
(٤٨) سورة الحجرات		
١- انما المؤمنون اخوة	١٠	٣٢٢
٢- يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى	١٣	١٤٣
(٥٠) سورة ق		
١- ذلك رجع بعيد	٣	٤٦٠
(٥١) سورة الذاريات		
١- وفى أنفسكم افلا تبصرون	٢١	٣٩٩
٢- كذلك ما أتى الذين	٥٢	٩١ ، ٤٣٦
٢- وما خلقت الجن والانس	٥٦	٤٢ ، ٣٠٦ ، ٣٤٩
(٥٣) سورة النجم		
١- ألكم الذكر وله الأنثى	٢١ - ٢٢	٤٣٣
١- وكم من ملك فى السموات	٢٦	٤١١
(٥٤) سورة القمر		
- كذبت ثمود بالنذر	٢٣ - ٢٥	٤٣٧
(٥٥) سورة الرحمن		
- كل من عليها فان	٢٦	٢٣٩
(٥٦) سورة الواقعة		
- افرءيتم ما تحرثون	٦٢ - ٦٧	٨
(٥٧) سورة الحديد		
- ما أصاب من مصيبه	٢٢	٣٨
- لقد أرسلنا رسلنا	٢٥	٢٠٣ - ٢٠٤

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
(٥٨) سورة المجادله		
١ - الم تر أن الله يعلم ما فى السموات	٧	٣٨
٢ - يرفع الله الذين آمنوا منكم	١١	٢١٤
٣ - ألم تر الى الذين تولوا قوما	١٤ - ١٥	٤٧١
٤ - لا تجد قوما يؤمنون بالله	٢٢	٤٦٨
(٥٩) سورة الحشر .		
١ - وما ءاتكم الرسول فخذوه	٧	٤٥
٢ - والذين تبوءو الدار والايمن	٩	٢٧٣
٣ - ألم تر الى الذين نافقوا	١١	٤٧١
٤ - يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس	١٨	٢٧٩
(٦٠) سورة الممتحنه .		
١ - قد كانت لكم أسوة حسنة	٤	٣٦٧ - ٤٩٨
٢ - لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة	٦	٤٥٠
٣ - لا ينهاكم الله	٨	١٤٥
(٦١) سورة الصف		
١ - يأيها الذين ءامنوا لم تقولون مالا تفعلون	٢ - ٣	٩٤ - ٢١٨
٢ - يريدون ليطفؤا نور الله	٨	١٦٦ - ٣٤١
٣ - يأيها الذين ءامنوا كونوا أنصار الله	١٤	٥٠٥
(٦٦) سورة التحريم .		
١ - لا يعصون الله ما أمرهم	٦	٣١
( ) سورة الملك .		
١ - الذى خلق الموت والحياة	٢	٣٤٨
٢ - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل	١٠	١٤٩

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
٣ - قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا	٣٠	٨
(٧١) سورة نوح .		
١ - قال رب إني دعوت قومي	٥ - ٨	٤٩٤
٢ - فقلت استغفروا ربكم	١٠-١٢	٥٠٥
(٧٤) سورة المدثر .		
١ - فما تنفعهم شفاعة الشافعين	٤٨	٤١٢
(٧٥) سورة القيامه		
١ - بل يريد الإنسان ليفجر أمامه	٥ - ٦	٤٦٥
٢ - أيحسب الانسان أن يترك سدى	٣٦-٤٠	٤٠٠ ، ٤٥٦
(٧٦) سورة الانسان .		
١ - هل أتى على الانسان	١	٢
(٨٧) سورة عبس		
١ - ثم السبيل يسره	٢٠	٣
(٨١) سورة التكوير .		
١ - لمن شاء منكم أن يستقيم	٢٨ - ٢٩	٣٩
٢ - وما تشاءون الا أن يشاء الله	٢٩	٣٩
(٨٢) سورة الانفطار .		
١ - يأيها الانسان ما غرك بربك	٦ - ٨	٣
(٨٣) سورة المطففين .		
١ - اذا تتلى عليه ءايتنا قال أساطير الأولين	١٣	٤٦٦

السـورة	رقم الآيات	رقم الصفحة
١ - قد أفلح من تزكى (٨٧) سورة الأعلى .	١٤	٥٥
- إن هذا لفى الصحف الأولى	١٨	٣٢ - ٣٤
(٩٢) سورة الشمس .		
١ - قد أفلح من زكاها	٩	٥٥
(٩٦) سورة العلق .		
١ - اقرأ باسم ربك الذى خلق	١ - ٥	٤-١٥٥-٢١٥
(٩٨) سورة البينه .		
١ - وما أمروا الا ليعبدوا الله	٥	٤٥
( ) سورة العصر	٣٨٦ - ٥١٥	
(١٠٦) سورة الماعون .		
١ - أرئيت الذى يكذب بالدين	١ - ٣	٤٠٦
(١٠٩) سورة الكافرون .		
١ - قل يأيها الكافرون	١ - ٥	٥٠٨
( ) سورة الاخلاص .		
١ - سورة الاخلاص		٣٤٢ - ٣٤٦

* * * *
* * *
* *
*

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

حرف (أ)

أبايعكم على أن لا تشركوا بالله	٥٠٨
أدعوك بدعاية الاسلام	١٦
اذا رأيتم أمتى تهاب الظالم	١١٣
اذا ضيعت الامانه	١٠٦
اشيروا على	٢٥٥
أفعن معادن العرب تسألوننى	١٠٣
ألا ان بنى فلان	٣٢٤
الا ان تروا كفراً بواحاً	١٦٦
الا ان من كان قبلكم	٤٠٧
ألم يكن شفاء الحي السؤال	١٥٠
أمرت أن أقاتل الناس	٥١٣
أنا أولى بعيسى بن مريم	٣٥٢
انا برىء من كل مسلم يقيم	٢٢٥
انتم الذين تقولون كذا وكذا	٤٥
انما أخاف على أمتى	٩٥
انما الأعمال بالنيات	٨٩
انما أهلك من كان قبلكم	٢٥٢
انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٥٣
انى امرت بالعفو	٢٠٧
انى لم أومر بهذا	٢٠٧
ان الحمد لله نحمده ونستعينه	٤٤٩
ان الرقى والتمائم	٥٢٦
ان الشيطان ذئب الانسان	٣٣٤
ان قامت الساعة وبيد أحدكم	٤٢
ان الله حجب التوبة	٢٨٦
ان الله نظر الى أهل الارض	١٣٧

الحديـــــــث	رقم الصحفـــة
ان الله لا يقبض العلم انتزاعا	١٥١، ٢٨٩
ان الله وملائكته وأهل السموات	١٢٤
ان الله يبعث لهذه الأمه	٣٤١
ان من أحبكـــم	٥٤
ان من خيركـــم	٥٤
ان الناس اذا رأوا المنكـــر	١١٤
ان هذا من قوم يتألهون	١٠٤
الا تروا نفرا بواحا	٢٦٦
أول ما خلق اللهالقلم	٣٩
أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل	١١٧
ين المتحابون بجلالى	٣٢٣
ياكم والغلو	٤٥
- ت -	
حشرون حفاة عراه غرلا	٣٧
عرض الفتن على القلوب	٣٩٥
- ج -	
اء رجل الى رسول الله	٢٨٠
نجوم آمنه السماء	٥١٧ - ٥١٨
- خ -	
ط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا	٢٨٣
س كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٣٠
بار أئمتكم الذين تحبونهم	٢٦٧
ر أمتى قرنى	٥٣٠
- ذ -	
ونى ما تركتكـــم	٧٤

الحديث	رقم الصفحة
- س -	
سأل رجل عند رسول الله ...	٢٧٩
سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار	٥٥
سبعة يظلهم الله فى ظله	٢٦٠
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر	٣٢٤
- ش -	
شيبتنى هود وأخواتها	١٢٦
- ص -	
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم	٣١٠
- ط -	
طلب العلم فريضة على كل مسلم	٢١٢
- ع -	
على رسلك حتى تنزل بساحتهم	١٢٤
على المرء السمع والطاعه	٢٦٥
- ف -	
فإنى أدعوك بدعاية الاسلام	١٦، ١٤، ٥١
فإن يد الله مع الجماعة	٣٣٤
فضلت على الانبياء بست	٣٦، ١١٠
- ق -	
قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل	٩٢ - ٩٣
قلت يارسول أى الانبياء أول	٣٥

الحديث	رقم الصفحة
كل مولود يولد على الفطرة	٩
كل مولود يولد على هذه الملة	٩
كنا عند رسول الله ...	٢٧٨
- ل -	
لأبعثن عليكم رجلاً أمينا	١٠٦
لتتبعن سنن من كان قبلكم	٢٩٦
لعن الله اليهود والنصارى	٥١٦
لقد ظننت ان لا يسألني	٤١٢
لكل داء دواء	١٥٨
لولا قومك حديث عهد	٦٣
ليس من وال أمة	٢٥٩، ٢٦٠
- م -	
ما اقام فيكم كتاب الله	٢٦٦
مابال أقوام يقولون كذا وكذا	٦٤
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	١١٣
مثل المؤمنين في توادهم	٢٧٢
المقسطون على منابر من نور	٢٦٠
ما من أمير عشره	٢٦٠
ما من نبي إلا أعطى من الآيات	٣٦
ما من نبي الا وأنذر قومه	٣٥٩
ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي	١١٤، ٣٩٤، ٣٩٥
ما نقصت صدقه من مال	٢٧٠
المؤمن القوى خير واحب الى الله	١٠٢
المؤمن للمؤمن كالبنيان	٢٧٢

الحديث	رقم الصفحة
- من -	
من أحدث فى امرنا هذا	٤٥ ، ٢٨٦ ،
من استن خيرا	٢٨٠
من تعلم علما لغير الله	٢١٨
من تعلم علماً مما يبتغى به وجه	٢١٧ ، ٢١٨
من دخل دار ابى سفيان فهو آمن	١٠٤
من دعا إلى هدى كان له من الأجر	٢٤
من رأى منكم منكراً	٢٣
من سأل عن علم	٢٢١
من سلك طريقاً	٢١٥ ، ٢١٦
من سن خيرا	٢٧٩
من سن فى الإسلام سنة حسنة	١٢٤ - ٢٧٩
من شهد أنه لا إله إلا الله وحده	٤٠٩ ، ٤١٠
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا	٢٨٦
من قاتل لتكون كلمة الله	٥١٣
من كانت همه الآخره	٤١٧
من مات وليس فى عنقه بيعه	٢٦٥ ، ٥٢٠
من يرد الله به خيراً	٢١٦
- ن -	
النجوم آمنة للسماء	٥١٧ - ٥١٨
نعم إذا كثر الخبث	١١٣
نعم يميتك الله ثم يحييك	٤٥٨
- هـ -	
هلك المتنطعون	٤٥
- و -	
واياكم ومحدثات الامور	٢٨٥

الحديث	رقم الصفحة
والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف	١١٥
والذى نفسى بيده لا يسمع بى	١١١-١٩
واعلم أن النصر مع الصبر	٣٨٦
وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت	١٤٤
وفى بضع أحدكم صدقه	٤٢
والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت	١٤٣
والله لا يؤمن والله لا يؤمن	٥٤
ومن سن فى الاسلام سنة سيئة	٢٨٤
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه	٩٣
ولا تزال عصابة من أمتى	٣٩٦
ولا تزال من أمتى امه	٣٩٦
ولا يا عائشة إنه لم يقل	٤٤
ويحك أرجع فاستغفر الله	٤٠٥ - ٤٠٦
- لا -	
لا إيمان لمن لا أمانة له	٥٣ - ٥٤
لا أعرفن الرجل منكم يأتيه من أمرى	٣٩١
لا يأتى زمان إلا الذى بعده	٣٩٦
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه	٣٢٢
لا يدخل الجنة من كان فى قلبه	٧٤
لا يزنى الزانى حين يزنى	٥٤
- ى -	
يأتيه ملكان	٣٤٩ ، ٣٥٠
يا أم فلان انظرى	٢٧٠
يا رسول الله طهرنى	٤٠٣ ، ٤٠٤
يا عباد الله تداووا	١٥٧ - ١٥٨
يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى	١

الحديث	رقم الصفحة
يا عم قل لا إله إلا الله	١٩٧
يا معاذ حسن خلقك للناس	٨٩
يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده	٣٠٧
يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتلتم بهن	١١٦
يؤتى بالرجل يوم القيامة	٢١٨، ٢١٩
يقبض الله الأرض ويطوى السماء	٣٧
يوشك أن تتداعى عليكم الأمم	٢٠٥، ٢٠٦

* * * *
* * *
* *
*

فهرس الآثار

* فهرس الآثـــار *

أبصر أن يكون قد ذهب ٣٠٩ - ٥٢٥
آتانا من خرسان صنفان ٥٤٩
اتقتلون رجلا يقول ربى الله ٣٨٦
أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٨٠
أذهبا فاقطعا يديه ورجليه ٥٢٤
أصحاب المراء والمقاييس ٥٤٩
أعطونى شيئا من كتاب الله ٥٤١
اما انه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ٦٥
اما بعد فقد نجم قبلك ٥٣٧

ان أبغض الأمور الى الله تعالى البدع ٢٨٧
انا معاشر العرب ١٤١ - ١٤٢
ن عمر كان حصنا حصينا ٥٢٤
ن القضاء فريضة فحكمه ٢٦٢
ن الله نظر فى قلوب العباد ٥١٩
ن من ينتحل الكلا م ٥٤٥
ن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ٢٢٢
هل الأهواء كلهم كفار ٥٤٧
وثقهن فلما أوثقهن ذبحهن ٤٦٣ - ٥٤٧
وصيك بتقوى الله ٣١٠ - ٣١١
ولو الأمر كالسوق ٢٥١
يها الناس انما أهلك من كان قبلكم ١١٨
يها الناس انى قد وليت عليكم ٢٦١

الأثـــــــــــــــــــــــــر	رقم الصفحـــــة
- ب -	
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيت	٣٨٦
- ت -	
تتركون أمير المؤمنين حتى يكون فارغـــــــــاً	٢٦١
تعلموا العلم	٢١٦
- ح -	
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم	٣٨٣
حق على الامام أن يحكم	٢٦٥
حكمى فى أهل الكلام	٥٤٦
- خ -	
خمس كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٣٠
- ر -	
رأس الحكمة	٩٦
الرعيه مؤديه الى الامام	٢٥١
- س -	
سئل عمار عن مسئلة	٧٥
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور من بعده	٥٣٦
- ع -	
علماء الكلام زنادقة	٥٤٦
العلم يهتف بالعمل	٥١٨
- ف -	
فاذا لقيت أولئك فاخبرهم	٥٢٩
فانى خشيت ان يقرا على آيه	٥٢٣

* فهرس الآثـــــار *

- ق -

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ٥٤٢

القدريه يهود ٥٣٥

قل له سألتك عن نسبه ٥٤١

قولنا الذى نقول به ٥٤٤

- ك -

كان اسلام عمر ٤٩٠

كان بين نوح وآدم عشرة قرون ٣٥

كانت الأمه من اماء المدينة ٩٤

كان الرجل اذا تعلم عشر آيات ٨٥

كان عبد الله بن ابى سلول يقول لجاريه له ٤٨١

كانوا أربعة آلاف خرجوا ٤٦٣

كل بدعة ضلاله وان رآها الناس حسنة ٢٨٧

كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير ٥٤٧

كنت كتمت عنكم حديثا ٢٢٢

كونوا ربانيين ٩٦

الكلام فى الدين أكرهه ٥٤٦

الكيف منه غير معقول ٥٤٧

- ل -

لئن كنت صادقا ٢٦٠

لأخبركم ٥٣٠

لأر امرأ من أصحاب الأهواء ٥٤٨

لما ورد الشافعى ٥٤٣

لمن أن العبد ارتكب الكبائر ٥٤٢ - ٥٤٣

لما أحمد بن حنبل وبذل نفسه ٥٤٤

لتكن مجلسك مع المساكين ٢٨٧ - ٢٨٨

الاسم	الصفحة
- م -	
ما رأيت أحدا أكثر مشاورة	٢٥٥
ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ الا أعطاه	٣/ - ٩٤
من بايع رجلا	٢٥٥
من حلف باسم من أسماء الله	٥٤٩
من زعم أن الله استوى على العرش استوى مخلوق	٥٣٤
من شبه الله بشئ من خلقه	٥٣٥
- هـ -	
هم أناس من الانصار	٤٧٢
وكان الأئمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم	٢٥٦
والانقياد لمن ولاه الله أمركم	٢٦٧
ويحك يا غيلان	٥٣٨
- لا -	
لا أعلم أحدا منكم وقع فى شئ	٢٦١
لا تجالسوا أصحاب أهل الاهواء	٥٣٣
لا تجالس صاحب بدعة	٢٨٨
لا تجالسوا القدريه	٥٣٥
- ى -	
يا أبا عبد الرحمن انى رأيت فى المسجد	٥٢٧
يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية	١١٤
يا أيها الناس انما أهلك من كان قبلكم	١١٨
يا أيها الناس فانى قد وليت عليكم	٢٦١
يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه	٥٤٣

فهرس الأعلام

الاســـــــم	رقم الصفحـــــــــــــــة
- أ -	
أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبى	٤٧ - ٢١٩ - ٢٧٥ - ٢٩٠ - ٢٩٣ - ٢٩٤
ابو بكر الجزائرى	٣٣٤
ابو بكر الرازى	٣٤٤
الأرقم بن أبى الأرقم	٨٥
أج كابلى	١٨١
احسان الهى ظهير	٣٦١ - ٣٦٢
أحمد بلو	١٨٤
أحمد البدوى	٣٧٢
أحمد بن حجر الهيثمى	٥٢٠
أحمد بن حنبل	٢٦٧ - ٢٧٥ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٥٤٣ - ٥٤٤
	٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	١٠ - ١٦ - ٣٦ - ٤١ - ٧٢ - ٧٣ - ١٣٤ -
	٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢٤٩ - ٢٦٥ - ٢٧٥ - ٢٨٢ -
	٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٩٣ - ٣٩٨ - ٣٠٨ -
	٣١٢ - ٣٣٠ - ٣٤٤ - ٣٧٠ - ٤٠٨ - ٤١٢ -
	٤٢٩ - ٤٩٢ - ٤٩٩ - ٥٠٧ - ٥١٣ - ٥٥٢ -
	٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ -
	٥٥٩ .
لد هلوى احمد بن عبد الرحيم الفاروقى	٢٩١ - ٢٩٤ - ٣٥٢
حمد بن على بن محمد الشهير بابن حجر العسقلانى	٦٣ - ١٥١ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢٨٥ - ٣٥٢ -
	٣٥٩ - ٣٩٣ - ٥٥٩ .
حمد بن على الرفاعى	٣٦٨ - ٣٧٢
بو جعفر أحمد بن محمد بن سلامه الشهير بالطحاوى	٣٩
رسطو	٧٣
سامة بن زيد	١١١ - ٥٢١
سحاق بن راهويه	١٣٣
ـن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير القرشـى	٣٣ - ١١٨ - ١٣٨ - ٢٠٤ - ٢٠٧ - ٢٣٧ -
	٢٤٦ - ٤٢١ - ٤٢٦ - ٤٣٢ - ٤٥١ - ٥٦٤
شهارت	١٣٣
ف سومرفيلد	١٨١
لافتهن	١٨١
رؤ القيس	٧١

الاســـــــم	رقـــم الصفحـــــة
انس بن مالك	٩٣ - ٩٤ - ٤٨٨
أيوجين روستو	١٧٠
(ب)	
باقر المجلسى	٣٦٢
بشر المربسى	٥٤٨
بلعام	٣٩٠
بلفور	١٧٠
بن جوريون	١٧٠
(ت)	
تقى الدين بن دقيق العيد	٨٩ - ٢٨٦
(ث)	
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٠٥
(جـ)	
جبريل عليه السلام	٣٢ ، ٣٨٠ - ٤٢٦
جبلة بن الأيهـــم	١٤٣
جعد بن درهم	٣٤٦ - ٥٣٦
جعفر بن ابى طالب	١٣٦
جعفر بن محمد الصادق	٥٣٤
جمال الدين بن سعد الدين	٢٦٢
جو ذر جندب بن جنادة الغفارى	٣٥
جنكيزخان	٢٤٦
جهم بن صفوان	٥٣٦
جوليوس نيريرى	١٨٤
جولد تسيهـر	١٧٧
جونسون	١٧٠
جى أيزنهاور	١٨١
(حـ)	
حارث المحاسبى	٥٤٩
حذيفة بن اليمان	٥٢٤ - ٥٢٨
حسن البصرى	٨٨ - ١٢٢ - ٢٨٨ - ٥٣٣ - ٥٣٥
حص الفرد	٥٤٨
حمد بن على بن محمد بن عتيق	٤٠٨

(خ)

خاقان ١٤٠
ابو أيوب خالد بن زيد الانصارى ٢٢٢
خالد بن سعيد ٥٢٢
خالد بن عبد الله القسرى ٥٣٦
خالد بن الوليد ١٣٩ - ١٤١ - ٥٢٢ - ٥٢٣
خباب بن الأرت ٤٨٩
خبيب بن زيد الانصارى ٣٨٧
خرتشوف ١٨٧ - ١٨٩
الخمينى ٢٩٥

(د)

دانيال ٥٣٦
دنلوب ١٧٩

(ر)

ربيع بن هادى المدخلى ٥٠١

(ز)

زغلول النجار ٢٢٥
زويمر ١٧٢
زينب بنت جحش ١١٢

(س)

س ا ج وتنر ١٨١
سالم بن سلمه ٣٦٣
سالم بن عبد الله بن عمر ٥٣٥
سعيد بن جبير ٥٣٥
سفيان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٣٢٤ - ٤١٠ - ٥١٥
سليمان بن يسار ٥٣٥
سيد قطب ٢٥٨ - ٢٧٢ - ٤٨٤

(ش)

شرحبيل بن حسن ٥٢٣
شريح القاضى ٢٦٢

(ص)

صبيغ العراقـــى ٣٠١ - ٥٢٤ - ٥٢٥
ابو سفيان صخر بن حرب القرشى ٤٤٠
صمويل الزويمر ١٧٢

(ض)

ضماد الأزدى ٤٤٨

(ع)

عائشة بنت أبى بكر الصديق ٤٤ - ٦٣ - ٢٨١ - ٥١٦
العاص بن وائل ٤٥٨
الشعبى عامر بن شراحبيل ٥٣٥
ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ١٠٦ - ١٣٩ ، ١٤٣ - ٥٢٣
عبد الرحمن أبابطين ٤٦٩
بو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب ٢١٤ - ٤١١
بد الرحمن بن خلدون ٢١١
بو هريرة عبد الرحمن بن صخر ٣٧ - ٢٢٢ - ٢٥٥ - ٣٤٨ — ٤١٢ - ٥٥١
لاوزاعى عبد الرحمن بن عمر ٥٣٠
بد الرحمن بن عوف ٢٠٧
بد الرحمن بن يحيى المعلمى ٣٤٣
بد السلام النابلسى ٣٠٥
بد القادر بن طاهر التميمى البغدادى ٥٥٠
د القادر الجيلانى ٣٧٢
د القاهر الجرجانى ٢٨
د الكريم زيدان ٣١٤

عبد الله بن حزافه ٣٨٧
عبد الله بن الزبير ٦٣
عبد الله بن عباس ٣٣-٣٥-٩٦-١٢-١٢١-٢٠٧-٢٤٧-
٢٨٧-٣٢٩-٣٧٧-٣٧٢-٣٨٣-٤٣٣-
٤٤٥-٤٥٨-٤٦٢-٤٦٣-٤٧٢-٥١٤.
عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ٤٦٩
ابو سعيد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ٥٢٤-٥٣٣-٥٤٠.
أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان ١١٤-١٢٦-١٣٩-٢٣٣-٢٣٤-٢٥٦-
٢٦٠-٢٦٢-٢٨٢-٣٠١-٥٢١-٥٢٢
٥٢٣-٥٢٤.
بد الله بن عمر ١١٦-٢٨٧-٥٢٦.
بو موسى عبد الله بن قيس الاشعرى ٢٦٢-٥١٣-٥٢٥-٥٢٧-٢٨٧-٥٤٢.
بد الله بن المبارك ٢٨٧-٥٤٢.
بد الله بن محمد الغنيمان ٣٢٠.
بو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلى ٦٥-٨٥-٩٦-١١٤-١١٧-٢٨٣-٣٨٦
٣٩٧-٤٩٠-٥١٩-٥٢٦-٥٢٧.
لعرباض بن سارية ٣١٠
عز بن عبد السلام ٤٧
نبة بن ابى معيط ٣٨٦
ى بن أبى طالب ٦٣-٩٥-١١٨-١٢٣-٣٦٢
ن حزم على بن احمد بن حزم ٢٦٧
و الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ٥٤٣-٥٤٤
ى بن عبد الواحد وافى ٣٦١
د ارقطنى على بن عمر الدقطنى ٥٢٨
ى بن محمد الآمدى ٢٣١-٢٣٣
ر بن ياسر ٧٥

عمر بن الخطاب ١٣٩-١٤٣-٢٣٤-٢٤٥-٢٥١-٢٥٥-
٢٥٦-٢٦١-٢٨٠-٢٨١-٣٠١-٣٨٧-
٤٨٨-٤٨٩-٤٩٠-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-
٥٢٥-٥٢٦.

عمر بن عبد العزيز ٢٥١-٥٣١-٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠

عمرو بن العاص ١٣٩-٣٠١-٥٢٢-٥٢٥-٥٢٦.

سيبويه عمرو بن عثمان ٣٠

أبو جهل عمرو بن هشام ٤٤٣

عوف بن مالك ٢٦٦

عياض بن موسى اليحصبى الشهير بالقاضى عياض ٥٥١

(غ)

غلام أحمد القاديانى ١٧٥

غوستاف لوبون ٢١٣

غيلان الدمشقى ٥٣٧-٥٣٨

(ف)

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤٤

الفرد ميرلنسغ ١٧١

فريد انطفيرى ٥٧٠

(ق)

أبو عبيد القاسم بن سلام ٥٤٠

(ك)

كعب بن الأشرف ٢٤٥

كعب بن مالك ٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤

(ل)

ليس التاسع ١٦٩

(م)

ماعز بن مالك

مالك بن أنس

ماكنيل

مانى

ماهان

ابو السعادات المبارك بن محمد بن الاثير

مراد غالب

محمد بن ابراهيم آل الشيخ

ابن القيم محمد بن أبى بكر

القرطبى محمد بن أحمد بن أبى بكر

محمد بن احمد السفارينى

محمد بن ادريس الشافعى

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى

محمد بن اسماعيل الشهير بالأمير الصنعانى

محمد الأمين الشنقيطى

محمد بن جرير الطبرى

محمد حسنين هيكل

محمد الخضر حسين

ابو يعلى محمد بن الحسن الفراء

محمد رشيد رضا

محمد بن سعود

٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦

٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٥٠ - ٥٥١

١٨٩

١٢٩

١٤١

٥١٨

١٨٧

٢٤٧

٥ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧ ، ٣٠٣ ، ٣٩١ ، ٤٢٩ ، ٤٧٦ ، ٥٢٨ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

٢١ ، ٦٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ ، ٣٥٦ ، ٣٧٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٤ .

٤٣٠ - ٤٤١ - ٤٦٨ - ٤٩٥ .

٥٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ .

٦٣ ، ٥٦ ، ٣٨٠ ، ٥٤٠ .

٣٧١ ، ٣٧٢ ..

١٥٠ ، ١٩٦ .

٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٩٨ ، ٥١١ .

١٨٧

١٧

٢٦٦ - ٣٠١ ، ٥٢١

٤٥٩ .

٥٣٣

أبو المعالى محمد بن عبد الرحمن المباركفورى ٢٩١
ابن العربى محمد بن عبد الله الشهير بابن العربى ٢٢ - ٢٢٥ - ٢٧٧ .
الألوسى محمد بن عبد الله الألوسى ٢١ - ١٠٩ .
محمد عبد الوهاب ٢٩٥ - ٣٦٦ - ٤٩٢ - ٥٦٧ - ٥٦٨ -
٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ .
ابو العز محمد بن علاء الدين الحنفى ٣ ، ٤ .
محمد بن على الشوكانى ١٢١ ، ٢٠٨ - ٢٣٤ - ٣٦٠ - ٣٦٥ -
٥١٢ - ٦٢ .
الرازى محمد بن عمر بن الحسن ٥٩ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٩ - ٧٤ - ١٠٩ ، ١٢١ -
٢٦٨ - ٢٨٤ - ٣٠٧ - ٣١٥ - ٣٢١ - ٣٢٥ -
٣٢١ - ٣٤٢ - ٤١٤ - ٤٢٠ - ٤٣٥ - ٤٤٧ -
٤٥٦ - ٤٥٨ - ٤٧٠ - ٤٧٥ - ٤٨٦ .
بو السعود محمد بن محمد العمارى ٤٢٨
بو حامد محمد بن محمد الغزالى ٣ - ٥٧ - ١٦٧ ، ٢١٢ - ٢٣١ - ٢٩٥ ،
٣٠٤ .
حمد المرتضى بن الوزير ٤٤٢ .
حمد ناصر الالبانـــى ٣٥٩
بو حيان محمد بن يوسف بن حيان ٢٥٣ .
حمد بن محمود عبد القادر ٢٥٣
زمخشرى محمود بن عمر الزمخشرى ٤٤٨ - ٤٥٧ .
اذ بن جبل ٨٨ - ٨٩ - ٢١٦ - ٥١٤ .
معز لدين الله الفاطمى ٣٠٥
جستو هيلا مريام ١٨٤ .
صور بن سعد الدين ٢٦٢ .
و ١٣٠
ريس بوكاى ١٣٣

(ن)

النجاشى ١٢٦
نعمت الله الجزائرى ٣٦٤
ابو حنيفة النعمان بن ثابت ٥٤١ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٥٠ - ٥٥١
نعيم بن ثابت ٥٣٤
النمرود ٧٦
نيوتن ١٣٤

(هـ)

ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائى ٥٣١
هرقل ٤٤٠ - ٥١٤
هشام بن حكيم ٣١٧

(و)

ولى الله الدهلوى ٣٥٢ - ٤٩٣
الوليد بن عقبة ٥٢٨
الوليد بن المغيره ٤٤٥

(ى)

ابو زكريا يحيى بن شرف النووى ١٩ - ٤٢ - ١٢٥ - ١٥١ - ٢٨٠
يزيد بن أبى سفيان ٥٢٣
ابو عمر يوسف بن عبد الملك النمرى ٢١٣ - ٢٩٤

فهرس المصادر والمراجع

* فهرس المصادر والمراجع *

١ - القرآن الكريم .

٢ - الابانة فى أصول الديانة .

ابو الحسن الاشعرى - ط اولى سنة ١٣٩٧هـ توزيع دار الانصار .

تحقيق د / مؤمنه حسن محمود .

٣ - ابطال التنديد باختصار شرح التوحيد .

حمد بن على بن محمد بن عتيق - ط رابعة / مطابع لبنان للطباعة والنشر .

٤ - ابن تيمية وفكره السياسى .

قمر الدين خان - ط اولى / مكتبة الفلاح - الكويت . ترجمة د / احمد مبارك البغدادى .

٥ - أبو حنيفة - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .

محمد ابو زهره - دار الاتحاد العربى للطباعة .

٦ - الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر .

د / محمد محمد حسين - ط ثانية سنة ١٣٨٨هـ / مكتبة الآداب ومطبعتها .

٧ - الاتقان فى علوم القرآن .

جلال الدين السيوطى - شركة مكتبة ومطبعة البابى الحلبى - مصر .

٨ - أحكام الاحكام شرح عمدة الاحكام .

ابن دقيق العيد - ط اولى - الناشر عالم الفكر - مطابع دار الشعب.

٩ - الأحكام السلطانية والولايات الدينيه .

ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى - المكتبة التوفيقية

راجعه د / محمد فتحى عثمان .

١٠- أحكام القرآن .

ابو بكر الجصاص - دار الكتاب العربى - بيروت .

١١- أحكام القرآن .

ابو بكر ابن العربى - دار الفكر - بيروت / تحقيق على محمد البجاوى .

١٢- احياء علوم الدين .

ابو حامد الغزالى - دار المعرفة - بيروت .

١٣- أخبار القضاة .

وكيـــع - عالم الكتب - بيروت .

١٤- آداب الشافعى ومناقبه - ابن ابى حاتم الرازى - دار الكتب العلمية .

١٥- الادارة فى التراث الاسلامى اشتمل على حكم وامثال للمسؤولين ورجال الاعمال .

د / محمد عبد الله البرعى - عدنان حمدى عابدين - دار الاصفهانـــى للطباعـــة .

١٦- أدب الدنيا والدين .

ابو الحسن الماوردى - ط خامسة سنة ١٤٠٦هـ دار اقرأ ببيروت - شرح وتعليق / محمد كريم راجح .

١٧- أزمة التعليم الاسلامى .

د . سيد سجاد حسين ، ود . سيد على أشرف - شركة عكاظ للنشـــر والتوزيع - راجعه / د / امين حسن الرباط .

١٨- أزمة التعليم المعاصر .

زغلول راغب محمد النجار - ط اولى / مكتبة الفلاح .

١٩- أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى .

د / على محمد جريشة ، محمد شريف الزئبق - الناشر دار الاعتصـــام .

٢٠- استخراج الجدل من القرآن الكريم .

ناصح الدين عبد الرحمن بن محمد (ابن الحنفي) ط ثانية سنة ١٤٠٠هـ

مطابع الفرزدق التجارية - تحقيق زاهر عواض الالمعي .

٢١- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم .

د / مصطفى السباعي - المكتب الاسلامي .

٢٢- الاستقامة .

ابن تيميه - ط ثالثة - نشر وتوزيع مؤسسة قرطبة .

٢٣- الاستيعاب في معرفة الاصحاب .

ابن عبد البر - دار احياء التراث العربي - حاشية الاصابة .

٢٤- أسد الغابـــة .

ابن الاثير الجزري - مطبعة الشعب - تحقيق محمد بن ابراهيم البنا -

محمد احمد عاشور محمود عبد الوهاب فايد .

٢٥- أسرار البلاغـة .

عبد القادر الجرجاني - مطبعة الاستقامة - تعليق / احمد مصطفى المراغي .

٢٦- أسس الدعوة وآداب الدعاة .

محمد السيد الوكيل ـ دار المجتمع للنشر والتوزيع .

٢٧- الاسلام بن جهل ابنائه وعجز علمائه !

عبد القادر عودة - طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلميـــة

والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض .

٢٨- الاسلام تشكيل جديد للحضارة .

محمد تقي الامينى - دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض - ترجمة د / مقتدى

حسن ياسن - مراجعة عبد الحليم عويس .

٢٩- الاسلام وحاجة البشرية اليه .

رفعت فوزى عبد اللطيف - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٠- الاسلام عقيدة وشريعة.
محمود شلتوت - ط ثالثة عشر سنة ١٤٠٤هـ دار الشروق .

٣١- الاسلام فى مواجهة الايدلوجيات المعاصرة .

د / عبد العظيم المطعنى - مكتبة وهبة - مصر .

٣٢- الاسلام فى مواجهة التحديات .

د / محمد رأفت سعيد - ط اولى - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة .

٣٣- الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة .

ابو الاعلى المودودى - ط ثالثة سنة ١٣٩٨هـ دار القلم - الكويت .

تعريب خليل احمد الحامدى .

٣٤- الاسلام وأوضاعنا السياسية .

عبد القادر عودة - مؤسسة الرسالة .

٣٥- الاسلام والطاقات المعطلة .

محمد الغزالى - ط رابعة سنة ١٤٠٤هـ - دار الكتب الاسلاميه .

٣٦- الاسلام ومستقبل البشرية .

د / عبد الله عزام - ط اولى سنة ١٤٠٠هـ مكتبة المنار - الاردن - الزرقاء .

٣٧- الاسلام والوعى الحضارى .

د / اكرم ضياء العمرى - ط اولى سنة ١٤٠٧هـ دار المناره للنشر والتوزيع جده .

٣٨ - اسلامية المعرفة .

نشر المعهد للفكر الاسلامى - وكالة الاهرام للتوزيع .

٣٩- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا .

د / عبد الغنى محمد سعيد بركه - الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة .

٤٠- أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية .

ابن القيم - دار الكتاب الجديد - بيروت ، تحقيق / د / صلاح المنجد .

٤١- الإصابة في تمييز الصحابة .

ابن حجر العسقلاني - دار احياء التراث العربي - بيروت .

٤٢- أصول الدعوة .

د / عبد الكريم زيدان - ط ثالثة .

٤٣- أصول الدين .

ابو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي - ط اولى مطبعة الدول سنة ١٣٤٦هـ باستانبول .

٤٤- الأصنام .

ابن الكلبي - تحقيق احمد زكي باشا .

٤٥- أضواء البيان .

الشيخ / محمد الامين الشنقيطي - عالم الكتب .

٤٦- اظهار الحق .

رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي - مطبعة الرسالة بمصر توزيع مكتب الوحدة العربية بالدار البيضاء - اخراج وتحقيق / عمر الدسوقي .

٤٧- الإعتصام .

ابو اسحاق الشاطبي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٤٨ - اعجاز القرآن .

ابو بكر الباقلاني - مطبعة البابي الحلبي - حاشية الاتقان .

٤٩- الاعلام .

خير الدين الزركلي - ط سادسة سنة ١٩٨٤م - دار العلم للملايين . بيروت .

٥٠- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان .

ابن القيم - دار المعرفة - بيروت ، لبنان .

٥١- الاقتصاد في الاعتقاد .

ابو حامد الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت .

٥٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم.

ابن تيمية - مطابع المجد التجارية .

٥٣- الأقليات المسلمة في العالم - ظروفها آلامها - آمالها .

ابحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للأقليات الاسلامية

دار الندوة العالمية للشباب الاسلامي .

٥٤- الله جل جلاله .

عباس محمود العقاد - المكتبة العصرية - منشورات صيدا - بيروت .

٥٥- الأمنية في ادراك احمد ادريس المالكي .

ط اولى - دار الكتب العلمية .

٥٦- انتشار الاسلام في شرق افريقية ومناهضة الغرب له .

د / محمد عبد الله الشقيرة - دار المريخ - الرياض .

٥٧- الايمـــــان .

ابن تيمية - ط ثانية سنة ١٣٩٢هـ المكتب الاسلامي .

٥٨- الايمان ، أركانه - حقيقته ونواقصه .

د / محمد نعيم ياسين - دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع

الاسكندرية .

٥٩- الايمان والحيـــاة .

د / يوسف القرضاوي - ط حادية عشر سنة ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة .

٦٠- بحوث مؤتمر رسالة المسجد .

دار عكاظ للطباعة والنشر - جده .

٦١- البداية والنهاية .

ابن كثير - ط اولى - دار الكتب العلمية .

٦٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .

الشوكاني - طبع بمطبعة السعادة بمصر ، دار احياء الكتب العلمية .

٦٣- بلوغ الأرب في أحوال العرب

محمود شكري الألوسي - ط ثالثة شرحه وصححه وضبطه محمد بهجة الاثري .

٦٤- تاج العـــــروس .

محمد مرتضى الزبيدي - منشورات دار مكتبة الحياة - لبنان .

٦٥- تاريخ بغداد او مدينة السلام .

الخطيب البغدادي - الناشر دار الكتاب العربي .

٦٦- تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانه الإجتماعيه للعلماء حتى القرن الخامس الهجري .

تصنيف /د . ميزان احمد - الناشر دار المريخ - الرياض - ترجمة سامي القمار .

٦٧- تاريخ الطبري .

ابن جرير الطبري - دار المعارف بمصر - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

٦٨- تاريخ عمر بن الخطاب .

ابن الجوزي - دار احياء علوم الدين بدمشق .

٦٩- تاريخ نجـــد .

حسين محمد غنام - ط ثانية سنة ١٤٠٢هـ تحقيق د /ناصر الدين الالباني .

٧٠- التبشير والاستعمار في البلاد العربية .

د /مصطفى خالدي ، عمر فروخ - منشورات المكتبة العصرية - بيروت .

٧١- التبيان في أقسام القرآن .

ابن القيم - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، تحقيق محمد حامد الفقي .

٧٢- تجديد الفكر الإسلامي .

د / محسن عبد الحميد - دار الصحوة للنشر .

٧٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي .

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - مراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف .

٧٤- تحكيم القوانين .

محمد بن ابراهيم آل الشيخ - ط ثانية - شركة الصفحات الذهبية المحدودة .

٧٥- تذكرة الحفاظ .

الامام الذهبي - دار احياء التراث العربي .

٧٦- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير .

الطاهر احمد الراوي - دار الفكر .

٧٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذاهب مالك .

القاضي عياض - وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميه بالمملكة المغربية .

٧٨- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان .

ابو عبد الله اليماني المشهور بابن الوزير - دار الكتب العلميه - بيروت .

٧٩- تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد .

محمد بن اسماعيل الامير الشهير بالصنعاني - مطبعة السنة المحمدية - تحقيق محمد حامد الفقي .

٨٠- التعريفات .

الشريف علي بن محمد الجرجاني - دار الكتب العلمية - بيروت .

٨١- تفسير ابن كثير .

للامام اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- ط ثانية ١٣٧٩هـ - مطبعة الحلبـــي .

٨٢- تفسير ابى السعود أو أرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .

لقاضي القضاة ابى السعود محمد الصاوى - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - تحقيق عبد القادر عطا .

٨٣- تفسير البحر المحيط .

الامام محمد بن يوسف الشهير بابى جنان الاندلسى - دار الفكر للطباعة والنشر .

٨٤- تفسير الفخر الرازى الشهير بالتفسير الكثير ومفاتح

للإمام محمد الرازى الشهير بخطيب السرى- ط ثالثة ١٤٠٥هـ دارالفكر.

٨٥- تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار .

ط ثانية - دار المعرفة للطباعة والنشر -بيروت -لبنان .

٨٦- تفسير النسفى .

للامام النسفى - دار احياء الكتب العربيه عيسى البابى الحلبىوشركاه .

٨٧- تنبيه أولى الابصار الىكمال الدين ومافى البدع من الأخطار .

د . صالح سعد السحيمى - دار ابن حزم للنشر والتوزيع .

٨٨- تهذيب ابن عساكر .

ط اولى - المكتبة العربية فى دمشق -ترتيب عبد القادر الدرى .

٨٩- تهذيب التهذيب .

لابن حجر العسقلانى - دار صادر .

٩٠- تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد .

الشيخ سليمان محمد عبد الله بن محمد عبد الوهاب - المكتبة السلفيه .

٩١ - تيسير العلى القدير لاختصار تفسير بن كثير .

دار لبنان لطباعة النشر - بيروت - اعداد محمد نسيب الرفاعى .

٩٢ - ثبات العقيدة الاسلامية أمام التحديات .

عبد الله الغنيمان - الدار السلفية .

٩٣ - ثقافة الداعيـــه .

يوسف القرضاوى - ط أولى سنة ١٣٩٨هـ مؤسسة الرسالة .

٩٤ - جامع الأصول من أحاديث الرسول .

لابن الأثير - ط ثانية ، دار الفكر - تحقيق عبد القادر الارناؤوط .

٩٥ - جامع بيان العلم وفضله .

للامام بن عبد البر الاندلسى - دار الفكر - بيروت .

٩٦ - جامع البيان عن تأويل أى القرآن .

لابن جريبر الطبرى - دار الفكر .

٩٧ - الجامع الصحيح (صحيح البخارى) .

لابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - ط أولى - المكتبة السلفيه - القاهرة - رقمه محمد فؤاد عبد الباقى - نشره محب الدين الخطيب -

٩٨ - الجامع لاحـــكام القرآن .

لابى عبد الله القرطبى - ط ثانية .

٩٩ - جذور البلاء .

ط ثانية ١٣٩٨هـ - المكتب الاسلامى .

١٠٠ - جمهرة أنساب العرب .

لابن حزم - ط ٤ ، دار المعارف - تحقيق عبد السلام هارون .

١٠١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

لابن تيميه - مطابع المجد التجاريه .

١٠٢ - حجة الله البالغة .

شاه ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى - دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد - تحقيق السيد سابق .

١٠٣ - حركة الترجمـــه .

أنور الجندى - دار الاعتصام .

١٠٤ - الحركة الفكريه ضد الاسلام .

د . بركات عبد الفتاح دريدار - مطبوعات المركز العالمى للتعليم الاسلامى ، د . محمود حسن زينى .

١٠٥ - الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين .

د . نبيل صبحى الطويل - ط ثانية ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة .

١٠٦ - الحسبه فى الاسلام .

ابن تيميه - المطبعة السلفيه ومكتبتها .

١٠٧ - الحسنـــة والسيئة .

ابن تيميه - ط ثانية ١٣٩٨هـ ، دار المعرفه .

١٠٨ - حصوننا مهددة من داخلها .

د / محمد محمد حسين - ط سابعة سنة ١٤٠٣هـ مؤسسة الرسالة .

١٠٩ - حضارة العـــرب .

د . جوستناف لوبون - مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، عادل زعتر .

١١٠- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الاسلاميه .

عبد الله أبو زيد - ط أولى ١٤١٠هـ - مطابع الدرعيه - الرياض .

١١١- حكم الشورى في الاسلام ونتيجتها .

د . محمد عبد القادر أبو فارس - ط أولى ١٤٠٨هـ - دار الفرقان - عمان .

١١٢- الحكومة الاسلاميه .

للخميني .

١١٣- حلية الأولياء وصفه الأصفياء .

أبو نعيم الأصفهاني - ط ثانية ١٣٧٨هـ - دار الكتب العربية - بيروت.

١١٤- الخصائص العامه للاسلام

د . يوسف القرضاوي - ط ثانية ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة .

١١٥- الدرر السنيه في الأجوبة النجديه .

جمع عبد الرحمن بن قاسم - ط ثانية ١٣٨٥هـ - مطابع المكتب الاسلامي - بيروت .

١١٦- الدرر الكامنه في أعيان الثامنه .

ابن حجر العسقلاني - دار الكتب الحديثة - مطبعة المدني .

١١٧- الدر المنثور في التفسير المأثور .

جلال الدين السيوطي - دار الفكر .

١١٨- درء تعارض العقل والنقل .

شيخ الإسلام ابن تيميه - ط أولى ١٤٠١هـ - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلاميه - تحقيق محمد رشاد سالم .

١١٩- دراسات في السيرة النبويه .

محمد سرور نايف زين العابدين - ط أولى ١٤٠٧هـ دار الارقم .

١٢٠- دراسة في الكتب المقدسه في ضوء المعارف الحديثة .

موريس بوكاى - ط رابعة - القاهرة - دار المعارف .

١٢١- الدعوة الاسلامية - الوسائل - الخطط - المداخل .

ط أولى الجات ووقائع مع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالميه للشباب الاسلامى .

١٢٢- الدعوة الاسلاميه والانقاذ العالمى .

د . عبد الله ناصح علوان - دار اسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

١٢٣- الدعوة إلى الاصلاح .

محمد الخضر حسين - ط ثانية ١٣٩٣هـ .

١٢٤- الدعوة والدعاه من القرآن الى القرآن .

محمد محمود الصواف - ط ثانية ١٤٠٦هـ - دار العمير للثقافة والنشر.

١٢٥- دلائل النبـــوة .

الامام البيهقى - دار النصر للطباعة - القاهرة ١٣٨٩هـ - تحقيـــق عبد الرحمن محمد عثمان .

١٢٦- ديوان إلامام على.

دار القلم - بيروت .

١٢٧- ديوان شوقـــــى .

د . أحمد محمد الحوفى - طبع دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.

١٢٨- الذيل على طبقات الحنابله .

أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى - مطبعة السنـــة المحمدية ، تحقيق محمد حامد الفقى .

١٢٩- الرد على الدهريين .

لجمال الدين الافغانى .

١٣٠ - الرد على المنطقيين .

شيخ الإسلام ابن تيميه - المطبعة القيمة ١٣٦٨هـ بمباى - نشر عبد العزيز شرف الدين الكتبى .

١٣١ - الرد الكافى على مغالطات الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه بين الشيعة واهل السنه .

احسان الهى ظهير - ط ثانية ١٤٠٦هـ ادارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان .

١٣٢ - الرد الوافر .

شمس الدين محمد بن عبد الله (ابن ناصر الدين) - المكتب الاسلامى تحقيق / زهير الشاويش .

١٣٣ - رسالة الشرك ومظاهره .

مبارك بن محمد الميلى - مركز شئون الدعوة بالجامعة الاسلاميه ١٤٠٧هـ.

١٣٤ - الرسالة القشيريه .

ابو القاسم عبد الكريم القشيرى - دار الكتب الحديثة - تحقيق عبد الحليم محمود ، محمود بن الشريف .

١٣٥ - الرسالة القبرصية .

ط أولى المطبعة السلفيه - نشرها محب الدين الخطيب .

١٣٦ - روح المعانى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .

الآلوسى البغدادى - دار احياء التراث الاسلامى - بيروت .

١٣٧ - الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية .

السهلى - دار الباز للنشر ، دار المعرفة للطباعة ، تحقيق طه عبد الرؤوف.

١٣٨ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين .

الناشر - دار الوعى - حلب .

١٣٩- روضة الناظر والمناظر .

ابن قدامه - مكتبة المعارف - الرياض .

١٤٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد .

ابن القيم - ط الرابعة عشر - مؤسسة الرسالة - تحقيق شعيب عبد القادر الارناؤوط .

١٤١- السعادة العظمى .

محمد الخضر حسين - تحقيق على الرضا التونسى .

١٤٢- سلسلة الاحاديث الصحيحه .

محمد ناصر الدين الالبانى - المكتب الاسلامى .

١٤٣- السلفية بين العقيدة الاسلاميه والفسلفة الغربية .

مصطفى حكمى - دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤٤- السلفية فى المجتمعات المعاصرة .

د / محمد فتحى عثمان - ط ثانية دار القلم - بالكويت .

١٤٥- سنن ابن ماجـــه .

ابن ماجة القزوينى - دار احياء التراث العربى - تحقيق محمد فـــؤاد عبد الباقى .

١٤٦- سنن ابى داود .

ابو داود السجستانى - ط اولى سنة ١٣٦٢هـ دار الحديث بسوريـــة تحقيق عزت الدعاس .

١٤٧- سنن الترمـــذى .

الامام الترمذى - طبعة الحلبى .

١٤٨- سنن الدارمـــى .

الامام الدارمى السمرقندى - دار الفكر .

١٤٩- سنن الدارقطني .

علي بن محمد الدارقطني - دار المحاسن للطباعة - تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني .

١٥٠- السنن الكبرى .

الامام البيهقي - دار المعرفة - بيروت .

١٥١- سنن النسائي .

الامام النسائي - ط اولى ١٣٤٨هـ دار الكتاب العربي ،شرح السيوطي حاشية السندي .

١٥٢- السياسة الشرعيه في اصلاح الراعي والرعيه

لابن تيمية - دار الأرقم بالكويت - تحقيق / علي محمد المغربي .

١٥٣- سير أعلام النبلاء .

شمس الدين الذهبي - ط أولى ١٤٠١هـ - مؤسسة الرسالة .

١٥٤- السيرة النبويه .

عبد الملك بن هشام المعافري - مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام ابن شقرون .

١٥٥- سيكولوجيه الرأي والدعوه .

رؤوف شلبي - دار القلم - الكويت .

١٥٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

لابن العماد الحنبلي - مكتبة البخاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

١٥٧- شرح الأربعين النوويه في الأحاديث الصحيحه

ابن دقيق العيد - مطابع الصفا - مكة المكرمة .

١٥٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

للابي القاسم اللالكائي - دار طيبه للنشر - الرياض - تحقيق د . احمد سعد حمدان .

١٥٩- شرح حديث عوعمر بن مالك الأنصارى .

لابن رجب الحنبلى - حققه محمد مفيد الخيمى - مكتبة الحانجى - الطبعة الأولى .

١٦٠- شرح الشروط العمريه .

لابن القيم الجوزية - حققه وعلق على حواشيه ، وجوده من الأصل د . صبحى الصالح - دار العلم للملايين (الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ)

١٦١- شرح العقيدة الطحاويه .

على بن على ابن أبى العز الحنفى - ط خامسة ١٣٩٩هـ - المكتب الاسلامى - تحقيق ناصر الدين الالبانى .

١٦٢- الشريعـــــه .

لابى بكر محمد بن الحسن الآجرى - ط أولى ١٤٠٣هـ دار الكتب العلميه - تحقيق محمد حامد الفقى .

١٦٣- شهيد المحراب عمر بن الخطاب .

عمر التلمسانى - دار الأنصار - القاهرة .

١٦٤- الشيوعية والشيوعيون فى ميزان الاسلام .

د . عبد الجليل شلبى - ط أولى ١٩٧٦م - دار الشروق .

١٦٥- ضحـى الاســـلام .

أحمد أمين - مكتبة النهضة المصريه .

١٦٦- الصارم المسلول على شاتم الرسول

ط أولى ١٣٧٩هـ - مطبعة السعادة بمصر - تحقيق محمد محـــــى الدين عبد الحميد - مكتبة ناجى بطنطا .

١٦٧- الصحة النفسيه .

د . فايز محمد على الحاج - ط ثانية ١٤٠٤هـ - المكتب الاسلامى .

١٦٨- صحابة رسول الله فى الكتاب والسنه .

عباده أيوب الكبيسى - ط أولى ١٤٠٧هـ دار القلم دمشق - المنـــاره بيروت .

١٦٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) .

المكتب الاسلامى - تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى .

١٧٠- صحيح مسلم .

ط ١٣٧٥هـ - دار احياء التراث العربى عيسى البابى الحلبى وشركاه

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

١٧١- صحيح مسلم بشرح النووى .

الامام النووى - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٧٢- صفحات مضيه من تراث الاسلام .

دار الاعتصام انور الجندى

١٧٣- الصواعق المحرقه فى الرد على أهل البدع والزندقة .

تأليف احمد بن حجر الهيثمى - خرج أحاديثه - عبد الوهاب عبد اللطيف
طبع شركة الطباعه الفنيه المتحده ، القاهرة - الطبعة الثانيه .

١٧٤- طبقات الحنابله .

للقاضى ابى الحسين محمد بن ابى العلى - دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٧٥- طبقات الشافعية .

جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى - ط أولى رئاسة ديوان الأوقاف واحياء

التراث العراقيه - تحقيق عبد الله الجبورى .

١٧٦- الطبقات الكبرى .

ابن سعد - دار صادر - بيروت .

١٧٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين .

ابن القيم الجوزيه - المطبعة السلفيه ١٣٧٦هـ نشره محب الدين الخطيب.

١٧٨- العالم الاسلامى والمكائد الدوليه خلال القرن الرابع عشر الهجرى .

فتحى يكن - ط ثانية ١٤٠٣هـ مؤسسة الرسالة .

١٧٩- العبودية .

لشيخ الاسلام ابن تيمية .

١٨٠- عقائد السلف .

لمجموعة من المؤلفين - منشأة المعارف بالاسكندرية - تحقيق على سامى النشار وعمار الطالبى .

١٨١- العقوبات الزجريه والوقائيه فى التشريع الاسلامى وتطبيقها .

اسماعيل بن محمد الانصارى - مجلة البحوث الاسلاميه العدد ٢٣ .

١٨٢- العقيدة الاسلاميه والايديولوجات المعاصره .

د . عبد المغنى عبود - ط ثانية ١٩٨٠م - دار الفكر العربى .

١٨٣- العقيدة أولا لو كانوا يعلمون .

عبد العزيز القارئ - مكتبة الدار - المدينة المنورة .

١٨٤- عقيدة المسلم .

محمد الغزالى - دار القلم - دمشق .

١٨٥- عقيدة المؤمن .

أبو بكر الجزائرى - دار الكتب السلفيه - القاهرة .

١٨٦- علماؤنـــــا .

فهد البدرانى ، فهد البراك - ط اولى مكتبة المهندس - بالرياض

١٨٧- عمدة القارى .

على القارى - طبع الشركة الصحافيه العثمانيه فى دار السلطنة السنيه .

١٨٨- عنوان المجد فى تاريخ نجد .

عثمان بن بشر النجدى الحنبلى - مطابع القصيم .

١٨٩- عوارف المعارف .

السهروردى - دار المعرفة - بيروت - ملحق احياء علوم الدين للغزالى .

١٩٠- العواصم من القواصـــم .

ابو بكر بن العربى المالكى - دار الكتب السلفية - تحقيق محب الديـــن الخطيب ، خرج احاديثه محمود مهدى الاستانبولى .

١٩١- عون المعبود (شرح سنن ابى داود) .

ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى - دار الفكر .

١٩٢- فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى .

ابن حجر العسقلانى - طبعة رئاسة البحوث العلميه والافتاء - ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

١٩٣- الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى .

أحمد عبد الرحمن البنا - دار احياء التراث العربى .

١٩٤- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدرايه فى علم التفسير .

محمد بن على الشوكانى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

١٩٥- فتوح الشـــام .

أبى عبد الله عمر الواقدى - ط أولى ١٩٦٦م - المكتبة الأهليه - بيروت ، تقديم عمر ابو الفضل .

١٩٦ - الفتوى الحمويـــه .

شيخ الإسلام ابن تيمية - ط ثالثة - المطبعة السلفية - محب الدين الخطيب .

١٩٧- فصول من السياسة الشرعيه فى الدعوه الى الله .

عبد الرحمن عبد الخالق - ط أولى ١٤٠٤هـ - دار القلم بالكويت .

١٩٨- فضائح الباطنيـه .

أبو حامد الغزالى - الدار القوميه للطباعة - القاهرة ١٩٨٣م - تحقيق عبد الرحمن بدوى .

١٩٩- فقـه السيره .

محمد الغزالى - ط سابعة ١٩٧٦م - دار الكتب الحديثة - القاهرة.

٢٠٠- الفقهاء وبحوث العقيده الاسلاميه .

أبو اليزيد العجمى - دار الهدايه بمصر .

٢٠١- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة .

عبد الرحمن عبد الخالق - مكتبة ابن تيميه - الكويت .

٢٠٢- فن الخطابة .

د . أحمد محمد الحوفي - ط رابعة - دار نهضة مصر - القاهرة .

٢٠٣- فنون التبليغ القرآني ونظرياته ، اعلام ليس مثله اعلام .

احسان عسكر - دار النهضة العربيه - القاهرة .

٢٠٤- الفهـــــرس .

ابي الفرج محمد بن أبي يعقوب - تحقيق رضا محمود .

٢٠٥- في ظلال القرآن .

سيد قطب - ط الحادية عشر - دار الشروق .

٢٠٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير .

عبد الرؤوف المناوي - مطبعة مصطفى محمد .

٢٠٧- القاديانيه دراسة وتحليل .

احسان الهي ظهير - ط ثالثة ادارة ترجمان السنة - لاهور .

٢٠٨- القائد إلى تصحيح العقائد .

عبد الرحمن بن محمد المعلمي العتمي - ط ثانية - المكتب الاسلامي - الالباني .

٢٠٩- قبل أن تدفعوا الجزيه .

عبد الودود شلبي - دار المجتمع والنشر والتوزيع .

٢١٠- القدوة الحسنة وأثرها في الاعلام بالسلام .

عبد الله سعد الصباغ .

٢١١- قصة الحضارة .

ول ديورانت - الادارة الثقافيه لجامعة الدول العربية - ترجمـــة محمد بدران .

٢١٢- قضية التخلف العلمي والتنقين في العالم الاسلامي المعاصر .

زغلول راغب النجار - ط أولى .

٢١٣- قواعد الأحكام في مصالح الأيام .

أبو محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي - مكتبة الكليات الازهريـــة طبعة ١٣٨٨هـ .

٢١٤- القول المفيد في أدله الاجتهاد والتقليد .

الشوكاني - ادارة الطباعة المنيره - تحقيق محمد بشير .

٢١٥- قوى الشر المتحالفه - الإستشراق - التبشير - الاستعمار - وموقفها من الاسلام والمسلمين .

محمد محمد الدهان - ط أولى ١٤٠٦هـ دار الوفاء للطباعة والنشر .

٢١٦- القيم والعادات الاجتماعيه ومع بحث ميدان لبعض العادات الاجتماعية .

د . فوزيه دياب - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت .

٢١٧- الكامـــــل .

ابن الأثير - ادارة الطباعة المنيره .

٢١٨ - كتاب التوحيد مع اخلاص العمل لوجه الله عز وجل .

مؤسسة علوم القرآن - دمشق - بيروت - تحقيق محمد السيد الجنيد .

٢١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .

الزمخشري الخوارزمي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٢٢٠- كلمه الاخلاص وتحقيق معناها .

الحافظ بن رجب - المكتب الاسلامي تحقيق زهير الشاويش - تخريـــج الألباني .

٢٢١- الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه .

عبد العزيز السلمان - ط العاشرة ،مطابع المجد التجارية . الرياض .

٢٢٢- لسان العرب .

ابو الفضل جمال الدين الافريقى المصرى - دار صادر .

٢٢٣- لسان الميـزان .

ابن حجر العسقلانى - ط أولى - مؤسسة الاعلى للمطبوعات - بيروت .

٢٢٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية لشرح الدرة المضية فى عقـــد الفرقة المرضية .

محمد بن احمد السفارينى - مؤسسة محمد مفيد الخيمى - دمشق .

٢٢٥- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

محمد فؤاد عبد الباقى - المكتبة الاسلامية .

٢٢٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

ابو الحسن الندوى - دار الكتاب العربى - بيروت .

٢٢٧- المبين المعين لفهم الأربعين .

على بن سلطان محمد القارى الحنفى المكى - ط اولى ١٣٢٨هـ - مكتبة الجمالية - مصر .

٢٢٨- المجتمع الإنسانى فى القرآن الكريم .

د / محمد التومى - الدار التونسية للنشر بتونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزاء .

٢٢٩- المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه .

د / محمد سيد احمد المسير - ط ثانية ١٤٠٤هـ مؤسسة علوم القرآن دمشق .

٢٣٠- مجموع فتاوى شيخ الاسلام .

ابن تيمية - ط اولى ١٣٦٨ ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

٢٣١- مجموعة بحوث فقهية .

د / عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة .

٢٣٢- مجموعة التوحيـــد .

شيخ الإسلام ابن تيمية - محمد بن عبد الوهاب - دار الفكر .

٢٣٣- مجموعة الرسائل الكبرى .

شيخ الإسلام ابن تيمية - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح .

٢٣٤- مجموعة الرسائل والمسائل .

شيخ الاسلام ابن تيمية - ط أولى مطبعة المنار بمصر - تصحيح محمد رشيد رضا .

٢٣٥- مختار الصحاح .

محمد بن ابى بكر الرازى - دار الكتاب العربى - بيروت .

٢٣٦- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .

ابن القيم - ط أولى ١٤٠٥هـ دار المكتب العلمية - اختصـــار محمد ابن الموصلى .

٢٣٧- مدارج السالكين من منازل اياك نعبد واياك نستعين .

ابن القيم - دار الكتاب العربى - بيروت - تحقيق محمد حامد الفقى .

٢٣٨- المدخل الى الثقافة الاسلاميه .

د / محمد رشاد سالم - دار القلم - الكويت .

٢٣٩- مراتب الاجماع من العبادات والمعاملات والاعتقادات .

ابن حزم - دار الكتب العلمية .

٢٤٠- مرشد الوعـــاه .

محمد نمر الخطيب - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٢٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر .

علي بن الحسن بن علي المسعودي - ط رابعة ١٣٨٤هـ مطبعـــة السعاده بمصر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٢٤٢- مسائل في منهج كتابة التاريخ .

دار حراء بمكة - تحقيق / محمد بن صامل السلمي .

٢٤٣- المستدرك على الصحيحين .

الحاكم النيسابوري - دار الفكر - بيروت .

٢٤٤- المستصفى من علم الاصول .

ابو حامد الغزالي - المطبعة الاميرية ١٣٢٤هـ .

٢٤٥- المستطرف في كل فن يستطرف .

شهاب الله احمد الابستهي .

٢٤٦- المسلمون أمام التحدي العالمي .

د / احسان حقي - ط خامسة ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة .

٢٤٧- المسلمون في معركة البقاء .

د / عبد الحليم عويس - دار النصر للطباعة الاسلامية .

٢٤٨- المسلمون وتحديات العصر .

د / عبد الغني عبود - دار الفكر العربي .

٢٤٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل .

الإمام أحمد - دار الفكر العربي - بهامشه كنز العمال .

٢٥٠- مسند الطيالسي .

سليمان داود بن الجارود الطيالسي - دار الباز بمكة - دار المعرفة بيروت .

٢٥١- مشاهير علماء نجد وغيرهم .

عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله ال الشيخ - دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض .

٢٥٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي .

حمد بن محمد بن علي المقرى - المكتبة العلمية - بيروت .

٢٥٣- المصطلحات الأربعة .

ابو الاعلى المودودي - ط اولى مطبعة الهاشمية - ترجمة محمد كاظم الصباغ .

٢٥٤- المصنـــــــف .

عبد الرزاق الصنعاني - ط اولى - المكتب الاسلامي - تحقيق حبيـــب الرحمن الاعظمي .

٢٥٥- المعارف .

ابن قتيبة - ط ثانية دار المعارف بمصر - صححه ثروت اباظه .

٢٥٦- المعتمد في اصول الدين .

ابو يعلى - دار الشروق .

٢٥٧- معجم مقاييس اللغة .

احمد بن فارس بن زكريا - ط ثانية ١٣٩٠هـ ، مطبعة الحلبي ، تحقيق عبد السلام هارون .

٢٥٨- المعجم الوسيط .

ط ثانية - مطابع دار المعارف - مصر - نشر مجمع اللغة العربية .

٢٥٩- مع الله .

محمد الغزالى - نشر وتوزيع دار الثقافة الدوحه .

٢٦٠- المعوقون للدعوة إلا سلاميه فى عهد النبوة وموقف إلا سلام منهم .

د / سميرة محمد عمر جمجوم - دار المجتمع للنشر والتوزيع .

٢٦١- معيد النعم ومبيد النعم .

تاج الدين عبد الوهاب السبكى - ط اولى ١٤٠٧هـ مؤسسة الكتب الثقافية .

٢٦٢- المغنى .

ابن قدامة المقدسى - رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد .

٢٦٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة .

ابن القيم - ط ثانية ١٣٥١هـ نشر مكتبة الازهر ، تصحيح محمد حسن رميح

٢٦٤- المفردات .

الراغب الأصفهانى - مكتبة ومطبعة البابى الحلبى -

٢٦٥- مقدمة ابن خلدون .

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - مؤسسة الاعلى للمطبوعات - لبنان .

٢٦٦- الملل والنحل .

الشهرستانى - ط أولى مطبعة الأزهر - تخريج محمد فتح الله زيدان .

٢٦٧- مناقب الامام ابى حنيفة وصاحبه ابى يوسف ومحمد بن الحسن .

دار الكتاب العربى - تحقيق محمد زاهد ، ابو الوفا الافغانى .
نشر لجنة احياء المعارف العثمانيه .

٢٦٨- مناقب الامام ابى حنيفه .

احمد المكى - ط اولى ١٣٣١هـ مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند .

٢٦٩- مناقب الامام احمد بن حنبل .

ابن الجوزى - طبع على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز .

٢٧٠- مناهج الجدل فى القرآن الكريم .

زاهر عواض الالمعى - ط ثانية - مطابع الفرزدق التجارية .

٢٧١- منهج الأنبياء فى الدعوة الى الله .

محمد سرور ثابت زين الدين - دار الارقم .

٢٧٢- منهج الأنبياء فى الدعوة الى الله فيه الحكمة والعقل .

ربيع هادى المدخلى - ط اولى ١٤٠٦هـ الدار السلفية - الكويت .

٢٧٣- منهج الدعوة الى الله .

محمد أمين أصلاحى - تعريب سعيد الاعظمى النووى ، نرو عالم الندوى

٢٧٤- منهاج السنه .

شيخ الإسلام ابن تيميه - مكتبة الرياض الحديثه - مكتبة الجمهورية .

٢٧٥- الموسوعة الحركيـة .

ط اولى مؤسسة الرسالة - اشراف فتحى يكن .

٢٧٦- الموافقات فى أصول الاحكام

الشاطبى - دار الفكر .

٢٧٧- الموطـأ .

الامام مالك - مطبعة الحلبى - دار احياء الكتب العربية - تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى .

٢٧٨- مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مطابع الرياض .

٢٧٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال .

شمس الدين الذهبي - ط اولى ١٣٨٢هـ مطبعة الحلبي - تحقيق علي محمد البجاوي .

٢٨٠- نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض .

احمد شهاب الدين الخفاجي - دار الفكر - بيروت .

٢٨١- نعم الله في خلق الانسان كما يصوره القرآن الكريم .

عزت محمد حسن - مكتبة المعارف - الرياض .

٢٨٢- نعمة الله مظاهرها من العلم الحديث

جمال الدين عياد .. الناشر مجموعة شركات الطوبجي للطباعة

٢٨٣- النفوذ اليهودي في الاجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية .

فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعي - مكتبة الصحابة الاسلامية بالكويت .

٢٨٤- النهاية في غريب الحديث والآثار .

ابو السعادات الجزري - المكتبة العلمية - بيروت - تحقيق طاهر الزاوي محمود الطناحي .

٢٨٥- نونية ابن القيم (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) .

ابن القيم - مطبعة التقدم العلمية - مصر ١٣٤٤هـ .

٢٨٦- هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى .

ابن القيم - ط اولى ١٤٠٨هـ مطبعة السوادي - الرياض - تخريج مصطفى ابو النصر .

٢٨٧- هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه .

د / محمد السيد الوكيل - دار الوفاء للطباعة - المنصورة - مصر .

٢٨٨- واقعنا المعاصر .

محمد قطب - ط اولى ١٤٠٧هـ مؤسسة المدينة للصحافة .

٢٨٩- وحى الرسالـة .

أحمد حسن الزيات - المجلد الأول .

٢٩٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

ابن خلكان - دار صادر ١٣٩٧هـ تحقيق احسان عباس .

٢٩١- وقفات مع كتاب للدعاة فقط .

محمد بن سيف العجمى .

(الجرائد والمجـلات)

٢٩٢- جريدة الثورة اليمنيه .

الصادره يوم الاثنين جمادى الثانية ١٤٠٩هـ .

٢٩٣- جريدة الشرق الأوسط .

عدد ٢٩ عام ١٩٨٣م.

٢٩٤- جريدة عكـــــاظ .

العدد ٨٢٢٦ عام ١٤٠٩هـ .

٢٩٥- مجلة البحوث الاسلامية .

العدد ٢٣ ص ١٨٥.

٢٩٦- مجلة الجامعة الاسلامية .

العدد ٦٥-٦٦ سنة ١٧ .

٢٩٧- مجلة الدعوة السعودية .

العدد ١٢١٢ عام ١٤١٠هـ .

٢٩٨- مجلة طبيبـــــك .

العدد ٢١٢ .

٢٩٩- مجلة المجتمع الكويتيه .

العدد ٩٧٥ عام ١٤١٠هـ .

* * * *

فهرس الموضوعات

* فهـــرس الموضوعات *

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة
شكر وتقدير	
المقدمـــه	
التمهيد (حاجة البشرية إلى الله)	١
الباب الأول : اهمية الدعوة ببيـان مفرداتها	١٥
الفصل الأول : التعريف وبيان الحكم	١٥
المبحث الأول : التعريف بالدعوة	١٥
المبحث الثاني : تعريف الداعيه	١٧
المبحث الثالث: تعريف المدعو	١٩
المبحث الرابع : حكم الدعوة	٢٠
الفصـل الثانـــي : مجالات الدعوة	٢٧
المبحث الأول : العقيدة	٢٧
المبحث الثانـــي : العباده	٤١
المبحث الثالـث : المعاملات	٤٧
المبحث الرابـــع : الأخلاق	٥٣
الفصل الثالـث : الوسائل والأساليب	٥٩
المبحث الأول : الأساليب	٦١
المطلب الأول : الحكمـــه	٦١
المطلب الثاني : الموعظة الحسنة	٦٦
المطلب الثالـث : الجدل	٧٠
المبحث الثانـــي : الوسائل	٧٧
المطلب الاول : الخطابة	٧٧
أ ـ الخطبه	٧٨
ب ـ المحاضره	٨٠
حـ ـ الندوه	٨٠

الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة
د ـ الدرس	٨١
المطلب الثانى : الكتابه	٨٢
أ ـ الكتب والبحوث العلميه	٨٢
ب ـ الرسائل الشخصية	٨٣
حـ ـ المقاله	٨٣
د ـ النشرات	٨٤
المبحث الثالث : التربيه	٨٤
المبحث الرابـع : الأنشطه العامه	٨٦
الفصل الرابـــع : صفات الداعيه	٨٨
المبحث الأول : الصفات الأخلاقيه	٨٨
المطلب الأول : الاخلاص	٨٩
المطلب الثانى : الصبـــر	٩١
المطلب الثالث : الكـــرم	٩٣
المطلب الرابـع : الالتزام بالاسلام	٩٤
المبحث الثانى : الذخيره العلميه	٩٧
المطلب الأول : العلوم الشرعيه	٩٧
المطلب الثانى : الثقافه العامه	٩٨
المطلب الثالـث : النظم	١٠٠
المبحث الثالـث : الصفات العمليه	١٠٢
المطلب الأول : الموهبه	١٠٢
المطلب الثانى : الخبره	١٠٤
المطلب الثالث : الكفاءه	١٠٥
الباب الثانـــى : ضرورات الدعوه	١٠٨
الفصل الأول : الضرورة الشرعيه .	١٠٨

الموضـــــــــوع	رقم الصفحـة
المبحث الاول : عالميه الدعوة	١٠٨
المبحث الثانى : الآثار المترتبه على ترك الدعوة	١١٢
المطلب الأول : حلول الفتن ونزول النقم	١١٢
المطلب الثانى : استحقاق اللعن	١١٦
المبحث الثانى : الآثار المترتبة على أقامة الدعوة	١١٩
المطلب الأول : النجاة من العذاب	١١٩
المطلب الثانى : الثناء الجميل	١٢٢
المطلب الثالث: الثواب الجزيل	١٢٤
الفصل الثانـى: الضرورة التاريخيه	١٢٦
المبحث الاول : الحالة البشريه قبل البعثه النبوية	١٢٧
المبحث الثانى : حال العالم بعد البعثة النبوية	١٣٧
الفصل الثالث : الضرورة الواقعيه	١٤٦
المبحث الأول : الجهل والتخلف فى بلاد المسلمين	١٤٦
المطلب الأول : الجهل والتخلف العقدى	١٥٢
المطلب الثانى : فشو الاميه	١٥٤
المطلب الثالث: التخلف الصحى	١٥٦
المطلب الرابع : التخلف الاقتصادى	١٦٠
المبحث الثانى : التيارات الهدامه وسيطرة أعداء الاسلام	١٦٨
المطلب الاول : أفراده	١٦٨
المطلب الثانى : مجالات الغزو	١٧٢
المطلب الثالث : وسائل الغزو	١٧٥
المبحث الثالث: حالة العالم غير الاسلامى	١٨٦
الباب الثالث : عوامل قوة الدعوة وأهميتها	١٩٣

الموضـــــــــوع	رقم الصفحـــة
/ الفصـــل الأول : خدمة الدعوة ورعايتها	١٩٣
المبحث الاول : بذل الطاقة فى خدمة الدعوة	١٩٣
المبحث الثانى : حماية الدعوة	٢٠٣
المطلب الاول : واجب ولاة أمور المسلمين	٢٠٣
المطلب الثانى : واجب دعاة الاسلام	٢٠٦
/ الفصل الثانى : نشر العلم	٢١٠
المبحث الأول : تعريف العلم وبيان حكمه	٢١٠
المطلب الأول : تعريفه	٢١٠
المطلب الثانى : حكم طلب العلم	٢١٣
المبحث الثانى : فضله وآدابه	٢١٤
المطلب الأول : فضلـــه	٢١٤
المطلب الثانى : آدابـــه	٢١٧
المبحث الثالث : كيفية نشره	٢٢٣
المطلب الأول : صياغة نظرية تربويه اسلاميه	٢٢٣
المطلب الثانى : اسلمه العلوم	٢٢٣
المطلب الثالث : الدعوة الى رحلة الايام لعلماء المسلمين	٢٢٤
المطلب الرابع : فتح باب الاجتهاد الجماعى	٢٢٩
/ الفصل الثالـــث : القدوة الحسنه	٢٣٧
المبحث الأول : تعريفها وخصائصهاواسباب اهميتها	٢٣٨
المطلب الأول : تعريفها	٢٣٨
المطلب الثانى : خصائصها	٢٣٨
أ - الخصيصة النفسيه	٢٣٨
ب - الخصيصة الاجتماعية	٢٣٩
حـ - الاستمراريه والدوام	٢٣٩

الموضـــــــــوع	رقم الصفحـة
المطلب الثالث : أسباب أهميتها	٢٤١
المبحث الثانى : مجالات القدوه	٢٤٤
المطلب الأول : اقتداء الدولة المسلمه	٢٤٤
أ - تحكيم شرع الله	٢٤٤
ب - العمل بالشورى	٢٥٢
حـ - اقامة العدل	٢٥٧
المطلب الثانى : اقتداء الرعيه	٢٦٣
أ - الطاعة والنظام	٢٦٤
ب - التكافل والترابط الاجتماعى	٢٧١
الفصل الرابع : محاربة البدع	٢٧٤
المبحث الأول : تعريف البدع	٢٧٤
المطلب الاول : التعريف اللغوى	٢٧٥
المطلب الثانى : التعريف فى الاصطلاح والرد على من توسع فى مفهومها	٢٧٥
المبحث الثانى : التحذير من البدع	٢٨٣
المبحث الثالث : أسباب البدع	٢٨٩
المطلب الأول : الجهل	٢٨٩
المطلب الثانى : التقليد المذموم	٢٩٣
المبحث الرابع : كيفية محاربة البدع	٢٩٨
المطلب الأول : الحكام	٣٠٠
المطلب الثانى : العلماء	٣٠٣
المطلب الثالث : الجماعات الاسلاميه	٣٠٦
الفصل الخامس : الوحده ونبذ الخلاف	٣١٣
المبحث الأول : مشروعيه العمل الجماعى	٣١٣
المبحث الثانى : معوقات العمل الجماعى	٣١٨

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحـــة
المطلب الأول : اهمال العقيده	٣١٨
المطلب الثانى : تقنين الدعوه	٣١٨
المطلب الثالث : نشر بعض الكتب	٣١٩
المطلب الرابـــع : تقصير بعض العلماء	٣١٩
المطلب الخامس : العلل النفسيه	٣١٩
المبحث الثالث : أسس الدعوه إلى العمل الجماعى	٣٢٠
المطلب الأول : الدعوه الى العقيده الصحيحه	٣٢٠
المطلب الثانى : الدعوة الى الانصاف	٣٢٦
المطلب الثالث : القراءة المنوعـــه	٣٢٦
المبحث الرابـــع : اقتراح التوحيد وجهود الدعاة	٣٢٧
المطلب الاول : العقيدة الصحيحه	٣٢٧
المطلب الثانى : الترتيب والاعداد والتنظيم	٣٢٨
المطلب الثالث : التكامل والشمول	٣٢٩
أ - الميدان الخارجى	٣٣٠
ب - الميدان الداخلى	٣٣٢
المطلب الرابع : ثمرات العمل الجماعى	٣٣٣
الباب الرابـــع : أثر العقيده الصحيحه فى نجاح الدعوه	٣٣٦
الفصل الأول : التعريف بالعقيده وبيان محاسنها	٣٣٧
المبحث الاول : التعريف بالعقيده	٣٣٧
المطلب الأول : العقيده لغه	٣٣٧
المطلب الثانى : العقيده اصطلاحاً	٣٣٨
المبحث الثانى : محاسن العقيدة	٣٤٠
المطلب الأول : حفظها وصيانتها من العبث والتحريف	٣٤٠

الموضـــــــــوع	رقم الصفحـــة
المطلب الثانى : الوضوح	٣٤٢
المطلب الثالث : الوسطيه	٣٤٥
الفصل الثانـى : مكانة العقيده الصحيحه فى الدعوة	٣٤٨
المبحث الاول : الغاية من خلق الانسان	٣٤٨
المبحث الثانى : انفاق الرسل على الدعوة الى العقيدة	٣٥١
الفصل الثالـــث : الآثار المترتبه على اهمال العقيده فى الدعوة الى اللـــه .	٣٥٤
المبحث الاول : المخالفات العمليه	٣٥٤
المبحث الثانـى : المخالفات العقديه	٣٥٨
المطلب الأول : الجهل بالعقيده	٣٥٨
المطلب الثانـى : تحريف المفاهيم العقديه	٣٦٥
المبحث الثالث : الفشل فى تحقيق اهداف الدعوه	٣٧٣
الفصل الرابـــع : أثر العقيده فى الداعيه	٣٧٩
المبحث الاول : أثر العقيدة فى بناء شخصية الداعيه	٣٧٩
المبحث الثانى : أثر العقيدة فى ثبات الداعية واستمراره	٣٨٣
المطلب الأول : الخوف والتهديد	٣٨٤
المطلب الثانى : التهذيب الجسدى	٣٨٥
المطلب الثالث : الاغراء المادى	٣٨٩
المطلب الرابع : فساد الزمـن	٣٩٤
الفصل الخامس : أثر العقيدة الصحيحه فى المدعو	٣٩٩
المبحث الاول : أثر العقيده الصحيحه فى استمالة المدعو	٣٩٩
المبحث الثانى : الثمرات التى يجتنيها المدعو	٤٠٧
المطلب الاول : الانتظام فى سلك الفرقة الناجيه	٤٠٧
المطلب الثانى : النجاة من العذاب	٤٠٨

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحـــة
المطلب الثالث : السعادة فى الدنيا	٤١٣
الفصل السادس : أثر العقيدة فى أعداء الدعوة	٤١٨
المبحث الأول : أثر العقيدة الصحيحه فى المشركين	٤١٨
المطلب الأول : إبطال عبادة الاصنام	٤١٨
المطلب الثانى : الرد على مقالة النصارى	٤٢٥
المطلب الثالث : الرد على مقالة مشركى العرب	٤٣١
المبحث الثانى : أثر العقيدة فى ابطال عقيدة الكافرين	٤٣٥
المطلب الأول : ردتهم الكفار تجاه الرسل والأنبياء	٤٣٦
المطلب الثانى : اثبات عقيدة البعث والرد على منكريها	٤٥٥
المبحث الثالث : فضح المنافقين وكشف خبيئة قلوبهم	٤٦٧
المطلب الأول : موالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين	٤٦٨
المطلب الثانى : الرغبة عن تحكيم شرع الله	٤٧٣
المطلب الثالث : اشاعة الفســـاد	٤٧٩
المبحث الرابـــع : انقلاب الاعداء أولياء	٤٨٣
المطلب الأول : سحرة فرعون	٤٨٣
المطلب الثانى : إسلام عمر - رضى الله عنه	٤٨٨
الفصل السابـــع : أهمية الدعوة الى العقيدة الصحيحه فى العصور المختلفة .	٤٩٣
المبحث الأول : فى حياة الرسل عليهم الصلاة والسلام	٤٩٣
المبحث الثانى : فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم	٥٠٧
المطلب الأول : المبايعة والمؤاخاه	٥٠٩
المطلب الثانى : اقامة الدولة المسلمه	٥١٠
المطلب الثالث : الجهاد فى سبيل الله	٥١١
المطلب الرابع : بعث الدعاة وإرسال الكتب	٥١٣

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الخامس : حماية جانب التوحيد	٥١٥
المبحث الثالث : الصحابة رضوان الله عليهم	٥١٧
المطلب الأول : الاسراع بتنصيب الامام	٥١٩
المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله	٥٢١
المطلب الثالث : إنكارهم على من خالف منهج العقيدة الصحيحه	٥٢٤
المبحث الرابع : التابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة	٥٣٠
المطلب الأول : هجرهم لاهل الأهواء والرد عليهم	٥٣٢
المطلب الثاني : مناظره أهل الأهواء بإقامة الحجة عليهم	٥٣٧
المطلب الثالث : الكتابة والتأليف	٥٣٩
المبحث الخامس : الأئمة الأربعة رحمهم الله	٥٤١
المطلب الأول : عناية الأئمة بمذهب السلف والدعوه اليه	٥٤١
المطلب الثاني : إنكارهم على من خالف منهج العقيدة الصحيحه	٥٤٥
المطلب الثالث : الكتابة والتأليف	٥٥٠
المبحث السادس : شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله -	٥٥٢
المطلب الأول : انتصاره لمذهب السلف	٥٥٢
المطلب الثاني : محاربته للبدع والرد على أهل الأهواء	٥٥٣
المطلب الثالث : جهوده العلميه في خدمة العقيدة	٥٥٤
المطلب الرابع : جهاده ومحنته	٥٥٦
المبحث السابع : الإمام ابن القيم - رحمه الله -	٥٦٠
المطلب الاول : انتصاره لمذهب السلف	٥٦٠
المطلب الثاني : دعوته إلى العقيدة الصحيحه	٥٦٢
المطلب الثالث : دفاعه عن العقيدة	٥٦٣
المطلب الرابع : جهوده العلميه	٥٦٥

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحـة
المطلب الخامس : محنتـه	٥٦٦
المبحث الثامـــن : الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله -	٥٦٩
المطلـــب الاول : الدعوة إلى التوحيد	٥٦٩
المطلـب الثانـي : تحمله الاذى في سبيل العقيدة الصحيحه	٥٧٠
المطلب الثالـــث : جهوده العلميه	٥٧١
المطلب الرابـــع : إحياء فريضة الجهاد	٥٧٢
الخاتمة	٥٧٤
التوصيات	٥٧٩
فهرس الآيات	٥٨١
فهرس الأحاديث	٦٠١
فهرس الآثار	٦٠٨
فهرس الاعلام	٦١٢
فهرس المصادر والمراجع	٦٢٠
فهرس الموضوعات	٦٥١